

سنة من عمر
« الكاتب العربي »

انقضت سنة من عمر مجلة الكاتب العربي ، وها هو عددها الرابع يختتم عاما لتبدأ مسيرة عام جديد نامل أن تكون فيه أكثر عطاء وأوسع انتشاراً • ويهمني خلال هذه السطور أن أشير الى أمور أراها تحتاج الى مزيد من التأكيد لتسترعي اهتمام الكاتب والقارىء على حد سواء ، في مجلة نسعى الى أن تكون مجلة الكتّاب العرب قولا وعملا •

- ١ -

نشرت هذه المجلة ، انسجاماً مع أهدافها ، ثلاثة ملفات عن الأدب العربي في كل من : اليمن ــ الأردن ــ البحرين وستنشر ملف الأدب العربي في المغرب في العدد الخامس منها ونريد لهذه الملفات أن تكون سجلا موضوعياً وحياً لآخر ما وصل اليه الأدب العربي من تطور ومن انتاج يدل على معالم مسيرته وتوجهاته وتياراته في هذا القطر أو ذاك • ومن هنا تأتي أهمية أن تكون الملفات التي تقدم شاملة لأنواع الانتاج وأجناس الأدب ومتضمنة دراسات متميزة أول سماتها الجدة والجدية ، تمكن المتتبع من التعرف على تيارات ومدارس الانتاج الأدبي ابداعاً كان أم تتبعاً للابداع وتقويماً له من جهة ، ورصداً للجديد فيه ولتفاعله مع الجديد في العالم، وكذلك لنزوعه نحو التأصل والالتصاق بالواقع والتعبير عنه ، من جهة أخرى • وكذلك أهمية دراسة تلك الملفات التي تنشر والكتابة عنها لبيان ايجابياتها وسلبياتها في هذا المنحى



ومحاولة اتمام الصـورة والافادة مـن الجهد ، على طريـق تكوين صورة أقرب الى الشمول عن الأدب العربي المعاصر • ولذلك أجدني معنياً بتوجيه الدعوة الى الكتاب والأدباء والدارسين ليقوموا بهذا الجهد مشكورين ، وسـوف تولي المجلـة ما يكتبون في هذا المجال الاهتمام المطلوب •



– ٢ –

أثارت المجلة ـ من خلال محاور نشرتها ـ بعض القضايا التي ترى أنها تتصل بالصراع العربي الصهيوني على الصعيد الحضاري وتؤثر في هذا الصراع من خلال تأثيرها في الرأي العام الدولي واتصالهـا بتكوينه وبتكوين خلفيـات ذات أبعـاد عميقة في الثقافة الغربية على الخصوص • ومنها المحور الخاص باليهودية والمسيحية والذي يناقش غزو الفكر اليهودي للتراث الديني المسيحي • وقد شد هذا الموضوع اليه باحثين وأصحاب رأي على اتصـال مباشر بالموضـوع أرسلـوا دراساتهـم ومناقشاتهـم وآراءهم الى المجلة وهـي تنشرها تباعاً • وأحب أن أؤكد أهمية بحث هذا الموضوع بعقل صاف واطلاع عميق لنستطيع الوقوف على أخطر الوسائل التي تتبعها الصهيونية لتسخير الرأي العـام العالمي لمصالحها ولتحشده خلف أطماعهـا وللتستر على ماترتكبه من مذابح ومجازر وما تخطط له من توسع وعدوان عـلى شعبنا العربي وأرضنا •

والذين كتبوا في هذا المحور بذلوا جهوداً مخلصة وما زال استعداد كل منهم قائمـاً للدفـاع عن وجهة نظره واغنـاء البحث في الموضوع • وانـني اذ أعـلن ترحيب المجلـة بالأبحـاث والدراسـات والآراء الجادة حول هذا الموضوع أؤكد أهميـة النهج العلمي الذي يجافي بالضرورة كـل تعصب وكل نزوع للاتهام من أي نوع • ان الحقيقة أكبر من كل الأشخاص وهـي وحدها التي يجب أن تنشد وتحترم وتعلو.





تنشر المجلة في هذا العدد أبحاث ومداخلات ومناقشات الندوة التي عقدها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في مقره العام بدمشق من ١١ ـ ١٣ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٢ حول موضوع « المثقفون العرب أمام التجربة اللبنانية الفلسطينية ابَّان الغزو الصهيوني ـ الأميركي للبنان » ٠

والندوة على أهميتها وجدية وجرأة ما دار فيها من حوار وما قدم خلالها من آراء ، هي خطوة أولى على طريق تقويم هذه التجربة العربية على الصعد جميعاً: « السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية » ، والوقوف على ما لتلك التجربة ٠ وما عليها ، بموضوعية واخلاص ، ودون أن نلقي ظلالا من الشك أو التعتيم على دور جهة أو جانب من الذين كان لهم فيها دور واضح ، حتى نقف على حصيلة هذه التجربة ونحسن الاستفادة من دروسها واستخلاص عبرها والانتفاع بذلك كله في صراعنا الأبيد مع عدونا الذي يعمد الى تصفيتنا وتصفية قضيتنا بالتالي مرحلة بعد مرحلة معتمداً على ضعفنا وتفرقنا ، وعلى عدم استفادتنا من تجاربنا ٠

والعبء أو قل الواجب في هذا منقى على عاتق القادرين من : مسؤولين ومعنيين وكتَّاب ومفكرين وأدباء ٠ اذ يتوجب عليهم قول الحق والكشف عن الحقائق والوقائع ، وتقديم المعلومات لشعبنا والى من يهمه ويفيده الانتفاع بذلك من أبناء أمتنا ليحددوا المقصر ونوع التقصير وليظهروا أمام الملأ الفرق بين من يقدم دمه ومن يقدم تآمره على ساحة أشرف القضايا وأشدها تأثيراً على مستقبل نضالنا ومستقبل أجيالنا في الوطن العربي ٠

والكتاب والأدباء بشكل خاص مدعوون الى استلهام البطولات والتضحيات وصور الصمود الرائع في بيروت والجبل ومواقع الجنوب والبقاع تلك التي قدم



فيها المقاتل العربي أروع صور البطولة ،مدعوون الى فضح جرائم العدو الصهيوني البشعة التي ارتكبها أثناء الغزو والاحتلال في لبنان عامة وفي صبرا وشاتيلا خاصة . وهم مدعوون قبل سواهم لنشدان الحقيقة والوقوف على التفاصيل والوقائع لتسجل الكلمة الشريفة موقفها القائم على الصدق والعدل من قضية قومية وانسانية مقدسة .

وما قدمته هذه الندوة هو جزء يسير جداً مما ينبغي الاطلاع عليه والبحث والتدقيق فيه والتقصي عنه ، مما يمكن أن يكون مادة غنية جداً للأدب الطموح وللكلمة المبدعة وللكتابة الملتزمة الجادة والجديدة ، القومية والانسانية في آن معاً .

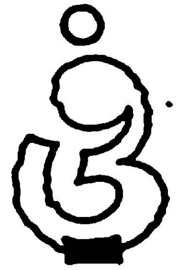
والمجلة اذ تدعو الى هذا تفتح صفحاتها للرأي الحر والمسؤول ، وللكلمة المخلصة وللابداع الحق ، تحدوها الرغبة في أن تقوم برسالتها وتحقق أهدافها بتعاون تام مع الزملاء الكتاب والأدباء والمفكرين العرب الذين كانت لهم وستبقى ، منبراً حراً مسؤولا . والله من وراء القصد .

رئيس التحرير





كلمة الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب



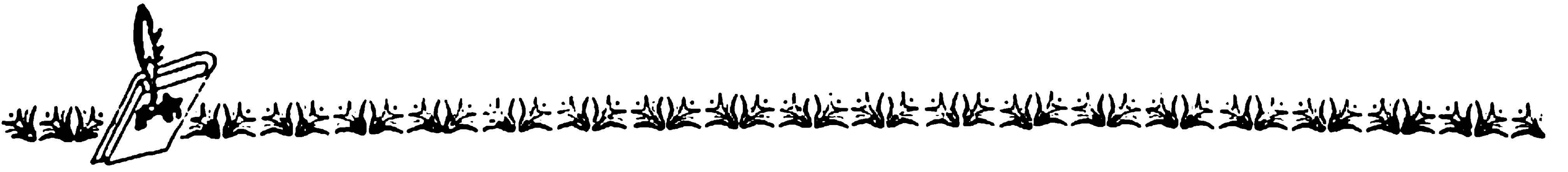
في افتتاح ندوة «المثقفون العرب أمام التجربة اللبنانية الفلسطينية إبّان الغزو الصهيوني الأميركي للبنان»

الأخ المناضل ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام للثورة الفلسطينية ، قائد صمود بيروت
الزميلات والزملاء ،
أيها الحضور الكرام :

اسمحوا لي بداية أن ارحب بكم أجمل وأحر ترحيب باسم الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب وأن أحيي الأدباء والكتاب العرب في الوطن العربي الكبير الأخ المناضل ياسر عرفات الذي تفضل بحضور افتتاح هذه الندوة وأن أحيي فيه ومن خلاله الشعب العربي الفلسطيني المناضل واسمحوا لي أن أحيي فيكم جميعاً ، مبدعين في مجالات استخدام الكلمة والسلاح ، وقيادة النضال الجماهيري ، كي يبقى حقنا في فلسطين أخضر العود ، حاضراً في أذهان الأجيال وضمائر الأفراد والشعوب ، وليكبر مقتا عند الله والناس ارخاص قضيتنا أو التفريط بها والتآمر عليها .

واتحادنا الذي يشرفه أن يكون ، للنضال وأهله ، وللقضية العربية الأم ، ماهية ووجوداً وهدف تحرك وكعبة ابداع ، يجد نفسه في الطريق السليمة وهو يقيم اليوم هذه الندوة «المثقفون العرب أمام التجربة اللبنانية ـ الفلسطينية ، ابان الغزو الصهيوني ـ الأميركي للبنان » .

ان شرف الكلمة ومعنى وجودها وغاية ذلك الوجود ، ومبرر الزعم أنها سلاح ونور ووسيلة انقاذ ، هو انحيازها للحق وللشعب وللفرد الانسان ، نواة المجتمع وخليته الحية ، واستنباتها في الواقع وغمسها بدم الجراح المملحة ، لتشع أسطع غضب ، ولترتفع أمضى سيف ، في وجه الظلم والقهر والاستلاب ، في وجه العدوان والغزو والاحتلال والاحتكار ، في وجه أعداء الحق وأعداء الانسانية وأعداء الشعوب الذين يرتدون اليوم ألف قناع ويحملون ألف هوية ، ويزيفون التاريخ والحقائق ليقيموا أردأ أنواع المجتمعات العنصرية ،



أو أسوأ الدكتاتوريات ضد شعوبهم وضد حقوق الانسان فيها، في وجه أولئك الذين ينبتون في طريق الثورات مزالق مفخخة ، وينتشرون ظلاماً يغمر البصر ويضل البصائر ٠

وشرف الكلمة العربية اليوم أن تكون ، بصلابة وصراحة ومسؤولية وصدق ، مع القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية والبندقية الفلسطينية ٠ مع الخيمة « والحطة » والدم الزكي الذي تنتشقه جذور الزيتون والبرتقال فترتعش نشوى في سعيه اليها وسعيها اليه ، منغرسة أعمق وأصلب في الأرض الفلسطينية لتكتب :

« الأرض والمستقبل والوجود والمجد ، لمن لا يتردد في أن يفتح شريانه لحقه وكرامته يسقيهما حتى الارتواء » ٠

شرف الكلمة العربية اليوم ، بعد أن غمست حروفها بالدم العربي ونيران الحرائق في بيروت والجنوب والبقاع ، وأخرجتها من جلدها رائحة الخيانة والتخاذل وعار الصمت العربي طيلة الحصار ، شرفها أن تقود شعبنا العربي كله الى تحقيق أمور رئيسة لا معدى لنا عنها اذا أردنا أن نضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيحة المؤدية الى النصر والحفاظ على الوجود شرفها أن تقوده :

- **الى التحرر من سطوة وعبودية واذلال وديكتاتوريات الحكام الذين أصبحوا بديلا للجماهير وأوصياء عليها وملاكا لها ٠**

- **الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، الأساس فيها : احترام الانسان والحفاظ على حقوقه واحترام المواطنية ومقوماتها ، واحترام التشريعات والقوانين التي تسن بالعدل مراعية أصالة الشعب والأصول التي تكوّن شخصيته وهويته وتميزه وتظهر تمايزه عن سواه في تربة أرض وتربة حضارة ٠**

- **الى زعزعة صرح الأكاذيب العظيم الذي تشيده أجهزة اعلام عربية لتقييم حدود التجزئة كاقسى وأمتن ما تكون الحدود ، زعزعة ذلك النهج الذي غدا عقيدة الحكام وخبز السياسة اليومي ، والذي ينسج شرانق قاتلة حول عقولنا وقلوبنا ويكوّن تحت شعار « الوطنية » القطرية نهجا كتائبيا مدمرا لقوميتنا المناضلة وتطلعنا الوحدوي ٠**

- **الى اقتحام أرض الصدق وانعاشها في النفوس وفي أرض الواقع، في السلوك والتعامل ومعاييرهما وقيمهما ، قبل أن ياتي الفساد على بذور الأرحام وعلى أرحام الأفكار والبطون ٠**

- **الى طريق العروبة الصافية حيث الشعب واحد ، والحس القومي نام بتوازن وصفاء ٠**

- **الى رفض الوراثة الشرعية لفكر الاستعماريين وخططهم وتقسيماتهم ، رفض (سايكس بيكو) ليصبح الشام شاماً ، ورفض الولاءات المريضة والمشبوهة من أي نوع والتي تؤدي بنا في نهاية الأمر الى أن نكون أمة تبعاً ٠**

- **الى التاصل في تراثنا وتربتنا الحضارية بوعي، والتواصل مع غيرنا بثقة ، والتقدم في معارج الرقي بثبات ، لنعايش عصرنا ونلحق بركبه على الصعد جميعا بهوية دفاقة الحيوية واضحة المعالم والقسمات والفاعلية ٠**

اننا ، بعد عاصمتنا الثقافية العريقة بيروت في صورتيها :

- **العاصمة العربية الرائعة صموداً واستبسالا وعطاء ٠**

- **والعاصمة العربية المدمرة المستباحة من ألد أعداء الأمة ٠**

وبعد انغراس الرعب والمرارة والغضب الذليل في صلب عظامنا بعد مذبحة صبرا وشاتيلا ، اننا ، بعد بيروت والمذبحة وقفنا ونقف ويجب أن نستمر وقوفاً على حد شفرة الصدق مع الذات ومع الشعب ومع الحق ، مع ضمائرنا المرتعدة على وقع انهيار بعد انهيار في ضمير أمتنا ، لنتمكن من اجراء مراجعة مفيدة مع الذات ، ومن استقراء الواقع وقراءة الوقائع بصراحة ووعي ومسؤولية ، ومن استخلاص دروس ونتائج نحسن استخدامها في انارة شعاب وتفرعات شعاب المرحلة القادمة من نضالنا المرير ضد أعدائنا المعلنين ، وضد من يلبسون ثيابنا وهم في واقع الأمر أعداء غير معلنين لنضالنا وقضايانا ، وعوا ذلك أم لم يعوه، ذلك النضال الذي غدا دفاعاً عن الوجود لا نضالا من أجل تحقيق تطلعات والحفاظ على حدود ٠

ان وقوف الواعين والمسؤولين والمناضلين ، وقوف المثقفين والكتاب والقادة السياسيين العرب ، على دروس التجربة اللبنانية الفلسطينية قبل حصار بيروت وابانه ، بما في تلك التجربة من سلبيات وايجابيات على الصعد جميعاً ، واجب قومي ونضالي وانساني ، ينبغي أن يؤدي بضمائر شديدة الحساسية وبوعي بالغ اليقظة ، وبصراحة وجرأة وحرص ، وأن يمارس بمزايا وبنوايا تليق بنا وبأمتنا وبأولئك الذين استشهدوا على الطريق المقدسة التي نسير عليها ، طريق تحرير شعبنا وأرضنا من الاستعمار والتخلف والتبعية ، طريق فلسطين الأمة والحرية والوحدة والتقدم ·

فليقم بيننا الحوار البناء ، ولنسفه ونستسفه ولنعتد ما في الحوار من لذع وحرق ومتعة ، فانه انما يحرق ما ينبغي احراقه ويهدم في نفوسنا وبيننا ما ينبغي هدمه ، ويشيع المتعة باناراته طريق الخلاص ومنارات الهداية ·

فليقم بيننا الحوار البناء ، ولتكن خلاصاته واستخلاصاتنا منه ونتائجه مقنعة وملزمة لنا جميعاً، نضعها فوق العنعنات والخلافات والتحزبات ، لأننا نريد وطناً يكون لنا ونستقر فيه ونعيش فوق ترابه، لينشأ بينناالختلاف وعقائديات فيه، لنقيم على أرضه أحزاباً ونتنافس من أجل خدمته واعلاء شأنه بين الأوطان ، نريد أن تكون لنا مقابر في أرضنا لا أن تجرفنا جرافات الأعداء الى حفر جماعية تدوسها أحذية الجنود ·

فليقم بيننا الحوار البناء ، ولنبعد عنا تلك الصيغة المؤسية التي سيطرت على لقاءات عربية كثيرة ، وصيغة الاعلان عن الذات وعن موقفها وأحلامهاو تطلعاتها وأغراضها وتضخمها، حيث يتمترس كل منا في خندقه وينفث كلامه من موقف محدد مسبقاً تفوح منه رائحة انكار الآخر والتنكر لمبدأ الحوار بما يحمله أو بما يمكن أن يؤدي اليه الحوار من حقائق ومواقف جديدة ، لنبعد تلك الصيغة المؤذية صيغة أن يكون كل منا لساناً فقط ، وليكن لكل منا لسان وأذن أثناء الحوار ·

ولنأخذ في الاعتبار ، ويؤخذ عنا أيضاً في الاعتبار ، أثناء حوارنا ، جملة بدهيات ومسلمات آمل أن توافقوني عليها ، أذكر منها :

- **أننا نرفض مطلقاً أي شكل من أشكال تصفية القضية الفلسطينية وحقوق الشعب العربي الفلسطيني ·**

- **نرفض مشاريع الاستسلام وأشكال التواطؤ والتآمر على الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه المشروعة وثورته ونضاله الرامي الى استعادة أرضه واقامة دولته المستقلة على ترابه المحرر بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد ·**

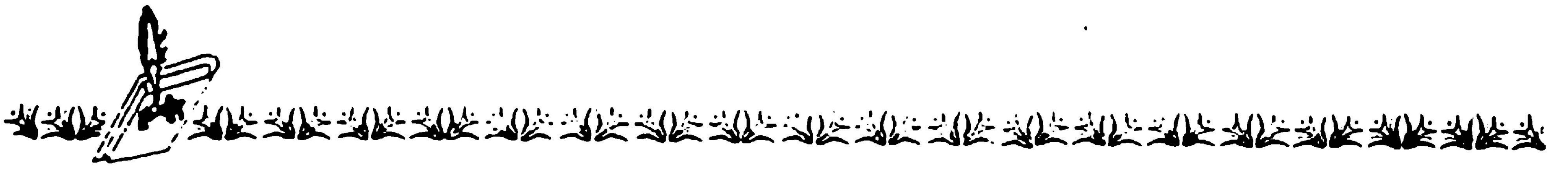
- **نرفض بيع شهداء الأمة العربية ونؤكد على اعتزازنا بأولئك الذين سقطوا على طريق تحرير فلسطين منذ ثورة عز الدين القسام وحتى آخر مقاتل روّى بدمه الطاهر تراب الأرض المحتلة والجنوب اللبناني وبيروت والبقاع ·**

- **نرفض المقايضة على الدم البريء والتاريخ النقي للثوار وللأمة ، كما نرفض أغلاق الطريق أمام أجيالنا التي يجب عليها أن تناضل لاسترداد حق لم يسطع جيلنا استرداده ، وأرض لم يحسن الدفاع عنها والتمسك بها ، نرفض اغلاق الطريق أمامها بالاستسلام والصلح والمقايضة ·**

- **نرفض الخلافات الفلسطينية الفلسطينية ، والخلافات السورية الفلسطينية ، والخلافات العربية الفلسطينية ، والخلافات العربية العربية ·**

- **نرفض أن يحرف أحد البندقية الفلسطينية ، والعربية على طريق فلسطين عن أهدافها ، كما نرفض لها أن تنحرف عن تلك الأهداف ·**

ان التجربة النضالية العربية في لبنان التي خاضتها قوات الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها وأبناء الشعب الفلسطيني هناك ، تجربة رائدة في ميدان النضال العربي ، اقتسم فيها اللبناني والفلسطيني البيت والخيمة والرغيف والمصير ، وروى الشهداء منهم أرض لبنان وممر العرب من الشقيق الى الأرض المحتلة ، وكان لهذه التجربة ايجابياتها



وسلبياتها قبل الغزو وأثناء الغزو ، وكان لعلاقاتها وصلاتها العربية ايجابيات وسلبيات وكان لها مع قوات الردع العربية التي أسهمت أيضاً في التصدي للغزو وفي صمود بيروت صلات لها ايجابياتها وسلبياتها • ان حصيلة هذه التجربة العربية عموماً، الفلسطينية-اللبنانية خصوصاً، لها أهميتها القصوى في رسم سياسة مواجهة العدو ، واقامة أسس تعاون المقاتلين والمناضلين العرب فيما بينهم وتعاونهم مع أوسع قواعد جماهير الشعب ، في المرحلة المقبلة ، كما ان لها أهميتها ودورها في وضع سياسة المنطقة من قبل حكامها ومن سواهم في مرحلة ما بعد حصار بيروت •

فلنحاول أن نعطي هذه التجربة الفريدة في تاريخنا الحديث الاهتمام الكافي ونستخلص منها العبر والدروس ، ونضع حصيلة جهدنا بمتناول جماهيرنا ومن يهمه أن يطلع على هذه الحصيلة ، متوخين الوصول الى أفضل النتائج وأدق الوقائع وأصدقها كي لا يكذب الرائد أهله عن حسن نية ، أو عن سوء تقدير ونقص اطلاع وغياب حقائق ووقائع ومعلومات •

لقد أذهل العالم وراعه أمران ابان الغزو الصهيوني الأميركي للبنان : حجم العدوان وقسوة المعتدين وبشاعة أساليبهم من جهة ، وصمت العرب وسلبيتهم وتخاذلهم وسقوط هيبتهم من جهة أخرى •

ولقد أعجب العالم كله بصمود بيروت وببسالة وتضحيات المدافعين عنها من لبنانيين وفلسطينيين وسوريين •

ولم يكن فيما رأيت وسمعت وقرأت – وقد قابلت ما يزيد على سبعمائة مقاتل جريح وعدد ممن كانوا في بيروت أثناء الحصار – أي جبن أو تخاذل أو يأس عند المقاتلين العرب الذين تصدوا للغزو ، في حين كان هناك أكثر من سؤال واشارة استفهام واستنكار حول زعامات وحكومات وملوك ورؤساء وأمراء، وحتى حول فعالية جماهير منظمة وتنظيمات جماهيرية •

لقد انكشفت ابان الغزو والحصار ادعاءات كثيرة ، وانجلت أوهام ، وسقطت أصنام •• وتغيرت معطيات في الساحة السياسية والعسكرية العربية ، ومن بين الأوهام التي اتضحت ، تعليقنا أهمية كبرى على سرعة تغيرات الساحة العربية ابان اشتعال الحرب اذا كانت مناطق منها لا تسهم في تلك الحرب أو تتخذ مواقف غير ايجابية منها ، والواقع أننا وضعنا أمام حقيقة صلابة وقدرة وقسوة الأنظمة العربية حيال الشعب العربي المقسم فيما بينها ، ومقدار ما فتك في الجماهير غياب الممارسات الديمقراطية وقمع الحريات وتأصيل التجزئة وسلب الحس القومي • لقد أصبح حتى الحس الوطني النبيل نذيراً بالارهاب لديها ، ولذلك تجدها تشكو صامتة ، وتنتظر ساكنة تغيرات تجود بها السماء •

ان التجربة اللبنانية – الفلسطينية خصوصاً ، واللبنانية – الفلسطينية – السورية عموماً في ساحة المواجهة قدمت لنا الكثير مما ندرسه ونستفيد منه على الصعد جميعاً الثقافية – والسياسية – والعسكرية – والاجتماعية والاقتصادية •

وستكون ندوتنا هذه اسهاماً بسيطاً في الجهد الذي نرى ضرورة تكريسه لدراسة هذه التجربة واستخلاص عبرها ، وتوظيف ذلك توظيفاً ايجابياً في المرحلة المقبلة من صراعنا مع العدو •

انني باسم الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب أشكر الكتاب والمفكرين والسياسيين والمناضلين الذين يسهمون في هذه الندوة ، وأحيي اتحادات وروابط الكتاب في : الأردن –تونس– الجزائر –الجماهيرية – المغرب– سورية– فلسطين – لبنان – المشاركة فيها•

وأشكر الأخ المناضل ياسر عرفات الذي تكرم بحضور افتتاحها •

وآمل لكم جميعاً النجاح في مهمتكم •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

٢٥/صفر ١٠٣٤ هـ
دمشق في ١٩٨٢/١٢/١١ م

علي عقلة عرسان
الأمين العام



كلمة رئيس اللجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية
السيد ياسر عرفات

بسم الله الرحمن الرحيم ..

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حق في التوراة والانجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

أيها الأخوة :

من الصعب علي أن أقف وأتكلم أمام هذا الرهط الكبير من الأدباء والصحفيين العرب . فانا لست كاتباً ولا صحفياً ، ولكن صدقوني انني من أكثر القراء قراءة لكم ، وحتى أثناء الأزمات العسكرية والسياسية كنت أهرب اليكم من خلال أقلامكم ومن خلال ماتكتبون لعلي أجد في هذا الظلام العربي قبساً من نور أهتدي به .

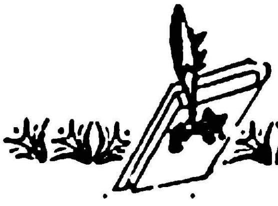
في البدء كانت الكلمة ، وأول آية قيلت هي (اقرأ) ! ففي الانجيل جاء: (في البدء كانت الكلمة)، وفي القرآن (اقرأ) .. أقول هذا لأن المعركة التي جرت في لبنان، الحرب التي دارت في لبنان ،والملحمة الأسطورية في بيروت ما كان يمكن أن تتم أو يتجرأ العدو على القيام بها لولا هذا الموقف العربي المشرذم . واسمحوا لي فأنا لا أريد أن أستخدم بعض الألفاظ المنمقة ، لأني أمام هذه النخبة مضطر أن أتكلم من القلب الى القلب . فهذه فرصة أستطيع أن أتكلم فيها وأفضفض عما في قلبي .

بعد خروجنا من فاس الأولى ، وكان معي أخي عبدالمحسن « أبو ميزر » وأخي ياسر «عبدربه»، وقد انفرط عقد العرب في فاس الأولى ، ويعرف اخواني انني لم أغادر غرفتي يومها طوال ٤٨ ساعة .وقلت لهم : ان الكارثة آتية .. الدم رأيته في فاس . قلت لاخوتي سندفع ثمن هذا التشرذم العربي .

أيها الاخوة ..

اذا كنا نريد أن نتكلم عسكرياً ، فلا بد من أسس يضعها العدو في اعتباره قبل اقدامه على أية عملية عسكرية ، وكانت فاس الأولى وتشرذمنا فيها هو اللبنة الأخيرة التي وضعها العدو ليقول نعم للمغامرة . والحرب العراقية ـ الايرانية وما صاحبها من استنزاف عراقي ايراني (وايران صديق كما تعرفون) عربي مسلم في منطقة الشرق الأوسط. فاذا نظرنا الى الخسائر العراقية ـ الايرانية من الناحية الاقتصادية فقط فانها بلغت أكثر من(١٨٠) مليار دولار عدا الخسائر البشرية .

وما كان ممكنا حدوث ما حدث لولا بعض المتغيرات العربية التي صاحبتها متغيرات دولية،وهذه المتغيرات الدولية لن أخوض فيها كثيراً ، فليس هذا مكانها .



ويذكر اخواني انني عند رجوعنا من فاس الأولى قلت لهم : نحن داخلون النفق المظلم ، وسنواجه حرب الاوكورديون • وقال بعضهم انك ياأبوعمار غاوي موسيقا لأني قلت حرب الاوكورديون •• وبعد ذلك ، وكما تذكرون ، أوقفت الدراسة في مدارسنا الاعدادية والثانوية (يعني المدارس الفلسطينية التي أمون عليها ، وأنا لا أستطيع أن أمون على الطلاب اللبنانيين) وقال لي بعض أخوتي: يعني ضروري أن تتوقف الدراسة • فقلت لهم : هؤلاء الأطفال سنحتاج لهم ، وعليهم أن يتدربوا ليدافعوا عن انفسهم لأن المطحنة آتية •

وفي بعض مقابلاتي التلفزيونية والصحفية قلت: توجد ثلاث فرق عسكرية معادية على الحدود اللبنانية • فتنطح لي بعض المسؤولين العسكريين العرب ليقولوا (أن أبا عمار لايفهم بالعسكرية •• ثلاث فرق •• وهل تحتمل الحدود اللبنانية ثلاث فرق ؟) • واذا نظرنا الى القضية من وجهة النظر العسكرية الكلاسيكية فان الحدود اللبنانية لا تتحمل فعلا ثلاث فرق • ولكننا نرى أمامنا ثلاث فرق •لقد فهمنا هذا وقرعنا الجرس • وللاسف انه لا حياة لمن تنادي • وقبل قليل تكلم أخي (علي عقلة عرسان) عن السلبيات ، وأنا أتذكر الآن المطحنة التي دخلنا فيها ، والتي يدور جزء منها الآن في طرابلس •لقد شغلونا باطفاء الحرائق من الصرفند ، الى صور ، الى بيروت، الى الجبل •• اطفاء حرائق تمهد للعدوان• ثم خرجوا لنا بنغمة أخرى بعد أن نسف مخزن للذخيرة لأحد فصائل الحركة الوطنية اللبنانية ، خرجوا بنغمة انه لا بد من اخراج الاسلحة الثقيلة من بيروت ،وقد اضطررنا الى تخفيف الكثير من هذه الأسلحة الثقيلة•

ثم جاءت الحرب ، وكان مقررا لها يوم ١٩ نيسان ، ولكنها تاخرت شهرين لبعض الرتوش التي يريدون اضافتها • وانفجرت في ٦/٤ بتلك الضربات الجوية التي أدت على سبيل المثال الى تدمير المدينة الرياضية تدميرا كاملا •

وأنا أقول أن هذه العملية كانت عملية أميركية: تخطيطاً وتمويلا وقراراً، وهذا لايعني أن «اسرائيل» لم تكن تريد العملية، ولكن هذه العملية هي أميركية• والحمدلله فلست أنا من كشف هذا الكلام ، وانما كشفه واينبرغر ، وكشفه هيغ ، ليس فقط يوم استقالته بل في زيارته الأخيرة للارض المحتلة ،كشف كيف كان يدور التخطيط لهذه العملية • فالآلة الاعلامية سيطرت منذ اللحظة الأولى : (فقط نريد تأديب هؤلاء الفدائيين لأنهم تجرأوا على قتل أو محاولة قتل السفير في لندن) • طبعاً بعد ذلك ثبت أن عملية قتل السفير هي من تدبير جهاز من أجهزة الاستخبارات العربية ولا علاقة للثورة الفلسطينية بها ، وكان جهاز الاستخبارات يريد قتل السفير وقتل مندوبنا ، نبيل رملاوي ، أقول هذا للعلم وللتذكر فقط •• ألا يكفينا أميركا واسرائيل ••• وأيضاً هموم الاستخبارات العربية علينا ؟ •

لقد قلت لاخواني العرب (انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض) ، فالعملية غير معقولة ، هذا الحشد الكبير المندفع الى لبنان ، في اليوم الأول أربع فرق ونصف اندفعت علينا •• هذا الحشد غير معقول ، نحن لا نحتمل أربع فرق ونصف ، ثم بتوالي الأيام تزايد العدد الى ثمان فرق ونصف • ونحن نعرف أن حجم الجيش الاسرائيلي ٣٣ لواء ، معنى ذلك أن ثلاثة أرباع الجيش الاسرائيلي اندفع علينا • لماذا؟ •• لأن ريغان كان يريدها عملية سريعة وخفيفة على الهضم •• يهضمها بسرعة ، وكذلك كي لا يحرج أصدقاءه في المنطقة • فعندما تكبر العملية تنكشف للناس •

واستخدموا معنا هذه الطريقة التي يعرفها العسكريون ، طريقة حرب الجزر • وهنا لا بد أن أقول ملاحظة وهي ان الجيش الاسرائيلي اخترق خطوط الأمم المتحدة وبتسهيلات من قوات الأمم المتحدة • وسعد صايل ، رحمه الله ، عندما قابل كالاهان بعد ذلك قال له : (أنت لم تحافظ على شرف العلم الذي ترفعه وهو علم الأمم المتحدة ، انك خنت هذا العلم وليس مسموحاً لك أن تفتح خطوطك لينفذ منها الجيش الاسرائيلي) •• وهذا الكلام موجود لدينا في محضر الجلسة •

أقول ان الجيش الاسرائيلي كان يندفع ويقوم بعملية الجزر • فقوة تحاصر جيب صور ، ثم قوة تحاصر الشقيف ، ثم يندفع الجيش •• وقوة تحاصر النبطية ، ثم يندفع الجيش ، قوة تحاصر صيدا ، ثم يندفع الجيش •• وقوة تحاصر الدامور، ثم يندفع الجيش •• لأن القرار الذي تعهد به شارون هو الوصول الى صبرا خلال ٤٨ الى ٧٢ ساعة ، لكي يجمع القيادة الفلسطينية ويحضرها في شبك• وكانوا

قد حضروا الشباك لأخذ القيادة الفلسطينية ،وقالوا انهم سيحاكموننا مثلما حوكم ايخمان ٠

لقد سمعت قبل حوالي شهر أحد رؤساء الأركان لأحد الجيوش العربية يقول : لو أن الفدائيين قاتلوا في الجنوب مثلما قاتلوا في بيروت لكان الوضع قد اختلف ٠٠ أنا للاسف أقول له يجب أن يقرأ قليلا ، يقرأ ما قاله قائد الفرقة التي حاصرت صيدا ٠لقد استمرت معركة صيدا ٢٣ يوماً ، ففي اليوم الثالث والعشرين دخلوا مخيم عين الحلوة ، والرشيدية ١١ يوماً ، وفي البرج الشمالي ١٤ يوماً ٠وفي الشقيف٠ لقد كانوا ٣٧ فردا في القلعة ، وباعتراف قائد القوة التي هاجمت القلعة ، وهذه القوة هي لواء جولاني، وهو أفضل ألوية الجيش الاسرائيلي، يعني زبدة الجيش الاسرائيلي ٠ وقائده جريح فقد قدمه وعينه ٠ وهو الذي قال : (لم أجد جريحاً واحدا في القلعة ، فجميعهم قتلوا) ٠٠ وفي آخر برقية من قائد القلعة قال لي (لن يمروا الا على أجسادنا يا أبا عمار ٠٠ سنقاتل لأنهم لن يمروا الا على أجسادنا) ٠٠٠

٣٧ بطلا من أبطال أمتنا العربية ٠٠ وأنا أناشدكم بالله يا اخواني بأنه لا بد من الكتابة عن هذه الملاحم٠ قالوا لي أن قائد القلعة حاول أن يخرج بعضهم ٠٠ وقرروا أن يبقى ١٧ منهم في القتال ويخرج العشرون الباقون ٠٠ عملوا قرعة ٠٠ ولكن العشرين الذين يجب أن يخرجوا رفضوا الخروج وقالوا سنواصل القتال معكم ٠٠

وفخرنا أن بعض اخواننا من السوريين واليمنيين والعراقيين والمصريين قاتلوا معنا ٠٠فخرنا في الثورة الفلسطينية اننا لانعترف بسايكس بيكو ٠٠ وفخرنا في هذه الثورة اننا لا نقول المقاتلين الفلسطينيين ، وانما نقول المقاتلين في الثورة الفلسطينية ٠ وهذا المقاتل العربي الذي يشعر أن انتماءه موجود في الثورة الفلسطينية هو تعبير عن الارادة الحقيقية لجماهير أمتنا العربية ٠٠

وهنا أريد أن أتحدث عن تجربة أخرى أعطيناها في الثورة الفلسطينية ، ويمكن أن تسجل لنا سيئة ، لأننا اعتدينا على المقدسات في المنطقة العربية ، لأنه يبدو أن المنطقة العربية ممنوع عليها الديمقراطية٠ ونحن واحة من واحات الديمقراطية في منطقتنا العربية ٠ الديمقراطية في غابة البنادق ، وهذه تجربة نهديها للعالم أجمع ٠٠ فما أصعب أن نقيم ديمقراطية في غابة البنادق ونحن أقمنا وما زلنا نقيم هذه الديمقراطية في غابة البنادق ، فمن حق أي واحد أن ينتقد أبا عمار ، ومن حق أي واحد أن يحاسب أبا عمار ، ومن حق أي واحد أن يوقف أبا عمار ، هذه قوتنا ، لأن العبيد لا تحارب٠ مهم جدا أن ندرك انه لا يحارب سوى الأحرار ٠٠ الأحرار هم الذين يحاربون ٠٠ وعندما نتكلم عن الديمقراطية لا نتكلم عنها كديمقراطية مجردة ٠ أنا أتكلم عن الديمقراطية بمعناها الأصيل الذي يستطيع كما قال عمر رحمه الله (امرؤ قوّم اعوجاج عمر) ٠٠ وأنا أقول : (رحم الله امرأ قوّم اعوجاج ياسر عرفات٠٠ ومن حق أي واحد أن يقوم اعوجاجي ٠٠ فما أنا الا بشر ٠٠ والذي أريد قوله أن هذه النبتة من نبتات الديمقراطية التي ما زلنا نحافظ عليها ، قد تكون أحد الأسباب الرئيسية للموافقات العربية على ابادة الثورة الفلسطينية هو هذه الديمقراطية ٠٠ فمعظم الحكام العرب كانوا يعرفون بالعملية،أحدهم يعرف١٠٪وآخر يعرف٥٠٪وواحد يعرف ٦٠ ٪ وواحد يعرف ١٢٠ ٪ يعني يعرف البقية التي لم تأت بعد ٠٠

وأنا أذكر ، أيها الاخوان ، انه قبل الحرب بحوالي شهر قال لي أحد القادة العرب ، اسمع يا أبا عمار ، سيأتي عليك وقت ستنادي علينا ولن نجيب ٠٠

أيها الأخوة :

ليس معقولا هذا الصمت الاعلامي الذي جرى في منطقتنا العربية ٠٠ أنا أفهم الصمت الاعلامي في الغرب ، فهي مؤامرته يريد التغطية عليها ، ولكن لم أفهم الصمت الاعلامي العربي حتى الآن ٠ فاذا كنا لا نستطيع المشاركة عسكرياً فهل أفواهنا مكممة أيضا ؟ وهل أقلامنا تكتب بحبر سري ٠٠ ؟ هذا ليس معقولا أيها الاخوان (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فاذا لم يكن التغيير فينا لن نستطيع أن نغير ٠٠ وصلنا الى بيروت ٠٠ عاصمة عربية محاصرة بالجيش الاسرائيلي٠٠ أمعقول هذا٠ أمعقول أن يصمت العرب ؟٠٠ واحتدمت المعارك في بيروت وكما قلنا في السابق ـ قاتلنا والحمد لله كسر حاجز الرعب ٠٠ لا نخاف و لاننضبع ، نحن الحمد لله نخوف ونرعب ٠٠ ونضبع ٠٠ والذي لا يعجبه فليجرب ٠ وصدقوا ، يا اخواني أن البركان الذي انفجر في بيروت ٠٠ هذا البركان لن يتوقف وسيصبح زلزالا في هذه المنطقة حتى نصل الى



القدس ٠٠ هذا اليقين الذي في ضميري وفي وجداني، يحاول بعض الناس ايقافه ٠٠

أنا من أكثر الناس حرصاً على مصر، وأنا كنت أقول دائماً ان الشعب المصري مثل نيله ، هادىء وجميل على السطح ولكن عندما يأتي الفيضان يجرف كل شيء ٠٠ ولذلك لم يكن هناك سوى الشعب المصري ليقتل رئيسه ، لأن هذا الشعب فيه أصالة ٠

ان احدى مشاكل حسني مبارك اليوم هو التساؤل حول معركة بيروت (هل نحن عملنا كامب ديفيد من أجل أن يقتل الفلسطينيون واللبنانيون) ٠٠ هذه احدى مشاكله ٠٠ لذلك أنا أقول ان هذا البركان الذي تفجر في بيروت لن يتوقف ٠٠ وهذا ما لم يحسبه دائماً الأمريكان الأغبياء ، عندما قابلت بعض أعضاء الكونغرس قلت لهم (انكم تعتمدون على الكومبيوتر ، تضعون أرقاماً وأرقاماً وأرقاما ،انتم لم تستطيعوا أن تفهموا أن أمتنا العربية لاتحسب بالأرقام ، انها تحسب بشيء آخر ٠٠ فهذه الأمة ٠٠ خرجت منها ثلاث رسالات : اليهودية والمسيحية والاسلامية، هناك أشياء أخرى تحكمنا غير الكومبيوتر ٠٠ لم يستطيعوا أن يفهموا أن هذه المنطقة هي منطقة الرمال المتحركة ، ومن الممكن انهم عندما شاهدوا أن البركان بدأ يتحرك ٠٠ عندما شاهدوا السادات يقتل، بدأوا يدركون أن هناك شيئاً يتحرك، وعندما حصلت الثورة في ايران ، عرفوا أن هناك شيئاً بدأ يتحرك ، والحمد لله أن الاستعمار ليس ذكياً ، والا لما كانت الشعوب قد حصلت على استقلالها ٠٠٠

أيها الاخوان

لقد وصل الحصار الى بيروت ، وأغلبكم مر على خلدة ، وخلدة هي مفرق طرق ، وقد صمدت طوال خمسة أيام من القتال العنيف ٠٠ وأنا أسميتها (خلدة الخالدة) ٠٠٠

انني رجل تقدمي ، ولكني مؤمن أيضاً ،ولكن بعد بيروت زاد ايماني ٠٠ بامكانكم اعتبار هذا شاعرية ٠٠ وأنا أعتبره ايمان ٠٠ احسبوها ٠٠٠ كيف صمدت بيروت دون طعام ، ولا دواء ولا ماء والمستشفيات تضرب ليل نهار ٠٠ مازوت لايوجد ، ولكن مع ذلك يجب أن تدرس عسكرياً (اللوجستيك) الشؤون الادارية للحصار ٠ لأن هذه المسألة بحد ذاتها بحاجة الى تقييم ٠ فمن آبار الماء التي حفرت ، الى المستشفيات التي أقيمت تحت الأرض ، الى طلاب الجامعة الذين نزلوا للعمل في الافران ٠٠ هل تعلموا أيها الاخوة اننا قمنا خلال الأشهر الثلاثة بتوزيع الخبز مجاناً على سكان بيروت سواء أكانوا فلسطينيين أو لبنانيين أو غيرهم ٠ وعندما حصلت أزمة خبز لمدة ٤٨ ساعة ، قلت للطلاب اننا نريد أن نفتح الافران ونصنع الخبز ، وفعلا صنعنا الخبز ٠٠ ذهبت الى أحد الأفران وسألت طالباً ، كم ساعة تعمل ٠٠ فقال لي ٨ ساعات يومياً ٠٠ قلت له ألا يمكن جعلها ١٢ ساعة ٠٠ قال لي تعال يا أخ أبا عمار اذا كنت تستطيع الوقوف وتتحمل البقاء ساعة واحدة ٠٠ ان هذه الشؤون الادارية لوحدها تعتبر قمة ودروساً يستفاد منها ٠٠

وعندما استلمت القوة الفرنسية مواقعنا ،كان أول ما فعلته هو تشكيل فرقة فنية لدراسة تحصيناتنا في بيروت وقالوا (انهم استخدموا وسائل بدائية ليقيموا فيها أعقد التحصينات) والتحصينات لوحدها دروس ٠٠ وقد حاول الأمريكان والطليان والفرنسيون تفكيك بعض التحصينات ولم يستطيعوا ٠٠ فقلت لهم هل أبعث لكم خبيرا ؟٠٠ هذه التحصينات بحد ذاتها معجزة ٠٠

أنا لن أنسى العميد محمد حلال ، قائد قوات الردع ، عندما ألقى أمين دروري بالمنشورات ،وقال له هذا طريقك للخروج من بيروت ، هذا الطريق الذي أرسمه لك ٠٠ وقلت يومها لأخي أبي جهاد ولأخي الشهيد سعد صايل اذهبا اليه حتى يتخذ قراره دون أن يقول : انني اتخذت قراري أمام أبي عمار ٠ ووجدوا معه المنشور فعلا ٠٠ فسألوه : نريد أن نعرف قرارك ٠ فقال لهما (قراري أولا ، ولن أقول لكم قرار قيادتي ، فقرار قيادتي أن أقاتل معكم حتى النصر ، ولكن عندي قراراً ، ولو قالت لي قيادتي لا تقاتل ، فاني سأقاتل معكم حتى الموت) ٠

هذه الصور لا يستطيع أن يفهم معناها الا من يحس بها ٠٠ وصدر قرار من العلقمي سركيس (ما هم ثلاثة علاقمة ٠٠ أنا سميتهم : سركيس وبطرس وبشير) ٠٠ وأنا قلت : ومن يجعل الضرغام للصيد بازه ٠٠٠ تصيده الضرغام فيما تصيدا ٠٠

وقلت : ان الذي يجلب الدب الى كرمه، سيدفع الثمن ، وأول واحد وافق على دخولهم قتلوه ٠٠٠



قتلوا بشير الجميل فقط لأنه قال لهم في نهاريا أعطوني ٦ أشهر لأوقع اتفاقية معكم ٠٠ لقد أخذوه في طائرة هليوكوبتر، وقال له بيغن (أنا ساحضر حفل تنصيبك وعليك أن تتكلم في خطابك عن معاهدة لبنانية ـ «اسرائيلية» ،وسنخرج من البرلمان لتوقيع المعاهدة) ٠

وأنا عندما ذهبت الى أثينا جاءني بعض اخواني الوزراء العرب وقالوا لي : هل ستحضر قمة فاس ؟ قلت لهم : لن أحضر فاس اذا حضره بشير جميل ، لأنني لن أكتب في تاريخي اني وافقت على الدخول في العصر « الاسرائيلي » ٠٠ فبشير جميل هو أول رئيس جمهورية يعين بالدبابة « الاسرائيلية » ٠واذا قلت نعم فيعني ذلك انني أقول نعم للعصر «الاسرائيلي» ٠

وعندما أقول العصر « الاسرائيلي » أعني التحدي ، ليس تحدياً فلسطينياً وليس تحدياً لبنانياً ٠٠ التحدي تحد عربي ٠٠ تحد حضاري ٠٠ أن نكون أو لا نكون ٠٠

في سنة ٣٩ قابل الوفد الفلسطيني النحاس باشا، وقال لهم النحاس باشا : انكم تتشاجرون مع اليهود على ماذا ؟ على حائط المبكى ؟ اتركوا لهم هذا الحائط ٠٠ واذا بهذا الحائط يمتد في أقل من ٣٠ سنة ما بين القنطرة والقنيطرة ، ثم ٤٥ كلم لسلامة الجليل ، تصل الى بيروت ، وتصل الى جسر المدفون على بعد ١٧ كلم من طرابلس اذن أنا من حقي أن أقرع الجرس لأمتنا العربية ٠٠ لأن المعركة معركة حضارية ٠٠ أن نكون أو لا نكون ٠٠ هذه مسؤولية يجب أن نتحملها بكل الوعي والادراك ٠٠

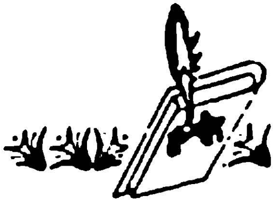
يتكلمون عن خلافات فلسطينية ـ سورية ٠٠ لن أسمح أن تكون هناك خلافات فلسطينية ـ سورية ٠٠ واذا سمحت فأنا أكون خائناً ٠ لأن أطفالنا سيحاسبوننا ٠٠ يجب أن نكون واعين وعياً صحيحاً وكاملاً لخطورة المعارك ٠٠ وليست المعركة معركة عسكرية فقط ٠٠ صدقوني ، من الممكن أنني كنت أعمل حسابات عسكرية ٠كنت أعمل حسابات للجيش «الاسرائيلي»، ولكن بعد بيروت انكشف السر ٠ وأنا لا أقولها للتجني على العسكرية الاسرائيلية ولا أريد التباهي عليها ٠ ولكن سأقول لكم قصة : جاء مرة مراسل لصحيفة أمريكية ، وقال لي أنا جئت أنقل رسالة من بيغن فهل تقبلها ٠ قلت نعم ٠٠ قال لي هل أنت من يحاصر تل أبيب أم هو الذي يحاصر بيروت ؟ وهو يعدك بشروط جيدة للتسليم ٠٠ فقلت له : صحيح انه يحاصر بيروت ، ولكن هنا في حصاري أشعر أني أحاصر تل أبيب ، وأحاصر واشنطن ٠

أنا لدي تسجيلات وغيرها ٠٠ وطيارون قالوا هذا الكلام وهو مكتوب في الصحف « الاسرائيلية »، قيادة الطيران تقول للدبابات : تقدم ، فيقول له اضرب، يقول له ضربنا ٠٠ فيقول اضرب ثانية ٠٠ فتقول قيادة الطيران ٠٠ بدون جبن ٠٠٠ انقاتل عنكم ٠٠ تقدموا ٠٠٠ ولم يستطيعوا التقدم ٠٠٠ وارجو أن تقرأوا هذه الاعترافات في كتاب سيصدر عن الاعلام الموحد ٠٠٠

في أحد الأيام جاءني الصحفي التقدمي اليهودي امنون كابلوك ، وكنت أقابله لأول مرة ، وقال لي: لقد كنت أمس في فندق الكسندر ، وقد أخبرت شارون بأنني قادم لأقابلك، وحملني رسالة لك أحب نقلها ، قال لي أنه ينصحك أن ترفع غداً في السابعة صباحاً علماً أبيض على بناية برج المر، وهو سيعطيك شروط تسليم أفضل من الشروط الانكليزية للفرقة الارجنتينية في جزر المالوين ٠٠ وأنا أتذكر هذه المناسبة أن صحفياً سأل الفرقة الارجنتينية في المالوين أن الأسطول البريطاني قادم الى الجزر فماذا سيفعل ٠٠ فرد القائد الارجنتيني ٠٠ أنا لست عربياً حتى أستسلم ٠٠ أما أنا فمن حقي أن أقول بأنني لست ارجنتينياً ، مع انني ضد التمييز في الأجناس ٠٠ ضد التمييز العرقي ٠٠ انني ضد تاء التأنيث فكيف لا أكون ضد التمييز العرقي ٠ ونحن في الثورة الفلسطينية قد شطبنا تاء التأنيث ٠٠٠٠ فالمرأة عندنا تقاتل جنباً الى جنب مع الرجل ، والرجل يقاتل جنباً الى جنب مع المرأة وهذا موضوع نعتز به ٠٠٠

وأنا أقول هذا الكلام أيها الاخوة لأن وضعنا في بيروت لم يكن كوضع الارجنتين في جزر المالوين فقد كانت هناك فرقتان معززتان بالطائرات والبحرية الارجنتينية ومعهم الدبابات ومعهم ومعهم ٠٠٠ وبجانبهم القواعد الارجنتينية القريبة ، وأنتم تعرفون كم أثبت الطيران الارجنتيني تفوقاً ٠ وتعرفون كذلك شروط تسليم الفرقة والنصف الارجنتينية ٠

وقد قلت للصحفي الذي حمل رسالة شارون : أترى هؤلاء الأبطال الذين معي ، ان لديهم أوامر



في اليوم الذي أضعف فيه وأنا أرفع الراية وأستسلم، عندهم أوامر أن يقتلوني ويكملوا المشوار ...

وخلال معركة بيروت جرت ١٧ محاولة هجوم علينا .. بهذا الجيش الذي يعتبر نفسه أقوى جيش في المنطقة ... تتذكروا البلاغ الذي أصدروه ، وتقدمت قواتنا عشرة أمتار في محور المتحف .. فاذا كانت دبابة الماركافا والتي أرادوا أن يخيفونا ويرعبونا بها .. ولكن الحمد لله يا اخواننا أن أطفال الآربي جي استطاعوا اصابتها وتدميرها، وبعد الحرب أوقفوا تصنيعها لأنه ثبت انها ليست دبابة العصر كما كانوا يدعون .

وبهذه المناسبة لم أر هذا الجيش ضعيفا كما رأيته في هذه المعركة .. هذا الجيش الذي لم يستطع أن يتقدم سوى عشرة أمتار على محور المتحف ويصل الى السفارة الكويتية بالتواطوء الذي حصل من قوة الجيش اللبناني المتواجدة هناك في الوقت الذي تصدى زملاؤهم في منطقة الحمام العسكري وأفشلوا عدة محاولات للعدو على الحمام العسكري .

وأريد أن أحدثكم عن بعض الأشياء التي تكشف ضعف هذا الجيش وبعض الأشياء التي كانت تحدث على خطوط التماس ما فعله جنود العدو عندما كانوا يكتبون (أنا جندي احتياط سأمكث أسبوعين وسأغادر أرجو أن لا تطلقوا النار) ..

ونحن هناك في الألم الشديد تساءلنا ما القرار قلت لهم هبت رائحة الجنة .. وهذا الشعار أخذناه في غرفة العمليات في القيادة المشتركة اللبنانية الفلسطينية .. هبت روائح الجنة .. والذي أريد قوله للامة العربية انه صحيح توجد آلة عسكرية متقدمة ولكن هناك انساناً أهم .. لم تنتصر هذه الأمة بكثرة السلاح والرجال .. انتصرت فقط بالارادة والايمان .. هذا الشيء مهم جدا يجب أن نعرفه ونضعه في أذهاننا وفي أعماقنا . ليست الآلة فقط مهمة .. اني أدرك معنى أهمية الآلة ومعنى اللايزر وان المدفع الذي يضرب على بعد ٥ر٥ ثانية أفضل من المدفع الذي يضرب بعد ١١ ثانية، أنا أعرف هذا الكلام .. أنا رأيت طفل الأربي جي .. أوقف هجوم للدبابات .. رأيت هذا بعيني .. ورأيت مدفعاً مضاداً للطائرات ورأيت تشكيلا من اربع طائرات يغير على مدفع مضاد للطائرات ٢٣ ملم يوماً كاملا يضربوا ولم يستطيعوا اصابته .. لأنه كان يضرب ويتنقل . اذاً الانسان مهم جداً وليس الآلة .. الآلة مهمة لمساعدتنا على النصر . فقط عوامل مساعدة على النصر ... النصر هو قرار وارادة .

ما حدث تجربة لثمانمائة ألف انسان ٧٩ يوماً محاصرين .. وتعرفوا معنى أن الكهرباء مقطوعة .. الحياة مقطوعة .. وفي يوم من الأيام بعد اجتماع مع التجمع الاسلامي والحركة الوطنية وجبهة المحافظة على الجنوب يقول لي هذا الرجل الطيب تقي الدين الصلح يقول لي يا أبا عمار .. نحن لا نريد أن تقول لنا أسراراً ولكن اذا أنت يوجد لديك شيء جديد بعد اسبوع بعد عشرة أيام ... نتحمل نحن وأولادنا واذا كان لديك معلومات أنه يوجد تغيير في الموقف الدولي أو الموقف العربي مستعدين أن نتحمل شهراً آخر ولكن أنت على أي شيء تعتمد . قلت له أنا معتمد على شيء واحد مثلما ترى ، أريد أن أثبت لأمتنا العربية أن هذا العدو ليس هو الذي لا يقهر .. وقلت يوسف العظمة كان يعرف انه يمكن أن يهزم في ميسلون ولكن لم يكن أمامه الا أن يخرج الى ميسلون . وقلت له ولذلك ليس أمامي الا أن أبقى في بيروت وأقاتل .. وهل تستطيع أن تخضع للارهاب . وما رأيته الا أن دمعت عيناه وقال لي أرجوك أن تسامحني وانس هذا الموضوع .

والله يا اخواني صدقوني ماكان يمكن أن نخرج من بيروت .. وأنا مثل ما قلت لكم ضد اتفاقية سايكس بيكو أن أحد الجرائم التي ارتكبت ضد أمتنا العربية هي اتفاقية سايكس بيكو .. وهل هو ذنبي انني ولدت في فلسطين أو في لبنان أو في سوريا . ما هو ذنبي أنا ولو كان والدي موظفا عند الأتراك يمكن أن أولد في حلب .. وأنت لو والدك مدرس لولدت في غزة .. والله ان احد الجرائم ضد أمتنا العربية هي اتفاقية سايكس بيكو .. أنا والله ما تمنيت في لحظة من اللحظات أن تكون بيروت فلسطينية الا لما تحاصر أطفالنا هناك .. أنتم لا تتصورون ذلك النهار .. القصف من البر والبحر والجو وقد تحملوا ما لايتحمل بشر .. ومارسوا علينا نظرية التفجير من الداخل والخارج وهذا معروف في الحرب .

بناية عسكر تكومت واستشهد فيها ٢٨٥ من أصل ٢٩١ (٦ جرحى) لقد شاهدت ٣ حالات عجيبة

٠٠ امرأة ترضع طفلهـا وكأنها تمثال ٠٠ شاهدت شخصاً يكتب وكأنه تمثال وآخر نائماً مكوماً ٠٠٠

واينبرغر وجه تحية خاصة للجيش الاسرائيلي وشكره لأنه استخدم الأسلحة التكنولوجية الحديثـة الأمريكية بكفاءة ٠٠ في حلف الناتو يدرسون الآن مفعول الدبابات في الحرب الحديثة ٠٠

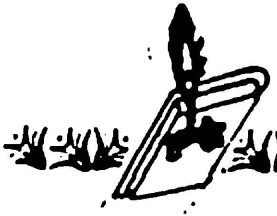
خطوط ماجينومن تلك اللحظة أصبحت الدبابة سيدة المعـارك وحتى الطيران ٠٠ صحيح العنصـر البشري هو الأساس ولا زال ولكن الدبابة كانت هي المسيطرة ٠٠ واليوم لجان تدرس في حلف الناتو بعد دروس لبنان وبيروت بالذات خاصـة وان المـدن في أوربا تتسع وتتشابك مع بعضها البعض فكيف تدخل الدبابات هذه المدن ٠٠ وكيف تدافع عنها ٠٠وكيف ٠٠ وكيف ؟٠

لا يوجد ولا دولة صديقة الا وطلبت منا لجاناً مشتركة بيننا وبينهم لكي نعطيهم بعض الأشياء من الدروس المستفادةمن هذه الحرب ٠٠ وللأسف لايوجد أي طلب عربي بهذا الخصوص ٠٠ وهذا تساؤل٠٠ استفيدوا على الأقل من هذه التجربة ٠٠ هذه الأمة تقتل أحسن جيادها ولكن الحمدلله انه كلما يترجل فارس يأتي فارس وعندما يسقط شهيد تنبت هـذه الأرض الحبلى بالأبطال ٠٠

لقـد ازددت ايماناً بالنصر بعـد معركة بيروت ٠٠ ما رأيت النصر قريباًلأمتي مثلما رأيته بعد معارك بيروت٠٠رأيت هذا العدووأنا أقول هذا الكلام اليوم في البنتاغون ليس بالصدفة يزيد عدد القوات الأمريكية في بيروت وفي لبنان الى ١٥ ألفاً ٠٠ وليس بالصدفة قبل ٤ أيام أخذوا هناك لجنة موضوعة بامرتها٢٥٠ ألف جندي لجنة قيادة٠٠ لماذا يحسبوا لبنان وسوريا و « اسرائيل » خارج هـذه الدائـرة ، لأن الجيش الاسرائيلي استراتيجياً فشل في ان يكون جيشاً يعتمد عليه عسكرياً ٠٠ اذا كنا فئة صغيرة وقفت أمام هذا الجيش ٨٨ يوماً ومعه كل الأسلحة الحديثة ٠ اذن استراتيجياً لا تستطيـع أن تعتمـد عليـه في المفهوم الاستراتيجي العالمي ٠٠ الهرتقـات الأمريكيـة في المنطقة مثلما قال الجنرال الفرنسي في الـ ٦٧ عندما أحضره « الاسرائيليون » وسألوه بعد زيارة مواقع القتال مارأيك بعبقريتنا فأجاب لاأرى أي عبقرية٠٠ ٠٠ انها سلبية أعدائكم وليس ايجابية عندكم ٠٠

معركة بيروت الملحمة الأسطورية ومعارك لبنان قلبت السحر علـى الساحر ٠٠ لا ثلاثـة أيام ولا ثلاثة أسابيع ولا ثلاثة أشهر ولم يقدر أن يفرض علينا مافرضه الانجليز على الارجنتين بل نحن فرضنا الشروط بخروجنا بكامل العتاد العسكري وان أخرج ويعمل لي حرس شرف لبناني ويكون على الباخرة حرس شرف يوناني و ٥ قطع يونانية ترافق باخرتي٠ ومن الـ ٣ دول التي أنا سلمتها المدينة أنا لا أريد التظاهـــر وانما أريـد أن أسجـــل تاريخيـــاً ٠٠ خرجت عسكرياً مـع التي تتولى مرافقـة شرف ولذلك قال حبيب أن مفاوضاتـي مع عرفات كانت صعبة ٠ حتى التفاصيل هذه أريد أن أسجل للتاريخ عسكرياً انـه قد خرجت مثلما أريـد وليس مثلما يريدون مجرداً من السلاح وعلم الصليب الأحمر على السيارة٠ ولذلك أعتبر أن مجزرة صبرا وشاتيلا بعد ذلك ودخول بيروت خرق لوقف اطلاق النار ٠٠ ان هذا للاسف أقول أن الحكومة اللبنانية تدفع الثمـن وسأقول لكم في هذا السبيل أمين الجميل يستطيع أن يقول انني رئيس جمهورية على هذه الـ ٩ كلم ٠٠ المنطقة المتواجد فيها الفلسطينيون ٠٠ أنا كنت قد وصلت الى اتفاق وقلت هذا الكلام في التجمع يـوم ٧/٧ أنا وصلت الى اتفاق وقلت هذا الكلام للتجمع الاسلامي والحركة الوطنية وقلت لهم استفيدوا النعمل الانسحاب على فترتين ٠ نحن ننسحب من المدينة و نسلمها للجيش اللبناني في الوقت الذي تقوم القوات المتعددة الجنسيات بعمل فك اشتباك ٠٠ هذا الكلام فرضته على شارون ووافق شارون عليه ٠٠ وتشكلت بعد ذلك اللجنة الفلسطينية للتباحث مع الوزان ، وكان سركيس غير موافق لأنه ضامن انسحاب اسرائيل وغير ضامـن انسحاب الفلسطينيـين والسوريـين (الأخ أبو عمار يقرأ في مفكرة) (سركيس يقول انه يملك تأكيدات اسرائيلية ـ أميركية بانسحاب اسرائيـل بعد انتهاء انسحاب المقاومة وسورية ، يعني الردع، ولكنه لايضمن الانسحاب السوري الفلسطيني الآن)٠

أقول هذا الكلام لنتذكر لكي ينسحبوا الانسحاب الأول يريدون لجنة سياسيـة ، وللاسف اخواننـا اللبنانيون وافقوا على ذلك برئاسة وزير الخارجية ايلي سالم ، وكان مقرراً عقد الاجتماعات في خلدة



ومشـارف القدس ٠٠ لولا اننا أدخلنـا البابـا في الموضوع ، وقلنا له أنك غير معترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل فكيف يوافق هؤلاء ٠٠ وهكذا نقلوا مكان الاجتماع الى واشنطن ٠٠

ماحدث هو اعجاز ٠٠ اعجاز عسكري وسياسي٠ واذا كنت أريد التحدث عن الموضوع السياسـي في الحصار وأهميته على الدور العسكري ، ثم أتكلم عن العمل الشعبي الفلسطيني اللبناني الذي هو بحد ذاته معجزة ٠٠ وأهم شيء هو الذي ظل حتى آخـر لحظة مسيطر سيطرة كاملة ٠٠ وكنت وأنا داخـل الحصار أتلقى رسائل من بريجينيف وميتران ومـن الدول العربية والاسلامية ومن كرايسكي ومن مجلس الأمن وأرد عليها بكفاءة قيادية ولا أتكلم عن نفسي ، فلدينا اخوة يحملون دكتوراة لكي يديروا أجهـزة التلكس لي وللصحفيـين ، وهناك تفاصيـل صغيرة ولكنها هامة خدمتنا في زحمة الأحداث ٠

ولكن لم أر في هذه اللحظة وبرغم كل الغبـار الذي تثيره وكالات الأنباء والصحافة والاعلام ٠٠٠ الا أن أمتنا العربية أقرب ما تكون الى احراز النصر ٠٠ وأقول هذا هو الميلاد العسير ٠٠ لحظـة الميلاد العسير الذي يأتي بهذا المولود ٠٠ أنـا أرى النصر في عيون أشبالنا وزهراتنا ٠

وأنا أحملكم المسؤولية ، مسؤولية الكلمة، وان أمتنا العربية الآن تحتاج الى الكلمة الجريئة والكلمة المسؤولة ٠٠ نحن في مفترق طرق ٠٠ ومنحى خطير في مجرى المسيرة النضالية العربية ٠

ومعاً وسوياً حتى النصر ٠



النخبة الرائدة والبديل الثقافي العربي

د. الحبيب الجنحاني

اسمحوا لي في مطلع ورقة العمل هذه التي أطرحها للنقاش ابداء الملاحظات التمهيدية التالية :

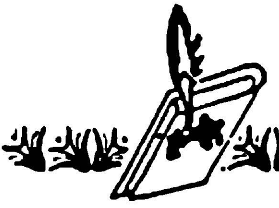
أولا ـ ان الأمة العربية قد عرفت خلال تاريخها الطويل الانتصارات والهزائم ، ولكنها لم تعرف الاستسلام والخنوع ، ورفضت دائماً السيطرة الأجنبية ، وقد برهن المواطن العربي من جديد في ملحمة بيروت على مهارته في الصمود والقتال ،وعلى استبساله حتى الشهادة ذوداً عن حرية الأرض العربية حين يكون حراً يشارك في صنع القرار ،وفي ترجمته الى مواقف في ساحة النضال اليومية بشتى ألوانه .

ومهما بلغت أحداث التجربة اللبنانية الفلسطينية ابان الغزو الصهيوني الأمريكي للبنان من قسوة ومرارة فيجب أن ندرسها درساً موضوعياً عميقاً ، ونقيّم جميع جوانبها لتجاوز السلبيات ، والافادة من الايجابيات في المرحلة المقبلة من مراحل الصراع العربي ـ الصهيوني ، وهي مرحلة مقبلة لا ريب فيها .

ثانياً ـ انه من الطبيعي أن يكون المثقفون العرب الأحرار في طليعة الدارسين لهذه التجربة ، فهم أكثر الفئات الاجتماعية قدرة على تحليل الأوضاع، والتعمق في دراسة التجارب النضالية العربية والعالمية والمقارنة بينها ، والاطلاع على الواقع العربي المعقد المر ، والكشف عما في الزوايا من خبايا ، ويزيد في ألمهم ـ دون ريب ـ ، وقديماً كان ديكارت يقول : « ان من يزيد علمه يزيد ألمه » ، ولكننا لا نريده ألم التأوه ، ثم الاستكانة ، بل نريده ألم المخاض ،مخاض ولادة البديل لواقع عربي مهزوم ، مأزوم في جميع المجالات .

ثالثاً ـ ان مأساة بيروت العربية المناضلة قد برهنت من جديد على أن الصراع العربي ـ الأمبريالي الصهيوني هو صراع بين نموذجين حضاريين: نموذج الحضارة الغربية بما يملكه من أساليب تقنوية فعالة ، وبين نموذج حضاري عربي مايزال يبحث عن سماته الأساسية ، ومميزاته الخاصة . فلا غرو ـ اذن ـ أن تطرح علينا من جديد ،وبشكل حاد هذه المرة مشكلية الهوية الثقافية القومية باعتبارها أساساً متيناً من أسس المشروع الحضاري العربي المستقبلي .

ان البون شاسع بين اعادة تاسيس هوية ثقافية ، وصقل معالمها ، وما يندرج ضمن هذه العملية من جدلية عميقة ، وتفاعل خصب بين مقومات الشخصية العربية في التراث الحضاري العربي وبين رؤية



مستقبلية بديلة لتقدم المجتمع العربي ، وبين استعارة هوية ثقافية جاهزة يدعو اليها سماسرة النموذج الغربي للتقدم في الوطن العربي ، فهم يدعون الى تبني هذا النموذج باعتباره النموذج الأفضل باسم التقدم التكنولوجي والحضاري الصناعي ، ويفضي هذا المنطق في نهاية المطاف الى تهميش الثقافة القومية ، وتحولها الى مظاهر فولكلورية ، والحكم عليها بالتقوقع ، ثم الموت في مدى بعيد ٠



ولا بد من التساؤل في هذا الصدد عن المشاكل التي تواجه اليوم الهوية الثقافية القومية ؟

انها تواجه محاولات الغزو الثقافي الأمبريالي الصهيوني بأساليب متنوعة وذكية تعتمد على أحدث ما بلغته تقنية انتاج الأداة الثقافية ، محاولة بذلك ترسيخ مظاهر التبعية السياسية والحضارية للغرب الامبريالي ٠

أما في الداخل فهي تشكو من استعمالها في سبيل تبرير السلطة السياسية في جل الأقطار العربية ، فكثيراً ما تقاوم الحرية والديمقراطية في الوطن العربي باعتبارهما يمثلان قيماً غربية ، بعيدة عن مقومات الهوية الثقافية القومية ! ! ونلاحظ هنا أولا أن التراث العربي الاسلامي زاخر بالمواقف البطولية ذوداً عن الحرية ، وعن مبادىء الشورى ، فالحرية سمة أساسية من سمات الهوية الثقافية العربية ، وثانياً أن التمسك بالهوية الثقافية لا يعني أبداً التنكر لمكانة الفكر البشري ، وقيمه الثابتة مثل الحرية والديمقراطية وغيرها من القيم الثابتة في ثقافات الشعوب ٠ ان تطبيق هذه القيم ، وممارسة محتواها في عالم الفعل يومياً يستلزم مراعاة الواقع الوطني والقومي ، ولكن بشرط ألا يتخذ هذا الواقع مهما كان معقداً مضطرباً تعلة للتفكير الى أبسط وأوضح ما حققته الحضارة الانسانية خلال مسيرتها الطويلة من قيم ومبادىء من أجل خدمة كرامة الانسان وحريته ٠

ان الهوية الثقافية لا تستطيع أن تصمد تجاه محاولات المسخ والغزو الخارجية الا اذا كانت حرة ، مبدعة في الداخل ٠

ومن المشاكل التي تواجهها الهوية الثقافية القومية ما فرضه النموذج الغربي من سياسة تنموية معينة في أغلب الأقطار العربية ، اذ أصبحت ثقافة التنمية الاقتصادية والسياسية نفسها والقائمة على تكوين نخبة منعزلة قادرة وحدها على تحقيق « التقدم » و « العصرنة » سبباً من الأسباب الرئيسية للركود الاقتصادي والاجتماعي ، لأن هذه السياسة أدت في نهاية الأمر الى التدمير الفعلي الهوية الثقافية السابقة عند أوسع الفئات الشعبية من جهة ، والى تكريس القطيعة الاجتماعية بين نخبة حاكمة مسيطرة وبين فئات أخرى تابعة في فهمها ، وفي انتاجها ، وفي أسلوب حياتها ٠ وقد رأينا أمثلة في السنوات الأخيرة لجأت فيها النخبة المسيطرة التابعة للغرب ، لأنها تبنت نموذجه للتطور الى قمع الجماهير لفرض سيطرتها ، لأن الجماهير قد رفضت النموذج الغربي المفروض عليها ، وهكذا تتحول « نخبة التحديث » الى طائفة مقفلة ، منعزلة عن شعوبها ، فيزداد ارتماؤها في أحضان الغرب حماية لمصالحه ٠ فقد أدرك الغرب من خلال تجاربه الطويلة خلال مرحلة الاستعمار المباشر أن الثقافة هي الأداة الأكثر ضماناً لاستمرار الأمة ٠ ان اغتصاب الأرض أسهل من تغيير ثقافة شعب ما ، فلا غرابة ــ اذن ــ أن يركز اليوم ــ مستفيدا من تجارب الماضي البعيد والقريب معاً ــ جهوده لطمس معالم الشخصية العربية ، وتشويه الهوية الثقافية القومية ، مستعملا أحدث ما أنتجه التقدم التقني من قنوات الغزو الثقافي ، ومتعاونا في الداخل مع نخبة مسيطرة سياسياً واقتصادياً ، وزاعمة أنها رائدة « التحديث » ، ولكنها تحولت في حقيقة الأمر الى طائفة مقفلة منعزلة ، والى عون تنفيذ لسياسة تابعة اقتصادياً وثقافياً ٠

رابعاً ــ ان الهوية الثقافية القومية لا تستطيع أن تحافظ على جميع مقوماتها ، وأن تسهم في الحوار بين الثقافات وتنتقل من دور التقليد والاستهلاك الى طور المشاركة المبدعة الا ضمن مشروع حضاري عربي ، وتبدأ الخطوة الأولى في هذا المشروع من رفض النموذج الغربي باعتباره نموذجاً أعلى للتقدم يجب أن يحتذى ، كما يزعم دعاته اليوم في الوطن العربي ٠



ان الغرب قد نجح في ايهام فئات متعددة مـن النخبة في البلدان النامية بصفة عامة ، ومنها البلدان العربية بأن النموذج الغربي قد أصبح نموذجاً كونياً، ولا مفر مـن الاقتداء به في كل مجتمع يسعى الى الخروج من التخلف واللحاق بركب الحضارة المعاصرة، وهذا معناه بقاء هذه المجتمعات دائرة في فلك السيطرة الغربية ، وما يكمـن وراءها مـن تبعية ثقافية واقتصادية وسياسية . أما الخطوة الثانية فتبدأ من نقد النموذج الحضاري الغربي ، والكشف عن عيوبه ومساوئه ، وهي مهمة أساسية تتطلب مـن الفكر العربي المجدد ، والمؤمن بالمشروع الحضاري العربي جهـدا متواصلا ، وتعمقـاً في دراسـة الأصـول الابستمولوجية للمشروع الغربي ، ومراحل تطوره من ابستمولوجيا حضارية بكل فروعها ، وانماطها وتراكماتها التاريخية الى ابستمولوجيا علمويـة تقنوية أصبحت معها كل معرفـة بشريـة لا تقبل التحول الى أدوات ملموسة في عالم الفعل ،فهي مجهود ضائع ، وعمل معرفي ترفي لا مكان له في عالم اليوم (راجع : الفكر العربي المعاصر ، عدد ١٧ ، ص ٤ وما بعدها) .

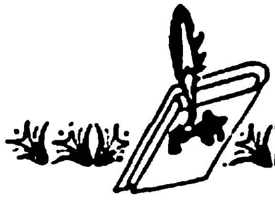
ان هذه القيادة التقنوية تعني في الواقع اليومي الملموس السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية. ان البديل الثقافي العربي مرحلة أساسية من مراحل المشروع الحضاري العربي المتكامل . اننا نؤمن أشد الايمان ـ انطلاقاً من تجربة وممارسة ، ونقد ذاتي، وليس من منطلقات نظرية محضة ـ بأن نقد المفاهيم الفكرية والثقافية بصفة عامة ، واعادة النظـر في البنى الاقتصادية الاجتماعية ، وما تفرزه من بنى ذهنية خطوة أولى ضرورية في اعادة تقييم الوضـع العربي الراهن بكل معطياته ، ولا يمكن أبداً تحديد موقف نقدي من الثقافة العربية بدون اعادة النظر في المفاهيم السائدة سياسيـاً واقتصادياً وثقافيـاً ، وليس المقصود باعادة النظر في المفاهيم « التعريف » أو « التحديد المصطلحي» ، بل المراجعة والتصحيح، والكشف عما تخفيه من حقيقة موضوعية قد لاتلوح بسرعة، وهكذا تتحول عملية نقد المفاهيم الى عملية اثراء ، وتوضيح للرؤية ، وليس مزيداً من التجريد، والضياع في متاهات ايديولوجية ، وسنرى بعد حين أن الهدف من عملية اعادة النظر وصقل معالم البديل الثقافي العربي الجديد بعث مؤسسات نضالية عملية في الواقع العربي ، معبرة عن آمال الجماهير العربية المقموعة ، وطموحاتها الملجمة ، فمـن المعروف أن كل « مؤسسة » مستنبطة مـن مبادىء مجردة هـي ايديولوجية ، كما أكد على ذلك هيغل بقوة ، « لأن التاريخ لا ينتظر مؤسسة مكتوبة لكي ينتظم ، انـه يملك دائماً في ذاته تنظيماً ضمنياً » .

اننا لسنا ضد الفكـر المجرد ، أو التنظيري ، ولكننـا نريد بديلا يستعمل « التحليـل الملموس للواقـع الملموس » ، كي يستطيـع أن يتخذ شكلا مؤسساتيـاً في عالـم الفعل السياسي والاقتصادي والثقافي .

فقد لمحنا الى ضرورة اعادة النظـر في جميـع المفاهيم السياسية والاقتصادية والثقافية الرائجـة الآن في الساحة العربية مثل « التحرر » و « التقدم» و « الحرية » و « الاشتراكية » و « التضامن العربي» و « الوحدة » و « التصنيع » ، و « التكنولوجيا » و « ديمقراطية التعليم » و « الثقافة الجماهيرية » و « المثقف العربي » ، و « الدولـة الوطنيـة » ، و « الدولة القومية » ، وغيرها من المفاهيم الأخرى .

وسأكتفي هنا بذكر بعض الملاحظات التي تثبت ضرورة اعادة النظـر في هـذه المفاهيم ، ونقدهـا وتصحيحها ، وتوضيحها :

فلو حللنا مثلا مفاهيم « التقدم » الرائجـة اليوم لوجدنا مفاهيم تناسب قلة من الفئات المتنفذة سياسياً واقتصادياً ، وهي مفاهيم غريبة عن التقدم الحقيقي الذي يعني تحولا مجتمعياً شاملا ، وفـق مفهوم « التقدم التكنولوجي » ، فقد حـان الوقت لفضح خرافة « استيراد » التكنولوجيا التي يتشدق بها كثير من المسؤولين عـن الاقتصاد العربي ، فهم يغالطون الرأي العام العربي بايهامه بأن التكنولوجيا سلعة تباع وتشرى ، وهم يتجاهلون حقيقة بديهية، وهي أن التكنولوجيا الغربية جاءت نتيجة طبيعية لتطور طويل في مجال العلم والمعرفة ، ولا يمكـن القفز البتة في هذا الميدان ، فالتكنولوجيا العليـا المتطورة مرت بمراحل سفلى ومتوسطة ، ثم أنـه لايمكن أن نتصور ملكاً حقيقياً للتكنولوجيا، والاسهام في تطورها في مجتمع يشكو من الفقر المدقع ،والتخلف الاجتماعي والسياسي ، وما تزال تعشعش في قمة هياكله التخطيطية السياسية والاقتصاديـة مفاهيم عشائرية وفئوية ضيقة .



وخذ مفهوم « التنمية الاقتصادية » فستلمس حين تحلل بعمق أن كل ما أنتجته مشاريع التنمية العربية العملاقة خلال قرن هو « تحديث الفقر » ، فبعد أن كان الفقر العربي تقليدياً أصبح فقراً حديثاً حيثدخل الراديو والتلفزيون أكواخ الفقراء، وعلقت على جدرانها المتداعية للسقوط ملصقات الاشهار الملون للمشروبات والسجائر الأمريكية وامتلأت غرف الشباب العربي في المخيمات والمدن القصديرية بصور نجوم السينما الغربية الرخيصة. أما « الثقافة » فلا يتجاوز دورها في جل الأقطار العربية دور « الديكور» الضروري في أجهزة «الدولة العصرية » ، ويأتي دورها في الدرجة العاشرة من مشاغل القاعدة العرب ، وهي « عجلة خامسة » ملحقة بالاعلام غالباً تصلح لتزيين المحافل ، وتحال فيها على « المعاش » زمرة من « المثقفين الموظفين » (راجع دراستنا عن الديمقراطية وأزمة الوطن العربي ، المستقبل ، تونس ، ٢٨ أكتوبر ، و ٤ نوفمبر ١٩٨٢) .

ويتساءل المرء هنا عن دور المثقفين العرب في اعادة النظر في المفاهيم السائدة ، ونقدها ، ولاسيما المفاهيم الفكرية وعن دورهم في نقد النموذج الغربي الحضاري ، ثم في ابداع سمات البديل الثقافي العربي ؟

انه دور أساسي وريادي ، وينبغي أن ينطلق من نقد مفهوم « الثقافة العربية » لصياغة موقف نقدي مذهبي ومن مفهوم « المثقف العربي » ودوره في المجتمع لاماطة اللثام عن الحقيقة الموضوعية لهذا الدور ، والكشف عن الأوهام العالقة به ، مشيرين الى خطر المبالغة في هذا الدور من جهة ، وفي فصل هذا الدور عن جدلية الصراع اليومي في الواقع العربي . ان المثقفين العرب بشتى نزعاتهم ، وتناقضاتهم يعكسون في مواقفهم الفكرية ،والسياسية مختلف الايديولوجيات السائدة في الساحة العربية، فلابد من الانطلاق في التعرض الى موقع المثقفين العرب ومسؤولياتهم في ضوء التجربة النضالية اللبنانية الفلسطينية من ربط هذا الموقع بالظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة ، ولا يعني هذا أبداً تبريراً لمواقف هذه الفئة أو تلك أو تصغيراً لدورهم القيادي في معركة الأمة العربية من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية ، ولكن لا بد من التوضيح والتحديد، فمفهوم « المثقفون العرب » مفهوم عام ضبابي ،فمن هم ، وما هي فصائلهم ، ونزعاتهم وما هي مواقفهم، وانتماءاتهم الطبقية ؟

فقد حددت عن وعي حين ربطت البديل الثقافي العربي بدور النخبة الرائدة ، وليس بدور «المثقفين العرب » بصفة عامة ، اذ أثبتت الأحداث التي مر بها الوطن العربي خلال العقدين الأخيرين بوجود فئات بين « المثقفين العرب » غير قادرة على الثبات أيام الأزمات الحادة ، بل كان وعي كثير من المنتسبين الى هذا المفهوم العام محدوداً سطحياً ، فسرعان ما فقدوا الأمل ، ويئسوا فسقطوا ، فضلا عن فئات أخرى تركض لاهثة وراء الركب السلطاني العربي مهما كان اتجاهه ، وتغيرت ألوانه !

ان « المثقفين العرب » يمثلون قاعدة واسعة للنضال الديمقراطي العربي ، ولا بد من الاعتماد عليهم باعتبارهم دعامة أساسية من دعائم هذا العمل مهما تباينت نزعاتهم، واختلفت مصالحم ،ومواقعهم الطبقية ، ولكننا نؤمن بضرورة بروز نخبة رائدة من بين صفوفهم بلغت درجة معينة من النضج الفكري والقومي ، وتجمع بين تجربة نضالية والقدرة على التحليل النظري ، وتملك رؤية عربية مستقبلية تمكنها من النضال الفكري والسياسي في سبيل بلورة البديل الثقافي العربي .

ان سمات هذه النخبة الرائدة من جهة ، وملامح البديل الثقافي الذي تحدثنا عنه ما يزالان في حاجة ملحة الى الايضاح والدراسة وينبغي أن تنطلق عملية التوضيح هذه من نقد مفهومي « النخبة الرائدة » و « البديل الثقافي العربي » ، ووضعهما على محك التجربة النضالية الفكرية والسياسية ، وتقدم لنا دراسة التجربة اللبنانية الفلسطينية ، ولا سيما في مجال التحام العمل الفكري بالنضال العسكري والسياسي نموذجاً ملموساً ورائداً يساعد على رسم الآفاق المستقبلية للمشروع الحضاري العربي اللبنة الأولى في بناء هذا الصرح العربي .

ونختم ورقة العمل هذه ، وما احتوته من ملاحظات سريعة مطروحة للنقاش بالاشارة الى أنه لا يمكن للنخبة الرائدة أن تناضل من أجل البديل الثقافي العربي الا في المناخ الديمقراطي ، ومن هنا



فلابد أن يرتبط عملها الفكري في هذا المجال بالنضال من أجل الديمقراطية في الوطن العربي ، فلا مناص من الديمقراطية لاصلاح أخطاء الماضي وتجاوز مرحلة العجز والتردي التي بلغها الوطن العربي .

انني مدرك أن الديمقراطية لاتمثل حلا سحرياً لكل هذه المشاكل المعقدة المطروحة في الساحة العربية ، ولكنه حل لا بديل له ، فلا يمكن للمواطن العربي أن يعرف المشاكل الحقيقية ، وأن يطلع على مواطن الضعف ، وأن يعي بما تفرضه مرحلة تاريخية معينة من نضال وتعبئة الا في مناخ ديمقراطي .

قد يعترض البعض قائلا : ان للديمقراطية أنماطاً مختلفة ، وقدمرت بتجارب عديدة في مجتمعات تختلف ظروفها عن ظروف المجتمع العربي ، فما هو النمط الذي يجب أن يسود الوطن العربي ؟

ليس للديمقراطية وصفة طبية جاهزة ، بل هي تجربة وممارسة تتفاعل جدلياً مع تطور جميع الميادين الحياتية ، ويرتكب أنصار الديمقراطية في الوطن العربي خطأ فادحاً ، ان اعتقدوا أن المناخ الديمقراطي قد يتوفر بقرار فوقي ، انه يولد نتيجة نضال مرير ، ومخاض مجتمعي ، وللديمقراطية ثمنها وأخطاؤها أيضاً ، ولكن مهما كانت أخطاؤها فانها لا تبلغ عشر داهية النظم المطلقة التي ترزح تحت عبئها اليوم أكثر الأقطار العربية .



القضايا التي طرحتها التجربة اللبنانية - الفلسطينية

بقلم :
نزيه أبو نضال

الحديث عن التجربة اللبنانية - الفلسطينية في مواجهة الغزو الصهيوني - الأمريكي حديث طويل ومتشابك وهو يغري من جهة بمتابعة التفاصيل الصغيرة وخاصة لمن عاش التجربة ، كما يغري من جهة ثانية بالتجريد وباستخلاص الأحكام والقوانين العامة ذات الطابع الاستراتيجي ٠

والعنوان الذي وقع عليه الاختيار من بين موضوعات هذه الندوة والمتصل بالقضايا التي طرحتها وكشفت عنها هذه التجربة يزيد الأمر تشابكا وتطويلا ، فالمطلوب الاجابة عن قضايا التجربة في المجالات العسكرية والسياسية والجبهوية والثقافية ، وعلى المستويين الوطني والقومي ، وكل من هذه المجالات يحتاج منفرداً الى بحث قائم بذاته وهذا العنوان يكاد يشتمل على كافة موضوعات وعناوين الندوة الأخرى ، مما قد يوقع صاحبه بمنزلق التكرار غير المفيد ٠

غير ان ميزة هذا العنوان انه يتيح المجال واسعا لمحاكمة التجربة بصورة شاملة ٠ من هنا فقد ارتايت أن أتناول كل جانب من الجوانب التي يشملها الموضوع باختصار على أمل أن يتولى الزملاء تناول المسائل الأخرى بصورة أوسع ٠

* * *

حين تمكن الفعل الجماهيري من ممارسة دوره الحر والمستقل في مواجهة الغزو العسكري الصهيوني، فقد برهن هذا الفعل على استعداد للتضحية بلا حدود ، وعلى امكانيات للصمود أذهلت العالم كله ، برهنت على قدرات الجماهير الشعبية وقواها الحية على الحاق الهزيمة بآلة العدو الحربية في العديد من المواقع والمجابهات ولم تقتصر المجابهة في هذا المجال على الجانب العسكري وحده وخاصة في بيروت ، بل تعدت ذلك الى توفير شروط الصمود والمجابهة في كافة المجالات الأخرى ٠

فخلال زمن قياسي تشكلت لجان متعددة ومتخصصة لحل المشاكل الناشبة بسبب الحرب والحصار ومنع الماء والكهرباء والدواء والتموين من دخول بيروت ٠

وتمكنت العبقرية الشعبية بمبادرات حية من المجموعات والأفراد من ايجاد العديد من الحلول لمسائل كانت تبدو للوهلة الأولى مستعصية على الحل ٠

وعلى الجبهة الثقافية اندفع الكتاب والمثقفون الى مواقع العمل الاعلامي المتعددة ، وأنشأوا مراكز جديدة وأسهموا بدور بارز في المعركة الثقافية والسياسية والاعلامية ٠ لقد جرى ذلك كله والكثير غيره في ظل أقسى ظروف يمكن أن تمر على بشر ٠ فالقصف بمختلف أنواع الأسلحة لا يتوقف ، ومحاولات اجتياح المدينة وعمليات تدميرها مستمرة، والحصار البربري يحول دون دخول زجاجة ماء أو دواء ، ورغم ذلك كله فقد تمكنت الجماهير



بمبادراتها الحية وعطائهـا اللا محدود من صنـع ملحمة الصمود والبطولة .

لقد حدث ذلك كله لأن جماهير الثورة في بيروت كانت جماهير حرة ، كما كانت قادرة على تفجير طاقاتها الخلاقة ، والاسهام بدورها الكامل في المعركة دون أن يقمعها أحد ، ربما لأن نظاماً عربياً واحداً لم يستطع الوصول الى بيروت المحاصرة لممارسـة هذا القمع .

انظـروا الى المعجـزة التي حققتهـا هـذه الديمقراطية النسبية في لبنـان ، وتأملوا عظمـة المعجزات التي يمكن تحقيقها لو توفرت الديمقراطية في الوطن العربي ، ولو أتيح للجماهـير أن تقـدم مبادراتها وفعالياتهـا الكاملـة في مجابهة العـدو الصهيوني ـ الأمريكي .

في مقابل هذا المشهـد المهيب الذي صنعتـه الجماهير اللبنانية والفلسطينية .. وقف السـائـد العربي بين عاجز أو متواطىء أو متفرج .. كـان يبدو أن هناك اتفاقاً ضمنياً على ضرورة تصفيـة الثورة أو تحجيمها في أحسن الأحوال ، لتصبح أكثر طواعية وانسجاماً مع هذا السائد العربي الساعي الى التسوية بظلفه .

أما الجماهير العربية التي حاولت التحرك هنا وهناك فقد جرى قمع تحركاتها ، أو طوقت لافراغها من أي مضمون .

لماذا لم تكن هذه الجماهير قادرة على مواجهة أنظمتها القمعية ؟

ولماذا لم ترتق بنضالها الى الحد الأدنى مـن مستوى تضحيات جماهير بيروت ؟

كيف استطاعت الجماهير مواجهة آلة العـدو الحربية المدمّرة ، ولـم تستطـع مجابهة أجهـزة الشرطة والمخابرات الا بأضيق الحدود ؟

هذه الأسئلة كلها مطروحة على جدول أعمال القوى الحية في حركة التحرر العربية .

تغييب الحياة الديمقراطيـة ، غياب الحيـاة السياسية ، تحويل المجتمعات العربية الى مجتمعات خدمات استهلاكية ، طمس شخصية المواطن وقتـل روحه وقيمه ، وتحويله الى كائن مشوه ، والى مجرد أداة استهلاكية تتعيش على فائض النفط في زمن القحط والغلاء ...

هذه عناوين سريعة لموضوعات بالغة الخطورة تشكل أزمة الانسان العربي ، وتفسر انهياره وعجزه أمام أجهزة القمع والاستلاب .

اذا ما تجاوزنا هذا المشهد التراجيدي الكلـي للواقع العربي بشقيه الايجابي والسلبي ، واقتربنا أكثر من التفاصيل التي تصنع هـذا المشهد فمـاذا نجـد ؟

☐ في المجال العسكري :

لقد أثبتت معارك لبنان ان المقاتل العربي حين يمتلك قرار القتال وارادة القتال فانه قادر عـلى الصمود في وجه آلة العدو العسكرية المتفوقة والحاق أفدح الخسائر بهـا . حدث ذلـك في عين الحلـوة وشقيـف والبص وبيروت والجبـل وفي غيرها مـن المـواقـع .

لقد ذهل العدو من ضراوة المقاتلين الوطنيين وقدم على ألسنة ضباطه وعسكرييه مئات الشهادات عن بسالة المقاتلين وروح التضحية التي يتحلون بها، وعن مهاراتهم العسكرية الفذة . رئيس الأركـان الصهيوني رفائيل ايتان اعترف بسقوط أكثر من واحد وعشرين ألف قتيل وجريح في صفوف قواتـه من بينهم نخبـة من أبرز جنـرالات العدو وكبـار ضبـاطـه .

لقد اعتمد وزير الدفاع الصهيوني اريـال شارون على أسلوب الاختراق السريع ونشر وتوزيع قواته العسكرية على المفاصل والمفارق الاستراتيجية في المنطقة الممتدة من أقصى الجنوب اللبناني وصولا الى بيروت والجبـل والبقاع ممـا أدى الى تفتيت الكتلة العسكرية الصهيونيـة الى حد بعيـد وأتاح فرصة نموذجية للقوات العصابية لتوجيه ضربـات قوية لها . لقد اعتمد شارون في خطته المغامرة على عامل المفاجاة التكتيكية وعلى غياب قوى نظاميـة يمكن أن توجه ضربات قاتلة لمجموعاته المتفرقـة والمعزولة ، كما أن مجمل المخطط الصهيوني كـان يعتمد على عامل الزمن وضرورة الانجاز السريع لعملية الاجتياح لوضع العالم أمام الأمر الواقع . هذا اضافة الى العامل المعنوي حول جدارة القوات الصهيونية وسرعتها في انجاز أهدافها العسكرية ، فالعدو لا يريد لقوات المقاومة أن تظهر بصـورة الخصم العسكري القـادر على الصمود والمقاومـة أمام « الجيش الذي لا يقهر » .



ان الوضعية العسكرية التي وصل اليها العدو في لبنان كانت تتيح فرصة تاريخية للجيوش العربية لتوجيه ضربة قاتلة ليس لجيش العدو فحسب ، بل للكيان الصهيوني نفسه ٠

ولكن السائد العربي كان مع تصفية المقاومة أو تحجيمها فكيف يتصدى لمن يقوم بهذا الدور نيابة عنه ؟

في تجربة حروبنا النظامية السابقة مع العدو الصهيوني كانت جيوشنا تواجه آلة الحرب الأمريكية المتفوقة ، وتتساوى أعداد الجنود في ميدان القتال أو تكاد ، فتحل الكارثة تلو الكارثة ٠ ورغم ذلك فقد كان هناك من يسأل كيف تمكن الكيان الصهيوني بملايينه التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة من هزيمة مائة وخمسين مليون عربي ؟ والذين لم يكونوا في الحقيقة سوى مائة وخمسين مليون مذياع أو جهاز استماع ٠

ان حساب موازين القوى البشرية والعددية لا يمكن أن يستقيم الا اذا وضعت هذه الأعداد في مجال العمل الفعلي ، وفي ميدان المجابهة المباشرة مع العدو ، لا أن تكون جالسة في مقاعد المتفرجين ٠

لقد قدمت بيروت النموذج الحي عن الفعل الجماهيري الواسع حين يتحول الجميع الى أيد تعمل وتقاتل ٠

وما يصح بالنسبة للكم البشري العربي ودوره في المجابهة الشاملة مع العدو يصح كذلك بالنسبة للمدى والعمق الاستراتيجي للعمليات الاستراتيجية ٠

فالأرض العربية الهائلة الاتساع والقادرة على ابتلاع أضخم الجيوش وأحدثها تتحول في زمن الحروب النظامية الى مساحات مستباحة يتقدم فيها العدو دون مقاومة ٠

ان استمرار القتال واستمرار المقاومة كفيل بالحاق أفدح الخسائر بالعدو وكفيل بالحاق الهزيمة النهائية به ٠

واذا كان العدو قد اضطر الى توزيع قواته بالصورة التي حدثت في لبنان وعلى صغر المساحة التي تقدم باتجاهها مما أوقع به من الخسائر ما لم يحدث في كل الحروب النظامية السابقة ، فكيف سيكون عليه الحال لو استمر القتال وفرض على العدو نتيجة ذلك أن يوزع قواته أكثر وأكثر فوق الأرض العربية بفعل استمرار المقاومة بدلا من تثبيت وقف اطلاق النار حيث يقرر العدو الوصول والتوقف ؟ ٠

وفي مثل هذه الحرب الشاملة والواسعة يظل الانسان المدجج بالعزيمة ، وبالايمان بعدالة قضيته هو العنصر الحاسم ، فالطائرة لا تحتل أرضاً وستجد الدبابة في النهاية الار بي جي في مواجهتها ، وسيجد الجندي الصهيوني نفسه مباشرة أمام المقاتل العربي ، ولقد قدم أشبال الأر بي جي في عين الحلوة الدرس ، لمن أراد القتال حقاً ٠ ان مثل هذه الحرب الشاملة والواسعة والطويلة الأمد تحتاج منا قبل كل شيء الى الثقة بالجماهير وبقدراتها اللا محدودة على التضحية والعطاء كما تحتاج منا القدرة على تحمل الخسائر والهزائم وعلى تحمل التكاليف الباهظة لاستمرار القتال الطويل ٠

لقد علمتنا تجربة بيروت العسكرية أن الصمود ليس قصيدة ، وان القتال ليس اندفاعة محارب شجاع في وجه دبابة اسرائيلية ٠ ان الصمود والقتال عملية شاملة ومتكاملة تندرج في اطارها ملايين التفاصيل التي تشمل كافة المجالات الحياتية اليومية ، كما تشمل كافة القضايا السياسية والعسكرية والاجتماعية ٠

ما كان للصمود أن يتحقق في بيروت ٠ وما كان للمقاومة أن تستمر لولا توفر مجموعة من الشروط الأساسية :

أولا : وحدة الجماهير اللبنانية ــ الفلسطينية ووحدة موقفها في مجابهة الغزاة ورفض شروطهم المذلة ٠ لقد أراد العدو أن يفصل اللبناني عن الفلسطيني ، فقام بقصف الأحياء السكنية المكتظة بالسكان بصورة وحشية لا سابقة لها في التاريخ ٠ أراد العدو من الجماهير اللبنانية أن تطلب من المقاومة التسليم بشروط الغزاة ومغادرة لبنان ، ولكن هذه الجماهير العظيمة التفت حول المقاومة ورفضت أن يلقي المقاتلون أسلحتهم ويرفعوا الرايات البيضاء ٠

لقد أراد العدو أن تخرج المقاومة ذليلة منكسة الرأس فاقدة لشرفها وكبريائها ، ولكن جماهير بيروت تحملت أقسى التضحيات لتصون شرف البندقية وكبرياء المقاتل ٠



وحين اضطرت المقاومة في النهاية لمغادرة بيروت خرجت رافعة الرأس وسلاحها بيدها ، وتحولت بيروت الى أم تبكي فراق ولدها ٠

لقد تعمدت وحدة الجماهير اللبنانية ـ الفلسطينية بالدم والنار وصنعت أول وحدة شعبية حقيقية في العصر العربي الحديث ، وبفعل هذه الوحدة تحقق الصمود واستمرت المقاومة ٠

ثانياً : الوحدة العسكرية بين كافة المقاتلين في بيروت تحت قيادة واحدة وغرفة عمليات واحدة ٠ ولقد توحدت في جبهة متراصة فصائل الثورة الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني وفصائل الحركة الوطنية وأمل وجنود الجيش السوري في بيروت ، وخاضوا معاً أشرف وأعظم معركة في تاريخ العرب الحديث ، ومنعوا العدو من دخول مدينتهم الباسلة ٠

ثالثاً : وحدة الموقف السياسي الوطني والاسلامي مع موقف المقاومة الفلسطينية في وجه الشروط الصهيونية وفي وجه تواطؤ (الشرعية) وجبهة الكتائب اللبنانية ٠

لقد شكلت الشروط والعناصر الثلاثة السابقة الأرضية السياسية والعسكرية لصمود بيروت ومقاومتها ، غير أن هذه الأرضية لا تكفي وحدها ، فللصمود والقتال شروط أخرى لا تقل أهمية :

ـ المليشيات والقوات المحاربة رفدت بأعداد كبيرة من المتطوعين الجدد ٠

ـ فرق الانقاذ والدفاع المدني والاسعاف تضاعف عددها عشرات المرات ٠

ـ تشكلت اللجان الوطنية للمهجرين ووضعت حلولا سريعة لمشاكل آلاف الأسر التي فقدت بيوتها ٠

ـ تشكلت لجان الاغاثة والتموين لمساعدة المواطنين مادياً ، ووفرت بحدود الامكانيات المتاحة ما يسمح للمواطن باستمرار الحياة واستمرار الصمود ٠

ـ وخلال ظروف بالغة القسوة جرى تأمين مازوت الأفران وتأمين الرغيف والطحين ٠

ـ كما تم تأمين الماء للمواطنين عن طريق سحبه من الآبار بواسطة موتورات كهربائية متنقلة ٠

ـ افتتحت عشرات المستشفيات الجديدة والعيادات الطبية كما تم توزيع حقائب الاسعاف على البيوت وأدوية تعقيم المياه والخضار ٠

ـ قامت أعداد كبيرة من النساء بتجهيز الطعام وتأمينه للمقاتلين والعاملين في المواقع المختلفة ٠

ـ شارك المئات من الكتاب والمثقفين في الأجهزة الاعلامية المختلفة وأسهموا بدور بارز في خوض المعركة الثقافية والاعلامية والتعبوية ، وفي الرد على الحرب النفسية للتحالف الصهيوني الكتائبي ٠

حين وصل الى سمع القيصر الروسي نبأ هزيمة جيشه على يد الجيش البولوني الصغير والحديث ابتسم قائلا : قد يستطيع هذا الجيش الحاق الهزيمة بنا مرة ومرات ولكن روسيا الكبيرة وبامكانياتها الهائلة ستعرف كيف تتعلم فنون الحرب الحديثة وستلحق الهزيمة بالغزاة البولونيين ٠

نحن نفتقد حتى الى مثل هذا القيصر الذي يشعر بالمهانة والعار لأن ترابه الوطني قد احتل فيواصل القتال لأنه يثق بامكانات وطنه على محاربة الغزاة ودحرهم ٠

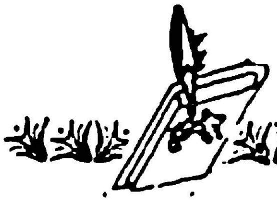
ان المشروع الصهيوني الجاثم فوق أرضنا ليس سوى لحظة عابرة فرضها اختلال مؤقت في موازين القوى الراهنة ٠ أما موازين القوى الكامنة والفاعلة وكما كشفتها تجربة القتال والصمود في لبنان فهي الى جانبنا على كافة الأصعدة ، ومايلزمنا فقط هو ارادة القتال وارادة الاستمرار في هذا القتال ٠

لقد أكدت معارك بيروت جملة من الحقائق لا بد من التوقف أمامها :

أولا : اعادة الاعتبار لمفهوم الحرب الشعبية ، والكفاح المسلح ، كوسيلة أساسية في مواجهة العدو الصهيوني وآلته الحربية المتفوقة في مجال الحرب النظامية الكلاسيكية ٠

ثانياً : ضرورة اعادة النظر في التشكيلة العسكرية العربية بما ينسجم مع مقتضيات الحرب ضد العدو ٠

ثالثاً : ان الجندي الصهيوني الذي اعتاد على التقدم السريع بعد انجاز الطيران لمهماته ، هو أعجز من أن يتقدم خطوة واحدة اذا وجد من يواجهه ٠



رابعاً : ان المقاتل العربي يمتلك من الامكانيات والاستعداد للتضحية والصمود ما يؤهله لتحقيق الانتصار ٠

خامساً : ضرورة اشراك أوسع القطاعات الشعبية ، بامكانياتها وطاقاتها الهائلة وابداعاتها المدهشة ، ففي الحرب الشعبية طويلة الأمد تتوحد الجبهة الخلفية والجبهة الأمامية وتشكلان معاً قوة لا تقهر ٠

□ في المجال السياسي :

الحرب ليست هدفاً ولكنها وسيلة لتحقيق هدف سياسي، ولقد أرادالعدو الصهيوني من الحرب التي شنها في لبنان فرض شروطه السياسية لا على لبنان وحده وانما على الأمة العربية كلها ٠ وأبرز هذه الشروط هي :

١ ـ تنفيذ مشروع الحكم الذاتي في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفق المفهوم الاسرائيلي ، وذلك بعد القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية أو اضعافها ٠

٢ ـ فرض اتفاقية أمنية وسياسية على لبنان ، وتحقيق الأطماع الصهيونية في أرضه ومياهه٠

٣ ـ تعميم اتفاقات كامب ديفيد عربيا وفرض شروط التسوية الأمريكية ـ الصهيونية على الدول العربية ٠

٤ ـ الحاق المنطقة العربية بدائرة التبعية للامبريالية الأمريكية واخضاعها لنفوذها ومخططاتها وأحلافها العسكرية ٠

ان حجم المواجهة الرسمية العربية للغزو الصهيوني للبنان يكشف مباشرة حقيقة موقفها من أهداف العدوان السياسية وضلوع غالبية أنظمتها مع هذه الأهداف ٠

لقد قاتلت الجماهير وقواها الحية في لبنان ضد الأهداف السياسية للغزو الصهيوني ، وتواطات الأنظمة أو صمتت أو وقفت عاجزة لأنها مع أهداف العدوان أو هي ليست في الموقع الصدامي معها والرافض لها ٠

وهذا الموقف وحده هو الذي يفسر لماذا لم تجتمع القمة العربية في فاس طوال أشهر الحصار لمواجهة الغزو ، ولماذا اجتمعت بعد خروج المقاومة من بيروت لتطرح مشروع التسوية العربي ، ولتقدم الاعتراف بالعدو الصهيوني بموجب المادة السابعة ، و « تخص » الولايات المتحدة الأمريكية بالاسم بين الدول الخمس العظمى المنوي زيارتها ٠

ان هذه النتائج السياسية التي وصلتها منظومة الدول العربية في فاس ليست سوى ثمار العقلية التي قادت الصراع مع العدو الصهيوني الأمريكي طوال المراحل السابقة ٠ فالهزيمة العسكرية لها دائماً وجهها السياسي ابتداء من اتفاقيات الهدنةفي أعقاب حرب الـ ٤٨ ومروراً بـ ٢٤٢ في أعقاب حزيران ٦٧ ثم اتفاقيات كامب ديفيد بعد حرب ٧٣ وصولا الى مشروع التسوية العربية في فاس بعد معارك لبنان عام ٨٢ ٠

والساحة الفلسطينية على الصعيد السياسي لم تعد بمعزل عن هذا الواقع العربي ، فقد أدت الضربات العسكرية المتلاحقة للثورة الفلسطينية الى توجيه ضربات متلاحقة لبرنامجها السياسي ابتداء من مشروع السلطة الوطنية والدولة المستقلة بعد ايلول عمان ١٩٧٠ ووصولا الى دعوات الاعتراف المتزامن والكونفدرالية بعد ايلول بيروت ١٩٨٢ ٠ ان التحاق البرنامج الفلسطيني ببرنامج التسوية العربي هو النتيجة المنتظرة بغياب العمق الجماهيري العربي للنضال الفلسطيني ، وبفعل الانحسار والتردي التي تعيشها حركة التحرر العربية ، وقبل هذا وذاك بفعل واقع التجزئة العربية واستشراء المناخات الاقليمية التي تجعل كل طرف يبحث عن خلاصه الفردي حتى عن طريق واشنطن أو تل أبيب ٠

هل هذه النتائج السياسية هي مسالة حتمية في مسارالسياسة الراهنة فلسطينياً وعربياً ؟

ان النظرة الى الأمور تختلف باختلاف المواقع السياسية والايديولوجية والطبقية لكل طرف ٠

فانجازات حرب تشرين التي حققها المقاتلون العرب تحولت على يد النظام الساداتي الى اتفاقات كامب ديفيد ، وكان يمكن أن تشكل خطوة تاريخية على صعيد الصراع مع العدو ٠

والقتال العظيم في لبنان والصمود الأسطوري في بيروت وما أكده من حقائق يفرز كذلك نهجين متناقضين يدعو أحدهما الى التمسك بنهج الثورة



وبرنامجها وأساليبها الكفاحية ، ويدعو الآخر الى انتهاج خط التسوية وبرامجها وأساليبها الدبلوماسية ·

والمعركة المحتدمة الآن هي بين هذين النهجين والخطين السياسيين وما يتطلبه كل منهما من مواقف وبرامج وأساليب ·

□ على المستوى الجبهوي :

لقد كشفت الحرب في لبنان عن حقيقة بالغة الأهمية وهي أنه كما للعدوان الصهيوني برنامجه وأهدافه السياسية فانه في المقابل يمكن اقامة أوسع تحالف وطني بين مختلف القوى والاتجاهات السياسية لمقاومة هذا العدوان ·

لقد شهدت الساحة اللبنانية كثيراً من السلبيات والتناحرات قبل العدوان ، ولكن ذلك كله تراجع الى الخلف وتوحدت الصفوف عسكرياً وسياسياً في اطار موقف جبهوي عريض يقوم على أساس التصدي للغزو وطرد المحتلين من لبنان وافشال مخططاتهم وأهدافهم السياسية ·

وعلى أرضية هذا الموقف التقى الناصريون والشيوعيون والقوميون وحركة أمل والقوى والشخصيات الوطنية في الشارع الاسلامي وشكلوا مع المقاومة الفلسطينية اطاراً نضالياً واحداً التزم على مدار أشهر الحصار بوحدة الموقف السياسي ، وبالعمل المشترك لمواجهة المعتدين الصهاينة والضالعين معهم فوق الساحة اللبنانية وخاصة في حزب الكتائب ·

ان هذا التحالف الجبهوي العريض ووحدة موقفه السياسي قد ولد في ظل القتال المشترك ضد العدو ، ولو أتيح لهذه التجربة أن تتواصل لشكلت نموذجاً هاماً في الوطن العربي كله عن الكيفيات والأساليب التي يمكن أن تقام على أساسها الجبهات المتحدة في كل قطر من جهة وعلى امتداد العربي من جهة ثانية ·

لقد برهنت هذه الوحدة الجبهوية ان كافة التراكمات والحساسيات والسلبيات بين أطراف العمل الوطني انما تنشأ فقط في ظل تغييب حالة الصراع مع العدو ، وانه في اللحظة التي يبدأ فيها القتال الحقيقي فان الأيدي تتحد كما تتحد القلوب، بل وتتقارب العقول والأفكار أيضاً ·

وفي غمار المواجهة العسكرية والسياسية تتكشف الحجوم والمواقف الحقيقية لكل طرف وفصيل ، ويحتل كل منها الموقع الذي يستحقه في قيادة العمل الوطني ، فيتقدم البعض ويتراجع البعض الآخر ، وتتكشف بالملموس صحة ومصداقية المواقف والأفكار السابقة ·

ان فعل المقاومة هو الغربال العظيم الذي يفصل الحب عن الزوان ، ويجعل أفضل وأصلب القوى والعناصر هي التي تتصدر قيادة النضال بجدارة ·

وفي المقابل فان عملية المقاومة المسلحة ضد الغزاة تكشف مواقف ومواقع المتواطئين والضالعين والمترددين والمساومين وتضعهم في مواجهة الرقابة الجماهيرية التي لا ترحم ·

ان زمن القتال والحصار في بيروت لم يتح المجال الكافي لبلورة الجبهة الوطنية اللبنانية والفلسطينية بصورة متكاملة ، غير ان هذه الجبهة الموحدة على قصر التجربة التي عاشتها فانها تشكل مؤشراً بالغ الأهمية عن امكانية اقامة جبهة عربية متحدة على أرضية المجابهة المسلحة ضد العدو الصهيوني ·

ومن خلال مثل هذه الجبهة فقد يمكن كذلك التصدي للأعداء الطبقيين واسقاطهم ، ذلك آن الحرب الوطنية والطبقية في الربع الأخير من القرن العشرين ترتبط بعلاقة جدلية لا تنفصل ·ونتائج المواجهة مع العدو الوطني تنعكس مباشرة على العدو الطبقي سلباً وايجاباً · وليس انتخاب بشير الجميل في ظل الاحتلال الصهيوني سوى البرهان المكوس على هذه الحقيقة،فحين ينتصر العدو الوطني ينتصر معه العدو الطبقي أيضاً ·

□ في المجال الثقافي :

ان خوض الصراع على الجبهة الثقافية لم يكن يقل أهمية عنه في الجبهات الأخرى · ولقد شنت الأجهزة المعادية حملة مركزة استهدفت اضعاف



الروح المعنوية للمقاومين وافقادهم الثقة بأنفسهم وبث الاحباط واليأس بين صفوفهم ، كما استهدفت زعزعة ايمان الانسان العربي بقضاياه وقيمه لكي يسهل على القوى المعادية بعد ذلك فرض هيمنتها وسلطانها لا على لبنان وحده وانما على الوطن العربي كله ٠

واذا كان على المقاتل الوطني أن يتصدى بالسلاح لمواجهة آلة الحرب الاسرائيلية ، فقد كان على الكاتب والشاعر والصحفي والمثقف والفنان أن يتصدى بوسائله الخاصة لمواجهة آلة العدو الاعلامية وحربه النفسية ٠

ولقد أتاح مناخ الحريات الديمقراطية في الساحة الوطنية اللبنانية أن يسهم هؤلاء المثقفون بدور بارز في التصدي للهجمة المعادية وفي الدفاع عن قيم الأمة العربية وشرفها وحضارتها ٠

ولم تقتصر المعركة الثقافية على الكتّاب والمثقفين اللبنانيين والفلسطينيين فقد شارك عدد كبير من الكتاب العرب المتواجدين في بيروت بدور هام وبارز ، فكنت تجد في الموقع الواحد المصري والسوري والعراقي والأردني ٠

لقد وزع الكتاب والمثقفون جهودهم على مختلف الاذاعات والصحف والنشرات الجديدة : صوت الثورة الفلسطينية وصوت لبنان العربي وصوت الثورة العربية وصحف النداء والسفير واللواء وفلسطين الثورة ونشرات المعركة والمتراس والهدف والرصيف ونداء الوطن ، وكذلك وكالة وفا ٠ ولم يقتصر دور هؤلاء المثقفين على مجرد الكتابة وحدها فقد كانت الغالبية العظمى منهم تتواجد باستمرار في خنادق القتال المتقدمة يلتقون بالمقاتلين ويحاورونهم ويجرون معهم الأحاديث الاذاعية والصحفية ويوصلون اليهم النشرات والصحف ٠ وعلى أحد المحاور القتالية سقط الشاعر الفلسطيني الشهيد علي فوده ، وعلى محور آخر سقطت الفنانة والاذاعية اللبنانية الشهيدة نعم التي أجرت عشرات المقابلات مع المقاتلين وقدمت من خلال اذاعة الثورة الفلسطينية عدداً من البرامج الاذاعية ٠ كما استشهد في صيدا الكاتب العراقي أبو روزا ٠

ومن لم يجد من الكتّاب والمثقفين مكاناً له في أحد المواقع الاعلامية كان يلتحق باحدى اللجان آو مواقع العمل المختلفة ، ومن زار خلال أيام القتال مستشفى اللاهوت الذي أنشيء خلال الحصار كان يجد الكاتبة خالدة السعيد تقوم بالعناية بالمرضى ، وبمسح غرف وممرات المستشفى بنفسها ٠ وفي مواقع القتال المباشر كنت تجد كذلك العشرات من الكتاب والمثقفين يحملون السلاح ويقومون بدورهم القتالي الكامل ٠

ان أحداً ممن شهد تجربة بيروت العظيمة لا يمكن أن ينسى الدور الهام الذي لعبه الكتاب في المعركة على تعدد هوياتهم واتجاهاتهم وانتماءاتهم ٠ لقد كانوا ضمير أمتهم وروحها التي لا تعرف التردد والمساومة ٠

مع طلعة الصباح كان يطل علينا الكاتب الجليل الدكتور حسين مروة بمقال يومي يشحن النفوس والهمم ، وفي المساء كان الفنان المصري عدلي فخري يتجول بعوده بين مواقع المقاتلين المتقدمة وفي أروقة المستشفيات ليغني للمحاربين والجرحى ويمدهم بروح جديدة ، ومع عدلي فخري كان الشاعر الشعبي زين العابدين فؤاد يلقي الأشعار عن بيروت والصمود والقتال ٠

وبين الصباح والمساء كنت ترى مئات الكتاب والمثقفين ينتقلون تحت جحيم القصف الى مواقع عملهم المختلفة ٠

ان الحديث عن المعركة الثقافية لايكتمل بدون الحديث عن « أيوب » وأيوب لا يزال لغزاً حتى الآن ولا يعرف أحد اذا كان رجلا أو امرأة أو اذا كان شخصاً واحداً أو عدة أشخاص ، ما يعرفه الناس عن أيوب هو تلك اليافطات الصغيرة من الكرتون والتي كنت تجدها معلقة في كل مكان ، وقد كتبت عليها عبارات بسيطة بخط يدوي تحيئ الصمود وتدين التخاذل والتآمر ٠

كان أيوب بسيطاً وواضحاً وساخراً ، ويعبر بجدارة عن روح الشعب واصراره على المقاومة وعلى ادانة الصمت والتواطؤ العربي ٠ لقد كشفت تجربة بيروت في المجال الثقافي ان الكتابة على وقع المدافع هي أشد غنى وعمقاً ، وأكثر وضوحاً وايصالا ،



فالكتابة هنا تتصل مباشـرة بهدف محدد ، وهـي موجهة الى جمهور محدد أيضاً ··

الكاتب خلال المعارك لا يكتب لنفسه ولا يكتب لنخبـة مـن المثقفـين ، ولكنـه يكتب للمقاتلـين والصامدين ·· يصبح أكثـر قرباً من الحيـاة ·· يتصل بالناس يتعلم منهم ويتعرف على همومهـم ، وعلى همومه الحقيقية ·

وكما كشفت الحـرب دور ومهـام الكتـاب والمثقفين وحددت مدى التزامهم وانحيازهم لجماهير شعبهم ، فانها كشفت بالمقابل أدعياء الثقافة وأدعياء التقدم والالتزام فسقط من سقط وهرب من هرب ·

الحرب الحقيقية تكشف دائماً الكتاب الحقيقيين وتصلبهم ، كما تكشف الكتاب المدعين وتسقطهم · والحرب كانت المحك وكانت التجربة التي أثبتت أن الغالبية العظمى من الكتـاب والمثقفين الذيـن تعمدوا بالنار والخطر في بيروت هم أهل لحمل راية الكلمة وأهـل للدفاع عن شـرف الأمة ومستقبـل الـوطـن ·

بقليل من الديمقراطية صنعت الثقافة الكثير · فماذا لو عمت الديمقراطية الوطن العربي كله ؟

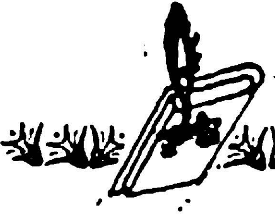
ماذا لو قاتلت كل الجماهير العربية كما قاتلت بـيروت ؟

وماذا لو توحدت كل القوى السياسية العربية المؤمنة بقتال العدو كما توحدت القوى في بيروت ·

وماذا لو أتيح للكتاب والمثقفين العرب جميعـاً أن يفعلوا كما فعل رفاقهم في بيروت ؟

أسئلة لا تنتظر جواباً ولكنها تنتظر أن يبـدأ العمل ومن بيروت نبدأ ·





◎ مناقشـة حـول :

محاضـرة الأسـتاذ نزيـه أبو نضـال

☐ د٠ ناديا خوست :

ان الكلمات عامة التي قيلت أمس ، وخاصة كلمة الأخ الممثـل الفلسطيني ، نجدهـا تتقاطع في نقطتين ٠ الغزو كشف لنا مقاومة باهرة وتخاذلا رهيباً ٠ مثلا الأخ ، لم يكن لديه مجال ليحكي كثيراً عن وجوه المقاومة للغزو ٠ أنا أذكر اننا أحياناً نشكو في الوطن العربي من أن شوارعنا غير نظيفة٠ أنا ذهلت عندما سمعت من امرأة لبنانية قالت : تحت القصف كانوا يشطفون الشوارع ـ اذ لا بد من وجود شيء جعل الناس كلهم يحسون أنه لأول مرة في تاريخ العرب الحديث ، أن هذا وطنهم ٠ وحتى شكلهم نظيف ـ ٠

الأخ أبو عمار مثلا قال ٠٠ يمكن أن الأخ نزيـه قال ، ان الصراع يمنـع الخلافـات ٠ وفي تصوري أننا عندما نزاول الصراع ، عندما نكون في وسط الصراع ضد العدو الصهيوني ، تمتنـع الخلافات العربية ٠

النقطة الأولى التي سأتحدث عنها وأتصور أنها هامة هي : لا تحسب الكثرة العربية والامكانيات العربية الا اذا وظفت في المقاومة ٠

ثانيا ـ قال ان المقاومة لأول مرة ٠٠ أظهر الغزو الصهيوني المقاومة الشعبية والمقاومة المدنية للغزو الصهيوني ، كان للمقاومة أثر فعال وهام ٠ مع أننا حتى الآن كنا نعتمد في مقاومة الغزو على جيوشنا العربية ٠

في تصوري أن هذه النقاط التي أثارهـا بالضبط هي التي تقودنا الى عقدة المسألة ـ لماذا رأينا هذه المقاومة الضارية العربية ، والتخاذل الرهيب العربي ؟ هنا نحن لأول مرة نشاهد الفقراء العرب يحملون السلاح ٠ لأول مرة كانت هناك مقاومـة شعبية في مواجهة الاحتكارات الأمريكية في المنطقة ٠ هنـا أيضاً يمكن لنـا أن نفسر لمـاذا كان التخاذل العربي على هذا الشكل ، لأنه كان يلمس العلاقات الأمريكية العربية ٠ فالعلاقات الأمريكية العربية أظهرت لنا حتى الآن أن اسرائيل كأنها هي معركة ثانوية ٠ نحن معركتنا عربية اسرائيلية فقط ٠ لأول مرة هنا كانت المعركة تتحدى العلاقات العربية الأمريكية ، ولم يكن عند أي نظام مـن الأنظمـة العربية الرجعية القدرة أو الرغبة على أن تكون٠٠ على أن تكسر العلاقات الأمريكية ٠ مثـلا بعض المظاهرات التي أرادت التوجه في البلاد العربيـة الى السفارة الأمريكية ٠٠ وما سمعنا أبداً أنه طرح في أي ندوة عربية رسمية موضوع قطـع العلاقات العربية الأمريكية ٠ كنا نلتقي بالهاتف ٠ خابر فهد ريغن وطلب منه وقف العدوان ورجاه ـ اذن تحدث الأخ نزيه عن نقطة هي الطبقية ٠ هنا في المقاومة في لبنان ظهر لأو لمرة في التاريخ العربي الحديث ، المحتوى الجديد الطبقي في حركة التحرر الوطنـي العربي ٠ ول مرة كانت المقاومة الفلسطينية وراءها اللبنانية ٠ رأينا أن جميع السوريين واللبنانيـين والفلسطينيـين كانوا فقراء ٠ الجنسية لم تعـد فاصلا ٠ ونحن في الحقيقة في عصر ، قالوا اننا في العصر الاسرائيلي ٠ لا ٠٠ اننا بالضبط في العصر



الأمريكي ، في عصر انقسام العرب الى فقراءوأغنياء · نحن المثقفون والكتاب العرب ، من الضروريأن يكون لدينا بعض التصورات للمشاكل التيتهيمن ·· أن نبحثها نحن · نحن واقعون في المنطقة الحيوية، منطقةالنفوذ والمصالحالحيوية الأمريكية· عندما يقول شارون نحن سنمتد حتى أفغانستان ، حدود الدولة تبدلت حتى أصبحت مناسبةللطموح الأمريكي في العصر الجديد · هنا أيضاً كانتأهمية المقاومة العربية ·

كل الأخوة تحدثوا عن الشارع العربي ·يعنيأنه على الكتاب أن يتوجهوا الى تحريك هذا الشارع العربي على أساس نسف المراكز الأمريكية · كماقال محمود أمين العالم ، لو كان هناك نفوذحقيقي للكلمة العربية ، للكتاب العرب ، لكنا سمعنا ماقاله محمود أمين العالم قبل أربع سنوات : من يقول لاسرائيل لا ·· ويقول لأمريكا نعم ، فهو يقول لاسرائيل ألف نعم ·

الآن الحقيقة ، نجد في جمعنا اليوم أزمة الشارع العربي · أي هل يعقل أن تكون المقاومةللغزو الصهيوني الأمريكي ، ونحن مهددون حتى الجذور؟وقديماً قيل ، العرب يعرفون ما سيكون من أمرهم· الآن ، هل يعقل بعد مجازر صبرا وشاتيلا أنتقتصر القضية على الحدود ؟ اذن هناك أزمة حقيقية · مثلا أنا أقول ·· كيف نستطيع أن نتحدث عن مقاومة الغزو الصهيوني الأمريكي ولا يوجد بيننا وفد مصري ؟ صحيح أن مصر فيها كامب ديفيد ،ولكن مصر فيها الشعب المصري أيضاً · مصر التي عرفتبأنه يوجدفيها لجنة لمقاومةالغزو الثقافي· يبدوأننا لانستطيع أن ندعو رسمياً وفداً من مصر ، لأنه لا يوجد لنا علاقة مباشرة مع الاتحاد · أيضاًلا نجد وفداً لبنانياً ، لا نجد وفداً من عُمان ·عمان أيضاً مستهدفة · والسودان أيضاً من القواعد التيتتقدم فيها أمريكا واسرائيل وكامب ديفيد ·على كل حال ، ما أقلقنا جميعاً هو الخلافات · بعض الخلافات بعد بيروت · توقعنا بعد بيروت أن نجد تلاحماً وشعبية لمقاومة الغزو بين الفصائلالعربية· ما أفزعنيامكان وجودخلافاتبين الفصائلالعربية· نحن لا نتصور أبدا أن يكون هذا الخلاف · وفيمقابلة مع وفد من اتحاد الكتاب السوريينوالأستاذ عبدالحليم خدام ، قال شيئاً لطيفاً ، هو أنه لا يوجدمشروع أمريكي — وقد لمسنا خلال عشرين عاماً وحتى اليوم ، أن المشاريع الأمريكية في المنطقةكانلها هدف واحد وهو الخلافات العربية ·

عملياً ، مشروع روجرز لم يعط شيئاً · ريغنقدم مشروعاً ، كارتر قدم مشروعاً · أمريكا ترمي دائماً المشاريع من أجل اختلاف العرب ·ونتساءلماذا عند عرفات ليقدمه لحسين ، وماذا عند حسين ليقدمه لعرفات ؟

من هنا بالضبط ، لا يمكن أن نرحب أونسمح بأي خلاف بين فصائل المقاومة · نطالب بدعمجبهة مصر ونطالب بدعم الجبهة الوطنية اللبنانية ·



دروس من «التجربة اللبنانية ـ الفلسطينية إبّان الغزو الصّهيوني ـ الأميركي للبنان»

بقلم: عبدالله الأحمد

وقت أزيلت المتاريس من شوارع بيروت وانسحبت القوة المتعددة الجنسيات ودخل الجيش الاسرائيلي الى العاصمة ذات الصمود الأسطوري لتفعل كل الذي سمعناه ، أسدل الستار على مسرحية من أطول المسرحيات التي جرى تمثيلها على مسرح الشرق الأوسط بواسطة الدم ٠

أيها الحاضرون الأجلاء :

ساعفيكم من التفاصيل ،

فعندي ما أريد قوله وعندكم ما ستبشرون به للمستقبل فقد يأتي جيل أحسن من جيلنا ليفعل ما عجزنا عن فعله رغم أننا أدركناه كلنا رجعيين وتقدميين يميناً ويساراً ووسطاً ٠

عندما وقع الانفصال بين سورية ومصر في ٢٨ ايلول ١٩٦١ ذهبت مرحلة وبدأت مرحلة جديدة وصدقوني أن أحداً لم يتوقف عندها توقفاً موضوعياً ، بكيناها نعم ، نشجناها نعم ، توحمنا على عودتها نعم ، فعلنا بعض ما يشبهها كتشابه النمور والقطط نعم ، لكن أبدا لم نفعلها و لايمكن أن نفعلها فقد تمت فكفكة القطار الوحدوي الى خردة بيعت لمعامل صب الحديد ليعاد صهرها ٠ وحتى الآن لم يتفضل أحد ليقول للجماهير كلاماً برنامجياً موضوعياً دقيقا عن مصير هذه المسألة التي هي أم المسائل ومحور الحياة والحركة في هذا الوطن العربي الممزق والمتشقق حتى حبة الرمل قطرياً ، الممزق سياسياً الممزق شعوبياً ، الممزق دينياً ، الممزق وحتى الفرد فيه صار أفراداً ، يفكر الواحد منهم بأكثر من عقل في اليوم الواحد ، ويعطي أكثر من حل للقضية الواحدة ٠

لقد امتد سيف الانفصال الأمريكي بيد الملك حسين ليقطع رقبة أحلام المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي ويكذبه أيما تكذيب وصارت مطارحات توينبي حول الوحدة العربية القادمة والواصلة الى التعامل في نهاية ثمانينات هذا القرن أوراقاً يجب بيعها للدكاكين لكي يصروا بها ما يبيعونه للاطفال من الحلوى ٠

أيها السادة يجب أن نستخدم عقولنا في هذا المصير فنحن أمة تستخدم عاطفتها في كل المسائل المعروضة عليها مع الأسف ، نحن عاطفيون ممتلئون عاطفة وفياضون الى درجة الصرع بهذه العاطفة ، حتى أن الحقائق عندما تعرض علينا من غيرنا نتعامل معها تعاملا عاطفياً ، وفي أحسن الحالات فاننا عندما نقول كلاماً فاننا لانقصده بالضبط ٠ فلقد قام أحد الصهاينة في جنيف ليصيح بوجه محاضر ـ يهودي يدافع عن العرب فقال : أنت أحمق ، أنت أحمق ، انظر الى هذه المجلة التي رسموا عليها جندياً عربياً يقذف بيهودي مثلك الى البحر ماذا تفسرها ؟ فقال المحاضر اليهودي لابن دينه الصهيوني المعترض هل

تعرف العربية فقال لا : فاكمل : أما أنا فاعرفها وسأقول للحاضرين شيئاً منها ٠

اذا قال عربي لآخر والله لأخرب بيتك فهذا معناه بكل اللغات انه سيثقب جدار البيت ويحشوه بالديناميت ويفجره ، أما عند العرب فهم بقولهم هذا والله لاخرب بيتك انه سيلحق به ضرراً ما قد لا يتجاوز تشويه سمعة صاحب البيت في نظر الناس ٠

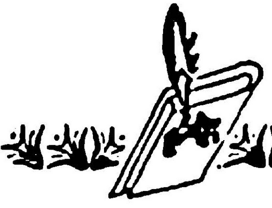
عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأ عصر الاستقلال القطري العربي ومن قطر لآخر اندفعت الجماهير العربية وراء قياداتها تستردفواتير الدم المدفوع على أشكال تمردات محلية بزعامة زعماء محليين أسموها ثورات وأحياناً هوجات ٠ وهكذا تراكم خط وطني جماهيري يطالب بالاستقلال القطري تماماً وفق ما خطط له السيد البريطاني والفرنسي قبل الرحيل ٠ وشيئاً فشيئاً تحول هجومنا على الاستعمار القديم الذي نسميه الكولونيالي الى هجوم يزداد اندفاعاً كلما اقترب يوم رفع العلم الوطني القطري الذي سيرفع ومثل كل سد مهترىء آيل الى السقوط اندفع الماء الذي يشكل بحيرة خلفه مدمراً وتحول ماء البحيرة الراكد الآسن المحجوز ، الى نهر عظيم الجريان متدفق بصخب وجلجلة وما كان زوال الاستعمار القديم من أقطارنا الا نوعاً من الترتيبات العسكرية المتعلقة بنقل القواعد واعادة اقتسام النفوذ ، وفيما عدا ثورة الجزائر فان عملا ثورياً حقيقياً يكافىء فكرة التحرر والاستقلال وطرد الجيوش الغاصبة لم يحدث ،ذلك أن الجيوش الغاصبة نفسها فقدت كل سبب لبقائها بنتيجة الحرب العالمية الثانية ، ولنأخذ هذا المثال / لبنان والجزائر / قطران عربيان لكل منهما خصوصية في القلب الفرنسي والايديولوجيا الفرنسية الاستعمارية ، ففي لبنان دفع الشعب من أجل الاستقلال شهيدا واحداً ومن أجل الاستقلال دفع الشعب الجزائري مليون شهيد ، فكيف نفسر هذا ؟ اني أعطي تفسيراً بسيطاً هو أنه حيث يمكن للمستعمر أن يخرج دون أن يخرج عملياً فلا داعي للشهداء ويكفي مسرحية اضرابات سلمية وهكذا من قطر الى قطر نتعرف على الحقيقة تباعاً ، واستطراداً نستطيع الوصول الى الحقائق العالمية من المكان الذي نحن فيه ونتابع ، فقد اندفعت الجماهير المحتجزة وراء السد الاستعماري النخر تريد رفد بعضها البعض ممتلئة بعزة النصر على الاستعمار حتى تحققت وحدة سورية ومصر بعنفوان معاد لبريطانيا وفرنسا بعد معركة السويس ٠

أما أمريكا فقد ظهرت كدولة صديقة من نوع مميز للغاية ٠ لقد ارتكبت خطيئة واحدة وضعتها في الشبهة وهي اعلان أيزنهاور عن مبدأ الفراغ الذي يجب أن تملأه أمريكا بخروج بريطانيا وفرنسا من المنطقة ثم لملمت الموضوع ولم تعلن عنه شيئاً مباشرة ٠

وعندما توحدت مصر وسوريا في دولة الجمهورية العربية المتحدة كان رد الاستعمار القديم بالمقابل ردا وحدوياً عجيباً ، ففوراً سافر الملك حسين الى بغداد وهناك أعلن المملكة الهاشمية المتحدة بزعامة ابن عمه فيصل الثاني ملك العراق لكن الذي حدث خيب آمال « الفابريكة » البريطانية الفرنسية اذ قامت ثورة في ١٤ تموز من نفس السنة على شكل انقلاب عسكري ناصري وبعد هذه الثورة مباشرة تقدمت أمريكا الى المنطقة بقرار علوي الارادة وسحبت من فرنسا وبريطانيا ملفات جميع العملاء التابعين لتلك الدولتين وأسدل الستار على كامل دور الاستعمار القديم وبدأ دور أمريكا الحقيقي ٠ وهكذا فان كل البحيرات القطرية التي حطمت السدود النخرة أمامها تحولت الى نهيرات وجداول صغيرة تجمعت أخيرا خلف السد الأمريكي الحديث والمصنوع من الغرانيت ٠ لكن أحداً لم يقل للجماهير ما هو واقع الحال ، وتحول العز الناصري المجيد الى نوع من الصهيل الذي يذكر الفارس المشلول بأيام كان يمتطي فيها جواده صائحاً بقومه : لننقض على الاستعمار وأعوان الاستعمار ولنبن مجتمعاً ترفرف عليه الرفاهية ٠ وأمام الصهيل الناصري المجلجل كان هناك قادة من حزب البعث فقدوا كل موضوعيتهم وبعوا مبادئهم للشيطان وتحول أكرم الحوراني الى شريك للاخوان المسلمين في حكم سورية بزعامة ناظم القدسي ٠

في تلك الأيام كان هناك من يؤسس في احدى أركان المنازل الشعبية بداية التحرك الفلسطيني المسلح من الكويت بعنوان ــ الفتح ــ ٠

أيها السادة : لقد أوجزت الماضي بما أمكن من الاقتضاب أما الحاضر فهو معاناتكم ومعارفكم وكلكم تتمنون أن تسمعوا من يقول ما يشفي غليل المواطن ويبشر الوطن بوجود مواطنين قادرين على رفعه الى



مصاف الأوطان العظيمة فأرجوكم أن تقبلوا مني هذه الدروس التي استفدتها ثم أن تنتقدوها وتتعاملوا معها بالطريقة التي تريدون فلن أستغرب شيئاً في زمن زالت منه العجائب وخاصة عند العرب ·

□ الدرس الأول :

ان الثورة الفلسطينية على جلالة قدرها ونبل غايتها ومتانة الانسان الفلسطيني وصموده ، هذه الثورة لاتشبه أية ثورة من الثورات في العالم ،واقصد تلك الثورات التي انتصرت ، فلقد وفرت الانسان ووفرت البندقية ولكنها لم توفر البرنامج أقصد الايديولوجيا ، أقصد وحدة القيادة ووحدة مخالفاتها · فلقد وقعت في نفس المطب التي وقعت فيه جميع الحكومات العربية المستقلة التي تكاد تهرب من جلدها بسبب عبثية الاستقلالات القطرية ومع ذلك فان الثورة تريد أن تكون واحدة من تلك الحكومات لتقع في مطب القطرية وقزمية التفكير اللا قومي اللا وحدوي · أما على صعيد الممارسة الثورية فانها أيضاً تريد أن يكون صاروخها (سام) وقلمها (باركر) ودبابتها (ستالين) وسيارتها (لنكولن) · لم تستفد من درس الاردن الذي لايتصوره عقل ولا أعتقد انها ستستفيد من درس لبنان الذي ظهر فيه الانسان العربي المعاصر عملاقاً بصموده ولا قيادة عنده توازي هذا الصمود ·

فلقد كان أمام قيادة الثورة الفلسطينية أحد طريقين أما طريق الحسين بن علي نحو كربلاء في كفاحه ضد يزيد وأما طريق الحسن بن علي باتجاه معاوية للتنازل عن الحق وما من شك بأنها خافت طريق الحسين فقدمت أوراق اعتمادها لطريق الحسن بينما الجماهير تأخذ طريق الحسين وتصنع من الموت أسطورة بناء الحياة ·

□ الدرس الثاني :

لم يعد في الصيدلية القومية العربية دواء واحد صالح للاستطباب من داء الانفصال المعند ، وفقدت كل القيم المتداولة أهميتها وتبددت أحلام الثوار في اقامة دولة عربية موحدة قادرة على الارتقاء بالانسان الى مستوى أحلامه وصارت التجزئة حالة تقدمية يجري تزويقها وتقديمها للانسان في وجبات طعامه اليومية ، ولا بد من عمل مناسب يعيد للانسان العربي ثقته بالمستقبل الذي يبنيه لأولاده·

□ الدرس الثالث :

عندما سقط الشاه في ايران أصبح لاسرائيل في الادارة الأمريكية (حق الفيتو) في كل ما يتعلق بشؤون المنطقة وهي على حق فيما تراه · لقد قالت بالقلم العريض لأمريكا ومدت لسانها بوجه الرئيس كارتر، قالت نحن فقط ولا يوجد غيرنا في كل المنطقة من مضيق جبل طارق الى خليج البنغال · نحن الحكومة الوحيدة التي لها شعب يشبهها ومصلحتها ومصلحته واحدة وكل أولئك « الطراطير » الذين تدعمونهم هناك بحجة انهم عملاؤكم مكروهون من شعوبهم وسيقلبهم أول ثائر له لفة بيضاء أوحمراء اذا كان مستعداً للاصرار على موقفه المبدئي كما فعل الخميني بل ان كل مساعدات تقدمونها لهؤلاء ستنقلب علينا كما انقلب سلاحكم عليكم بعد سقوط سايغون وسقوط طهران ، ان كل الحكام أصدقاء أمريكا بالنسبة لاسرائيل هم بلغة الزواج ضرائر لاسرائيل، ولكنها ضرائر من الدرجة المئة (١٠١) وواحد في اتخاذ القرار الاستراتيجي في الادارة الأمريكية فلقد أخذت اسرائيل تفويضاً أمريكياً بادارة كل اللعبة الدولية في المنطقة ولم يعد لأمريكا هنا سوى شؤون الفضاء فقط وهو بمعرفة اسرائيل ورعايتها ومصادقتها وما على الولايات المتحدة سوى الطاعة في اللعبة ·

□ الدرس الرابع :

كان على سورية في نظر الاعلام المتواطىء مع اللعبة الاسرائيلية أن تقتحم المعركة بكل ما لديها وأن تديرها عنترية ترضي غرور شمشون ، ولاتقدم للقضية التي بين يديها أي دعم أو زحزحة من مكانها، وكان هذا النوع من الاعلام المسموم متجاهلا لكل الماضي ومستفيداً من حرارة الحرب الحزيرانية الجديدة ومتجاهلا لكل الآلام التي تعرض لها شعب لبنان على يد بعض فصائل المقاومة وخاصة تلك الأيام الاحدى عشرة التي سبقت الاجتياح الاسرائيلي حيث صبت مدفعية المقاومة مع الأسف على مدينة طرابلس حممها ولا من تفسير سوى التآمر· ولقد ظن الناس أن صيدا أيضاً تقصف من قبل بعض فصائل المقاومة يوم الاجتياح الاسرائيلي ، ذلك أن القصف كان في اليوم السابق من مواسير مدفعية فلسطينية، ومن المؤسف أيها السادة اني أتكلم عن هذا الدرس ومدينة طرابلس الشام من جديد اليوم ورغم كل الدم الذي انهمر وسال في وديان لبنان مازالت تقصف



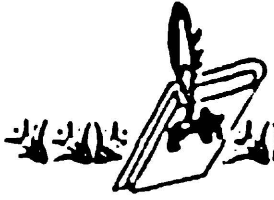
بمدفعية فلسطينية • حقاً انها لعبة ليس لها اسم ولو أن سورية فعلت ربع ذلك الذي فعلته اسرائيل وبحكم حق الأخ الكبير على الأخ الصغير بالانضباط لجرى رجم السوريين في كل أنحاء العالم • ان لما جرى في لبنان أسراراً وخفايا ستذهل العالم أكثر مما هو عليه من ذهول بملايين الأشكال والمقاييس، وأن أبسط أشكال التفكير العاقل تدلنا على أن الذي فعلته اسرائيل بلبنان على الجانب المدني والذي مؤداه اعطاء ورقة للمتآمرين معها من الطائفة المارونية وغيرهم تمدهم بالعون الاعلامي للقول بأن أهم نتائج الحرب هي عودة لبنان الى دولة قابلة للعافية وقادرة على فرض سلطة شرعية وتوحيد البلد وخلق جيش وطني ،هذا الذي جرى تدلنا أبسط أشكال العقل بأنه لو حذفنا التآمر واللعب بالألفاظ لكان بامكاننا أن نفعل الذي نادت به سورية منذ استدعيت قواتها لدخول لبنان من قبل جميع الأطراف ، أليس كذلك ؟

☐ **الدرس الخامس :**

لقد ارتكبت العسكرية الاسرائيلية خطأ تاريخيا واستراتيجياً بحصارها بيروت من جميع الجوانب وهذا ما أدى بالعربي المقاتل من كل الأطراف السورية واللبنانية والفلسطينية لأن يكتشف أهم حقيقة في تاريخ الحروب العربية الاسرائيلية وهي أن الجندي الاسرائيلي ليس جباناً ولكنه حقاً لا يمتلك الايمان بالشهادة والاستبسال الذي يمتلكه العربي وانما يعتمد الاسرائيلي في قتاله على قيادة فعالة الذكاء ، على تفوق نيراني متقدم لا تمتلكه أية قوة أخرى في العالم اذا هو أخبر بالنار التي بين يديه حتى من الذين صنعوها بسبب كونه المصدر الوحيد للمعلومات العمليانية عن السلاح الأمريكي ،ولكن لا قبل له حقاً بمواجهة المقاتل العربي مهما كان سلاح العربي متواضعاً • وهكذا لأول مرة تمكن الجندي العربي من مشاهدة الجندي الاسرائيلي بأم عينيه في ميدان المواجهة بينما كان الواقع أن العربي يتعرض لنيران الاسرائيلي دون أن يراه ولو كان وراء هذا المقاتل العربي قيادة تمتلك عبقرية الفعل الاستراتيجي لجعلته يتصدى لجندي العدو منذ الحدود وعند كل عشرة أمتار وخلف كل منعطف وجسر وصخرة ليقتله على مسافة الصوت والنظر وأن يسدد اليه بالعين المجردة لا بالرماية البعيدة المدى • ان العدو سيدفع ثمن هذا الخطأ مستقبلا لأنه كشف عورة الحياة العسكرية الاسرائيلية بالجملة تلك الحياة التي تعتمد على قرار العربي أمام الفرقعة النيرانية الجهنمية لا أمام المحارب الاسرائيلي مباشرة وبالتأكيد مع كشف عورة الحياة العسكرية الاسرائيلية انكشفت عورات القيادة الثورية التي تخلت عن العمل الفدائي سلاحاً ومفهوماً لتمارس دور الدول والجيوش ذات السلاح البعيد المدى • لقد أنعمت اسرائيل على قيادة الثورة الفلسطينية بنعمة الحصار مع المقاتلين وهذا مامنحها شرفاً يشفع لها بشرف معادل لشرف الجندي في الميدان • ولكن عندما يزول بريق الأشياء سيأتي العاقل الذي يتنهد قائلا : آه ، ما أعظم الفرق بين شرف القيادة العبقرية وشرف القتال الميداني وخاصة في أمة لا تفتقر الى الجنود •

☐ **الدرس السادس :**

من منا أيها الأعزاء لا يشعر برائحة الغاز تملأ المسكونة البشرية الى درجة يضع معها يده على قلبه من شرارة تنذر بحرب كونية جديدة أو باحتمال حرب بقسوة الحرب الكونية في مجال ما ، تكون تجربة على ما سيحدث مستقبلا ، فهذه الأزمة الاقتصادية العالمية تكاد تحول أسواق العالم الى مصبوب من الجبس، وهذه الدول العظمى تعيد تفقد سلاحها النووي وتختبر جاهزيته ، وهذه الادارة الأمريكية بزعامة ريغان تبدو في مضمار السياسة الدولية لاعبة « البوكر » بينما تبدو مقابلها القيادة السوفياتية لاعبة « شطرنج » ، فالشعوب الفقيرة تزداد ضعضعة وفقراً وتتعطل شرايين الحياة الأساسية فيها، والشعوب الغنية يتوقف نموها وتعلن أسبوعياً عشرات الشركات افلاسها في الغرب • أما في الشرق فان شعوباً مثل بولونيا ورومانيا ويوغسلافيا التي سحر قادتها بريق الانفتاح على الغرب وتجديد الصناعة ،عندها بدأت تنهار ويصير الخبز والزبدة عزيزان على مواطنيها ولا يكاد اقتصادها يعني بالديون ، بل حتى بفوائد الديون المتراكمة عليها • أما دول النفط من العربان والغربان وغير هم فقد فقد نفطهم معناه الاقتصادي بعد أن تلقت السعودية أمراً أمريكياً بفتح نهر كنهر دجلة من النفط على أسواق العالم حيث عومته وأفقدته عامل الندرة والتسعير والأهمية واستعادت بذلك الدول التي تضررت من مقاطعة النفط بأن أخذت احتياطاً استراتيجياً نفطيا لمقاطعة قد تطول أكثر من سنة ، أما السيد الأمريكي فقد ملأ جميع آبار نفطه الخاوية وحتى مناجم الملح جرى تموينها بالنفط من عند أبناء عمنا مشايخ المحيط والخليج ورفعت أمريكا أسعار فائدة الدولار كما



سمعتم لمدة سنة فلملمت دولاراتها حتى من مواطنيها وعطلت عجلة الحياة الصناعية في سوق المنافسة حتى بلغ عدد العاطلين عن العمل عندها أكثر من ١٥ مليونا من القادرين • وبالمقابل صار على الاتحاد السوفياتي أن يجيّر جزءا كبيرا من خبزه اليومي للشعوب التي جرتها قياداتها نحو الغرب الى أن يتمكن من « حلحلة » مشاكلها ومشاكل أحزابها كما هو الحال في بولونيا وغيرها • وهذا وضع معقد ومفصل في تعقيداته يدعوني أن استأذنكم في الدخول مباشرة الى الدرس السابع •

والخلاصة

أيها الاخوة :

لقد كانت الرجعية العربية بلاءنا الدائم والأعظم فهي مصدر قوة الامبريالية العالمية وبالتالي فهي مصدر قوة لاسرائيل الذي لا ينضب، فنحن العرب يحرقنا نفطنا ويذبحنا دولارنا وتقتلنا عاطفتنا ويموت عقلنا على يد أكثرية من يقودنا واذا ما نظرنا الى خارطة هذا الوطن وجدنا عليها نوعين من الأحزاب :

الأولى ماركسية عربية

والثانية اشتراكية وحدوية

فالأولى هي مجموعة الأحزاب الشيوعية بأوضاعها الراهنة بانشقاقاتها ومخالفاتها وهي جميعاً تشبه أوراق اللعب ضمن القفا ذات لون واحد تماماً فكلها ماركسية لينينية • أما من الوجه فلكل شأنه الذاتي الخاص والمشخص في برنامجه الوطني المحلي من العشرة الطيبة الى الشاب الى الشايب الى آخره •

أما النوع الثاني فهي أحزاب بعث لكنها تقول اما بالوحدة والحرية والاشتراكية أو بالاشتراكية والوحدة أو عكس العكس فمن السوريين القوميين الى الاشتراكيين التقدميين الى التحريريين الى جماعة وادي النيل الى جماعة وحدة المغرب العربي وكلها جماعات بعثية أقصد لجهة رفض العاضر والبحث عن مستقبل توحيدي يستمد قواه ومفاخره من الماضي الأكثر توحيداً وتوحداً وقوة • واسمحوا لي أن أصرف النظر مؤقتاً عن « الايديولوجيا » التي تعتنقها هذه الأحزاب ان كانت متدينة سكر زيادة أو على الريحة أو وسطاً • المهم عندي أن تكون أحزاباً ليست مريضة بالقطرية وليس لها نوازع تقسيمية تجزيئية ، المهم انها ترفض الواقع الجغرافي الذي تعيشه وتتطلع خارج الحدود ولو ملمتراً واحداً •

أنا أقول ان على هذه الأحزاب ومن النوعين الماركسي والوحدوي أن يتوحدا على برنامج سياسي جديد غايته اعلان حرب تحرير على الرجعية العربية واليهودية وعبر عملية التحرير هذه يجري توحيد شعوب الأمة العربية بعربها وأكرادها وبربرها وسودانها واشورييها وطوارقها وشاشانها وأقباطها وشركسها وأرمنها من العرب ، المهم أن يكون البرنامج مستقطباً للجميع ولا يجب أن يكون في هذا البرنامج ما يخيف أقلية أو ما يمنح السيطرة لأكثرية • واذا كان لدى السوفيات مجلسان واحد للسوفيات والثاني للقوميات فيجب أن يكون عندنا ثلاث مجالس واحد للشعوب العربية والثاني مجلس الأمة العربية والثالث للاديان والمذاهب فالمهم هو الوحدة المتحصلة من كفاح يؤدي الى بناء دولة عربية واحدة ديمقراطية واشتراكية وعلى هذه الاحزاب أن تحصل على عون شعوب الاتحاد السوفياتي وحزبها الشيوعي بضرورة تطبيق هذا البرنامج لأنه سيخلق الدولة الوحيدة القادرة على انهاء عصر السيطرة الامبريالية وعلى خلق عصر استتباب السلام العالمي الوطيد والأبدي وهذه الدولة سترفع عن كاهل الشعوب الاشتراكية عبء الاتقان العتيد الذي يستنزفها لمواجهة الامبريالية ودعم الشعوب المكافحة •

أيها السادة اذا لم يحدث ذلك فان الفراغ الروحي الذي تعانيه البنية العربية ، سيملاه الاخوان المسلمون حتماً ولمصلحة الولايات المتحدة في المنطقة وسيخلقون حتماً مثل هذه الدولة التي نحلم بها جميعاً ولكن لمصلحة الهجوم على الالحاد الدولي ممثلا بالاتحاد السوفياتي ومن معه وستكون دولة حليفة لامريكا وعصاها الأغلظ والأحسم في كل الأمور وسيكون لهذه الدولة الاخونجية دور حاسم في تقريب البشرية من نهايتها بدفع شعوب العالم نحو الاقتتال الديني ودفع قوتيه الأعظم نحو زاوية التفجر النووي وانهاء البشرية •



● مناقشة حول :

محاضرة الأستاذ عبد الله الأحمد

☐ **الأستاذ يحيى يخلف :**

لقد وفّر الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب لهذه الندوة ، هذا الجو الديمقراطي الذي يتحاور فيه الرأي والرأي الآخر ... وفّر حرية الحوار الفردي والجماعي . ونتمنى على الجميع ، باحثين ومناقشين ومراقبين ، أن يحافظوا في حوارهم على روح هذه الندوة المكرسة لبحث قضيتنا المركزية قضية فلسطين ، وللتضامن العربي في كل مكان ــ ونفتح الآن باب الحوار والمناقشة . ولكن حرصاً على وقت هذه الندوة ، نرجو الجميع الاختصار والايجاز .

☐ **الأستاذ حافظ الجمالي :**

كنت سعيدا للاستماع الى هذه المحاضرة ، وقد رأيت أنها ذات أصالة وأشكر صاحبها عليها ــ والواقع أن اهتمامي كبير بهذه الندوة ، وكذلك اهتمام الحاضرين . وحتى هؤلاء الذين لم يحضروا ، أعتقد أنهم سيتمنون لو أنهم حضروا لأنهم عرفوا أن شيئاً في نفوسهم يمكن أن يجدوه هنا .

حل ما .. أو اقتراح بحل ما .. من شأنه أن يجعل خط الأمة العربية صاعداً بدلا من أن يجعله هابطاً . وعندما سمعت محاضرة الأخ الأحمد وجدت انها تنتهي باقتراح خلاصته : متى اتحدت الأحزاب الماركسية والبعثية واتفقت على برنامج مشترك واستعانت بالاتحاد السوفييتي ، فان الحل قريب جدا ــ شخصياً ، أتمنى أن أصدق هذا ، بل أكثر من ذلك .. لو قيل لي أن كل حرام حلال في سبيل الأمة العربية ، ولو أن السرقة والزنا ولعب القمار والخيانة والسفالة وكل أنواع الحماقات التي فطر عليها الانسان ، هي السبيل الى الخلاص لقبلت ذلك .

هناك دعوة الى حزب ، أو الى عمل حزبي بالاستعانة بالاتحاد السوفييتي . شخصياً ، أعتقد أن هذا الحل بسيط جدا ومبسط جدا ــ كنا في يوم من الأيام نقول بأن الرجعية هي سبب النكبة العربية . وانتظرنا مجيء التقدمية .. ورأينا أن النتائج عرضت علينا بها حرب ٥ حزيران ، مع قيادة تقدمية ، أسوأ بكثير من النتائج التي حلت بنا أيام الرجعية ــ اذن ، القضية في الواقع ليست بهذه البساطة .

منذ أوائل البعث ، كان الصوت الناطق بالبعث في عام ١٩٤٧ واثر التقسيم مباشرة ، يقول ما يلي : ان اسرائيل هي عبارة عن عقاب وتحذير . أما انها عقاب ، فلأنها نتيجة لتخلفنا الطويل الذي لم ينته بعد . وأما أنها تحذير ، فلأنها تريد أن تقرع الأجراس وتقول : أيتها الأمة العربية ، ان لم تصبحي متحضرة .. ان لم ترتفعي الى مستوى أعدائك حضارة ، فلن يكون بالامكان أن تقضي على عدوك ــ اذن ، العمل بالدرجة الأولى فيما أعتقد ... الحل بالدرجة الأولى هو الارتقاء بالشعب حضارياً . وعندما أقول حضارياً ، فأنا لا أعني مجرد الحضارة التكنولوجية فقط ، ولكن الحضارة الأخلاقية أيضاً . بمعنى استرداد القيم التي نتغنى بها دائماً ، ونقول انها قيمنا العربية . ومع ذلك فأنا أشك دائماً في الرأي الذي نبديه ، وأقول هذا رأيي ــ وأتمنى أن تصل مناقشات الجميع الى شيء يشبه أن يكون حلا . أما هذا الحل المبسط والمبسط ، فهو غير كاف .



☐ **يحيى خلف :**

شكراً للاستاذ حافظ الجمالي • والكلمة الآن للدكتورة ناديا خوست •

☐ **ناديا خوست :**

لا أنكر أن كلمة الأستاذ هزتني ـ فأنا أتوقع أن يكون مركـز ومحور البحث هنـا ، هو : الغزو الصهيوني • وفي كلمة الأستاذ الأحمد أفكار كثيرة•• بصعوبة أن نلحقها • ولكن سأبين فيما بعد أن لها خطأً ناظماً • مثلا ، قول اننا نحن العرب ،كما أراد الاستعمار ، اندفعنا الى طلب الاستقلال •أنا لا أجد مانعاً أبداً من أن نتحرر حتى المدينة الواحدة من الاستعمار• فيما بعد من الممكن أن تكون وحدة• وذكر أيضاً أن لبنان دفع شهيداً واحداً ، بينمـا دفعت الجزائر مليون شهيد ـ لا مجال للمقارنة ، لأن وضع الاستعمار في الجزائر كان مختلفاً •••كان استيطانياً ، في حين أنه لم يكن كذلك في لبنان ـ كانت هناك خصوصية لبنانية •• كان الاستعمار الفرنسي في لبنان ، ولهدف في نفسه ، يعطي بعض الحريات • كان يحترم بطريقـة مـا الشخصيـة الوطنية ، ولذلك لم يستعمل القمع الذي استعمله في الجزائر ـ هـذا لا يعني أن ننظـر الى الشعب اللبناني وكأنه لم يقاوم الاستعمار •كان لبنان من أوائل الدول التـي استقلت بعد الحرب العالميـة الثانية ، وهذا دليل على الروح الوطنية فيه ،دليل على مقاومة الاستعمار ـ أيضاً ذكر الاستاذ الأحمد أن الثورة الفلسطينية لا تشبه أي ثورة ، لأنهـا لا تتوفر فيها الايديولوجيـا أو وحدة القيـادة ـ أعجبتني جداً في كلمة السيد نايف حواتمة قولـه اننا بشر • نحن مثل الآخرين • نحن جزء من حركة التحرر الوطني في العالم •• نحو حرية أكثر نحو منظمات أفضل • وفي الصباح ذكر أن معركة لبنان هي معركة الفقراء الأوائل الذين رفعوا السلاح• طبعاً ذكر أن أحلام الثوار تبدلت • حتماً في هذا الجزء الكثير من الحقيقة ـ نحن الآن نجـد فراغ الشارع العربي ، لأن بعض الشعارات التي كان لها بريق في سنوات الخمسينـات ، فقد بريقهـا ـ الطفيليات مباشرة • الشعب العربي كان مع الثورة الفلسطينية خلال معارك لبنان • كان معها روحاً ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يعمل عملا كبيراً • اذن ، أحلام بعض الثوار ، ربما تبدلت بأوهام جانبية • انتقل الثوار مع مواقع الى مواقع ، لكنهم عمليـاً موجودون •

العلاقة الأمريكية الاسرائيلية ـ في مقابلاتنا مع المسؤولين السوريين ، كان هناك اصرار كبير على وجود هذه العلاقة ، وخاصة في مقابلتنا الأخيرة مع عبدالحليم خدام الذي أصر على أنه مـن الوهم أن نفصل بين أمريكا واسرائيل • ولكننـي وجدت في المحاضرة شيئاً من الفصل بين أمريكا واسرائيل • ليس هذا فقط ، ولكن كان أمريكا تخلت عن اسرائيل • نحن لا نوافق أبداً على هذا •• وأعني الشعب العربي المسكين • يؤلمنا أن الفصائل الفلسطينيـة تتصارع مع بعضها ، وأن هذه الفصائل تتصارع مع لبنان، وأن اللبنانيين يتصارعون مع السوريين• لأننا عملياً سوف نجد عاجلا أم آجلا أن العدو يهدد الجميع لابتلاعهم • الكل ضحايا مؤجلة أو عاجلة• لكن عندما حدث الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان ، أدركنا ومنذ اللحظة الأولى أبعاده الرهيبة • ولم نشك لحظة واحدة أن قصف صيدا وقصف صور يمكن أن يكون بمدفعية فلسطينية • وعلى الرغم من المشاكل التي كانت موجودة بـين اللبنانيـين والفلسطينيين في صيدا وصور ، فان اللبنانيين كانوا يميزون والى حد كبير بين الخطر الرئيسي والخلافات الثانوية العربية، أو الأخطاء العربية •• ومن بينها الأخطاء الفلسطينية ـ أنا أجد أن كل هذه الأفكار التي كانت متناثرة في المحاضرة ، أجد أن هنـاك خطأً ناظماً واحداً ينظمها • هناك تجاهـل لحقيقة أن الصراع العربي الرئيسي والمحور الذي ينظـم تاريخنا الحديث ، هو الصراع ضـد الاستعمار • الفرنسـي والانجليزي ، والآن ضد الاستعمـار الأمريكي والاستيطـان الصهيوني • هـذا الخط الناظم ، جعلنا أحياناً نظن وكان الاستعمار ضـد الوحدة العربية بشكل عام • الاستعمار الصهيوني والاستعمار الأمريكي والاستعمار الذي كان قبلهما، ما كان ضد الوحدة العربية بشكل مطلق • بالعكس الاستعمار الأمريكي والصهيونية استفادا تماماً ،وأكدا وجود وحدة بين الرجعية العربيـة ، وكانا



معها حتى الآن . اذا كانت هناك الأفكار السعودية والتخاذل العربي يستطيعان أن يوحدا العرب كلهم، فان الصهيونية ليس لديها مانع أبداً . بل ونجد أن كامب ديفيد هو نوع من وحدة عربية جديدة . ولكن أي وحدة ؟ نحن نريد الوحدة دائماً ، وان كانت عملياً موجودة . وحدة المقاتلين هي البذرة الأولى كما اتفق الاخوة الفلسطينيون والذين تحدثوا أمس واليوم ـ عملياً كانت هناك وحدة . كان الأدباء والكتاب والمثقفون والمقاتلون المصريون . كان هناك مصريون في جنوب لبنان . اذن هناك نوع من الوحدة . كان هناك عراقيون وسوريون ومصريون . نحن رأينا في المستشفيات مصريين جرحى . وحدة الشعب هي الباقية . وحدة الصراع ضد الاستعمار الأمريكي والصهيوني ـ الفكر الأدبي يمكن أن ينظر أحياناً الى حصار بيروت من هذا الجانب أو من الجانب الآخر . لكن نحن الآن لا نؤمن أبداً بالنظر الى حصار بيروت من وجهة نظر أدبية تضيع بعضاً من المعالم الرئيسية والهامة السياسية في حصار بيروت . حصار بيروت لم يكن أبداً خطأ من الجانب الاسرائيلي . الأخ نايف حواتمة وأبو عمار أمس ، قالا بأن الهدف كان سحق المقاومة نهائياً . أنا لا أستطيع أبداً بذكاء قيادة العدو . بالعكس ، تبين في حصار بيروت أن اسرائيل لا تنتصر بذكائها أبداً ولا بقوتها ولا بشجاعتها ولا بتكنيكها . تنتصر فقط بالتخاذل العربي وبعرب أمريكا الموجودين بيننا . اذن أنا لا أستطيع من وجهة نظر أدبية حتى أن أقول بأن هناك ذكاء قيادة صهيونية وهو الذي أفاد في حصار بيروت . أنا أعجب جداً بالذكاء العربي في بيروت . بالجمال العربي بجمال القامة العربية التي ظهرت لأول مرة بهذا الشكل الصادق والساطع والمدهش في بيروت . قامة فلسطينية وسورية ولبنانية وهي الوحدة الأولى في التاريخ . حدثتني طبيبة من مستشفى عكا في صبرا وشاتيلا والذي اجتاحه الاسرائيليون ، حدثتني عن امرأة لبنانية مسنة جاءت مقطوعة الرجلين . في فترة القصف جاء ٢٢ حادثاً من خلدة .. جنود سوريون بدون أرجل . وعدد كبير أيضاً من النساء اللبنانيات . تلك المرأة اللبنانية ، رفضت أن تسعفها الطبيبة الفلسطينية قبل اسعاف الجنود الآخرين . قالت لها أسعفيهم أولا لأنهم سيعودون الى القتال . أسعفيهم .. هذه هي القامة العربية وهذا هو الجمال العربي .

وقد اقترح علينا المحاضر شكلا من الدولة القادمة . كما تحدث عن أحزاب بعث وأحزاب ماركسية عربية . وأنا لي ملاحظات كثيرة على الممارسة ، ولكنني أرى أن حزب البعث أو الاحزاب الشيوعية موجودة وممثلة لطبقة ولأفكار . فاذا رأيناها ضعيفة أو لديها مشاكل ، فيجب أن نحترمها . يجب أن نحترم الرأي الآخر .. أن نحترم التعدد وأن ننطلق منه وأن نناضل من أجل الجبهة الواحدة للوصول الى صيغة مشتركة لصياغة كيفية صراعنا مع العدو الصهيوني .

□ **الأستاذ محمد سعيد مضيه**

أعتقد أن أي فكر يعتمد على مقولات هي أشبه بالأحجار بالنسبة الى البناء . ويؤسفني أن أقول ان مقولات الأستاذ الأحمد فيها شيء كثير من الخطأ والبعد عن الواقعية ، مما يؤثر في بنائه الفكري الذي قدمه في هذه المحاضرة وليعذرني على هذا القول .

أولا : اننا أمة تستخدم عاطفتها ، نحن عاطفيون وممتلئون عاطفة الى درجة الطرب . ان هذه التهمة توجه الى الشعوب الشرقية والى الشعب العربي ، وننسى أننا سمعنا هذا الصباح أن ريغان يهدد الدول العربية بأنه في شهر ٣ أو ٤ سنبدأ سنتوقف عن المشروع وسنبدأ بالانتخابات ، أي سنبدأ بالتكذيب على الشعب الأمريكي أي أن أمريكا تكذب على شعبها ، وشعبها يتأثر بالأكاذيب . ما معنى هذا ؟ أيضاً في بريطانيا كل ٢٥ سنة يرفع الستار عن وثائق سرية . هذا يعني أيضاً أن الادارة الأمريكية والادارة البريطانية تلجأ الى الأكاذيب لتضليل شعوبها وافهامها بالأمور غير الصحيحة لتبرير ممارسات بمفاهيم غير حقيقية ، وينخدع الشعب الأمريكي وينخدع الشعب البريطاني



وينخدع الشعب الفرنسي في الحروب التي شنتها فرنسا ضد الجزائر وضد فيتنام ، وتخدع شعوب أخرى. اذن الرجعيون أينما كانوا يخدعون شعوبهم وينمون لديها العواطف. أي عالم من العلماء لا يعمل بحثه بعاطفة واندفاع ؟ العاطفة ليست عاراً ولا عيباً ، وليس صحيحاً أن العاطفة تحل محل العقل ، وأن العقل يستغني عن العاطفة ، وانما العاطفة تمتلىء بالمعاني النبيلة وتكتنز بكل ما هو شريف وخير اذا استخدمت مع العقل واذا جاءت تتفق مع قضايا التقدم ، مع قضايا التحرر ، مع القضايا الانسانية . أما الرجعيون المعادون للانسان فهم يعبئون الجماهير بما هو ليس انسانياً . ليس من المعارف فقط ، بل ومن القيم والمثل والمعايير السلوكية . وهنا نأتي الى كلمة ثقافة ، ليست الثقافة هي معرفة فقط، الثقافة هي معايير سلوكية. هي قيم أخلاقية ومسلكية ، هي مثل توجه المجتمع. وقد نتقدم معرفياً ولكن قد نتورط في مجتمعات استهلاكية تنمي لدينا قيماً متخلفة وهنا تعمل المعرفة ضدنا .

لم تقم ثورة حقيقية الا ثورة الجزائر ، دائماً وأبداً التضحيات والخسائر لا تقاس بها الثورة . الذي يفرض على الثورة الخسائر هي القوى الرجعية المتمسكة بالقديم. تضطر الشعوب والقوى التقدمية الى أن تخوض النضال ، هذا النضال قد يستخدم الأساليب السياسية قد يستخدم أساليب القمع ـ العنف ليست مسؤولة عنه الحركات التقدمية ، انما المسؤول عنه القوى الرجعية المتشبثة بالماضي ، وبقدر ما تتشبث القوى الرجعية بالماضي بقدر ما تفرض العنف. ولذلك اذا كانت الثورة الجزائرية قدمت من الشهداء مليون ونصف أو الثورة الفلسطينية اضطرت لتقديم الشهداء وستقدم المزيد منها ، فما ذلك عيب على الثورة أو لصالح الثورات ، بقدر ما هو عيب على القوى الرجعية التي اضطرت هذه الثورات أن تنهض ضدها . وأيضاً لا نستطيع أن نقول ان الثورات لا تتماثل ، ولا نستطيع أن نشبه الثورة الفلسطينية بالثورة الفيتنامية أو الكوبية أو ثورة ١٩٠٥ في روسيا ، لأننا نكون عندئذ نسخر من التاريخ . لأن لكل ثورة خصوصيتها ولكل ثورة أسلوبها في التطور والقوى الاجتماعية الدافعة لها والقوى الاجتماعية المعارضة لها والقوى الدولية المتحالفة والمتصارعة .

اسرائيل تتحكم بالادارة الأمريكية :

وأعتقد أن أخطر المفاهيم . اسرائيل ليست الا أداة صغيرة بيد الولايات المتحدة ، تستطيع أمريكا أن تزيح بيغن وتدفعه خارج الأحداث السياسية . وتستطيع أن تمنع عن اسرائيل الهواء الذي تتنفسه .. ولا نقول القوت ، ولا نقول الأسلحة ، ولا نقول الأموال ـ اسرائيل ليست الا أداة بيد الامبريالية ، أنشأتها وطورتها وساعدتها لكي تقوم بدور الدركي ضد الشعب العربي وحركات التحرر العربية . ونحن نذكر في الخمسينات عندما قاومت سورية حلف بغداد ، كيف أن اسرائيل تحدتها واستفزتها واستمرت في صدام معها ،وكيف تعاونت مع تركيا ومع عراق نوري السعيد من أجل الهجوم على سورية لاخضاعها لحلف بغداد .ونحن نعرف عبدالناصر عندما عارض الأحلاف أيضاً عام ١٩٥٤ ، هجمت اسرائيل على غزة وضربت المستشفيات وأجبرت عبدالناصر في حينها أن يعيد النظر في موقفه من الغرب وأن يتوجه الى الدول الاشتراكية ليطلب منها السلاح وقدمت له السلاح . نحن نتذكر الأردن أيضاً عندما قام بطرد غلوب ، قامت اسرائيل بعدوان في حينه من أجل اجبار الاردن على البقاء ضمن الأحلاف .

اسرائيل ، والحركة الصهيونية ، في جميع مراحل تطورها كانت ألعوبة بيد الأمبريالية وأداة بيدها ولا زالت حتى الآن ـ وتستطيع أمريكا في أي لحظة أن تجبر اسرائيل على أي تنازل ترغب فيه الولايات المتحدة ـ المهم ، أن تشعر أمريكا من خلال ميزان الربح والخسارة كم تربح اذا ضغطت على اسرائيل ، وكم تخسر . كم تربح اذا تجاوبت مع العرب وكم تخسر .

القضية هي : نحن ، هل نستطيع ؟



جـــواب عـــلى أســئلة ومــداخـلات

حـــول محـــاضـــرة عبـــدالله الأجمـــد

أولا أرجو أن تسمحوا لي بتوضيح قصير أفيدكم به بأنني قرأت عليكم محاضرتي واكتشفت أثناء القراءة ان هناك صفحة كاملة قـد سقطت أثنـاء النسخ · ولا أريد بالطبع أن أعود لأقرأ عليكم صفحة جديدة ، لكنني أريد أن أكملها وأنا أرد على تساؤلات الأستاذ حافظ الجمالي التي وددت لو أنها أعمق مما سمعت وسمعتم لأنه من المؤسسين لحزب البعث ·

أيها الأجلاء أريد أن أقول للأستاذ حافظ ليس المطلوب فقـط اتحاد أحـزاب البعـث الوحدويـة الاشتراكية + الأحزاب الماركسية العربية ، ليس كذلك فقط ، بل انــه اذا لم تتحـد هذه الأحـزاب لتتشكل حركة تحرير وتوحيد للشعوب العربية ، فان الشبيبة العربية اليوم تعاني فراغاً روحياً ستملأه أية قوة جاهزة للعمل ، وان القـوة الوحيدة الجاهـزة للعمل على ساحة الوطن العربي ، هي قوة الاخوان المسلمين ، وان دولـة أخونجيـة كما يسمونهـا في تونس ، أو دولة لحركـة الأصلاء كما يسمونهـم في الجزائر ، ان مثل هذه الدولة عندما تشعر أميركـا بالحاجة اليها تماماً ستؤدي الى عملية توحيد حقيقي للوطـن العربي ، ولكـن بزعامة أميركا ولخدمـة أهدافها ، وستكون العصا الدينيـة الغليظة التـي تقدم وقوداً حقيقياً «في الكفاح» ضد الاتحاد العالمي، أي ضد الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية ·

أريد أن أقول للأستاذ حافظ الجمـالي ليس الأمر متوقفاً على القول لو أن الوحدة تأتي بالزنـا لزنيـت أو بالسـكر لسكرت أو بالسـفالة لمارست السفالة · ان الأمر في بناء محاضرتي هو أمر عقلاني أولاً وأخيراً ، وأرجو أن ننتبه الى هذه النقطـة ،فما من مرة في أيام عبد الناصر حدث فيها عـدوان اسرائيلي الا ودخل الملك سـعود في بذلة الكاكـي الناصرية ودخل عبد الناصر في العباءة السعوديـة وصار الحسين صديقاً بعد عداوة ، وبالتالي فـان الرجعية العربية ليست بحاجة الى كبير ذكاء لتعرف بأن وجود اسرائيل بالتالي ضرورياً لوجودها ، ولولا هذه المعركة القومية بين العـرب واسرائيل لكـانت المعركة بالتاكيد طبقية · وفوراً ، لقد قلنـا كبعثيين ومئات المرات أننا مع الوحـدة ولو بزعامة الملـك خالد لأن الوحدة بذاتها ثورة ، وعلينا اليوم أن نقول ان هذه الأمنية مستحيلة ولا بد للوحدة العربية مـن دولة كبـرى ترعى قيامهـا وهي حصـراً الاتحـاد السوفياتي ، لأن شعار ــ لا شرقية ولا غربية ــ كان وما يزال شعاراً تهيجياً وسخيفاً ، لأن معادلات العصر الحديث اذا ما طبقت عليه تؤدي الى اسقاط فكرة الوحدة نفسها اذا كانت كما قال المؤسسون الأوائل لحزب البعث : وحدة يعاديها الشرق والمقصود هنـا « السوفيات » والغرب والمقصود وقتها الاستعمـار البريطاني والفرنسي · ان الوحدة العربية وحدة الشعوب العربية لتأسيس وطن عربي واحد اشتراكي، هذه الوحدة في مصلحة شعوب الاتحاد السوفياتي لأنها ستنهي مد الامبريالية العالميـة بمقومات وجودهـا ووجود اسرائيل ، وبذلك ترفع عن كاهل الـدول الصديقة عبئاً انفاقياً فظيعاً ، وتحدث هذه الوحدة تفاعلات دولية تنهي كما أسلفت عصر الامبرياليـة وتوطد سلاماً عالمياً حقيقياً · وفقط أرجو العـودة الى نص المحاضرة حرفياً ·

أما الدكتورة ناديا خوست فانني لن أتوقـف طويلا عند تعليقها ، لأنها لو قرأت ما كتبته تمامـاً وناقشتني به لحذفت كثيراً مما قالت ، أو لو سمعتني بعقلها لا بعاطفتها لغيرت رأيها ، فانا لا أختلف مثلا مع الرفيـق نايف حواتمـة بأننـا نحن بشر مثـل الفيتناميين والكوبيين هذا لا خلاف عليه يا دكتورة ناديا ··· الخلاف كيف نوظف انسانيتنا عميقاً في نصرة قضايانا الاستراتيجية ، فلقد كاد الأخ ياسـر عرفات بالأمس أن يبكيني عندما قال بانه خرج مـن بيروت تعاطفـاً مع الأطفال الجـرحى ورحمة بهـم



وبالعجائز وغيرهم وغيرهم ٠٠٠ أنا أقول اذا كان قلب القائد رقيقاً ورحوماً وعطوفاً الى هذه الدرجة فعليه أن لا يعرض نفسه لخطر رؤية المناظر التي تجعلـه يتخذ قراراً في غير مصلحـة شعبه ٠ ثم هل القـرار الذي اتخذ حفـظ الناس أم دمرهـم بعد خـروج المقـاومـة ؟!!

لقد خلطت الدكتـورة ناديا في فهمها للتحـرر القطري والتحرر القومي بحيث ألغت من ذاكرتهـا تماماً قضية اتفاق سايكس ـ بيكو وهو الذي نفذناه تماماً كحركات تحرر قطرية عربية ، وهو ما تندفع الثورة الفلسطينيـة وراءه بمحاولة اقامة دولـة فلسطينية في وقت نرى فيه بأم أعيننا حال الـدول العربية المهترئة قطرياً وجميعاً دون استثناء ٠

طبعاً الأخ أمين النفوري خرج عن الموضـوع كلياً ، أما الأخ محمد سعيد مضية ـ فلقد فهم بحماس قضايا مقلوبة تماماً ـ وأنا أصر على اننا عاطفيون وهذا خلل حقيقي في تركيبنا النضالي ، وكفلسطينيين أولا ، اذ أرجو أن تفسروا لي بأي عقل نقبل مـن قيادة فلسطينية ونبرر لها لقاءاتها الأردنية الحديثة وهي التي قدم لها حافظ الأسد في أعقاب اتفاقيـات سيناء قدم لها مشروعاً بتوحيد الدولة السورية مع الثورة الفلسطينيـة وحدة كفاحية يقرر الشـعب الفلسطيني مصيرها بعد التحرير ٠ ومع ذلك تذهب الثورة الى قاتلهـا اليوم وكـل الدلائل العقليـة والمنطقية تقول بأن على الثورة الفلسطينية أن تتعامل مع سورية بعقـل استراتيجي تكون فيه الصـورة الفيتنامية هي الأنموذج ، وتكون دمشق في موضـع هانوي ، والقدس بموضع سايغون ، وتكون الأردن بموضع كمبوديا ، ولبنان بموضع اللاوس ، أليست هذه هي الصورة الكفاحية الصادقة ؟ وغيرها تزييف ولعب بالعواطف ؟

وشكـراً

عبدالله الأحمد



ملاحظات حول التجربة
اللبنانية - الفلسطينية

د. محمد العربي الزبيري

ان أفضل ما يمكن أن أستهل به هذه المداخلة مقولة المفكر الشهير عبدالرحمن الكواكبي ، ومفادها : أن الشعب اذا جهل خاف ، واذا خاف استسلم ، واذا استسلم انتصر الظلم والاستبداد • أما اذا علم فانه يقول ، واذا قال فعل •

والشعب العربي ، اليوم ، محجم عن العمل ، واقف من قضاياه الأساسية ، موقف غير المعني ، نتيجة جهله للحقائق المحجوبة عنه وبسبب ابعاده المقصود عن ميادين التسيير الفعلي •

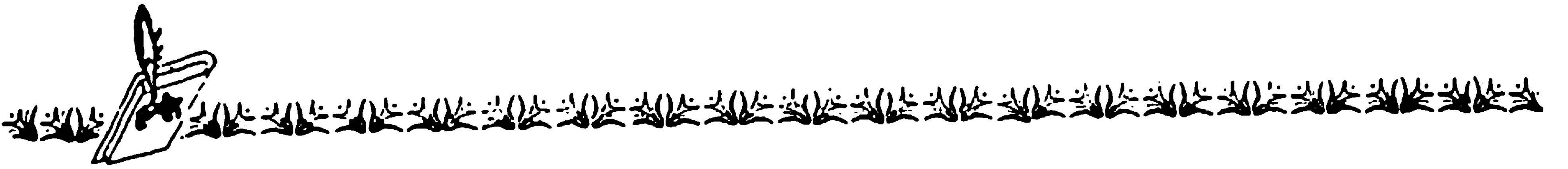
ان جماهيرنا ، في الواقع ، لا تكاد تعرف ما أصابها ويصيبها • انها تعيش في شبه ذهول كلي لأنها لا تفهم ، ومعقول ألا تفهم ، كيف أن أنظمتنا المختلفة التي تملك أكبر الثروات الطبيعية وتتحكم في الأعداد الهائلة من الاطارات المقتدرة ، تقف عاجزة أمام عبث الكيان الصهيوني ليستمر في الوجود والذي يمثل ، من حيث العدد ، أقل من ٣٪ من مجموع السكان العرب •

فمن هذا المنطلق أستطيع القول بأن عقد هذه الندوة مبادرة بالغة الأهمية خاصة اذا وفرنا لها غطاء اعلامياً كافياً ، وزودناها بالأرضية الديمقراطية التي تسمح لكل مفكر عربي أن يتحاور بصراحة مع صانعي القرار في شقيه السياسي والعسكري •

ان الأغراض الصهيونية واضحة منذ اليوم الأول الذي فقدنا فيه الأرض الفلسطينية ، والعالم كله يعرف تلك الأغراض التوسعية ويتتبع عن كثب مراحل السياسة الامبريالية الرامية لتحقيقها •

لقد ذكر السيد كوزاك رئيس اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين في رسالة وجهها الى رئيس الولايات المتحدة انه عثر على خطاب كان الارهابي بيغن قد ألقاه أمام ممثلي الجيش في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، جاء فيه : « عندما ننظر الى الشمال نرى سهول سوريا ولبنان الخصبة ، والى الشرق بترول العراق ، بينما يوجد الى الغرب بلد المصريين ••• وما لم نحل مشاكلنا الترابية بالقوة ، فاننا لن نحصل من الأرض على ما يكفي لنمونا وتطورنا ••• فعلى الاسرائيليين ألا يرحموا عدوهم ، وألا يرأفوا به الى أن يتم تقويض الثقافة العربية المزعومة التي سنبني ، على أنقاضها ، مجدنا وحضارتنا » •

كما ترون ، ليس هناك أوضح من هذه السياسة • وبالمقابل هل بامكان أي مسؤول عربي مهما كانت امكانياته أن يحدد السياسة العربية المناهضة للغزو الامبريالي الصهيوني ، لأن مثل هذه السياسة غير موجودة لسببين أساسيين :



١ – عمل الأنظمة العربية على ابقاء الجماهير الشعبية بعيدة كل البعد عن تسيير شؤونها بنفسها ، وعلى عدم اشراكها في معالجة قضاياها الأساسية حتى تكون معنية بالدرجة الأولى ومسؤولة عن تنفيذ القرار الذي تكون قد اشتركت في اتخاذه ·

٢ – عدم تفطن الأنظمة نفسها الى أن تبعيتها للشرق أو للغرب لا تجدي نفعاً ، باستثناء خدمة المصالح الشخصية ، ومضاعفة الثروات الطائلة المنهوبة والمودعة في بنوك الغرب الاستعماري أو المبذرة ، بكل وقاحة في أسواقه وملاهيه ·

أعود ، الآن ، الى الحديث عن النقطة الأولى من جدول الأعمال الموضوع لهذا اللقاء الأخوي · وأستسمحكم ، في البداية ، أن أؤكد على ملاحظتين اثنتين ، راجياً أن تجدا منكم كل العناية وكذلك التأمل الكافي قبل الحكم لهما أو عليهما · المهم الا ننسى بأن الحوار الصريح وحده هو الذي يمكن أن يعيد تأهيلنا كمثقفين مطالبين باحتلال الصدارة في كفاح هذا الشعب العربي الذي ينتظر منا الكثير الكثير وحتى لا نبقى في مؤخرة القافلة أو في وسطها للتصفيق والتهليل ·

الملاحظة الأولى تتعلق بالصراع العربي الامبريالي الصهيوني ، هل يحق لنا أن نتحدث عن الصراع ونحن نعرف انه لا يكون الا بين طرفين يملك كل منهما ارادة المقاومة حتى لا أقول القتال· أما اذا كانت الهجومات تتم من جانب واحد ، فان الأمر يصبح اعتداء عليه · وكان أحرى بنا أن نعالج موضوع الاعتداءات الصهيونية الأمبريالية على الأمة العربية في هذه أو تلك من المناطق الجغرافية المكونة لما يسمى بالوطن العربي ·

انني لا أرى أين يوجد الصراع · وفي أية فترة كان لنا صراع مع الصهيونية والامبريالية · اننا لم نزد ، منذ مستهل الحرب الامبريالية الأولى ، عن الاكتفاء بتلقي الضربات التي أفقدتنا الحس والشعور وصيرتنا نرتاح أو نستكين للاهانة والاذلال ·

والملاحظة الثانية تتصل بالصفة المضفاة على التجربة فهل هي بحق لبنانية فلسطينية؟ أما فلسطينية فنعم لأن الهجمة الصهيونية الأمريكية وجهت أساساً ضد منظمة التحرير ومخيمات اللاجئين ، وكان على الفلسطينيين أن يتجندوا وأن يعتمدوا على أنفسهم بالدرجة الأولى في تصديهم لعمليات الغزو التي تستهدف استئصالهم أو اخراجهم من بيروت على الأقل · أما لبنان ، فان الجبل كان ضد الوقوف في وجه الصهاينة وضد تمركز الفدائيين هناك · ولو كانت ارادة القتال متوفرة في الجبل لما كان الوضع ما تعلمون ولما استطاع جيش العدو أن يكتسح المنطقة وكأنه في جولة سياحية · والجنوب ، أيضاً ، لم يكن مستعدا للمقاومة ، ولا مرتاحاً لوجود الفلسطينيين حتى كمجرد مواطنين عزل من السلاح ، وأما عن بيروت الشرقية فاننا لسنا في حاجة هنا ، الى التعرض للعداوة التي كان ولا زال يبديها الكتائبيون للثورة الفلسطينية بصفة خاصة وللعروبة الحقة بصفة عامة ·

بعد ما تقدم يحق لنا أن نتساءل : ما هو لبنان الذي خاض التجربة مع الفلسطينيين ؟ ونجيب بكل بساطة انه لبنان الحركة الوطنية · ومن ثمة يكون أقرب الى الصواب والانصاف لو قيل أن هذه النقطة تعالج تجربة فلسطين والحركة الوطنية اللبنانية في صد العدوان الصهيوني الأمريكي ·

بعد ذلك ننتقل الى هذه التجربة فنقول بدون أدنى تردد : نعم لقد كانت ظاهرة نوعية جديدة في التصدي للهجمات الامبريالية الصهيونية على الوطن العربي · ذلك لأن الحروب السابقة كلها كانت تستهدف الأراضي والثروات العربية من خلال ضرب الأنظمة القائمة · وكانت الأنظمة ، بدورها ، تتظاهر بالدفاع عن سلامة التراب الوطني وصيانة الكرامة والشرف حتى لم يعد فيهما ما يستحق الصيانة ·

رأينا هذه الظاهرة سنتي ٤٧ و ٤٨ وسنة ١٩٥٦ ثم سنة ١٩٦٧ وقد شذت عن ذلك حالة الحرب التي عرفناها سنة ١٩٧٣ لأنها كانت باغماضة آتية من أمريكا لخلق الظروف اللازمة لاخراج الاتحاد السوفياتي من مصر ثم من البلاد العربية بصفة عامة في مرحلة ثانية · لكن حتى في هذه الحالة ، فان الظاهرة بقيت هي هي بفارق واحد هو أن المبادرة كانت للنظام المصري ·

أما سنة ١٩٨٢ ، فان الأمر كان مغايراً تماماً، لأن الهجمة المسلحة لم تستهدف في هذه المرة أي واحد من الأنظمة ولكنها اتخذت هدفاً لها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ·

وتشكل التجربة ظاهرة نوعية جديدة لأسباب أخرى نذكر من أهمها :

آ ـ ان اسرائيل ، لأول مرة ، لم تحقق أهدافها المعلنة • لقد قال الصهاينة في بداية الحملة انهم سيقضون نهائياً ، على منظمة التحرير وانهم سيدخلون بيروت الغربية لتنظيفها من الفلسطينيين • لكنهم بعد تسعين يوماً من الحصار لم يدخلوا العاصمة اللبنانية الا بعد أن خرج منها المقاتلون الفلسطينيون • في حين تمكنت المنظمة من اجتياز الامتحان وهي أكثر قوة سياسية وأعظم شأناً في نظر الرأي العام الدولي •

ب ـ ان الخسائر المادية والبشرية التي منيت بها قوات الكيان الصهيوني تجاوزت كل الخسائر التي أصابتها خلال سائر الحروب التي خاضتهاضد الأنظمة العربية مجتمعة • وهذه النتيجة ، كافية للتدليل على أن الارادة وحدها قادرة على الصد والتحدي •

وبالاضافة الى كل ما تقدم ، فان هذه التجربة قد أظهرت بعنف أن أوضاع العرب ، لكيتستقيم، في حاجة ماسة الى نضال دائم ومستميت يمارس على جبهتين تتطلب كل منهما تعبئة عامة لحاملي الأقلام والبنادق •

أما الجبهة الأولى فنسميها داخلية لأنهاترمي الى توفير الشروط الموضوعية لشن ثورة عارمة ضد الاستبداد والسلوكات المتعفنة وضد ممارسة الاقطاع بجميع أنواعه ومن أجل ارساء قواعد الديمقراطية الحقة التي لا بد منها كتفتح الشخصية وتثبيت الهوية •

وأما الجبهة الثانية فنسميها خارجية • لأنها تهدف الى تضييق الخناق على الأنظمة العميلة وحملها على الدعوة الى رفع السلاح من أجلتحرير فلسطين والجولان والضفة وسبتة ومليلة وغيرها من المناطق المغتصبة ، لأن السلاح وحده هو اللغة التي يفهمها الاستعمار سواء كان امبريالية أو صهيونية أو تمييزا عنصرياً •

واذا كان للسلاح دور فعال في تحرير الشعوب ، فان الكلمة المقاتلة تؤدي هي الأخرى وبنفس الفعالية دوراً هاماً وضرورياً لاعداد الجماهير الواسعة لخوض المعارك على جميع الجبهات •

ولقد كان لكم ، في الجزائر ، أيها الأخوة ، أروع الأمثلة على ذلك • حيث كانت الكلمة المناضلة تعمل جنباً الى جنب مع البندقية في أيام الحرب ، وبمفردها في أيام الهدنة ، لأن الشعب الجزائري لم يعرف السلاح منذ أن رست أول باخرة استعمارية على شواطئنا الى غاية أن تحقق الاستقلال الوطني •

لقد استمرت المقاومة المسلحة تحت رايةأحمد باي والأمير عبدالقادر مدة مائتين وعشرين شهرا متتالية وفي الوقت نفسه كانت الأقلام الوطنيةمجندة في الجزائر وباريس لخوض المعركة السياسية • تكفي الاشارة هنا الى مقالات ومذكرات ومؤلفات السيد حمدان بن عثمان خوجة •

بعد ذلك شملت الثورات المتقاطعة مختلف مناطق البلاد • فكانت تسمى ثورة الزعاطشة سنة ١٨٤٩ ، أي بعد عام فقط من انتهاء مقاومة أحمد باي ، وثورة لاله فاطمة نسومر سنة ١٨٥٦ ، وثورة الزاوية الرحمانية المشهورة بثورة المقراني سنة ١٨٧١ ، وثورة أولاد سيدي الشيخ على مرحلتين الأولى سنة ١٨٦٣ والثانية سنة ١٨٨١ ، وثورة الهوقار سنة ١٩٠١ ، وثورة الأوراس سنة ١٩١٦ ، وثورة قالمه ـ خراطة سنة ١٩٤٥ وأخيراً نوفمبر العظيمة سنة١٩٥٤والتيجاءت بالاستقلال سنة ١٩٦٢ •

وثورة نوفمبر ما كانت لتنجح لو لم تعتمد أساساً على الجماهير التي تمت توعيتها بواسطة لجان شعبية ثم وضعت أمام مسؤولياتها التاريخية• وبهذه المناسبة اسمحوا لي أورد مقولة خالدة للشهيد العربي بن المهيدي الذي كان أحد الستة الأوائل الذين قرروا اشعال فتيلة الثورة ، هذه المقولة هي : ساعدوني على انزال الثورة الى الشارع وأنا أضمن النصر • واليوم ، فان الثورة في فلسطين قد نزلت الى الشارع في كافة أنحاء الوطن العربي ، وبذلك طرحت علينا السؤال التالي :

هل الأنظمة العربية ، بعد كل ما حدث ، وبعد هذه السنوات الطويلة من التجارب ، قادرة اليوم على التكيف مع الوضع الجديد لاعطاء جماهيرنا الشعبية كل أو جل ما هي في حاجة ماسة اليه ؟ وكيف يمكن لها أن تتحول من حالة التبعية



التي هي عليها ، الى أدوات ثورية تعمل فقط من أجل تجسيد مطامح الأمة العربية التي سئمت الهزائم ، وملت حياة الذل والمسكنة ؟

انه لا ينبغي أن نكون منجمين أو عالمين بالغيب لكي نجيب بدون تفكير طويل ونثبت أن جل الأنظمة العربية غير مستعدة للتضحية بالمصالح الشخصية المشار اليها أعلاه، والاعتراف بالعجز عن الارتفاع الى مستوى المطامح الشرعية لجماهير الأمة المعذبة والمحرومة ٠

فالارتفاع الى مستوى تلك المطامح يتطلب من حكامنا أن يقولوا لنا الحقيقة عارية بالنسبة لقضيتنا الرئيسية : فلسطين ٠ وبالنسبة لهذه المواقف المتخاذلة ازاء أعدائنا الذين صاروا يرفضون ركوعنا ، ويستهزؤون من سجودنا لهم ، وازاء ما يسمى بالمنظمات الدولية التي هي ، في الواقع ، تنظيمات أمبريالية ، تستعمل للاذلال والاستغلال حسب ارادة ورغبة الولايات المتحدة الامريكية ٠

لسنا ندري مثلا ، لماذا لا يقال للجماهير أن القضية الفلسطينية ليست هي قضية الشعب الفلسطيني وحده ، لأن فلسطين لم تضع من الشعب الفلسطيني ، ولكن الذي أضاعها ، في السنوات الثلاث الأولى من الحرب الأمبريالية الأولى ، خيانة الحكام العرب الذين انفصلوا عن الدولة الاسلامية الكبرى ، ووقفوا ضدها الى جانب الاستعماريين البريطاني والفرنسي، وحتى عندما كشفت الثورة الروسية أبعاد المناورات الاستعمارية وفضحتها بواسطة وسائل الاعلام وعن طريق الرسائل الشخصية للمعنيين بالأمر ، فان هؤلاء الاخيرين لم يستيقظوا أو فضلوا ذلك لأن فيه مصالحهم الشخصية ٠

وعلى الرغم من ذلك ، فان الأنظمة العربية لم تتعظ وظلت تمارس سياسة النعامة ، وتثق ثقة عمياء في تصرفات أولياء الصهيونية وحماتها ، وتطلب منهم التدخل لحل المشكل بكيفية عادلة مثل ما هو واقع اليوم ٠٠ والتاريخ يعيد نفسه ٠

اذن فقضية فلسطين هي قضية الشعب العربي الذي عليه ، اليوم ، أن يدفع ثمن خيانة حكام ساهموا في تنويمه وتجهيله ليسهل استعباده واضطهاده وابعاده عن التسيير ، وحرمانه من الحرية والديمقراطية في كافة الميادين ٠

ومما لا شك فيه أن التكفير عن الخيانة يتطلب من الأنظمة، بادىء ذي بدء، أن تربح ثقة الجماهير، ولن يتسنى لها ذلك الا اذا وفرت لها اعلاما صادقا وأشركتها في اتخاذ القرار ، وبرهنت على قدرتها في اعطاء المثل الأسمى سلوكا وعملا وفي تمكين نفس الجماهير وفي جميع المستويات من أن تناقش بحرية كل المشاريع التي لها صلة بمصيرها ومن أن تعطي رأيها في الحلول المقترحة حتى تكون مسؤولة عن النتائج والخواتم مهما كان نوعها ٠

ان هذه المطالب الحيوية لن تتحقق الا اذا أدرك المثقفون العرب خطورة الدور الذي عليهم أن يقوموا به في مجالس التوعية والتعبئة ٠ فالكلمة ، اذن ، لنا نحن والمسؤولية ملقاة علينا بكل أعبائها ٠



◍ مناقشة حول :

محاضرة الدكتور محمد العربي الزبيري

☐ **الأستاذ أمين النفوري :**

سؤال بسيط ·· سمعت من الفرنسيين وكندي في فرنسا عام ١٩٥٤ قالوا ان الذي قام بالثورة الجزائرية هم الجنود الجزائريون الذين كانوا في الهند الصينية واستفادوا من التجربة ورجعوا الى الجزائر وقاموا بالثورة من جملة ما قاموا · فما هو تأثير هؤلاء الجنود الذين كانوا في الجيش الفرنسي عام ١٩٥٤ ؟

☐ **الأستاذ الزبيري :**

الثورة الجزائرية قرر اشعال فتيلها ستة أشخاص · خمسة أشخاص في البداية ثم انضم اليهم سادس · ومن هؤلاء الستة ليس هناك من كان في الهند الصينية ـ الشهيد العربي بن المهيدي كان مناضلا في حركة الانتصار للحريات الديموقراطية ومنظمات خاصة · ديدوش مراد نفس الشيء ، وديدوش مراد عندما اندلعت الثورة كان عمره ٢٧ ـ ٢٨ سنة · مصطفى أبو العيد كان عضواً في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديموقراطية ،اذن نفس التشكيلة · محمد بوضياف نفس الشيء ، كان أيضاً مناضلا في المنظمة الخاصة · رابح بيطاط لم يك أيضاً جندياً في الجيش الفرنسي · كلهم كانوا مناضلين أو مسؤولين في حركة الانتصار للحريات لديموقراطية والمنظمة الخاصة ·

☐ **الأستاذ ناجي علوش :**

أيها الزملاء أيها الحضور الكرام ،

لدي ثلاث ملاحظات فيما يتعلق بما طرحه لزميل محمد العربي الزبيري ·

الملاحظة الأولى :

تتعلق بأسلوب الزملاء الجزائريين في مناقشة ، أو بعض الزملاء الجزائريين في مناقشة قضاياهم الخاصة المتعلقة بالجزائر والقضايا العربية العامة، هم أولا ينطلقون وكأنما الجزائر أو فلسطين أو سورية أو الأردن هي أقطار قائمة خالدة لها تاريخها وجغرافيتها ودولتها وأن علينا جميعاً أن نأخذ ذلك بالاعتبار عندما نتحدث · ولذلك عندما تحدث الزميل العربي الزبيري عن القضية الفلسطينية أشار ما معناه ، اسمحوا لي أنا لا أريد أن أتدخل في الشؤون الفلسطينية ·

أيها الزميل العزيز :

نحن نعتبر أن هنالك وطناً واحداً وقضية واحدة ، ونعتبر آن من حق كل عربي أن يتدخل في شؤون كل هذا الوطن ، ومن لا يتدخل فهو يتخلى عن مسؤولياته الكبيرة ويقبل بمسؤولية جزئية صغيرة · أما أنا فلا أقبل ذلك ، وأدعو كل مثقف وكاتب وأديب ووطني عربي أن يرفض أن يعتبر أن له قطراً واحداً من هذا الوطن فله كل هذا الوطن ومن حقه أن يتعاطى مع كل قضايا هذا الوطن ·

الشيء الثاني أن بعض الزملاء الجزائريين أيضاً ، يحاولون دائماً اقناعنا أن ما جرى في الثورة الجزائرية ، جرى ·· أصبح حقيقة واقعة ، وأننا عندما ندرس الثورة فعلينا أن نأخذ تفسيراتهم فقط،



وأن نعتبرها وأن نحترمها وأن نعتبرها علمية ونهائية ـ الحقيقة أن تاريخ الثورة الجزائرية هو تاريخنا والانتصار الذي حصل في الجزائر بهزيمة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي ، هو النصر الحقيقي العربي الوحيد الذي تحقق في هذا العصر ، لأن قضية الجزائر كقضية فلسطين تماماً : كان هناك مجتمع استيطاني وهو مرتبط بدولة استعمارية كبرى ، واخراج هذا الاستعمار الاستيطاني واقامة دولة عربية كان معجزة حقيقية • وعندما زرت الجزائر بعد الثورة اقتنعت أن فلسطين ستعود ، وهذا حق ونحن نعترف به وهو ليس ملكاً لهم فقط ، فهو ملكنا أيضاً • ولكن تفسير أحداث الثورة الجزائرية شيء آخر ، ليس كل ما جرى صحيحاً ، على الرغم من أن هذا الانتصار عظيم وكبير • ولقد كان هناك الكثير من القضايا التي تستحق أن تدرس • وما طرحه الأستاذ الزبيري من أن الانسان كان يعدم على الشبهة ، لا يجوز أن نعتز به أو أن نقبله كجزء نفتخر به من تاريخنا حتى لو كنا قد أقمنا عليه نصراً كبيراً ؛ لأن قتل الانسان لأي سبب كان ، ليس عملا يمكن أن نفتخر به أو أن نعتز به حتى لو كان الثمن نصراً كبيراً • أقصد بقتل الانسان ، عملية القتل التي نقوم بها نحن ، لا العملية التي تتم ونحن نقاتل • قد يموت الملايين في معارك طاحنة ضد العدو ، وذلك نفتخر به ، أما أن يُقتل انسان واحد على أيدينا ونحن نعتقد أنه قُتل خطأ أو ظلماً ، فتلك جريمة لا يجوز أن نعتز بها أو أن نفتخر بها في أي يوم من الأيام • هذا باختصار فيما يتعلق بالنقطة الأولى •

النقطة الثانية :

تتعلق بالأهداف • أهداف العدو الصهيوني من الحرب في لبنان • نحاول دائماً أن نعتبر أن الهدف هو المقاومة فقط • ان طرح مثل هذه المقولة ضار ، لأنه يلخص أهداف العدو الصهيوني في أنه يطارد فقط مجموعة مخربين يقاتلونه هنا وهناك ، والقضية ليست كذلك • والمقدمة التي بدأ بها الزميل والتي تقول ان بيغن تكلم وقال ، مصر وسهول العراق وسهول سورية ، هي تعطي التحليل الدقيق عن الموقف الصهيوني في المنطقة • الصهيونية والقيادة الصهيونية معنية بهذه المنطقة ككل ـ بوحدتها ، بتقدمها ، بالصراع فيها ، بمستقبلها ، وهي ترسم مخططاتها على أساس التحكم بهذه المنطقة ككل وليس كجزء • وعندما انطلقت في لبنان كان لديها عدد من الأهداف : هدف قريب يتعلق بتصفية المقاومة وابعادها عن لبنان ، وهذا حقيقي • وهدف قريب آخر ، هو فتح نافذة أخرى لكامب ديفيد وفرض الاستسلام على لبنان وفتح باب المفاوضات والعلاقات السياسية مع لبنان كدولة عربية ، ليسهل بعد ذلك كسر الحلقة الثالثة ، أو ليس كسرها وانما فتح المكسور منها وهي حلقة الأردن ، وقيام الانفتاح الصهيوني على الوطن العربي ، وهي قضية سريعة • ثم بعد ذلك وهو الأهم ، الأفق الاستراتيجي الذي يفكر به العدو الصهيوني وهو التحكم بالمنطقة العربية من خلال اخضاع كل جزء فيها ومدّ وسيطرة قواته ونفوذها الى مناطق متعددة ليسهل عليه بعد ذلك تطويع المناطق التي لم تطوع بعد • والوجود في لبنان هذا هو هدفه • والوجود في لبنان وقريباً من المصنع وفي جبال لبنان ، هو أيضاً يهدد دمشق وحمص وحلب • ثم هناك **نقطة رابعة هامة** ، هي أن في المخطط الصهيوني استراتيجية خاصة تتعلق بصراع الطوائف • ونظرية صراع الطوائف تداول بها القادة الصهيونيون منذ أوائل الخمسينات بعد حرب ١٩٤٨ • وهناك مراسلات بين بن غوريون وموشي شاريت حول هذا الموضوع ، وهي مراسلات منشورة • وكان الفرق بين أحدهما والآخر ، أن أحدهما يريد أن يبدأ الصراع مبكراً والآخر يريد تأجيله مؤقتاً ، ثم بدأوه • وفي الخطة التي نشرت سنة ١٩٥٧ والتي اسمها « خنجر اسرائيل » نشرها الصحفي كارانيجا في ذلك الحين • هنا حقائق واضحة ملموسة دقيقة تشير الى هذا الصراع وتشير الى كل الحروب التي جرت والوقائع التي حصلت بما في ذلك الصراع الماروني الدرزي في لبنان ، والسني العلوي في سورية ، والشيعي السني في العراق ، والمسيحي المسلم في لبنان • وفي ذلك اشارات دقيقة وواضحة • فمخطط الصراع الطائفي في الوطن العربي ، جزء أساسي من المخطط الصهيوني بدأه القادة الصهيونيون ثم تبنته الامبريالية الأميركية بعد ١٩٥٨ ، بعد الوحدة •• ليكون مخطط تفتيت الوطن العربي والتحكم به • فالوجود الصهيوني الآن في لبنان أثار هذا الصراع الذي ترونه الآن في الشوف مثلا بين القوات اللبنانية وبين منطقة



الشوف ٠ وكما يطرحــون صراعاً درزياً مارونيــاً الهدف منه زيادة الصراع وبلورته ، هذه القضيــة هــامــة أيضــاً ٠ اذن الصــراع ليس فلسطينيــاً اسرائيلياً ، والصراع مع هذا الكيان الصهيوني الذي يمثل امتداداً للسياســة الأمريكيــة والامبرياليــة الأمريكية ، وهو صراع حول الوطن العربي كلــه ٠ وبيغن كان واضحاً عندمــا ضرب المفاعل النــووي لعراقي وقال ستمتد أيدينا الى كل مكان نشعر أن علينا أن نصل اليه ، وهو سيفعل ذلك وعلينــا أن نتوقع كل شيء ٠ فهذه قضية هامة نرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار ـ المخطط الصهيوني مخطط يتعلــق بالوطن العربي وبالفلسطينيــين كجزء منه وليس كشيء منفصل ٠ هذه قضيــة أرى أن نهتم بهــا لأن الاهتمام بهــا يلقي أضــواء أكثر على موضــوع المخطط الصهيوني ٠

□ الأستاذ نزيه أبو نضال :

لي ملاحظة صغيرة بالنسبة للأخ العربي وأريد أن أعقب عليها ـ حين بدأ ملاحظاته على محاضــرة الأخ نايف حواتمة بالأمس ، قال فيما يتصل بفتح الحدود مع سورية أن هذه مسألة خطيرة لا تجوز ، لأنه اذا فتحنا الحدود للعمل الفدائي للانطلاق من سورية ، فان هذا يعني أن تفعل اسرائيل بسوريــة ما فعلته بلبنان ، وأن الحل هو أن يتواجد العمل الفدائــي في داخــل الأرض المحتلــة ٠ لا يناقش اثنان الثورة ٠ لا يناقش اثنان بالتأكيد على أهمية واستراتيجية وضرورة أن يكــون الثوري بالدرجــة الأولى في الأرض المحتلة ٠ هذه مسألة مسلم بهــا ،ولكن هل يدلنا الرفيق محمد العربي على نمــوذج واحد في كل الثورات قامت به الثورة في بلد لــم تكن هناك تدعمه قاعدة ثانية ؟ من فيتنام الشمالية التي تلقت ملايــين الأطنــان مــــن القنابــل وهـــي تدعم فيتنام الجنوبية ٠ من فيتنام الشمالية التــي تلقت الدعم من الصين ، من الثورة الجزائرية التي تلقت الدعم من تونس ومن المغرب وكان لها قوات خلف الحدود أيضاً وتقاتل ٠ كل الأمثلة التي بــين أيدينا تدل على ضرورة وجود قاعدة آمنة ، وليس هناك ثورة بلا قاعدة آمنة سورية ٠ وقد أشار الرفيق الى ذلك وفيه حالة من التناقض ٠ يتحدث عن ثلاثة بالمئة تعداد الاسرائيليين مقابل الشعب العــربي ٠ فاذا كانت سورية لا تريد أن تفتح حدودها والأردن كذلك ولبنان ومصر ، فكيف يتم اشراك الجماهــير العربية والدول العربية في هذه الحرب ٠ وشكراً ٠

□ الأستاذ صبحي الجابي :

في الواقع اننا نشكر الظروف التي جمعتنا في هذه لندوة ، ويجب أن لا نكون متشائمين لأن تشاؤمنــا ينعكس على قرائكم ٠ يجب أن يكون الانسان وخاصة الثوري متفائلا ، ونحن عسكرياً دائماً متفائلون ٠ طبعاً الهدف كما قال الأخ العربي ، مقارنة ثانوية طبعاً هذا الكلام ممكن ٠ هــدف العدو كان مــن الهجوم على لبنــان شطب قيادة منظمة التحــرير ،ازالتها ٠٠ حتى تحصل عملية التسوية في الضفــة الغربيــة وقطــاع غــزة عــلى أســاس أن الشعب العربي الفلسطيني الموجود في الضفة والقطاع عبارة عن شعب فلسطيني يحمل الهوية الأردنية من الناحية القانونية ومن الناحية الدستورية أن الفلسطينيــين الموجودين في الضفة الغربية وفي قطاع غزة يحملون جواز سفر أردنيــاً ٠ الفلسطينيون الموجــودون في البلاد العربية مجموعة من المشتتين ، اذن : اذا تم القضاء على المنظمة كناطــق رســمي باسم هــؤلاء الفلسطينيين الذين في الخارج و في الداخل ، أصبح الهدف أمــام اسرائيــل وأمام الصهيونيــة ، يعني وضعوا الفلسطينيين الذين في الداخل ، وهم موجودون باستمرار ، ضمــن معاناة يومية ٠ ونحن هنــا يمكن لا نشعر بنسبة واحد على مليون بالمعاناة التي يعانيها الفلسطيني الموجود في نابلس ولا في طلوزه ولا في الشمال أو الجنوب أو في غزة ٠ الكلام طبعــاً سهل لكن المعاناة اليومية تحت وطأة الاحتلال تحت أقدام وبساطير الجيش الاسرائيلي ، ليست بالشكل السهل وليست بالشكل الشاعري ٠

بالنسبة للأستاذ العربي تفضل وقال بالنسبة الى نقل المقاومة الى داخل فلسطين المحتلة ٠ فعــلا تمت محاولات وخاصة بعد عام ١٩٦٧ لأنه قبل عام ١٩٦٧ كان أي كلام عن المقاومة يعتبر جريمــة في نظر الأنظمة العربية ٠ كــانت الأنظمة العربيــة والقيادات العسكريــة العربيــة الممثلة في القيــادة



العربية الموحدة على زمن علي عامر رحمه الله تتكهرب وتتزلزل عند سماع أي نبأ عن أي عمل له صفة عسكرية وفدائية في لبنان أو في أي مكان في المنطقة العربية • عندما هزمت الجيوش العربية عام ١٩٦٧ أعطي الضوء الأخضر • وقد سمعت أنا شخصياً وقيل لنا شخصياً انه شوفوا أي طريقة، اذهبوا وقوموا بأي اجراء عسكري على الحدود ريثما نعيد تنظيم جيوشنا • اذن الجيوش العربية كانت في وضع مقهور ومكسور ، فكانت تشجع العمل الفدائي بشكل رسمي وغير رسمي بعد عام ١٩٦٧ • وتعلمون جميعاً أنه عندما انطلقت الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ كانت سراً وليس بشكل علني •

ونأتي الى الحدود مع اسرائيل ـ اليهود الموجودون في فلسطين يشعرون بالوجود الفلسطيني أو بالخطر الفلسطيني • عندما يتهدد الطفل الاسرائيلي أو المرأة أو الرجل الاسرائيلي كيف يتهدد ؟ نحن كعرب ، كفلسطينيين علينا أن نظهر قوتنا وقوتنا تضرب المستعمرات والمستوطنات ولا تترك اليهودي ينام • معنى ذلك أن يشعر الناس أن هناك قضية، اذن هناك حدود تماس مع لبنان • بسورية الجولان محتل • هناك فاصل بين المستوطنات الاسرائيلية وبين القوى، هناك فاصل هو الجولان • وكما تفضل الأستاذ الزبيري ممكن أن يعملوا مثل خط موريس المكهرب ، اليهود على طول ٧٠ كم ، ومن الممكن بذلك أن يحدوا جداً من العمل الفدائي من سورية ، من الأردن • نفس الشيء لو لم يصف النظام في الأردن المقاومة في عام ١٩٧٠ ، لصفاها الجيش الاسرائيلي كما صفيت في لبنان • هذا شيء واقع • كانت المستوطنات الاسرائيلية قريبة من الحدود، كانت الأعمال الفدائية تهز مضجع اسرائيل في غور بيسان ، وكانوا يشعرون باستمرار بالخطر الى أن أزيل العمل الفدائي •

أيها الأخوة •• أيها المثقفون :

بالنسبة للبنان ، لم يكن في الاستراتيجية الفلسطينية أن يكون لبنان مسرحاً للعمل الفلسطيني الاستراتيجي الكامل • أجبرت القيادات الفلسطينية الى الذهاب الى لبنان لأنها لم تجد متنفساً لها أو منفذاً لها سوى لبنان • طبعاً نحن نحيي الصمود في بيروت ، وأنا شخصياً كعسكري أقول أنه لولا وجود القادة الفلسطينيين في بيروت لما تم الصمود على الشكل الذي شاهدناه • ربما الصمود الذي استمر ٧٩ يوماً ممكن أن يكون ١٩ أو ٢٩ لا نعرف، ما هي الظروف • وجود القادة الفلسطينيين في بيروت وحسب رأيي عسكرياً ، شجع المقاتلين • يعني أنا مثلا ، فرضاً أبو عمار والثاني نايف حواتمة ، أنا خجلان منه وهو خجلان مني • يعني صار في رجولة أمام بعض •

النقطة الثانية التي أحب أن أؤكد عليها بالنسبة للأخ ناجي ، طبعاً يا أخ ناجي لا تنسى وأنا في الواقع لا أدافع عن أحد في هذا الكلام ، لا تنسى أن المقاومة الفلسطينية ليست على أرض فلسطينية، وعندما تكون موجودة في أرض غير فلسطينية فانك ترى • يعني مثلا كنا في ظروف معينة نعقد عدة اجتماعات كي نفكر كيف نسمح للفلسطينيين التنقل • كانت مشكلة التنقل فلسطينياً • الفلسطيني الموجود في سورية لا يستطيع أن يذهب الى الأردن ، والموجود في الاردن لا يستطيع أن يذهب الى الكويت ، والموجود في الكويت لا يستطيع ••• اذن مشكلة تنقل الفلسطيني كانت عبئاً كبيراً • المكتب الثاني في لبنان كان يمنع أي فلسطيني من خارج لبنان أن يدخل الى أي مخيم ليزور أخاه اذا كان من سورية مثلا الا أن يخبر في اليوم الثاني المكتب الثاني اللبناني • هذه الظروف جعلت الفلسطيني يشعر أنه مضطهد في لبنان ، وقام بما قام به نتيجة ضغوط نفسية وردود فعل خلقتها الأنظمة العربية المتواجد فيها التجمع الفلسطيني • ولأنني عندما لا أكون على أرضي فانني مضطر الى مسايرة فلان وأساير علان رغماً عني لأن حرية لكلام، حرية التنقل، حركة الحركة، حرية حمل السلاح ، كل هذا متواجد • وهناك نقطة بالنسبة للصمود ، أيضاً في الواقع لم نسمع وأنا طبعاً لا أقصد أحداً ، لم نسمع لا من المثقفين ولا من غير المثقفين ولا من الصحفيين ولو كلمة صغيرة بالنسبة لدور سورية • دور الجيش السوري في الواقع قام بدور عسكري ، يجوز أنه لم تكن هناك قيادة مشتركة ميدانية بين بيروت وبين القيادات التي اشتركت في القتال ، وأنا أقول لكم عسكرياً لولا وجود الجيش العربي السوري في البقاع وفي الجبل وفي الشمال لنفذ هدف اسرائيل وتم القضاء على المقاومة داخل بيروت • هناك



اشياء كثيرة يمكن أن تعرف ، أحد مبادىء الحصار أنه عندما يحاصر العدو عدوه ، ونحن مررنا بحالات حصار كثيرة ، العدو يترك دائماً منفذاً واحداللهرب ، أي عسكري نأخذها من زمن نابليون الى الآن ، ما في عسكري ما في حصار في العالم تم الاالمحاصر يتركولو منفذاً واحداً حتى ينفذالمحاصرون، هذه استراتيجية وتكتيك ٠ في بيروت عمل الصهاينةعدة محاولات واستطاعوا أن يحتلوا طريق بيروت عند بحمدون ويمنعوا الخط الوحيد للنفوذ ، وهذاكان له غاية ، لأنهم لا يريدون لقادة المقاومة أن يخرجوا ٠ كانوا يريدون القضاء على قادة المقاومة يريدون القضاء على الناطقين باسم المنظمة ويشطبون اسم المنظمة ، الجيش السوري قام فيالواقع بدور كبير وصنع شيئاً من التوازن ولو نسبياً ٠ وكلنا نعرف عسكرياً ما هي الظروف التي لم تمكن الجيش السوري من متابعة القتال ، أشياء فنية ، وانسانية عندما نقول هناك عمليات انتحارية ٠ هناك عمليات كثيرة ، ولكن للتاريخ الدور الذي قام به الجيش السوري صنع توازناًوكان له فضل كبير على الصمود ٠ وقد تبين هذا بالتنسيق ومن الدروس المستفادة ٠٠ ويؤسفني أنني لم أسمع درساً، لاعسكري ولاغير عسكري من الذي تم فعلا ٠ وكان بودي بالأمس لو أن الأخ المقدم الذي ألقى كلمة ، لو أنه لم يحك شيئاً بل اكتفى بالحديث عن الذي جرى معه كقائد مدفعية منذ بدء العمليات حتى اللحظة التي رأيناه فيها أمامنا ٠ لو تحدث لنا فقط عن الذي جرى معه ٠ أما أنه يتحدث بكلام قرأته أنا وسمعته في الاذاعة ورأيناه على الحدود ، ذهبنا ورأينا قوات تتحرك وأناساً تعودوأناساً تتقدم وأناساً تنسحب ٠ او قال مثلا أنا المقدم قائد المدفعية كنت أوزع مدافعي في المنطقة الفلانية، هجم علي الاسرائيليون، استعملت مدافعي بالرمي المباشر ، دمرت دبابات ، حملت مدافعي ومشيت أو تركتها ٠ كان هذا هو الدرس الذي يمكن أن نستفيد منه ٠

مثل هذه الندوات مفيدة جداً ، لماذا ؟ لأنها تقدم الفكر وتجعل الانسان يفكر بشكل ايجابي ٠ وسمعنا القادة الفلسطينيين ، والانسان في الواقع يستفيد من سماع أي شيء في هذا المجال ٠ ومثلا أنا سمعت الأخ ناجي وحدثت لدي انفعالات انعكست ويجوز عندما أكتب أن أستمع الى الأخ فلان مثلا وأتفاعل ٠ الكاتب اذن يتفاعل بما يسمع ٠ ليست هناك لجان تحقيق تسمع كلاماً ويحدث رد فعل ، الكلام الذي تسمعه وتشكل رأياً ،ولذلك أيضاً فان الحقيقة يجب ألا تغيب وطمس الأدوار لا يجوز ٠



استخلاصات من التجربة اللبنانية - الفلسطينية

إبان الغزو الإسرائيلي للبنان

بقلم : هاني الراهب

لننطلق من الأساس الأول : لقد أكدت التجربة الفلسطينية اللبنانية حقيقة كبرى ومعروفة في الصراع العربي الامبريالي ،هي أن الرد التاريخي الايجابي الوحيد على الاحتواء الامبريالي للشرق العربي انما هو حركة فدائية عربية شعبية •

وبعدئذ تأتي جملة من الحقائق المكملة ، بعضها يؤكد هذه الحقيقة الكبرى ، وبعضها يفند الطروحات السياسية والفكرية المعاكسة لها • غير أننا الآن سنعود بالزمن قليلا الى الوراء لنتذكر باختصار شديد أن الرد العربي على الحضور الامبريالي بكافة أشكاله قد اتخذ على الدوام مسارين متميزين متناقضين هما مسار القوى الشعبية المناضلة ، ومسار الأنظمة الحاكمة الباحثة فقط عن بقائها ومصالحها • ان الثورة الفلاحية التي عمت المشرق العربي عام ١٩٣٦ دليل راسخ على هذا التمايز التناقضي ، والحركة الفدائية التي خلدها الشعراء ، والتي برزت كظاهرة في فلسطين الأربعينات ، دليل آخر ، وهي حركة تكرر بروزها في واجهة الأحداث كلما أنزلت الامبريالية العالمية بالعرب هزيمة جديدة • وكانت خطراً مؤكداً ليس فقط على الحضور الامبريالي وانما أيضاً على الأنظمة العربية نفسها ، التي جسدت النمط الآسيوي الاستبدادي المتخلف للحكم •

ان اثنتين من حقائق تاريخنا المعاصر تؤكدان ما نذهب اليه • الحقيقة الأولى هي ظهور الرد التاريخي العربي المتمثل بالحركة الفدائية بعد حرب ١٩٦٧ ، فجاة تقريبا ، بعد أقل من عام ، واذا الفداء العربي عملاق يتصدى للعدوان الاسرائيلي في الأردن ، وبعد فترة وجيزة ، في عام ١٩٧٠ بالتحديد ، كانت الأنظمة العربية تريد راس هذا الفداء •

الحقيقة الثانية هي أيضا ظهور الحركة الفدائية في لبنان كرد تاريخي منذ حرب ١٩٧٣ ، ومرة أخرى هبت الأنظمة العربية لتقزم هذا العملاق وتجعله مطواعاً للمسيرة الامبريالية وبعد سنوات من المحاولة والفشل اضطرت اسرائيل ان تنفذ المهمة بنفسها •

نريد أن نؤكد هنا ، أولا ، أن العرب ، رغم هزيمة أنظمتهم الملاحقة في لبنان ما زالوا قادرين على النضال الفعال ضد الامبريالية ، وانهم اذا استطاعوا خرق الحصار المضروب حولهم قادرون على خوض المعارك ضد الصهيونية والامبريالية • ونريد أن نؤكد ثانياً ، وكما أوضحت التجربة اللبنانية ـ الفلسطينية ، أن تجربة الأنظمة العربية مع الفداء العربي قد أكملت دائرتها وأغلقتها •



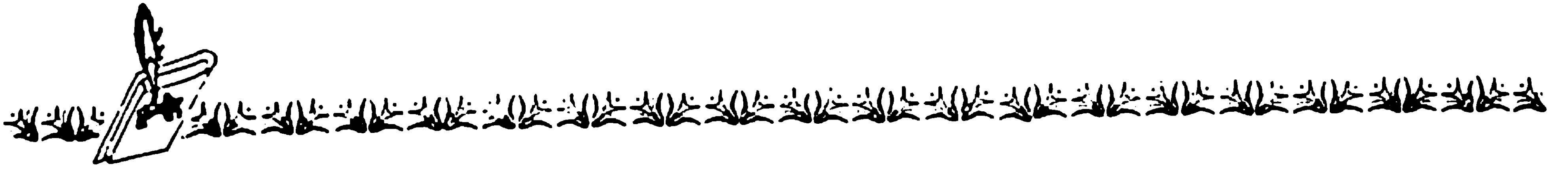
فبعد منظمة التحرير الشقيرية ، أحست هذه الأنظمة أنها كانت تلعب بالنار يوم استبدلتها بمنظمة التحرير الفدائية ٠ لذلك كان ضرورياً أن يقضى على الفداء العربي ، أو يدجن فيصير العوبة من جديد ٠

ويهمنا أن نؤكد ثالثاً ، وكذلك عبر التجربة اللبنانية ـ الفلسطينية ، صفة (العربي) التي ألحقناها بكلمة (الفداء) ٠ صحيح أن الفلسطينيين شكلوا فيه الحضور الأكبر ، لكن بنيته وتوجهه قوميين لا قطريين ٠ وان التجربة اللبنانية الفلسطينية ليست في تقديرنا اختلافاً نوعياً عما حفلت به مسيرة الفداء من تشكلات مماثلة ، لكنها كانت أصلب واكثر ضياناً ، وأوضح وأنقى فكراً وممارسة، من سابقاتها ٠ وقد خرقت وتجاوزت البنية الاقليمية القطرية للحياة السياسية العربية ٠ وأهم من هذا كله أنها استطاعت أن تنزع الأقنعة الحمراء والبيضاء والرمادية عن وجوه الأنظمة العربية ٠ ان التحالف الطبيعي الذي قام بين اليسار العربي والفداء العربي قد كشف ادعاءات أجهزة الاعلام السلطوية والمؤسسات اليسارية الرثة ٠ ان صمود هذا التحالف وتصديه للتحالفات المباشرة وغير المباشرة بين الامبريالية والأنظمة العربية ،قد أكد مرة أخرى أن سبيل الصمود والتصدي هو حرب تحرير شعبية وليس حرب جيوش الأنظمة ٠ ان أطول حرب شنتها اسرائيل وأشرسها وافظعها ، لم تتوجه ضد أية دولة عربية ٠ لقد تركت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية واحداً وعشرين جيشاً عربياً ، لا يقل تعدادها عن ثلاثة ملايين جندي وضابط ، ووجهت آلة حربها الخارقة لتقتنص بضعة آلاف من المقاتلين العرب ٠ وهذا وحده كان للدلالة على أن هاجس اسرائيل الحقيقي ،وأن التحدي التاريخي لوجودها ، هو الفداء العربي ٠

هنا يطرح سؤال نفسه : لماذا انحسم الصراع في الأردن بين الأنظمة العربية والفداء العربي خلال عام واحد ، بينما استمر في لبنان سبعة أعوام ، ولم تحسمه الا القوة العسكرية الاسرائيلية ؟ والجواب يكمن في طبيعة الدولة اللبنانية ، فنظام الحكم في لبنان كان الى عهد قريب النظام العربي الوحيد الذي لا يملك أداة قمع ، وبينما كان الفداء العربي في الدول الأخرى تحت السيطرة المباشرة والصارمة لقواها العسكرية لم تستطع البورجوازية اللبنانية المهيضة الجناح عسكرياً أن تفعل اللازم ازاء النمو القومي المعاني لليسار اللبناني والمقاومة الفلسطينية ٠ وكان لا بد للقوى اليمينية اللبنانية أن تتجيش وتتسلح باشراف اسرائيل والولايات المتحدة ، ومساهمة اليمين العربي ، لكي تبدأ بصورة حاسمة تصفية هذين الحليفين الطبيعين اللذين وحدهما يهددان الاحتواء الامبريالي الاسرائيلي للشرق العربي ٠ لقد كان قليل من الديمقراطية في لبنان كافياً لتجسد قوى النضال التحرري لدى العرب على ساحة الصمود والتصدي ٠

وهو قليل يشير الى الغياب التام للديمقراطية في الدول العربية الأخرى ، والى المعركة التاريخية الهائلة التي يمكن للعرب أن يشنوها لو أتيحت لقواهم الذاتية أن تتنظم وتنطلق ٠

لقد كشفت التجربة اللبنانية الفلسطينية عن الحضيض الذي تردت فيه الأنظمة العربية عن العجز والتواطؤ والتناحر التي أسقطت ادعاءاتها ٠ لكن هذه التجربة كشفت أيضاً عن حجم الفاعلية والعزم اللذين واجهت الأنظمة العربية بهما شعوبها ، وأن يقف مئة وأربعين مليوناً من العرب متفرجين على احتلال اسرائيل لأحد أقطارهم ، هو واحدة فقط من النتائج التي حققتها الأنظمة العربية في مضمار تعاملها مع شعوبها ، واذا كان بوسعنا أن نصف عقد الخمسينات بأنه مرحلة الحريات السياسية النسبية ، وعقد الستينات بأنه مرحلة ادخال الجماهير في السياسة على يد عبد الناصر وغيره ، فلا شك أن الفترة التي أعقبت وفاة عبد الناصر هي مرحلة الاستغناء عن القاع الشعبي لأنظمة الحكم ، وتم خلق بدائل للشعب تتمثل في مجالس الشورى والبرلمانات الصورية والجماعات التدينية المتطرفة ، وأجهزة المخابرات ، والتحالفات القطرية ٠ بالتالي فقد تفتتت التشكلات المجتمعية التي تكونت في الخمسينات والستينات ، وتفككت بنية المجتمع ، وبعثت



الى الوجود آفات كان زخم الحياة العربية في هذين العقدين قد أودى بهـا • فالطائفيـة والاقليمية ، والعائلية ، والقطرية ، والفساد بكافة أشكاله ، وتحلل الدولة ، وعبادة الفرد ، شلت فاعلية الجماهير وجعلتها تقف عاجـزة أمام نصر اسرائيل في حزيران الثاني •

ومنذ الاجتياح الاسـرائيلي للبنـان ، تبين أن الأنظمـة العربية قـد تراجعت الـى العاشر من حزيران ١٩٦٧ ، ان لم يكن الـى ما هو أسوأ ، سمعنا كلاماً كثيراً بعد هزيمـة حزيـران الأولى الماحقـة ، ثم تبلـور قـول الأنظمة وفعلها في اتفاق عام على استراتيجية أساسية اعتبرت بديلا فعالا لهزيمة حزيران الأولى • ويتمثـل هـذا البديل في نقطتـين جوهريتين هما التضامن العربي والتفاوض الدولي • ويمكننا بسهولة أن نلاحظ التراجع الجـذري عن تطلعـات الجماهـير في هاتـين النقطتين • فالتضامن العـربي جاء بديـلا للوحدة العـربية • والتفاوض الدولي جـاء بديلا للاءات الثلا ث : لا تفاوض ، لا صلح ، لا اعتراف • لقد أوضحت التجربة اللبنانية الفلسطينية أن التضامن العربي لا يمكن أن يعني وقـوف الأنظمـة العـربية الى جـانب اللبنانيـين والفلسـطينيين ضـد الاجتيـاح الاسرائيلي ، وانما وقوف هذه الأنظمة خارج الساحة اللبنانية ، بمعنى آخر ، لقد تضامنت أنظمة عربية مع الولايات المتحدة واسرائيل ، وليس مع الفـداء العربي والحركة الوطنيـة الشعبية • وقـد أوضحت التجربة اللبنانيـة ان التفاوض لن يتم الا على كيفية الاستسلام العلنـي •

وجاء الاجتياح الاسرائيلي للبنان يثبت نهائياً أن البديل الاستراتيجي الذي بلورتـه الأنظمة العربية في نقطتي التضامن العـربي والتفاوض الدولي ، كان في الحقيقة بديـلا لاستراتيجية الفداء العربي ، وان هذاالبديل قد انتهى بهزيمة ثانية أفدح وأعمق ، شاءت سخرية القدر أن تكون في حزيران أيضـا • وهكذا ضاعت خمس عشرة سنة تفصل بـين الحزيرانـين دون أن تتقـدم حركة التحـرر العربي خطوة واحدة الى الأمام •

على العكس ، لقد بتنا ندرك الآن أن هناك تراجعـات مأساويـة • لقد استعـادت اسرائيل كونها أسطورة عسكرية لا تقـاوم ، وأغلب الظن أن هذه الحرب هي حربها الأخيرة ضد العرب في المستقبل المنظور • وتحت شعار التضامن العربي ، تعززت نزعة اقليمية حادة وصارخة • لقد صـار كل قطر عربي وطنـاً وقومية • صار مناظرة للتقدم والتحرروالدين والصمود والعدل والديمقراطية والانجازات والمآثر والانتصارات والبطولة، بل والمعجزات، في أجهزة الاعلام طبعاً • فكان التضامن العربي كان نوعاً من معاهـدة عدم اعتداء سريـة بين الزعماء العرب ، بحيث يبقى كل منهـم السيد الآسيوي المطلق في قطره، يصنع أساطيره الخاصة به دون أن يخشى تفنيدها من قبـل نظرائه الآخرين ، الذين تشابهت أساطيرهم معها الى حد التطابق • وبموجب التضامـن العربي لوحق الفكر التقدمي المناضل في كل مكان، وشرد واعتقل وزور •

ينبغي هنا أن نقوم بتمييز لا لبس فيـه بين الفكر التقدمي المناضـل ، وبين اليسـار السياسي التفاوضي ، ذي المسيرة التسويغية ، التوفيقية ، التلفيقية ، فبعد الغزوالصهيوني للبنان تبين أن اليسـاري في الوطن العـربي لا يستطيع تحت أية اعتبارات ان يقف موقفـاً وسطا ، أو يعلق استراتيجيته للبنان في سبيل التكتيـك •

ان اليسـار الحقيقي هو الـذي ينهض متصدياً للغـزو الامبـريالي ، أو متصـدياً لأنظمة أرجعت شعوبهـا الى ما قبل الحالـة المجتمعية •

كذلك سقطت الادعـاءات العقائديـة للأنظمة العربية على اختلاف ألوانها ومذاهبها• فلا الاسلاماتية ولا الاشتراكية القوميـة ولا الليبرالية القطرية استطاعت أن تقدم توكيداً على صحتها تستمده من ممارساتها السياسية أو التفاف الجماهير حولها • ان معيار الصحة والفاعلية في عقيدة أو نظريـة سياسية ما ، هو التطبيق لا التطبيل ، وهو مدى ما تجيش من الجماهير المقاتلة لا كمية ما تمتلكه مـن



وسائل الاعلام ٠ والمسألة ليست في كون هذه الادعاءات العقائدية صحيحة أو مغلوطة ، وانما في كونها لا تمارس قط ، ولا تؤخذ مأخذ الجد، ولا يسمح لها بفرص الحوار والدرس٠ لقد تحولت الى رواسم وجواهز تشكل آلة ايديولوجية لا بد منها كغطاء لأنظمة قمعية بدائية ، عبارات جاهزة مكدسة كثياب البالة ، يغترف منها الخطباء ومحررو الصحف والمذيعون ما يجدونه مناسباً ٠ أما أن يكون جهازاً فكرياً متكاملا يستطيع الرد على الفكر الصهيوني وتفنيد ادعاءاته وأساطيره ، فأمر لم يخطر على بال أي نظام عربي٠ وبينما تشهد فلسطين المحتلة حركة ترجمة لا تنقطع من العربية الى العبرية نجد الميدان الثقافي للأنظمة العربية خالياً تماماً من حركة معاكسة٠ بل ويمكن القول أن تسعة أعشار الزعماء العرب لا يعرفون الصهيونية على حقيقتها ٠

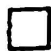
اذن ، ثمة املاق عقائدي تعيشه الأنظمة العربية الحاكمة ، وفي المرحلة السياسية الراهنة التي ألغت الحريات والجماهير في العالم العربي، يتبدى هذا الاملاق في افتقار الأنظمة الى مفكر واحد جدير بالقراءة ، أو منظر يقدم رؤية للواقع واستشرافاً للمستقبل ٠ والحقيقة أن الدولة القمعية لا تريد فكراً ٠ لكن الحقيقة الأهم هي أن هذا الاملاق يعود بالدرجة الأولى الى أن الأنظمة العربية لا تمثل شعوباً ، بل طبقة حاكمة ، وان هذه الطبقة ألغت ما سواها واستأثرت بالبلد المحكوم استئثاراً مطلقاً خانقاً ، انها لا تفكر ولا تسمح بالتفكير ، تحكم بالشعارات والكليشيهات والأساطير وليس بالايديولوجيا التقدمية ، وتعتبر كل عقل لا يتنمط بمقولاتها الاعلامية عدواً لدوداً تحاربه بعشرات أضعاف القوة التي تواجه بها اسرائيل ٠ ومنذ بدأت اسرائيل احتلال لبنان، وحتى هذه اللحظة ، وقف الاعلام العربي الرسمي عاجزاً تماماً عن اقناع الرأي العام العالمي ببربرية هذا الاحتلال وفعلت ذلك كاميرات الصحف الأجنبية ومراسلوها ٠

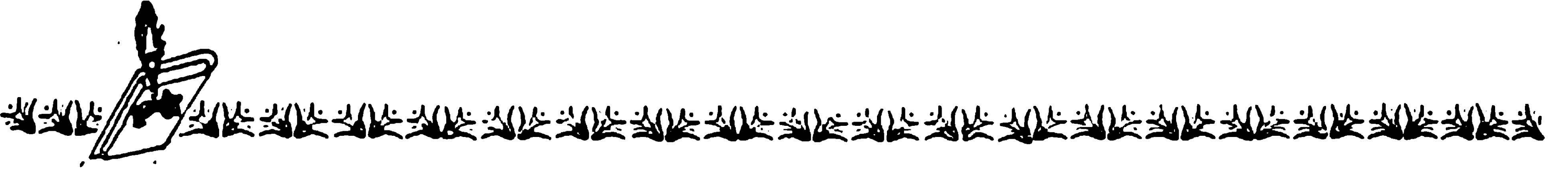
كيف يمكن للعرب اذن أن يتصدوا للغزو الامبريالي ، وأن تمضي حركة تحررهم قدماً الى الأمام ؟ لن يتم ذلك بجيوش عربية لاتحارب، واذا حاربت خسرت أمام التكنولوجيا الامبريالية ، ولن يتم ذلك عن طريق أنظمة حاكمة همها الأول أن تقمع أداة التصدي والتحرر، وهي شعوبها المحكومة، ولن يتم ذلك والمجتمعات العربية غارقة في الاستهلاكية والتجارة ، ومنفية من الصناعة والتصنيع الزراعي ٠

قبل ألف عام خاطب المتنبي سيف الدولة قائلا :

وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل

ونحن نعتقد أن المتنبي معاصر لنا ، وانه مثلنا ، يقترح أن يكون للفداء العربي الكلمة العليا ، والأرض الآمنة التي ينطلق منها ليكلس خلايا السرطان الصهيوني ٠



مناقشات حـول :

محاضـرة الدكتـور هـاني الـراهب

□ د· حافظ الجمالي :

أشكر المحاضـر على محاضرتـه الممتعـة جداً والحقيقية جداً ، وأكاد أشعر بأنه لا يتكلم بلسانه وحده بل بلسان مجموعات ضخمة من المواطنين الى حد ما · أريد أن أقول انه عبَّر بكلمات هامـة جداً·

مرة أخرى أتساءل : نحن هنا في الواقـع ، أو هكذا أفهم ، للبحث عن حل معين للمشكلة الفلسطينية التي هي أكثر من مشكلة فلسطينيـة ، هي مشكلـة الأمة العربية جملة ، ليست المشكلة الفلسطينية الا جرحاً يدل على المرض العميق الكامن في الأمـة ،وبالتالي كيف السبيل الى الشفاء من هذا الجرح ؟ بلا شك ما قاله الدكتور هاني الراهب صحيح جـداً ويضمر بالضرورة فيما قاله ، يضمر ضمنياً حـلا ما يقترحه ، مثلا : قوى ديموقراطية ، تحرر ، هـو انفساح المجال لحريات الشعب ، هو العدول نهائياً عن هذه المصادرة الجماعية لكل قوى الشعب ، هو العدول عن التواطؤ مع الرأسمالية ، الذي هو أحياناً تواطؤ علينا ، مقصود ، مأجور ، مستخدم ، واع ، وأحياناً هو عجز أو ضعف أو قلة ادراك أو ما يشبه ذلك · لكن الفرق فيما يتصل بالشعب هو فرق ضعيف :القائد الذي ينهزم في معركة عن خيانة ، مـردوده على الشعب كالقائد اللا واعي الذي ينهزم في معركة لقصور عقله أو لضعف استراتيجيتـه ، اذن أهـم ما أطلبه من أي متكلم هنا هو اعطاؤنا الحل المنتظر أو المقترح لهذا الجرح العميق ·· الدواء الشافي لهذا الجرح العميق بشكل واضح ، بشكل بنـود ،بشكل أفكار يُتفق عليها وتختتـم بها أعمال هـذه الندوة ، والا فاننـا سنظل أو أخشى أننـا سنظل غامضين بعض الشيء ــ وشكرا للدكتور هاني ·

□ الأستاذ أمين النفوري :

هذا تصحيح تاريخي ــ وقد كنت واعياً تلك الفترة ، فترة عام ١٩٣٦ وقد يكون الأستاذ هاني في ذلك الوقت طفلا صغيراً · عـام ٣٦ الوضـع في سورية ، مثلا كان هناك انتداب فرنسي فلم يكـن ثمة حركة فلاحية بمعناها الواسع · قد يكون هناك مثـلا في أي منطقـة من المناطـق وحصلت حـوادث افرادية ، ممكن · ولكن لا يمكن أن نسميها حركة فلاحية جماعية· هذا هو التصحيح الرئيسي الذي يجب أن يعرفه كل انسان وكل من عاصر أو عرف تلـك الفترة ، لأن كثيراً من الأمور التي نتكلم عنهـا ·· عن أشياء ماضية لم نكـن نعاصرها ونسمعها مـن غيرنا · فهذه الحالة الفلاحية التي تكلم عنها الأستاذ هاني ، أعتقد أنها لم تكن موجودة في سورية باعتبار وجـود دولة منتدبـة وهي فرنسا · وتقمع ليس فقط الحركة الفلاحية بل كـل شيء · اذن ، قـد يكون هناك فلاح مستاء من المختار ، مستاء من أي شيء · مثلا قطعة أرض ، ولكن هذه لا يمكـن أن نسميها حركة فلاحية واعية أو حركـة جماهيريـة بمعناها الواسع · وشكراً ·

□ الأستاذ عبد اللطيف :

اقترح السيد المحاضر في بداية محاضرته وذكر أن المطلوب هو حركة فدائية شعبية · هل المقصـود أن الحركة الفدائيـة التي تكـونت قـد أجهضت كتجربة ؟ ثم ما هي الأسس التي يمكن أن نعتمدها في التجربة أو في الحركة الفدائية الشعبية التي طرحها؟

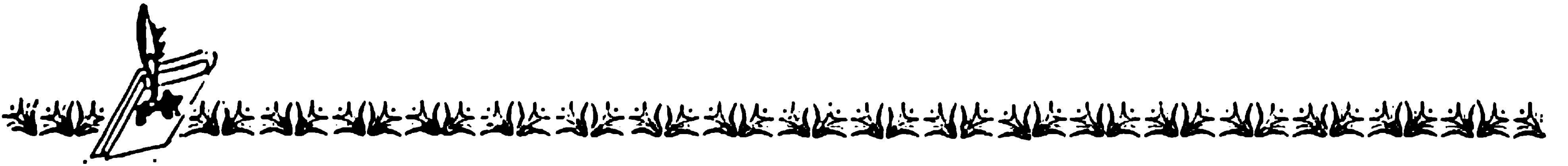


وباعتقادي أنه لا يمكن التركيز أكثر على الوطن العربي خاصة في التجربة الفلسطينية ان لم نقم بدراسة نقدية للتجربة الفلسطينية بالأساس · نقول ان هناك أزمة ديموقراطية في الوطن العربي ، ولكن هل اتجهنا الى الثورة الفلسطينية وشرحنا الثورة الفلسطينية باعتبارها كحركة ثورية بديلة عن الأنظمة ؟ ثم هناك نقطة ثانية حول الصمت العربي ، كذلك كل المثقفين أو كل المهتمين بالثورة الفلسطينية يقولون ان هناك صمتاً عربياً ، وفي الكيان الصهيوني هناك ضجة وهناك اضرابات والمواطن العربي كان مشدوهاً ، وهنا أسأل ما هو دور المنظمة أو المنظمات الفدائية في هذا الصمت ؟ باعتقادي أن هناك بعض المنظمات والتي يطلق عليها حتى أنها يسارية ساهمت بشكل أو بآخر في هذا الصمت. هناك تنظيمات كفت عن أن تكون ثورية ، بل أصبحت تمثل نمطاً من الدولة ، تنتهج القمع في داخلها · وبالتالي فاننا يجب أن لا نستغرب اذا صمت المواطن في الوطن العربي ، ونقطة أخرى : ما هو دور التنظيمات الفلسطينية في ترسيخ مفهومي التضامن والتفاوض ؟ وشكراً ·

☐ **الأستاذ محمد سعيد مضية :**

لي ملاحظة وحيدة أنطلق منها من كلام د· هاني الراهب · وهي لماذا انحسم النضال الفدائي في الأردن ؟ وأنا لا أود أن أرجع الى التاريخ ، ولكن أود أن أرجع الى نقاط معينة تعيننا في هذا الوقت على مساندة النضال التحرري للشعب الفلسطيني · نتحدث الآن عن تضامن فلسطيني لبناني أو تضامن المقاومة الفلسطينية والثورة الفلسطينية مع الحركة الوطنية اليسارية اللبنانية · وأعتقد أن هذا لم يكن موجوداً في الأردن ، وهي خبرة اكتسبتها حركة المقاومة الفلسطينية أو حركة التحرر الوطني الفلسطيني بعد هذه الأحداث · وهنا أود أن أؤكد على هذه الناحية أيضاً لأصل الى قضية في اعتقادي هامة وهي استغلال جميع الطاقات ، جميع روافد التوجهات الديموقراطية عند الجماهير العربية من أجل انجاز هذه المهمة الديموقراطية التي هي تحرر الشعب الفلسطيني وتحرر الشعب العربي كله ·

وهنا أعتقد أنه مكمن النقطة الأساسية ، لأن المقاومة الفلسطينية استحوذت على انتباه العالم ، المقاومة الفلسطينية أثناء تصديها في بيروت كانت تتصدر نشرات الأخبار والصحافة العالمية ، في الاذاعة ، في التلفزيون ، ومأساة أن يخفت هذا الوهج الذي وقف مع الثورة الفلسطينية ، أن توضع ثانية في النسيان مع أشكال التآمر التي تنطلق ضدها الآن في العالم العربي · فما العمل ؟ هنا أعتقد ومن خبرة الأردن كانت ضائعة ومتغيبة تماماً عام ١٩٧٠ حركة وطنية أردنية ، وأقصد بذلك حركة وطنية أردنية تجمع في تيارها جميع النزعات الديمقراطية للفلاح الأردني من أجل الأرض ، للعامل الأردني من أجل تحسين عمله ، للمنتج الأردني من أجل تطوير الانتاج ، حركة تستقطب وتستفز وتستثير جميع النوازع الديموقراطية التقدمية في المجتمع ، والتي تتلخص في قضيتين أساسيتين : استئصال تخلف القرون الوسطى ، واستئصال معالم أو مظاهر التبعية للأمبريالية · هذه القضية كانت غائبة في الأردن عام ١٩٧٠ ولذلك أمكن القضاء بسهولة على المقاومة ، الى جانب عمليات البطش الشديدة والعمليات الأخرى · نحن الآن في الأردن ، وهذه مهمة ، نشكل تجمع شعبين ، أردني وفلسطيني · والفلسطينيون في الاردن يشكلون أكبر نسبة من عدد السكان · والفلسطينيون منتمون ولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والفلسطينيون في الأردن كانوا يحجمون طوال هذا العقد ، وهذا من أسباب ضعف الحركة الوطنية في الاردن ، عن المشاركة في الحركة الوطنية في الأردن لأن أهم الدوؤم كانت منظمة التحرير والنضال المسلح · واذا تكلمت البندقية فلا داعي للنضال السياسي ، أو النقابي أو الطبقي أو أي شيء · هذه كانت من الجوانب السلبية التي أبقت على الوضع في الأردن وعلى ضعف الحركة الوطنية في الأردن · نحن بحاجة الى استثارة حركة وطنية أردنية يتضامن فيها الفلسطيني مع الأردني من أجل الاستفادة واستغلال جميع النزعات الديمقراطية جميع نزعات التحرر لدى جماهير الشعب الأردني ، الفلاحين ، العمال ، المثقفين · وهنا أصل الى أن مستقبل منظمة التحرير الفلسطينية هو في مستقبل النضال الوطني في سورية وفي لبنان وفي العراق وفي الأردن بالدرجة الأولى · وهنا أرى أن تبدو الصيغة واضحة تماماً ومفهومة ، التضامن الفلسطيني حركة التحرر الفلسطينية مع الحركة الوطنية الديموقراطية في كل بلد من البلدان العربية · هذه الحركات ، ونتيجة استنادها الى



قاعدة شعبية ، هي عملياً تضامنية وحدوية أيضاً جماهيرية تستقطب تحرك الجماهير وبالتالي نجد أن هذا هو الأساس للابقاء على حيوية وديناميـة المقاومة الفلسطينية بعد أن يخفت ، ولا يمكن الا أن يخفت ، هذا التضامن العالمي والسمعة العالمية التي جاءت نتيجة أحداث بيروت المجيدة والتي ستظل في الضمير العربي من الأحداث العملاقة الهائلة التي ستحرك النزعات التحررية لدى الشعب العربي ولدى كل شعوب العالم ، هي مأثرة من مآثر النضال الوطني التحرري لشعوب العالم اجترحت في بيروت. ولكننا نخشى عليها أن تخفت نتيجة أحداث عالمية ثانية تغطي عليها ونتيجة تآمر الأنظمة أيضاً على منظمة التحرير الفلسطينية . تضامن منظمة التحرير أو العمل الفلسطيني مع الحركة الوطنية الديموقراطية في كل بلد وخاصة في الأردن على ما أعتقد ، هو الاستنتاج ، الدرس من انحسار النضال الفلسطيني في الأردن . وشكراً .

□ د. هاني الراهب :

شكراً من أجل جميع الملاحظات ، وفي الحقيقة كلها مفيدة ومغنية لبحثي ـ أستاذنا د. حافظ تساءل تساؤلا مشروعاً ، هو ما الحل ؟ الحقيقة أنني كتبت كلمة حاولت فيها أن ألتزم بحدود واضحة وثابتة للبحث ، وهي ما تفترضه نقطة واحدة من البرنامج الذي أعدته الأمانة العامة للاتحاد العام ، لذلك لم أخرج عنه . ولكن يجوز لنا أن نتساءل ما هو الحل ؟ عملياً ، أنا لا أرى حلا على الاطلاق . يعني كبنود نصل اليها كما طلب الأستاذ حافظ ، واضحة ومحددة ونشرع في تنفيذها . هذا أمر غير وارد على الاطلاق في رأيي . عملياً لا حل هنا ، لأن القمع وصل الى حد أن جميع البدائل قد أفنيت ، افنيت وليس هناك سوى استمرار الوضع الراهن الذي لا حل به . اذن عملياً في رأيي أنا ليس هناك أي حل في المستقبل المنظور . ولكن كأفكار ، كاقتراحات ، يمكننا أن نطالب بالديموقراطية ولكننا لن نحصل عليها . يمكننا أن نطالب باتاحة المزيد من الفرصة أمام منظمة التحرير ، وهذا لن يحدث . أن نطالب بشيء من تجييش البلد لأجل التصدي للأمبريالية والصهيونية .

شكراً للعميد أمين النفوري بشأن التصحيح . طبعاً بخصوص أحداث عام ١٩٣٦ نحن عَلمنا أنها كانت ثورة وقد انتشرت بين التمرد والثورة وانتشرت من العراق وحتى مصر . هذا ما نعرفه ، الفلاحون قاموا بانتفاضات متتالية شكلت ظاهرة قد لا تكون ثورة ، ولكنها شكلت ظاهرة في العراق وفي سورية وفي الأردن وفي فلسطين وحتى مصر أيضاً ، وقمعت بوحشية وهذا ما نعرفه .

وبالنسبة للأخ عبد اللطيف ، ما هي الحركة الفدائية الشعبية ؟ يصعب طبعاً هنا أن نجيب عن هذا السؤال . نحن كنا نتكلم عن استراتيجية وليس عن جسم سياسي عسكري . أنا تكلمت من منطلق استراتيجي أن هناك بوجه ما يسمى بالهجمة الامبريالية ردان عربيان ، الرد العفوي والأصيل والذي انبثق من قلب الجماهير وليس فقط بعد حرب ٦٧ ، كان ينبثق دائماً ، هو الفداء العربي . اذن هنا أنا أتكلم عن رد تاريخي رد استراتيجي وليس عن تنظيم عملي مجسداً في كذا منظمة وفي كذا اسم ، وبالتالي لم أجد نفسي مدعواً أو مطالباً بتقديم تعريف بالحركة الفدائية الشعبية كما هي ، وخاصة أن السؤال قد أتبعه بسؤال آخر ، هل أجهضت .. يقع خارج بحثي . أجهضت أم لم تجهض .. لم يتطرق بحثي الى ذلك .

هل درسنا وانتقدنا الفداء الفلسطيني ؟ أيضاً أقدم الجواب نفسه . أنا لم أدرس ظاهرات واقعية ، وانما درست المنطلق الاستراتيجي . صمت عربي . أشار الأخ عبد اللطيف الى الصمت العربي . أنا لم أقل أبداً أن هناك صمتاً عربياً . أنا قلت أن هناك خيانة وتواطؤاً عربيين . الصمت العربي كلمة مخففة جداً ، وأعتقد أن الذين صمتوا هم الذين يروجون هذه الشتائم ضد أنفسهم لكي لا نقول لهم أنتم خونة ، لكي نصل الى حد الصمت ولا نقول انهم خونة . أنا أقرأ المجلات التي تمولها دول عربية معينة ، هذه المجلات تشتم الدول الممولة باسم صمتهم وتقول لهم كان ينبغي أن تتحركوا ، كي لا يخطر ببال أحد ونحن عاطفيون كما نعلم وننجرف في اللغة ، كي لا يخطر لأحد أن يقول أن هناك تواطؤاً ، أن الأنظمة العربية التي تبجع كانت متفقة وتعلم بالهجوم وموافقة عليه وتريده .

الموضوع أكثر من موضوع الصمت ، الموضوع تواطؤ ، محاولة لاجهاض الحركة الفدائية التي هي الصوت الوحيد الذي ينطلق في المنطقة معادياً لأمريكا ، يريدون القضاء عليه ٠

طبعاً عندما نتساءل ما هو دور المنظمات في هذا الصمت، يتلو ذلك أن الشيء الرئيسي ليس موضوع صمت ٠ في التميز الذي أقمناه بين الفداء العربي والأنظمة العربية ، لا يوجد شيء أسمه منظمات مع الأنظمة العربية ، المنظمات تعني أيضاً أنظمة ،كلمة أنظمة توحي بشيء وكلمة فداء عربي توحي بشيء ٠

ما هو دور المنظمات في ترسيخ مفهومي التضامن والتفاوض ؟ قلنا ان كل منظمة تسعى وراء هذا الخط الاستراتيجي وتتبناه كاستراتيجية ،لا تعود منظمة وانما تصير نظام حكم ، وبالتالي الحكم عليها مشابه كحكمنا على الأنظمة العربية ٠

الأخ محمد سعيد أفادنا بنقطة غابت عني وشكراً له ، هي الاشارة الى غياب التحالف أو عدم قيام تحالف بين القوى الوطنية في الأردن وحركة الفداء العربي بقيادة منظمة التحرير في عام ١٩٧٠ وقال ان هذا كان سبباً يضاف الى الأسباب ، أظن أنني أفهمها ٠

☐ **الأستاذ سعيد مضيه :**

قصدت احتواء وليس عدم قيام تحالف ، لأنهم عملياً كانوا كلهم متوجهين في هذه القضية التي هي القضية الفلسطينية ونسوا المهام الديموقراطية الأخرى للشعب الأردني التي تستقطب هذا الشعب ٠

☐ **د٠ هاني : هذه تفاصيل ٠**

الأستاذ مضيه : ولذلك أمكن اثارة النزعات الأردنية الفلسطينية والخلافات بسهولة واثارة الاقليمية بين الفلسطينيين والأردنيين ، لأن الأردنيين وعملياً كانت مصالحهم الذاتية المباشرة غير مرتبطة مع النضال الفلسطيني ، أو مجهولة تماماً ٠ احتواء وليس عدم تحالف ٠

☐ **د٠ هاني :**

يعني غياب الظاهرة الصحية الموجودة الآن في لبنان ٠ قوى تقدمية يسارية في لبنان متحالفة ، أنا اقول وليس فقط متضامنة مع حركة الفداء ٠ هذا شيء لم يكن ملحوظاً في الأردن ٠ ولم يكن ملحوظاً في أي بلد عربي تقريباً، وليس الأن ملحوظاً في الأردن ولا في أي بلد عربي أيضاً ٠ بمعنى آخر ، ان أداة القمع خارج لبنان كانت من القوة بحيث شردت وشتتت وشبه أفنت الحركات الوطنية التقدمية في الأقطار العربية، وبالتالي الفداء العربي سيتحالف مع من ؟ يعني لم يُسمح لهذه الحركات أن تتشكل ، فمع من يتحالف الفداء العربي ؟

☐ **الأستاذ الجمالي :**

الأصح أنها أعدمت وبالتالي لم يعد ممكناً ان تتشكل ٠

☐ **د٠ هاني :**

نعم ٠٠ الفكرة واضحة فيما أظن ٠ في لبنان قلت أنا في بحثي كان القليل من الديموقراطية كافياً لنمو توجه تقدمي لبناني سليم ، قليل من الديموقراطية وكانت هذه تجربة غنية جداً بالنسبة للبلاد العربية ، في البلاد العربية الأخرى لم يكن هذا الهامش موجوداً ، بل على العكس كان عكسه قائماً٠ الملاحقة والتشريد والقتل ٠٠٠ حال دون قيام أي تنظيم تقدمي وطني كما هو الحال في لبنان ٠ الحال في لبنان رغم تشرذمه يظل ظاهرة صحية ٠ أما حتى مع هذا التشرذم ، لم يكن شيء مماثل له في الأقطار العربية بسبب أداة القمع ، والأردن ليس حالة مستثناة ، وانا لم أشر الى انحسام الصراع في الأردن ، قلت بين الفداء العربي والأنظمة بالجمع ،وليس بالنظام الأردني ؛ لأن الأنظمة العربية كلها مشتركة ـ وشكراً ٠

موقفان ثابتان

بقلم : محمد سعيد مضية

موقفان تمايزت معالمهما وتباينت توجهاتهما فوق مساحة الوطن العربي ازاء الغزو الاسرائيلي للبنان ، موقفان تركزت فيهما وبكثافة ، رؤيتان في عالمنا العربي ازاء قضاياه المصيرية وهموم جماهيره واشواقها وتطلعاتها .

تجلى الموقف الأول مقاومة باسلة للغزاة شدت انتباه العالم لما تمثله من طاقة معنوية وارادة حازمة لا تتولدان الا عن قضية عادلة ، كما تجلى تصديا قداماً لآلة الموت الأميركية قهرها عند أحد خطوط الدفاع عن الكرامة العربية والاستقلال والسيادة العربيتين .

وتجلى الموقف الثاني سكوتاً ازاء العدوان ، سيان كان سكوت رضى أو عجز ، فقد تأكد عجز الجماهير العربية عن التحكم في واقعها الاجتماعي وانسحاقها تحت وطأته ووطأة افرازاته ، فمن المؤكد أن الجماهير العربيـة التي تعاطفت مع المقاومـين البواسل في لبنان وبيروت قد اختزنت عواطفها قهراً على واقعها ومعاناتها ليس فقط مـن القيود التي تحد من تحركاتها لنجدة المقاومين دفاعاً عن الشرف العربي والاستقلال الوطني للشعوب العربية ، بل وكذلك من ارتخاء في مفاصلها وتعطل في جهـاز ارادتها وخدراً ينمنم أطرافها أقعدها عـن التفاعل العملي مع الصمود الأسطوري للاشقاء في لبنان .

موقفان خياران ، كل واحد منهما اتخذ بناء على تصميم مسبق ، واستعداد لتحمل كافة التبعات، ذلك أن العدوان الاسرائيلي لم ينطلق ضربة مفاجئة للاطراف العربية ، بل أعدت خطته وهيئت له أسباب النجاح وحددت له الغايات المتكاملة مع الغايـات والأهداف الامبريالية للولايات المتحدة في هذه المنطقة وبالتحديد تحقيـق هيمنتها ضمن اطـار الاجماع الاستراتيجي، لقد حسم الموقفان قبل انطلاقة الغزوة الاسرائيلية وراح فريق يعد للمقاومة وآخر يروج للعدوان المرتقب كما يروج لسلعة أميركية .

جاء كل موقف أثر عملية صيرورة لنهج متميز ازاء القضية القومية تحددت معالمه منذ بداية العقد الماضي في معالجـة عدوان اسرائيـل على الأراضي العربية وسياستها في التوسع الكولونيالي التي تصر على مواصلتها .. انه نهج التحم في وحدة عضوية مع رؤيـة متماسكـة شملت الحقـول السياسيـة والاجتماعية والاقتصادية .. تمحورت حول موقف محدد من الانسان في هـذه المنطقة ومـن همومـه وأشواقه وحاجاته وعبرت عن مصلحـة أو مصالح متحالفة في الداخل ومرتبطة على الصعيد الدولـي بتحالفات ثابتة ودائمة .



انهما موقفان أثمر كل منهما ثقافة نمت داخل كل مجتمع من المجتمعات العربية وارتبطت الثقافتان بالضرورة في علاقة صراع متبادل عبر الممارسة العملية للنضال القومي التحرري والتطور الوطني٠

فالمجتمع أو الفرد ، سلوكه ومواقفه ترجمة وافية لثقافته ، وقد أجمل الموقف العربي من العدوان الاسرائيلي حصيلة الثقافة السائدة ، الثقافة الرسمية التي انتجت مع صيرورة الحياة الاجتماعية ونتيجة نشاط المراكز الثقافية والعلمية الرسمية في الدول العربية ، فبين الممارسة العملية والثقافة حبل سري وعلاقة تفاعل متبادل ٠

□ الثقافة والتحرر الوطني

ان الثقافة الوطنية وعي للبيئة الطبيعية والاجتماعية ولوسائل تحقيق هذا الوعي ، انها قيم روحية ومادية انتجها الانسان من خلال نشاطه الاجتماعي لرفع مستوى حياته من أجل التحكم بالبيئة والسيطرة عليها وتوجيهها لخدمة أهدافه وتحقيق حاجاته المتنامية ، ومن منظور معلوماته عن الطبيعة والمجتمع تتشكل لدى الانسان رؤيته للعالم ويصوغ الموقف من الناس ويؤطر مثال حياته ويصوغ قيمه ومعاييره السلوكية فالثقافة لا تستحق اسمها الا اذا تجسدت في ممارسة عملية واغتنت من خلال الممارسة، وسواء كانت الممارسة حياة يومية أو صراعا اجتماعياً قومياً أو طبقياً فانها تثمر وعياً يتفاوت في نصيبه من الموضوعية بقوانين الطبيعة والمجتمع تتيح للانسان قدرا من السيطرة على البيئة وقدرة معينة في توجيه الواقع وتحديد مسار تحولاته ، وبقدر اسهام الفرد في عملية تغيير البيئة بقدر ما يرتفع منسوبه الثقافي ويغتني بالقيم الانسانية ٠ وبقدر ما تتوفر الحرية للجماهير كي تشارك في الحياة السياسية لبلدانها وفي عملية التنمية المادية بقدر ما ينمو مخزونها من الثقافة وتغتني قيمها ومعاييرها السلوكية بأنبل المواقف وبالطاقة الروحية الثرية ٠

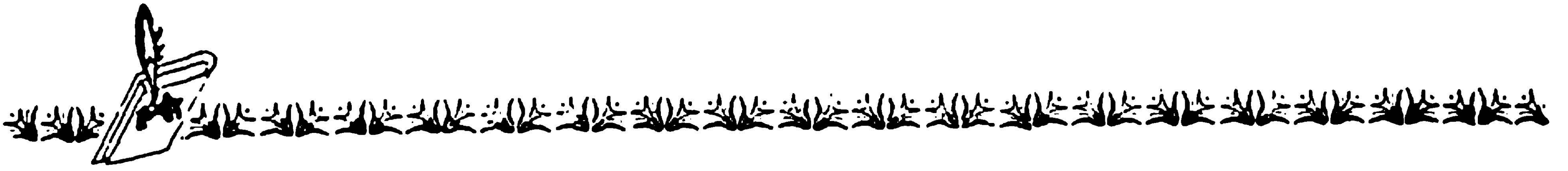
فالثقافة الوطنية منتج اجتماعي تاريخي وثمرة نشاط مشترك للناس ومظهر للحياة الاجتماعية يلازمها عبر مراحل تطورها ، ويتحدد جوهرها بمدى اقترابها من حاجات الانسان وطموحاته وأشواقه ومقدرتها على تحريك الجماهير الشعبية وتحويلها الى عامل حاسم في تحديد مسار الاحداث واتجاه التطور الاجتماعي للمجتمع ٠

والثقافة تصوغ شخصية الفرد، طباعه وسجاياه، علاقاته الاجتماعية ومواقفه ، فالثقافة سيطرة على الواقع ، بمعنى انها اكتساب لمزيد من الحرية ، فالثقافة مرادفة للحرية ومشروطة بممارساتها ٠

انها ليست مقصورة على الشهادات العلمية أو حفظ النظريات والمقولات ، فهذه لم تأت الا ثمرة لجهد الانسان الدؤوب من أجل استكشاف مجاهيل الطبيعة وترويضها لتحقيق حاجاته وتسخير قواها في خدمته ، والثقافة ليست كتباً تحفظ ، بل خبرات عمل وانتاج ، والتحصيل العلمي لا يشكل ثقافة اذا ما تجسد في شهادة مرور الى الوظيفة أو طرائف علمية منشورة للتسلية أو بقصد الترويج للعبقريات الغربية وللعجز الشرقي ، فوظيفة العلم هي خدمة الحياة الاجتماعية عن طريق التحول الى خبرات للجماهير توسع حريتها وسيطرتها على واقعها وتنير طريقها وتسدد سلوكها وتصوغ معاييرها السلوكية وقيمها أو تسهم في صياغتها ، وبغير هذه الوظيفة لا يستحق التحصيل العلمي صفة الثقافة ٠

قد يزخر العالم العربي بحملة الشهادات العلمية، وقد تكثف في برامجه الاذاعية والتلفزيونية والاذاعية طرائف العلم ، ولكن ذلك لا يغني الثقافة العربية ، الا بقدر ما يتحول الى خبرات في الانتاج المادي وبقدر ما تعطي مضمونا علمياً لسلوك الانسان والمجتمع بملايينه المتعددة ، فمن خلال العمل الانتاجي على الآلات ـ ثمرة العلم ـ يكتسب الانسان قيمه العلمية التي تتناسق واياها معايير سلوكية ٠

وقد تتوفر لدى المجتمعات العربية زعماؤها وقادتها ، الا أن ذلك لا ينفي الدور الحاسم للجماهير العربية في تغيير واقعها وتطويره وصيانة الاستقلال والكرامة للبلدان العربية وشل التطاولات العدوانية ضدها ، وبدون اشراكها في الحياة الاجتماعية والسياسية واغناء خبراتها الثقافية من خلال ممارسة النشاط الاجتماعي لن تغدو الجماهير عنصرا فاعلا في حياة مجتمعاتها، فالممارسة الاجتماعية ،والسياسية بالذات ، تنمي ثقافة الجماهير ، خصوصاً جماهير البلدان التي أخضعت للسيطرة الكولونيالية وتحت المحافظة على جهل وتخلف العصور الوسطى وقيمها وعاداتها ، وفي خضم النضال القومي والاجتماعي تلم الجماهير بحقائق النضال وبقضايا المجتمع



وطبيعة الاضطهاد القومي والعلاقات الدولية الخ ، كما تكتسب الجماهير الطباع الجديدة والسجايا المتقدمة وتتنقى من شوائب التخلف بل ومن علاقاته الاجتماعية ·

فالموقف من تثقيف الجماهير يقترن بالموقف من حرياتها العامة ومن حقها في المشاركة في تقرير مصيرها، انه الموقف من قضية التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، وهو موقف يرتبط به الموقف من الكرامة القومية والسيادة الوطنية ومن الانسان ذاته ·

وحول النظرة من الجماهير والموقف من حاجاتها ومصالحها وتطلعاتها اختلفت المذاهب والتوجهات السياسية في الوطن العربي وفرضت التحالفات الاقليمية والدولية وتباينت مناهج التطور الوطني بين الاستقلال والتبعية ، وجاء ذلك كله حصيلة مصالح اجتماعية متضاربة ·

☐ تشويه الثقافة

ان ما تعرض له الانسان العربي في أكثر من بلد عربي من قمع وقهر وتقييد ارادة قد صاحبه نهج اجتماعي وسياسي تميز بالارتباط بالامبريالية بسوقها الاقتصادية وبسياستها وثقافتها· من العبث اخفاء الخيوط المتشابكة للظواهر الاجتماعية المختلفة والتي تثير تفاعلات فيما بينها وتولد افرازات معينة ، فالارتباط اقتصادياً بالأمبريالية قدشكل نماذج اقتصادية متباينة ومتباعدة في المجتمع العربي الواحد ورعى أنماطاً من الحياة الاجتماعية أفرزت قيماً ومعايير سلوكية مرضية ، وأورثانهاكاً في المجتمع وخواء من الداخل لا يمكن ستره عن أعين المتطاولين على السيادة والكرامة العربيتين ، ووضع العالم العربي في حالة مهينة من الاذلال أمام اسرائيل التي لامثيل في العالم لاستخفافها بالمبادىء والقرارات الدولية ولصلافتها في ممارسة العدوان والضم وهضم المناطق المحتلة وتفريغها من أهلها العرب بما يتناقض وميثاق حقوق الانسان وكل منجزات الثقافة البشرية من خلال كفاحها للقهر والاضطهاد والتمييز العرقي·

أقامت أنظمة القهر والقمع العربية مؤسسات اقتصادية نما في ظلها التخلف وتطورت التبعية للامبريالية واحتضنت أنماطاً من حياة البشر تغذي الفردية ومثلها وقيمها وعادات سلوكها وربت لدى الأفراد شهوات الربح والكسب السريع وعن أيسر السبل ومطاردة الاستهلاك واللذة العابرة، فانتعشت في العالم العربي قيم الفهلوة والمخاتلة والأنانية وانسلخت الروابط القديمة أو ضعفت دون أن ينشأ بديلا لها روابط اجتماعية راسخة ومتقدمة· واذا ماعلمنا أن نماذج اقتصادية متباينة تتشكل في البلدان النامية ذات التطور المماثل ، تتعايش من خلالها في المجتمع الواحد مستويات متفاوتة من التكنولوجيا دون أن تتفاعل أو تنتج أثرا مضاعفاً ·· فاننا ندرك حينئذ لماذا ينشأ داخل المجتمعات العربية أرخبيل متناثر الجزر الاجتماعية المفتتة والمتغربة عن بعضها البعض، واكتسب التنائي والتجافي الاقتصادي بعداً سياسياً فاكتسبت الطوائف الاقليمية والدينية بذلك صفة سياسية تسعى لتمزيق العالم العربي بالطول والعرض ·

وفي ظل هذا التجاوز والتشرذم تفرخ قيم ومثل وتبعث قيم ومثل متخلفة وينشأ مناخ ثقافي تتاقلم في ظله شتى المقولات والفرضيات الرجعية المتخلفة التي تفرزها ثقافة الامبريالية ، ثقافة التفسخ والتحلل الاجتماعي واللهاث خلف المكاسب المادية والاستهلاكية·

ويذر الفساد الاجتماعي والاداري قرنه ويمد جذوره عميقاً في الحياة العربية ، ولا يبقى للمصلحة العامة أو الأموال العامة أو القضية الوطنية حرمة أو مراعاة ، واذ يصيب هذا الاختلال بالقيم وانقلاب المعايير الجماهير الشعبية بالصدمة والذهول فان الثقافة الرسمية تنبري كذلك لتدرج في مادتها التزمت والغيبيات والتصوف وتزج الجماهير الساخطة في غياهب العزلة والجمود الفكري·· وهكذا تتجاور داخل الثقافة الرسمية السائدة في العالم العربي وتتعايش ثقافة الغيبيات ، والتقشف مع ثقافة الاستهلاك والاغراء على الملذات والجريمة ،وتتعايش الدعوة لتنمية التراث مع العدمية الثقافة القومية ، دعوات التزمت والتعصب والانغلاق القومي مع التبعية للامبريالية وتمتين الروابط معها ، تتعايش هذه التناقضات وتتجاور على الصحيفة الواحدة والبرنامج الاذاعي الواحد وفي البرنامج الدراسي الواحد ، وتتنزل قيمها وسلوكيتها الى الساحة الاجتماعية فتعزز ميول اللاابالية الاجتماعية ومشاعر الحقد المتبادل وتوغل في تفسيخ المجتمع واقامة الحواجز بين فئاته وتشحنها بالمشاعر العدائية المتبادلة ·

وعلى الرغم مما تبدو عليه هــذه العناصر الثقافية من تناقض فانه تناقض شكلي وظاهري فقط، أما جوهرها فهو التآمر على الثقافة الوطنية الثقافة الانسانية التي تمكن الجماهير من واقعها ،فالتطرف في النظرة انما يضلل الجماهير ويغربها عن مشاكلها وقضاياها الاجتماعية ويربكها ويدفعها في هوة اليأس واللا أبالية ، وهذا هو الهدف الذي تسعى اليه بشكل محموم الثقافة الرجعية بكل التوءاتها وتناقضاتهـا وبكل تشويهاتها وأكاذيبها انها تستهدف صياغـة انسان مسكون بأنانيته ، خوفه أو جشعـه ، يدير ظهره لواقعه ولقضايا مجتمعه ، منقاد لغير ارادته ولتفكيره العقلاني ٠

وسواء عن طريق الارهاب أو الاغراء ، بسيف المعز أو بذهبه ، فقد حفرت مع الزمن هوة عريضة بين الطلائع الفكرية والثقافية وبين الجماهير الشعبية وينبغي ردم هذه الحفرة ٠

☐ مهمات ملحة للثقافة الوطنية

تتمثل الرسالة الحقيقية للثقافة والمثقفين في تطوير المعرفة من أجل اكتساب المزيد من الحرية في التعامل مع البيئة الطبيعية والاجتماعية ، فالثقافة تفقـد مضمونهـا اذا ما تنكرت للحريـة وساندت القمـع واضطهاد الجماهير وتقييد حرياتها العامة ، فموقع الثقافة والمثقفين الملتزمين برسالة الثقافة الوطنية هو في صف الجماهير الشعبية والحرية هي المنـاخ الطبيعي لانتعاش الثقافة، الثقافة التي هي معادلة للحقيقة ٠

مـن هنـا ينتصب الواجب الأول للمثقفين الانتصار للحريات العامـة وللديمقراطية وادانـة وشجب كل مظاهر الجور والاضطهاد ضد الجماهير وتقييد ممارساتها الاجتماعيـة ، يجب أن ترتفـع الأصوات وتظل مرتفعة باستمرار ضد مظاهر الجور والقمع والوصاية على الجماهير ، فذلك هو مكمن الضعف الذي يستشري في الواقع العربي ، وهـو العامل الذي يغري بالتطاول على الأقطار العربيـة ويشجع ممارسات العدوان الاسرائيلية ٠

ان التأكيد على دور الممارسة العملية للجماهير الشعبية في انماء الثقافة لوطنية لا ينفي أو يقلل من دور المثقفين الوطنيين في انتاج الثقافة ونشر عناصرها، فالجماهير لا تستوعب الا ما يتوافق مع خبرتهـا ، وكل ثقافة أو ايديولوجيا تبنى وطنياً على أساس من النفسية الاجتماعيـة التي تعكس بصورة عفوية أسلوب حياة الناس وعملهم، ان تفاعلا خصباً ومثمراً يتم بين المثقفين الوطنيين والجماهير اذا ما روعيت خبرة النشاط العملي للجماهير ، فالثقافة الوطنية عملية تتم باتجاهين ٠

نجد بعض المثقفين الليبراليين ممن يسقطون من الحساب الضرورة الموضوعية للحريات العامة ، وهم يعتقدون أن حوار الآراء المجردة كفيل لوحده بانتصار الحقيقة واسقاط الزيف وفي هـذه المرحلة حيث ينشط الانتاج الثقافي من المطابخ الامبريالية وتستخدم أحدث منجزات التكنولوجيا في الاتصالات لترويجه ونشره في بلدان العالم الثالث ، في هــذه المرحلة ، يتضح بجلاء خطأ هذا الرأي وخطورته ، فالفكرة تجد القبول لدى الجماهير اذا ما اتفقت مع خبرتها العملية ومزاجها الاجتماعي وتجاوبت مع مصلحة عارضة أو أصيلة ٠ وفي ظروف القهر وسيادة الروح الاستهلاكية وأسلوب حياة وعمل العناصر الطفيلية فان خطر تغلغل الثقافة الامبريالية ،قيمها، ومثلها ، ومعاييرها السلوكية في وعي الجماهير خطر قائم ولا يمكن تجاهله ٠

وهنا تنتصب المهمة الثانية للثقافة الوطنية ٠ مكافحة الثقافة الامبريالية ومقاومة تأثيرها المدمر على النفسية الاجتماعية ، فقد تهيأت للامبرياليـة امكانيات تكنولوجية متقدمة لانتاج وتوزيع ثقافتها المعادية للانسان ٠ ان رسالة الامبريالية الثقافيـة هي تبرير ممارسات الامبرياليـة في الهيمنة علـى مقدرات الشعوب وتخليد تخلفها وتبعيتهـا للسوق الامبريالية ٠ فثقافتها معادية للانسان والتقدم وهي اما أن تكون ثقافـة تسلية وتخدير أو انهـا تروج للقيم وانماط السلوك التي تدفع الانسان في تيار العدمية القومية أو تطلق العنان لنقيضها الميكانيكي ـ التعصب القومي وعبادة التراث ـ ٠

انها اما تعمل على خلخلة التراث الثقافي القومي وتبشر بالمركزية الأوربية أو تستفز التعصب للصوفية والسلفية والغيبيات وفي كلا الحالتين تعزل الشعوب عن المنابع العقلانية في تراثها وتحرم الثقافة الوطنية من قاعدتها الصلبة ـ التراث القومي ـ ٠

ان الثقافة المسمومة التي تنتجها الامبرياليـة تخدر وعي الانسان وتغربه عن واقعه ، ويزيد من



خطورتها قدرتها الفائقة على الانتشار عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية المملوكة لاحتكارات الانتاج الثقافي والاعلامي، فهي أمينة بالتالي لرسالة الاحتكارات وأهدافها ومراميها في الأقطار النامية ومنها أقطارنا العربية ، فالولايات المتحدة مثلا تسيطر على ٧٥٪ من وسائل الارسال التلفزيوني ونصف الأفلام السينمائية المطروحة في أسواق العالم، وتملك الولايات المتحدة أكبر عشر شركات تهيمن على الاعلان في العالم ، وتسيطر على ٧٠ ٪ من دور النشر في العالم الرأسمالي ، وتنتج الكمبيوترات وأقمار الاتصالات لوكالة الأنباء الأميركية أسوشيتدبرس ويونايتدبرس أنترناشيونال ارسال ثمانية ملايين كلمة يومياً أو ما يعادل ٧٠ ٪ من الأخبار الدولية .

وأدت هذه السيطرة الى تدويل حقيقي لوسائل الاعلام والاتصالات، ونحن على أبواب مرحلة لايمكن الحفاظ فيها على الثقافة القومية من خطر التبديد الا باعتماد سياسة موحدة للشعوب تكسر سيطرة الاحتكارات الثقافية الامبريالية وتحطم قيود الجهل والعبودية الاقتصادية للرأسمال العالمي .

ان دعم ومساندة رسالة اليونسكو في انشاء نظام اعلامي دولي جديد لا يقل الحاحاً وضرورة عن دعم ومساندة انشاء نظام اقتصادي دولي جديد ، وكلاهما مطلب عادل للبلدان النامية في سعيها لتحقيق استقلال حقيقي وانجاز مهمات التطور الوطني المستقل وتحقيق تنمية حقيقية في الانتاج المادي والانتاج الروحي .

وهذا ينقلنا الى واجب الثقافة الوطنية في فضح وتشريح الدسائس الأمبريالية ضد الشعوب العربية وتعرية الوجه القبيح للامبريالية الأميركية ودورها الرئيسي في اعداد ودعم التطاولات الاسرائيلية .

ان الترابط العضوي بين الصهيونية والامبريالية حقيقة أكدتها تجربة قرن من نكبات الشعوب العربية والشعب الفلسطيني ، فالصهيونية كحركة سياسية وكايديولوجيا وكممارسات عملية داخل المنطقة وعلى الصعيد العالمي تمثل جهازا من أجهزة الامبريالية وقد وضعت الحركة الصهيونية في صلب استراتيجيتها مهمة تمتين تحالف استراتيجي مع القوى الامبريالية الطامعة بالمنطقة وايجاد تقسيم للعمل مع هذه القوى لتأمين هيمنتها على الشرق الأوسط والعالم أجمع ، وكلنا شهود على تقديم اسرائيل للاسلحة والخبراء العسكريين في المناطق التي تتحرج فيها الامبريالية الأميركية من تقديم الدعم العلني مثل جنوب أفريقيا ونيكاراغوا سوموزا وتشيلي والسلفادور وغواتيمالا ومن قبل برتغال سالازار .

وقد جاء اعلان التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل نوعاً من التنسيق المشار اليه حيث يؤدي الجيش الاسرائيلي مهمة احدى فصائل قوات التدخل السريع الأميركية ، وحيث تسهل اسرائيل على الولايات المتحدة مهمة التمركز العسكري في قواعد بالشرق الأوسط مثلما حدث في سيناء ويحدث في لبنان .

وقد تم الغزو الاسرائيلي للبنان ضمن اطار التنسيق الأميركي ـ الاسرائيلي لغرض الهيمنة الأميركية على المنطقة وتحويلها الى بؤرة للتوتر الدولي ولتحقيق خطة الاجماع الاستراتيجي التي تضع المنطقة بكاملها في خدمة التوجهات العدوانية للامبريالية الأميركية وفي ظروف استشراء النزعات الامبريالية لسباق التسلح وتهديد الشعوب والسلم العالمي .

ولم تخف الامبريالية الاميركية هدفها في قمع وتصفية حركة المقاومة الفلسطينية عسكرياً وسياسياً وكذلك قمع طموحات التحرر الوطني الديمقراطي للشعب اللبناني ومحاصرة سوريا واركاعها ، وذلك جرياً على عادتها في تنفيذ دور الدركي العالمي ضد الشعوب وحركاتها التقدمية .

ولم تكن الثقافة والمثقفون الوطنيون محايدين أبداً ازاء هذا العدوان. ان الانتصار لمنظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني وللحركة الوطنية اللبنانية وجماهيرها واجب ملح ومهمة أساسية .

في أواخر عقد الستينات ، أثناء تصاعد الكفاح العربي ضد العدوان الاسرائيلي والدسائس الامبريالية تذرع المدافعون عن الامبريالية الاميركية بحجة صفيقة تزعم أن جمال عبدالناصر قد أذل أميركا واستفزها باستمرار عن طريق تكرار التهجم



عليها وتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفييتي عدوها التقليدي ، واليوم وبعد أن سلمت جميع الأوراق للولايات المتحدة فانها تتقشف في دعم العدوان الاسرائيلي والدفاع عن مشاريعه التوسعية وتمعن في عدائها الصلف للشعوب العربية وتطلعاتها ٠

ان أي تبرير يقدم دفاعاً عن الامبريالية الامبركية ، أو تزكيه لأوهام بصدد دور تؤديه من أجل تسوية الأوضاع بالمنطقة مثل مشروع ريغان انما توظف باتجاه انجاح مهمات العدوان الاسرائيلي ومشاريع الهيمنة الأميركية داخل المنطقة ، انها تستهدف الالتفاف حول الطريق الوحيد لحل أزمة العدوان الاسرائيلي وانها مأساة الشعب الفلسطيني طريق تعبئة الجماهير وحشد الطاقات لتوجيه الضربة اللازمة للمعتدين وحماتهم ٠ انها قنابل دخان يطلقها المتسللون لاحتلال المراكز الاستراتيجية في الشرق الأوسط ، وتقويض استقلال الاقطار العربية ٠

تدخل الأقطار العربية مرحلة الثورة الديمقراطية ، وتستشرف مهماتها ٠ ان شرح وتوضيح هذه المهام والقضايا من أوجب واجبات المثقفين التقدميين ، انها احدى القضايا الحارة للثقافة الوطنية ، الأنه من المهم في هذا المجال التركيز على نقطتين هامتين :

أولاهما : أن الانخراط في انجاز هذه المهام يطرح بشكل عملي وجاد مهمة تحقيق التضامن والتعاون بين الاقطار العربية وشعوبها ، فمن خلال انجاز هذه المهام تتفتح قنوات التعاون والتضامن العربيين ، وتتعزز التحالفات بين القوى التقدمية العربية ، بينما الرجعية ، وكما أثبتت العقود العديدة الماضية ، عاجزة تماماً عن تحقيق أدنى قدر من التضامن والتعاون المشترك لأنها غير معنية بذلك ويستغرقها الاهتمام بالقضايا الصغيرة على النطاق الاقليمي الذي لا يتجاوزه أفقها ٠

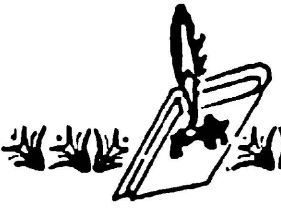
وثانيهما أن ما يستوجبه مسعى انجاز هذه المهام يطرح كشرط أساسي ضرورة اطلاق مبادرات الجماهير واشراكها في الحياة السياسية ، وبهذا الشرط تبنى القاعدة الصلبة للتحالف مع الثورة الفلسطينية ويتشكل الامتداد الاستراتيجي لها في العمق العربي ٠ بهذا الشرط يستحيل الاستفراد بالمقاومة الفلسطينية مثلما استحال من قبل الاستفراد بالثورة الجزائرية أوعزلها ٠ وبهذا الشرط نقدم الدعم المادي والمعنوي لنضال الجماهير الفلسطينية في المناطق المحتلة ضد نهج التفريغ السكاني والاستيطان والضم الذي تمارسه اسرائيل ٠

لقد كشف الصمود المجيد في لبنان مدى التلاحم بين الجماهير الفلسطينية واللبنانية ، وما ولده هذا التلاحم من طاقة هائلة صنعت معجزة كفاح تاريخية ضد الامبريالية والصهيونية ، وأثبتت هذه المفخرة أية امكانيات تختزنها الجماهير وتنطلق اذا ماتسلمت مقدراتها ورفعت سوط الارهاب والقمع عن كاهلها ٠

ان التحالف الكفاحي بين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وكذلك احتضان المقاومة الفلسطينية للحركات التقدمية العربية ومن خارج المنطقة انما يؤكد من جديد على المصير المشترك الذي يجمع النضال الفلسطيني من أجل الحقوق الفلسطينية المشروعة والنضال الوطني الديمقراطي للشعوب العربية وشعوب العالم ، فالنضال الفلسطيني منسجم ويتفاعل دوماً مع القضايا الديمقراطية للسلام والتقدم وتصفية العنصرية والفاشية والأمبريالية ، انه ينسجم ويتفاعل مع طموحات الشعوب في تصفية تركات التخلف الموروثة عن القرون الوسطى والمتشابكة في نسيج واحد مع ارث السيطرة الكولونيالية للامبريالية ، وهو للسبب ذاته يدخل الثقافة الوطنية الفلسطينية والثقافة العربية عموماً في جبهة الثقافة الانسانية التي تتصدى على الصعيد الدولي للثقافة الامبريالية ، وبفضل هذا الموقع فان الثقافة الفلسطينية قد حظيت برعاية الثقافة الانسانية العالمية التي احتضنتها تعبيراً عن احتضانها للهموم المشروعة والتطلعات العادلة للشعب العربي الفلسطيني ٠

أخلص أخيراً الى مهمة الثقافة العربية في رعاية الثقافة الفلسطينية ، ان الثقافة الفلسطينية تشكل أحد روافد النهر العريض للثقافة العربية ، فالاصول واحدة تنبع من التراث العربي المشترك والجذور تمتد في الهم الواحد للجماهير العربية والحاجات المشتركة التي توحد فيما بينها ، الا أن لكل ثقافة وطنية خصوصيتها النابعة من مدى خصب التجربة الكفاحية للجماهير وثراء التقاليد الثقافية والهموم النوعية التي تنشغل بها الثقافة الوطنية ٠

فالثقافة الفلسطينية تتصدى لجهود التصفية التي



تمارسها الصهيونية والسلطات الاسرائيلية للتراث القومي الفلسطيني والثقافة الفلسطينيـة وتشريد المثقفين أو ترحيلهم من الأراضي المحتلة ٠ ان السلطات الاسرائيلية تقترف المجازر الثقافية مثلما تقترف المجازر التدميرية الدموية ، انها تعمل على مصادرة الثقافة الفلسطينية مثلما تصادر الأراضي الفلسطينية ٠ وما جريمتها ضد مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت سوى حلقة من سلسلة جرائمها في هـذا الميدان ، وهي تعتقل المثقفين العرب الفلسطينيين وتدمر المؤسسات الثقافيـة وتغلقهـا وتتدخل في الحياة الاكاديمية وتفرض مناخاً ارهابياً يصعب في ظله الانتاج الثقافي أو أي نشاط ثقافي ٠

لقد ناقش المجلس الأعلى للتربيـة والعلـوم الفلسطيني في دورته الأخيرة بعمان هموم الثقافـة الفلسطينية في ظل الاحتلال الاسرائيلي وسياستـه العدوانية ، وخرج من مناقشاته بضرورة التنسيـق في ميدان البحوث والدراسات مع المؤسسات العربية في كل قطر عربي من أجل صياغة التراث القومي في فلسطين والتوثيق الثقافي لهذا التراث وجمع الانتاج الفكري المتعلق بالقضية الفلسطينية ونشره وحفظه في أماكن أمينـة وتقديم أنواع الدعم للمثقفـين الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، ينبغي التفاعل مـع هذه الرغبة وخلق تكامل في الجهود المبذولة في هـذا الميدان ٠

كما ينبغي ايلاء عناية خاصـة بالنشاطـات الثقافية الفلسطينية في ميدان الفن والأدب واقامـة المهرجانات الخاصة والأيام والأسابيع العربية للسينما الفلسطينية وللفنون التشكيلية والاداب الفلسطينية ونشر نتاجاتها وتعميمها في أقطار العالم العربي ٠

ان أخطر مايواجه الثقافة الفلسطينية في المناطق المحتلة التطبيـق المثابر لسياسة التفريغ السكانـي وطمس المعالم الحضارية العربية في فلسطين ، فعن طريق الحصار الاقتصادي والتجويع وتدمير الانتاج الاقتصادي العربي في ميدان الزراعة والحرف تغلق أبواب الارتزاق ليس بوجه المثقفين فحسب بل بوجه جميع الأهالي العرب كذلك ، ان السلطـات المحتلة تنفذ سياسة تهجير اضطراري بعد أن جعلت ظروف الحياة بين العرب صعبة لا تطاق ، وهي تحث الخطى لفرض الأمر الواقع وتفريغ الاراضي العربيـة من أهلها وضمها فعلياً ضمن اطار اسرائيل الكبـرى ، ويجري ذلك بينما تشغل العرب والعالم بقضية لبنان، وهي لا تقبل من العرب الا أن يبصموا على الأمر الواقع الذي فرضته ويسلموا باطماعها التوسعية الاغتصابية ٠

ويفرض هذا الأمر على المثقفين والكتاب العرب واجب النفخ في البوق وتحمل مسؤولياتهم في استنفار الطاقات وتعبئة الجهود من أجل الرد بالقوة الحازمة على الممارسات الاسرائيلية واجبارهـا على التزام منطق العصر والانصياع للقوانين والمواثيق والقرارات الدولية ٠

ان مسؤولية كبرى تقـع على عاتق الكتـاب والادباء العرب في الانعطاف بالواقع العربي باتجاه النهوض العارم والتصدي الحازم للتوسع الكولونيالي الاسرائيلي وللهيمنة الأميركية وشل تطاولاتهما على السيادة والكرامة العربيتين ٠

ان مسؤولية تاريخية ملقاة على عاتق المثقفين العرب في تحويل الجماهير العربية الى سيدة مصيرها وصانعة مستقبلها والمهيمنة على مقدرات المنطقـة وثرواتها ٠

فوظيفة الثقافة العربية والمثقفين العرب في هذه المرحلة فرض واجب لا يجوز أن يتقاعس عنه المثقف العربي أو يتساهل ازاءه أو يمارسه رد فعل ميكانيكي آني، وبغير ذلك يغدو النشاط الثقافي تسلية أو الهية للجماهير ، مباهاة كلامية وتغنياً بامجاد أبي زيد الهلالي تحت نعال الجنود الأمريكيين والاسرائيليين، فما أجمل أن يصدر عن هذه الندوة ميثاق للمثقفين العرب يتضمن المبادىء التالية :

١ ـ فضح وتعرية التمثيلية الاميركيـة التي تدور فصولها على المسرح العربي وتغرر بالجماهير العربية ٠ يجب التصدي للولايات المتحدة وكشـف مراميها لمد نفوذها على سائر بلدان المنطقة بالاستفادة من أعمال العدوان الاسرائيلية ، يجب فضح مراميها في لبنان ومقاومة خطتها لزيادة قواتها وتضخيمهـا واقامة القواعد العسكرية المهددة لسوريا والمتكاملة مع القواعد العسكرية في سيناء والصومال وعمان والبحرين وصولا لهـدف اخضاع شعوب المنطقـة لسيطرتها وتكريس تبعيتها لنفوذها ومنعها بالقوة

من ممارسة حقها في التطور المستقل وتحقيق التحولات الاجتماعية .

ان الولايات المتحدة تمارس تمثيلية المنقذ والوسيط والساعي للسلام من أجل ستر اجراءاتها العدوانية ومن أجل التغطية على الممارسات الاسرائيلية الاغتصابية والتوسعية والاستيطانية في الاراضي العربية ، فالذي أرسل آلات الموت لتمارس حرب الابادة ضد الجماهير الفلسطينية واللبنانية لا يجوز له أن يلبس مسوح الداعي للسلام بين العرب .

٢ ـ الحرص على منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني ومقاومة عسكرية مسلحة للعدوان الاسرائيلي المتواصل ، ان واجب المثقفين العرب صيانة مسيرة النضال الفلسطيني واذكاء جذوة النضال التحرري العربي كي يسيرا كتفا الى كتف ويساندا بعضهما البعض .

يجب أن لا نسقط من حسابنا أن الدوائر الامبريالية قد عملت على اسقاط البندقية من اليد الفلسطينية وتسعى لتصفية منظمة التحرير الفلسطينية سياسيا عبر أحابيل مقترحاتها السلمية المفضوحة والمدانة ، وكل من لا يغمض عينيه عمدا يلاحظ مدى الاهتمام الذي يبذله العدو الصهيوني لطمس معالم الشخصية الفلسطينية وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ـ العناية بنضال الجماهير العربية في الوطن المحتل ورعاية هذا النضال ليس فقط عندما يتصاعد ويتأجج ، يجب أن لا نهب فقط كرد فعل آلي وأعمال تضامن موسمية ، فالنضال العربي في فلسطين مقاومة باسلة متواصلة كل يوم متخذة أشكالا متفاوتة من الاندفاع والتوتر وتشمل مجالات عريضة من الحياة العربية المليئة بالمعاناة عبر الحصار الاقتصادي والثقافي والعلمي والأكاديمي والتعثر اليومي بحواجز جيش الاحتلال وزعرنات المستوطنين الفاشيين ، يجب نفخ البوق دوما ضد الاستيطان اليهودي في المناطق العربية المحتلة وتحريك حملة عالمية توقف السعار الاستيطاني المحموم .

ان كفاح عرب الجليل والمثلث والنقب ضد التمييز العنصري ونهب الاراضي والحصار الاقتصادي للمجالس البلدية كفاح قومي يجب أن يلقى المساندة والدعم، ويجب أن يظل أحد الشواهد البارزة على حيوية الجماهير وديناميةمقاومتها في أقسى الظروف وأشدها ، وفي هذه المقاومة أكثر من درس وعبرة للمثقفين العرب .

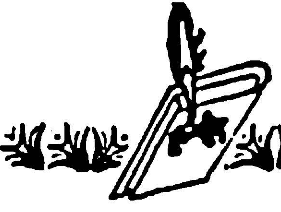
٤ ـ الجماهير العربية وحركتها التاريخية هي القوة المحولة للواقع العربي ، ان على المثقفين العرب ايجاد القنوات والمنافذ للوصول اليها وتجربة شتى لأساليب التأثير فيها والتفاعل معها ، ان ثقافة لا تجتذب الجماهير أو تتفاعل معها وتحركها لانجاز التحولات الاجتماعية انما تعتبر ترفا فكريا . يجب الدفاع عن حق الجماهير في حرية القول والتنظيم والحركة .

٥ ـ لقد تعرضت الجماهير اللبنانية وحركتها الوطنية ومثقفيها الوطنيين لهجمات شرسة وما زالت تتعرض لمحاولات فاشية تستهدف تصفيتها أو اضعافها ، وهي تستحق من المثقفين العرب كل تحية وتضامن ، اننا ننقل تحية الاكبار والاعجاب من المثقفين الوطنيين في الاردن الى المثقفين الوطنيين اللبنانيين الذين تحملوا بشرف أعباء مساندة المقاومة الفلسطينية والدفاع عنها ودافعوا عن شرف وطنهم وكرامة أمتهم .

ان من أهداف الغزو الاسرائيلي هو اطفاء وهج الثقافة الوطنية وطمس تقاليد الحرية والديمقراطية في لبنان التي كانت تعكس بهذا القدر أو ذاك على جميع شعوب المنطقة وتشع أمامها كمنارة هادية ، ويفترض علينا رعاية هذه المنارة ودعمها كي تصمد أمام هوج الرياح التي تستهدفها .

٦ ـ دعوة جميع العاملين في الجامعات العربية لتقديم الدعم الى الجامعات الفلسطينية في الأراضي العربية المحتلة لتأمين مسيرتها ووقف الهجمة البربرية التي يتعرض لها الطلاب والأساتذة الوطنيون والاجانب، ان ما تتعرض له الحياة الاكاديمية والثقافة الفلسطينية من مجازر حقيقية يستوجب الرد المناسب وتصعيد دور الاكاديميين العرب في المعركة ضد الوحش الصهيوني .

٧ ـ ان احياء التراث الثقافي العربي وبعث جوانبه المضيئة الايجابية والعقلانية واجب من أجل الثقافة العربية من الصمود أمام هجمة الثقافة الامبريالية وصد موجات العدمية القومية . في هذه



المرحلة العصيبة من الهزائم المتلاحقة حيث تقريع الذات وتحقيرها ولطم الخدود وضرب الصدور نغمات ترتفع بصورة تلقائية وتتناغم مع مد ثقافة اللاوطنية والعدمية الثقافية الوطنية، ثقافة المركزية الأوربية، فان وظيفة التراث القومي الايجابي أساسية لصيانة الثقة بالذات العربية وبناء أساس موضوعي للثقافة القومية وتحرر من عقد النقص أو الاستعلاء •

٨ ـ وبقدر ما تتعمق الثقافة العربية في واقعها المادي وتعكس بموضوعية وبروح متفائلة هموم جماهيرها بقدر مايغتني مضمونها الانساني وتكتسي بالطابع العالمي ، ان على الثقافة العربية أن تتفاعل مع الثقافة الانسانية وتشحنها بالهم العربي الفلسطيني • على المثقفين العرب طرح الهموم العربية على الثقافة العالمية سواء من خلال نشاطهم بالمنظمات والهيئات الثقافية الديمقراطية العالمية أو من خلال الوفود التي تجوب بلدان العالم • يجب اثارة الحملات العالمية المندِدة بالممارسات الفاشية الصهيونية والامبريالية في العالم العربي ، ينبغي محاصرتها عالمياً وتوجيه الضغوط الفاعلة لوقفها •

اننا نقترح اصدار بيان بهذا الصدد الى المثقفين والكتاب في العالم نناشدهم الوقوف مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة وذلك من منطلق انسجامها مع منجزات الثقافة العالمية في التصدي للتمييز العنصري والاضطهاد القومي ومساندة حق الشعوب في تقرير المصير •

هكذا تغدو الثقافة العربية احدى القوى المادية المحولة للواقع العربي والمغيرة لاتجاه الاحداث نحو التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والسلم والأمن للجماهير العربية •



التجربة الفلسطينية ـ اللبنانية في إطار المفهوم الشعبي للنضال العربي

بقلم : نجم الدين الكيب

لا بد لنا ـ بادىء ذي بدء ـ من الرجوع الى الماضي لتقويم المراحل التي مرت بها التجربة الفلسطينية مع الأنظمة العربية الرسمية ، وذلك قبل أن ينتهي بنا المطاف بتخصيص الحديث عن التجربة الفلسطينية عبر القاعدة الشعبية اللبنانية ، وذلك بتلخيصها في النقاط التالية :

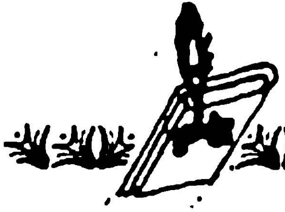
أولا :

نحن نعلم التجربة الفلسطينية المبكرة التي خاضها الشعب الفلسطيني للدفاع عن وجوده المهدد بالهجمة الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ مستعيناً في ذلك بجيوش الأنظمة العربية ، وما آلت اليه من نتائج على الصعيد العسكري والسياسي ، وكان أخطر هذه النتائج على الاطلاق هو اجبار أكثر من نصف الشعب الفلسطيني على النزوح من أرضه في فلسطين ، ولم تستطع كل المحاولات التي بذلت ـ سواء عن طريق هيئة الأمم أو مجلس الأمن أو المؤسسات الأممية والدولية الأخرى على اعادة المهجرين الفلسطينيين الى أرضهم السليبة، وكان التعنت الاسرائيلي المسنود بالتعاطف الدائم من قبل القوى العظمى قد بدد كل أمل في استعادة الحق العربي المهدور في فلسطين .

ثانياً :

ان المواجهة مع العدو الاسرائيلي قد بدأت من جديد بعد انبعاث المقاومة الفلسطينية في سورية عام ١٩٦٦ واتخاذها من الأرض السورية منطلقاً لشن غاراتها الفدائية وذلك بموافقة الدولة المضيفة للمقاومة في سورية ، وكان العمل الفدائي الفلسطيني هذا قد أفضى ـ كما هو معروف ـ الى تهديدات (ليفي اشكول) (١٢/٥/١٩٦٧) بضرب سورية ، واحتلال دمشق مما دفع بمصر الى تحريك جيوشها لتتخذ مواقعها المتقدمة في سيناء وأعلنت القيادة المصرية الناصرية في مصر أن أي اعتداء على سورية هو اعتداء على مصر .

وقد جاءت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ بفرص جديدة للعمل من خلال الجيوش



العربية في كل من مصر ، وسورية ، والأردن ، حيث تمركزت المقاومة الفلسطينية في هذه الأقطار الثلاثة متخذة من قطاع غزة مقراً لقيادتها لتكون قريبة من الجبهة ولتقود الفلسطينيين من هناك •
وكلنا يعلم النتائج التي أسفرت عنها حرب ١٩٦٧ وكانت التجربة الوطنية النضالية للثورة الفلسطينية قد مرت حتى ذلك الوقت عبر قنوات الالتحام بالأنظمة العربية الرسمية ، وكان على الفلسطينيين أن ينتظروا أن تنشب الحرب مع العدو الاسرائيلي ، ليبدأوا هم أيضاً عملهم في التصدي المسلح ، وقد أفضت التجربة الفلسطينية النضالية المسلحة الى عقم هذا الأسلوب في النضال الذي أصبح يفتقر أكثر ما يفتقر – الى خصائص الديمومة والثبات ، ولأنها – أي التجربة – قد بنت وجودها أساساً على مرتكزات غير شعبية في الأقطار التي أتيح للمقاومة الفلسطينية أن تعمل من داخلها ، وقد اتضح هذا بكل جلاء في التجربة النضالية الفلسطينية مع الأنظمة العربية التي بلغت ذروة الخيبة في ايلول الأسود من عام ١٩٧٠ •

غير أن الأحداث التي واكبت مسيرة النضال الوطني الفلسطيني قد ساهمت – دون شك – في اذكاء التجربة النضالية الفلسطينية ، التي صارت منذ عام ١٩٧٢ تبحث عن وجود لها في اطار جديد ، ومن أجل ذلك عقد المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة في ١٢ ابريل من عام ١٩٧٢ حيث تم رسمياً توحيد فصائل المقاومة المسلحة في مؤسسة عسكرية واحدة كما تم توحيد مصادر الجباية ، وجميع أجهزة العلاقات الخارجية على أسس جبهوية ، وقد ساعد هذا من الناحية العملية على الخروج بالمقاومة الفلسطينية من حالة التشرذم الى حالة التنظيم التي جعلتها أقدر على العمل السياسي ، والاجتماعي والعسكري لمواجهة أعباء المرحلة التالية من النضال الوطني وكان من نتائجها ما نلخصه في النقاط التالية :

ثالثاً :

بعد أن تعزز الوجود الفلسطيني في لبنان بوجود آلاف الفلسطينيين موزعين على مناطق تقع في شماله وجنوبه ووسطه حيث أخذوا من خلال المؤسسات التعليمية والاجتماعية المزدهرة يمارسون حياة يتمتعون فيها بحقوق واسعة ، وقد هيأ المناخ اللبناني العام ظروفاً مواتية غذت التجربة الفلسطينية بمزايا جديدة ، لم تكن متاحة لها من قبل • فقد وجدت على الأرض اللبنانية شعباً منظماً هو الآخر في عقد من التكتلات الوطنية والجبهوية المستقلة المؤمنة بعروبتها وبالحق الفلسطيني في العودة الى وطنه ، وكان الالتحام النضالي الفلسطيني اللبناني على القاعدة الشعبية أعطى المقاومة الفلسطينية حرية الحركة في المجالات السياسية والاجتماعية ، والاعلامية والعسكرية •

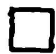
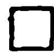
رابعاً :

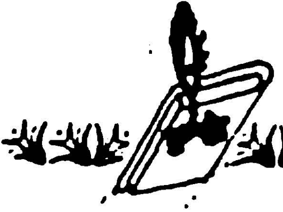
فقد بلغ الالتحام الفلسطيني اللبناني ذروته بتكامل الوحدة العسكرية بين القوات اللبنانية في الحركة الوطنية اليسارية مع قوات الثورة الفلسطينية في الساحة اللبنانية ، ونعلم جميعاً ان هذا الالتحام اللبناني الفلسطيني كان قد جاءت به ظروف الحرب الأهلية في لبنان في عام ١٩٧٥ لمواجهة الاعتداءات المتكررة من جانب العدو الاسرائيلي التي بدأت تستثمر خلاف الأخوة لضرب الوجود الفلسطيني في لبنان ، ولعل أخطر الاعتداءات الاسرائيلية قد تم فعلا بعد أن اكتسحت قوة البغي في الجيش الاسرائيلي جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ فيما يسمى بعملية الليطاني التي استمرت حوالي عشرة أيام حققت فيه اسرائيل احتلالا مباشراً بما مجموعه ألف كيلو متر مربع من الأراضي اللبنانية ٠

وكانت الأزمة اللبنانية حتى مايو من عام ١٩٨٢ هي أزمة داخلية تخص اللبنانيين قبل غيرهم ولكن العدو الاسرائيلي مدعوماً بقوى عظمى قد صعد هذه الأزمة وخلق فيها فجوة كبيرة تسللت منه جيوشه العتيدة الى لبنان في أكبر عملية قام بها الجيش الاسرائيلي في تاريخ حروبه العديدة مع العرب ٠

ولأول مرة واجه الجيش الاسرائيلي المدعوم بأكبر قوة ضاربة في الجو والبر والبحر شعباً وليس دولة ، والملفت للنظر في حرب اسرائيل الخاصة مع الشعب المسلح في لبنان انها تميزت ليس بخصوصية كونها مواجهة مسلحة مع شعب اختار الوقوف الى جانب المقاومة الفلسطينية بل كانت في الوقت نفسه أطول حرب خاضتها الجيوش الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، ألا يكفي هذا لاقامة الدليل على أنه حين توفرت النية الحقيقية لمقاتلة العدو الاسرائيلي تنتفي كل فرصة له على احراز أهدافه في النصر المظفر ٠

ومهما قيل ويقال في الطريقة التي عولجت بها المسألة اللبنانية بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان فانه يظل لهذه الحرب التي خاضها الفلسطينيون جنباً الى جنب مع اللبنانيين في الحركة الوطنية اليسارية – من خلال قناة التلاحم الشعبي – من العبرة والدروس ما يدعو العرب – والعرب الفلسطينيين – الى أن يعيدوا النظر في أوراقهم القديمة ٠



ختـــام الـــدورة

وقد عقب الدكتور الحبيب الجنحاني الذي رئس الجلسة الختامية بالكلمة التالية :

يكفي هذه الندوة فخراً أنها حققت نتيجة رغم تشاؤم البعض منا ، وأنها عرفت مجموعة من المثقفين العرب أو بعض المثقفين خاصة أولئك الذين كانوا بعيدين عـن ساحة صمود بيروت ، وبعض الاخوة كانوا قريبين وكانوا في المعركة مثل الدكتور العظمة ، يعرفون تلك التفاصيـل . وأعنـي بالخصوص الجانب العسكري الاستراتيجي . وبالنسبة لكثير من الاخوة كانت هذه القضايا مفيـدة . والتلميحات التي رأيناها بالأمس من الأخ عريقات أو الأخ العميد صبحي الجابي ، هذه مهمة جداً لنفهم نحن ونستطيع أن نربط بعض تصوراتنا الفكرية بواقع النضال اليومي ، وهذه القضية الأساسية في ايجاد هذه الحلقة المفقودة بين العمل الفكري والتنظيري والنضال الفكري والساحة العمليـة السياسيـة والعسكرية والمعقدة .

الملاحظة الثانية ، أن الكثير من الاخوة قـد تساءلوا عن الحقيقة الموضوعيـة في حرب بـيروت الصامدة والحروب السابقة ، والدكتور الجمالي طرح الأسئلـة عـن حروب ٤٧ ـ ٥٦ هـل نعرف تاريخها ؟ وهذا من الصعب أيها الاخوة ، ولا بد أن نكون موضوعيين . نتذكر أنه أيضاً في تاريـخ الحروب والثورات، في تاريخ الشعوب ، أن الحقائق حول الحروب والثورات لا تأتي ابان المعركـة أو بعدها بقليل ، تحتاج الى وقت وهذا شيء طبيعي في تاريخ الشعوب . المقاومة الفرنسية الكبرى ضد النازية في الحرب العالمية الثانيـة ، الكتب بدأت تظهر الحقائق بعد مرور ما يقرب من خمسة عشر عاماً أو عشرين سنة . وكذلك الأمر بالنسبة للثورة الجزائرية . اذن يجب أن لا نستغرب من هـذه الأشياء ، فالشيء الطبيعي أن تبقى بعض الجوانب خفية وخاصة بالنسبة للنظرة التاريخية البحتة .

وأخيراً أترك الكلمة للاستاذ علي عقلة عرسان ليختم هذه الجلسة ـ وشكراً .

☐ **كلمة السيد الأمين العام للاتحاد العام في ختام الندوة :**

في الحقيقة ، أشكر أولا السيد رئيس الجلسة ـ وما أريد أن أقوله ، ليس كلمة وانما هو توجيه شكر لكل كاتب ومفكر وسياسي وقائد عسكـري شارك في اغناء هذه الندوة التي أقامها الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب . وأود أيضاً أن أوجه الشكر باسمكم لاتحاد الكتاب العرب في سورية ، الذي قدم تسهيلات لاقامة هذه الندوة . وأريد أن أؤكد أن هذه الندوة لم تحقق ما طمحت اليه من أهداف ، ولكنني لا أريد أن أنظر نظرة تشاؤمية ، يكفـي أننا تحدثنا بحرية وبصراحة عما نعرف . وزودنا آخرون بمعلوماتهم ، وحصيلة ذلك كله هي مفيدة لنا من جهة ، ودافعة لنا من جهة أخرى الى مزيد من البحث ومزيد من العمل ، لأننا لا يمكن أن نكون من طلائع هذه الأمة في هذه الظروف ، وأن نكتفي بالادانة وادارة الظهر . ان هذا عمل سهل ، ولكنه ليس عمل الطليعة المسؤولة ، ولا عمل المناضلين . وعندما نقول لا أمل ونكتفي ، فمعنى هـذا اننـا نضيف رصاصة الى رصاصات العدو . اننا يجب أن نعمل بكل ما نملك من قوة ومن قدرة ومن امكانات ضمن الظروف المتاحة ، وأن نعوّد الآخرين على الحوار ، وأن نعود أنفسنا على الحوار . يكفـي أن يستمع في هذه المرحلة السياسي للكاتب ، والكاتب للسياسي ، وأن يعرف كل منهما مشاكل الآخر ، وأن يعترف بحقه في الكلام ، لأننا وصلنا الى مرحلة المصادرة الكاملة لكل شيء ، بما في ذلـك العقـل واللسان . واذا أردنا أن ننطلق الى أفق جديد من العمل ، لا بد أن نبدأ بهذه البديهيات والمسلمـات البسيطة . واذا حققت هذه الندوة شيئاً على طريق ذلك ، فانها بداية لا نرى انكارها ولا التنكر لها .



انني أود أن أشير بشيء من الأسف ، الى عدم تمكن بعض المدعوين والمشاركين الرئيسيين من الحضور ، وخاصة أشقاء لنا في لبنان الذين كان يقع عليهم عبء كبير في انارة وتوضيح كثير من القضايا المطروحة • وأعتقد أن الطموحات التي حققتها الندوة تصلح في المستقبل الى معالجات قادمة مستمرة، سواء من خلال الكتابة والدراسة ، أو من خلال ندوات أخرى • لكننا نفتقر الى مزيد من الصراحة ومزيد من الوثائق ومزيد من الدقة في ما نقول وفي ما ندرس •

نحن بعد بيروت ، تألمنا وتأثرنا وعملنا ، لكن أستطيع أن أقول أننا أيضاً سمعنا وشاركنا بكلام يؤدي الى نفخ الذات والابتعاد عن الواقع ، بصناعة أوهام جديدة • وهذه الأوهام لن تقودنا الى طريق الحق ، طريق النصر ، طريق تحقيق التعامل بكفاءة مع عدونا •

حقائق قيلت في هذه الندوة ، تستحق الوقوف عندها ، تستحق التمحيص والدراسة • وأيضاً حقائق لم تذكر ولا بد أن يأتي الوقت • ولكنني أريد أن أؤكد أن هذه البداية بداية طيبة ، ولكن علينا أن نحميها ككتاب ، أن نحميها ببعض الأمور:

أولا ـ بمعرفة الأرض والبيئة التي نتحرك فيها ومراعاة شروط هذه الأرض وهذه البيئة • وأقصد كل شروط التعامل في الوطن العربي ، وشروط التحرك لمفكرين يريدون أن يتحملوا مسؤوليات ويعالجوا قضايا حساسة ، وأن نمشي خطوة خطوة وأن يحمي كل منا ظهر الآخر لنكوّن بيئة حرة وحرية ، ولو في قاعة تعداد مقاعدها مئة مقعد •

ثانياً ـ وأرجو أيضاً أن يتذكر كل منا أن للآخر حقاً في أن يقول وأن يعتقد وأن يصارح وأن يستفيد وأن الآخر موجود ، وأن الغاءه يشكل جريمة ، لأنه يساوي القتل • من هذا المنطلق ، أرجو أن يتسع صدرنا لجميع الآراء • لكن يجب أن نتذكر أيضاً بوضوح أن هذه الأرض لن يحميها ولن يحررها ولن يغرس الكرامة فيها ولن يروي أحلامها وطموحاتها وأبناء شعبها وتطلعاتهم ، الا التأصل في تربتها وحضارتها •• في تاريخها وواقعها • واذا أردنا أن نتصل بالجماهير ونتعامل معها ونثورها ، فيجب أن نتذكر ما هي المكونات ومقوّمات الجماهير ، وماذا تقدس وكيف تموت ولماذا تموت وكيف تذهب الى الموت • كيف تعمل وكيف تختار • واذا تناسينا هذا وأردنا أن نفقس جماهير كما تفقس الحاضنة البيض ، فاننا سنتعب طويلا ونجني على أمتنا الويلات •

أريد بحرارة أن أشكر كلا منكم ، وأن أتوجه بالشكر الى الذين تجشموا متاعب السفر وحضروا، وأريد أن أؤكد على أن الاتحاد العام حريص على أن يمارس دوره ولكنه لن يستطيع ذلك الا بمساعدة كل فرد منكم • فأنتم الاتحاد العام وأنتم العمل •

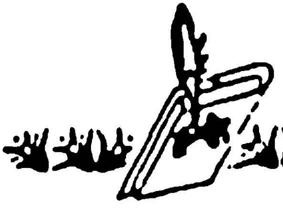
شكراً لكم والى اللقاء في ندوات أخرى •

وبعد كلمة السيد الأمين العام ، ألقى الدكتور الحبيب الجنحاني الكلمة التالية :

حضرات الأخوة :

اسمحوا لي قبل أن أرفع الجلسة ، أن أتوجه باسمكم وباسم الزملاء الضيوف الأصدقاء من المغرب والمشرق •• أن أتوجه بالشكر الجزيل الى أخينا وصديقنا وزميلنا الأستاذ علي عقلة عرسان الأمين العام للاتحاد ، والى رفاقه سواء كانوا من زملائنا الكتاب أو من الاداريين ، أن أتوجه اليهم بالشكر الجزيل على ما بذلوه في الاعداد لهذه الندوة وفي السعي جاهدين الى نجاحها • وأشكرهم باسمكم ونتمنى أن تكون هذه الندوة حلقة من حلقات جديدة في حياة الاتحاد العام الذي نسجل له بكل اعتزاز وبدون مجاملة ، نسجل نفساً جديداً له وحركية جديدة في المدة الأخيرة ، سواء أكان ذلك بصدور المجلة أو عقد مثل هذه الندوة والدراسات •

وأجدد شكري للاستاذ علي شخصياً ، وللزملاء الذين ساعدوه على ما بذلوه من جهد ـ وشكرا •



مداخلات

□ **نايف حواتمة :**

أيها الاخوة والرفاق :

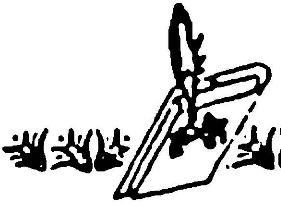
شرف كبير لنا نحن أبناء الثورة الفلسطينية ،أن تتاح لنا هذه الفرصة معكم ، مناضلي القلم مناضلي الجبهة الذهنية الفكرية والسياسية على جبهات الصراع مع أعدائنا أعداء أمتنا من أمبرياليين وتوسعيين ، صهاينة وقوى ظلامية تشد منطقتنا العربية الى الخلف في خدمة جبهة الأعداء ٠

فتحية لكم في أعمال ندوتكم التي أتاحت هذه الفرصة لنا ٠

نلتقي ومجموع القضية الوطنية الفلسطينية والقضية الوطنية العربية أمام منعطف كبير ، فبعد بيروت الباسلة وجدنا أنفسنا جميعاً ، الثورة الفلسطينية ، سورية ، والقوى الوطنية اللبنانية ، وكل قوى التحرر والتقدم العربية ، وجدنا أنفسنا جميعاً أمام نقطة انعطاف كبرى على ضوء حسمها يتحدد لسنوات طويلة قادمة مصير القضية الوطنية الفلسطينية ومصير منطقة الشرق الأوسط ٠ في بيروت وفي مجرى الحرب ، مجرى أطول حرب في تاريخ الحروب العربية الاسرائيلية ، كانت جبهة الأعداء تعتقد أن العمليات الحربية العدوانية الشاملة وعملية حصار بيروت ثم مجازر صبرا وشاتيلا ستؤدي الى الابادة الكاملة للمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، والتشريد الشامل للمخيمات الفلسطينية خارج الشريط الساحلي وفي جنوب لبنان وفي بيروت ، وبذا يسهل على جبهة الأعداء تتويج عملية الابادة العسكرية والدموية في عملية ابادة سياسية ، حتى يتم اقتلاع كل ثمار ١٨ عاماً من الكفاح المسلح الفلسطيني والكفاح السياسي والجماهيري ، ويتم وضع ترتيبات لأوضاع المنطقة تنسجم مع ما خططت له جبهة الأعداء باكراً منذ النكبة ٠ هكذا كانوا يعتقدون ، وكان التقدير لدى العدو الاسرائيلي خلال ثلاثة أيام ينتهي كل شيء ٠ واذا تتبعنا فعلا الكتابات والاشارات الاسرائيلية ، جميعها كانت لديها تقديرات أنه في مدى ثلاثة أيام يصلون الى قلب بيروت البطلة ٠ وفي التقديرات الغربية خلال مدة زمنية أقصاها أسبوع ، وينتهي كل شيء باجتياح لبنان ٠ في مجرى الحرب لم تتمكن جبهة الأعداء أن تنجز ما وعدت نفسها به وفقاً لتقديراتهم العسكرية ، والاختلال الواسع في ميزان القوى في جبهة الصراع بيننا وبين أعدائنا ٠ فقد حشدوا من الطاقات البشرية وآلة الحرب الأمريكية الاسرائيلية المتطورة ، ما كانوا يعتقدون أنه سينجز لهم حرب الابادة الشاملة خلال الأيام المحددة ٠ طالت الحرب، وفي مجرى هذه الحرب وفي الأيام الأخيرة تحديداً من الفصل الرئيسي فيها فصل حصار بيروت ، تقدم الأمريكان بالمشروع المعروف مشروع ريغن ، معتقدين أن هذا المشروع هو الذي سيشكل العنوان الكبير لحرب الابادة السياسية التي تختتم بها حرب الابادة العسكرية والدموية التي شنت علينا وعلى القوى الوطنية اللبنانية ، ومن أجل تركيع سورية في الأراضي اللبنانية الطاهرة ٠ وبهدف أن يشكل مشروع ريغن بعد بيروت طعم الاغراء الذي يزرع



مجموعة من الألغام على امتداد المنطقة العربيـة ،يصطاد من خلالها ما لم يتمكن أعداؤنا من اصطياده بالحرب الأطـول في تاريـخ الحـروب العربيـةالاسرائيلية • فمشـروع ريغن تم طرحه بأمـل أن تحصد أمريكا واسرائيل وقوى الظـلام في بلادنـاالعربية، ثمار الحرب التوسعيةالاجتياحية والدموية، وبأمل أن يكون حجم الأوهام التي يزرعها مشروع ريغن كافياً لاصطياد قوى كثيرة في الشبكة الأمريكية ووفقاً للشروط الأمريكية الاسرائيلية • جاء مشروع ريغن ليطرح مجموعة أوهام في مقدمتها ، على أبناء الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ، أن المشروع يعرض بعد مفاوضات بين أمريكا واسرائيل ومصر والأردن والاتفـاق على الحكـم الذاتـي بموجب اتفاقات كامب ديفيـد ، بعد مـرور خمس سنوات على الحكم الذاتي يتم حسم مسالة السيادة السياسية عـلى أراضـي الضفـة الغربيـة وغـزة لصالـح الفلسطينيين ، وربـط هذه السـيادة السياسـية بالأردن • وسيكون حجم الانسحابات الاسرائيلية من هذه المنطقة المحتلة الفلسطينية ، متفقاً أو متوافقاً مع حجم ما يسميه مشروع ريغن ، ترتيبات الأمـن والسلام الخاصـة باسرائيـل • قطعـة من الأرض مقابل قطعة من السلام • أما بصدد القدس ، فيرى مشروع ريغن ترك القدس موحدة في ظـل الادارة الاسرائيلية • هذا المشـروع يزرع مجموعـة من الأوهام في الاراضي المحتلة • ليس بالجديد على السياسية الأمريكية السابقة لاتفاقات كامب ديفيد، لكنه تجديد للقراءة الأمريكية لاتفاقات كامب ديفيد• فقد طرحت أمريكا قبل هـذا مشروع رجرز كمـا نعلم جميعاً • زرع مجموعة ألغام حصدنا مرارتهـا وحصدوا هم مكاسبها • ثم طرحت أمريكا بعد حرب أكتوبر بين ٧٣ ــ ٧٨ حتى توقيع اتفاقات كـامب ديفيد ، مشروعاً شبيهاً ، ولكنه أشمل من مشـروع ريغن • طرحت على العواصـم العربية الثـلاث ،القاهرة ، دمشق ، عمان ، تسوية أمريكية شاملـة على الجبهـات الثلاث في وقـت واحد ، يتم فيهـا انسحاب العدو الاسرائيلي من سيناء والجولان ومن الأراضي الفلسطينية المحتلة ، مع تعديلات لصالح دولة العـدو ، طفيفة سـميت على لسـان الادارة الأمريكية • وشرط هـذه الانسحابات انهـاء حالة الحرب وتطبيع العلاقات مع العدو عربياً، وفلسطينياً أن يتم الحاق الأراضي التي يتم الانسحاب منها من الضفة الغربية وقطاع غـزة بالأردن • اتفاقـات كامب ديفيد جمدت هذه الطروحات الأمريكية أمام اندفاع السادات نحـو صفقة ثنائية منفردة نعلـم جميعاً نتائجها الآن ــ مشـروع ريغن يجدد طـرح الأفكار الأمريكية القديمة بين ٧٣ ــ ٧٨ فيـزرع مجموعة من الأوهام في الأراضي المحتلة ، تستجيب لطموحات بعض القـوى ، تضلل شرائح اجتماعيـة أخرى ، لأنه يعد بتخليص أجزاء واسعة من الضفة الغربية وقطاع غزة من الاحتلال والاستيطان والضم الزاحف بعد فترة الخمس سنوات الانتقالية للحكم الذاتي بموجب اتفاقات كامب ديفيد، ربطاً بالأردن• ويزرع مجموعة من الأوهام في المنطقة العربية بدءاً من الأردن وانتهاء بالمغرب ، بأن مشروع ريغن يمكن أن يشكل خشبة الخلاص لأزمة الشرق الأوسـط ،وأزمة القضية الوطنية الفلسطينية التي أصبحـت قضية مُدوّلة ، بما ينسجم مـع ترتيبات لمجمـوع أوضاع المنطقة ، تخدم قوى الظلام والتخلف العربية من جهة ، وتخدم الأمبرياليين واسرائيل التوسعيـة من جهة أخرى • فكثير مـن قوى الظلام والتخلـف العربية ، ضاقت ذرعاً بالقضية الفلسطينية ، وتريد فصل ختام لهذه القضية ومن مواقع عجزها المسبق ، لأنها لا تريد أن تتحرك في الاتجاهات الصحيحة • هذه القوى تحاول أن تدفع الأمور في عموم المنطقـة العربية باتجاه التسوية الأمريكية المقترحة بموجب مشروع ريغن • هذا المشروع بزرعه هذه الأوهام ، يستهدف بالأساس تحويل مجموع القضية الوطنيـة الفلسطينية ، من حقـوق وطنيـة ثابتة تاريخيـة ومرحلية قائمة بذاتها ، الى قضية حدودية أخـرى بين دولة العدو والدول العربية المجاورة • تمامـاً كما هي الحال مع قـرار مجلس الأمن ٢٤٢ الـذي حوّل الحقوق الوطنية الفلسطينية ، من حقوق شعب ووطن الى قضية حدودية بين دولة العدو والـدول العربية المجاورة ، وحصر مجموع الحقوق الوطنية الفلسطينية بقضية لاجئـين • الآن مشروع ريغـن يستهدف تحويل مجموع الحقوق الوطنية ، بعـد أن أصبحت قضية مُدوّلة معتـرف بها على نطاقـات واسعة عالمياً ، من حقوق قائمة بذاتها الى قضيـة حدودية بين دولة العدو والدول العربية المجاورة ،وبشكل أخص بين دولة العدو والأردن • ويحصـر مجموع الحقوق الوطنية الفلسطينية بمصير الضفة الغربية وقطـاع غـزة • فمشـروع ريغن ينطـق بوضوح عبر قراءته السياسية ، ثم ان ريغن نطـق بنفسه هذا بوضوح في لقائه مع اللجنة السباعيـة



العربية · ينطق بوضوح ، لا مكان لمنظمة التحرير الفلسطينية بصدد القضية الوطنية الفلسطينية وبصدد أزمة الشرق الأوسط · ويتجاهل تجاهلا كاملا منظمة التحرير الفلسطينية ، التي يدور الصراع منذ سنوات طويلة حول صيرورتها بالفعل والقوة الى الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين·

ثانياً : مشروع ريغن، يطرح أيضاً مسبقا التنازل، فلسطينياً وعربياً ، عن حق شعبنا بتقرير المصير وبناء دولته المستقلة ، ويطرح البديل حكماً ذاتياً فلسطينياً مرتبطاً بالأردن بعد فترة الخمس سنوات الانتقالية بموجب اتفاقات كامب ديفيد · لأن مشروع ريغن يرفض حق تقرير المصير ، وعلى حد تعبير مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية لعدد واسع من البلدان العربية وبلدان أوربا الغربية ، أن الولايات المتحدة الأمريكية ضد مبدأ حق تقرير المصير في منطقة الشرق الأوسط ، لأن هذا المبدأ ارتبط بالشرق الأوسط بالدولة الفلسطينية · ولذا من حيث المبدأ أيضاً هم ضد هذا المبدأ في منطقة الشرق الأوسط · ومشروع ريغن يحدد بدقة حكماً ذاتياً فلسطينياً مرتبطاً بالأردن بعد الفترة الانتقالية، وليس دولة مستقلة وحق تقرير المصير ·

وثالثاً : بهذا الطرح الذي يقفز عن منظمة التحرير ويتجاهلها ، يصر على رفض حق تقرير المصير والدولة المستقلة ويحصر القضية الوطنية الفلسطينية بكاملها في اطار الضفة الغربية وقطاع غزة ــ يسقط مشروع ريغن مصير ٦٠٪ من شعبنا الذين هم لاجئون في مناطق الشتات، لاحقوق لهم·· لا بموجب قرارات الأمم المتحدة التي تقول بحق اللاجئين بالعودة ولا بموجب المبدأ الانساني الكبير الذي يمثل أنبل ما أنتجه الفكر الانساني في القرون الأخيرة وخاصة في القرنين الأخيرين وتبلور في القرن العشرين ، وهو حق تقرير المصير للشعوب · وبهذا يحصر مشروع ريغن مجموع الحقوق الفلسطينية بمصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويشترط أن يُبحث هذا المصير مع الأردن ، ليس حباً بالأردن على الاطلاق · كما لم تكن محاولات الولايات المتحدة الأمريكية فرض مصر وصية على شعب فلسطين ··· مصر النظام مصر السلطة على شعب فلسطين نائبة عن شعب فلسطين ، ليس حباً بمصر ، ولكن لأن الولايات المتحدة الأمريكية تريد فعلا نسف ومصادرة كل ما له علاقة بحقوق مستقلة لشعب فلسطين ، وحصر هذه القضية بقضية حدودية · وعندما تتحول الى قضية حدودية بين دولة العدو والدول العربية المجاورة ، يصبح الميدان مفتوحاً للمساومات على الأرض بالضرورة ، سواء أكان الأردن أم مصر أم سورية، أو أي بلد من البلدان العربية بالضرورة؛ لأن القضية الحدودية بالتفاوض عليها نسفت من حيث الأصل حقوقاً وطنية قائمة بذاتها لشعب ولوطن لهذا الشعب ، وحوّلت مجموع القضية المطروحة الى قضية حدود تتطلب فيها اسرائيل حدوداً آمنة معترفاً بها · والحدود الآمنة لها تفسيرات واسعة نعرفها جميعاً · ومن بينها حدود يسهل الدفاع عنها ، هذا بنظر المعراخ المعارضة الصهيونية الاسرائيلية · وبنظر الليكود ، الحدود الآمنة هي مجموع حدود ومجموع أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس· هذا ما يطرحه الآن مشروع ريغن في محاولة لحصد ثمار العمليات العدوانية وحصار بيروت ، بنتائج سياسية تشكل مذبحة للحقوق الوطنية الفلسطينية ومصادرة لنضالات ١٨ عاماً من الكفاح المسلح ــ أنهار الدماء، جبال الشهداء ، و ٣٤ عاماً من المعاناة والآلام والمرارة والعذابات منذ النكبة ، ومحاولة اعادة عجلة التاريخ الى الوراء · اعادتها الى الوراء وفق الترتيبات القديمة الاستعمارية الصهيونية التوسعية كما جرى عام ٤٨ عندما تجاوزت بريطانيا والحركة الصهيونية والدول العربية شعب فلسطين والقيادة الفلسطينية ووضعوا ترتيبات لمصير الشعب والأرض ، باقتسام الشعب والأرض بين دولة العدو والدول العربية المجاورة ، من وراء ظهر شعب فلسطين ومن وراء ظهر القيادة الفلسطينية · الآن يحاولون أن يضعوا بموجب القراءة الأمريكية لاتفاقات كامب ديفيد ، قراءة ريغن ، ترتيبات مشابهة تستهدف مصادرة الحقوق الوطنية القائمة بذاتها ، وحصر قضيتنا بقضية حدودية حتى يسهل المساومة على قطع أرض · وعلى حد تعبير مشروع ريغن ، كل قطعة من الأرض مقابل قطعة من السلام ·· ولكن المطروح ليس سلاماً ــ ويريدون أن ينجزوا مجموع هذه العملية من وراء ظهر شعب فلسطين · ومن وراء ظهر قيادته الوطنية ممثلة بالثورة وبمنظمة التحرير ــ هذه الهجمة السياسية التي نشهدها الآن على يد مشروع ريغن ، أخذت طريقها بسلسلة من الضغوطات على منظمة التحرير



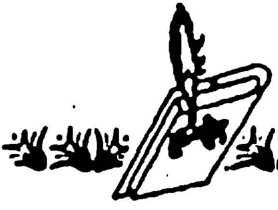
الفلسطينية باتجـاه دفعها للتنـازل ، بصيغـة أوبأخرى ، عن حقها في وحدانية تمثيل شعب فلسطين وما يترتب على هذا التنازل من التفاوض علىقاعدة مشروع ريغن · وبموجب هذه القاعدة يصادر أيضاً تلقائياً ، أو أوتوماتيكياً ، حق الشعبالفلسطيني بتقرير المصير وبناء دولته المستقلة · عملا بمشروع ريغن نفسه ، نجد أنفسنا أمام مجموعهذه الضغوطات ، الآن بلغت الذروة بالضغط المباشر من الولايات المتحدة الأمريكية أثناء اجتماع اللجنةالسباعية في واشنطن ، حيث طرح ريغن بكامل الوضوح القضايا التالية :

١ ــ على جميع الدول العربية أن تنتقل من الاعتراف الضمني بدولة العدو اسرائيل ، الى الاعتراف العلني الصريح مسبقاً وبدون مقابل ·

٢ ــ على الدول العربية أن تفوض الأردن والأردنوحده · ومرة أخرى أكرر ، ليس حباً بالأردن على الاطلاق ، كما لم يكن حباً بمصر على الاطلاق· بل في محاولة لتحويل القضية الوطنية الفلسطينية الى قضية حدودية وحصرها بحكم ذاتي ، سواءفي ظل الاحتلال أو يرتبط لاحقاً بالأردن أو بأي دولة عربية أخرى ·

٣ ــ على الفلسطينيين أن يستعجلوا في تفويض الأردن ·

٤ ــ مشروعه (أي مشروع ريغن) ليس قابلا للتفاوض ، بمعنى ليس قابلا للبحث عن عملية ما ·· للتزاوج بينه وبين قرار فاس · فاما أن يرفض بكامله أو يقبل بكامله وفيليب حبيب في مباحثاته اللاحقة مع الملكحسين في الأردن ، قال له بوضوح : معكم أيها العرب حتى نيسان بأن تتم هذه الترتيبات ؛ لأنه بعدنيسان القادم تضغط الولايات المتحدة الأمريكية بالتحضيرات لانتخابات الرئاسة ، وبذلكيتجمد مشروع ريغن · وعندما سئل ريغن من قبل الحسن الثاني ، أنتم دائماً تلوحون بمطالبةمنظمة التحرير أن تعترف بالقرار ٢٤٢ و ٣٣٨ بحق اسرائيل في الوجود · فاذا افترضنا أن منظمة التحرير قامت بهذه الخطوة ، فماذا يكون موقف الولايات المتحدة الأمريكية ؟ فكان جوابريغن الواضح جداً ، صحيح نحن نقول ، نفتح باب المفاوضات بيننا وبين منظمة التحرير ،وسنوعز فوراً لسفيرنا في تونس أن يتصل بالأخ أبو عمار، وستستقبل الخارجية الأمريكية (وحدد اسماً)مندوباً عن منظمة التحرير الفلسطينية ، لكن المفاوضات التي سنفتحها مع منظمة التحريرهي في اطار أن نسمع وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية ، وننقلها بأمانة الى مائدة المفاوضات المقترح عقدها بين أمريكا واسرائيلومصر والأردن · والولايات المتحدة لا تضمن مجيءمنظمة التحرير الفلسطينية الى مائدة المفاوضات ، واسرائيل ترفض أن تكون منظمة التحرير علىمائدة المفاوضات · أي أن المطلوب من منظمة التحرير أن تعترف بالقرار ٢٤٢ و ٣٣٨وحقاسرائيل بالوجود ، مقابل أن تتناقش معنا الولايات المتحدة الأمريكية ، فقط ليس أكثر ــ ويضيفريغن في اجتماعه مع اللجنة السباعية ، من الممكن أن يكون في اطار الوفد الأردني ، كما قالوابالنسبة لاتفاقات كامب ديفيد ، من الممكن أن يكون في اطار الوفد المصري ، عناصر منالضفة الغربية وقطاع غزة موعز لها بالمشاركة من قبل منظمة التحرير الفلسطينية · ويمكنلهذه العناصر أن تنسق مع منظمة التحرير ، الا أنها عناصر تأتي باعتبارها تمثل الضفة الغربيةوقطاع غزة ،وليس باعتبارها تمثلمنظمةالتحرير، وليس باعتبارها تمثل حقوق الشعبالفلسطيني · بل صلاحياتها محصورة بالضفة الغربية وقطاع غزة · اذن وجدنا أنفسنا بعدمعركة بيروت أمام هذا الانعطاف الكبير ·· أمام مفترق الطرق · مشروع ريغن بما يضخه ، بماينبع منه ، يطرح هذا كله في محاولة منه لزرع أوهام في الأراضي المحتلة ، في الأردن ، فيالبلاد العربية ، أنه من الممكن أن تشكل تلويحات مشروع ريغن ، أو بمعنى أدق ، الوعود التييطرحها مشروع ريغن ، خشبة الخلاص لأجزاء من الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، من الاستيطان والضم الزاحف ، وتلحق فيما بعد بالأردن على قاعدة حكم ذاتي فلسطيني ،وحكم ذاتي أردني يرتبطان معاً في اطار ما بالأردن · وهنا الأخطر من مشروع ريغن ، ليس فقطالمشروع بحد ذاته ؛ لأننا نعتقد أن مشروع ريغن



ليس مطروحاً للترجمة العملية على المدى المباشر والقريب ·· ليس مطروحاً للتنفيذ على المدى المباشر والقريب · فنحن نعتقد أن لا تسوية راهنة عندنا تجاه القضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط · المطروح ، وهو الأخطر من نصوص مشروع ريغن ، سلسلة التنازلات الكبيرة التي يطلبها مشروع ريغن مسبقاً ومجاناً ، وطلبها ريغن مباشرة من اللجنة السباعية مسبقاً ومجاناً · القفز عن منظمة التحرير ، القفز عن حقوق وطنية قائمة بذاتها ومستقلة لشعب فلسطين ، حق تقرير المصير والدولة المستقلة والعودة بموجب الحق المقدس ، فضلا عن قرارات الأمم المتحدة حصر مجموع الحقوق الفلسطينية فقط بمصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتفويض الأردن ، كما طالب في اتفاقيات كامب ديفيد بتفويض مصر ، وبالتالي تحويل مجموع القضية الفلسطينية الى قضية حدودية بين دولة العدو والدول العربية المجاورة ـ هذا هو الأخطر من مشروع ريغن · ويريد مشروع ريغن هذه التنازلات الكبرى مسبقاً ومجاناً ، تماماً كما لوّحت مبادرة روجرز الشهيرة عام ١٩٦٩ بامكانية تسوية على الجبهة المصرية الاسرائيلية ، تنسحب فيها اسرائيل من جميع أراضي سيناء مقابل وقف اطلاق النار تمهيداً للبدء بالمباحثات بموجب مبادرة روجرز · فكانت النتيجة وقف حرب الاستنزاف وما ترتب عليها · ثم طارت مبادرة روجرز في الهواء ، كذلك الحال مع الوعود الأمريكية التي أُعطيت من ٧٣ وحتى ٧٨ ثم اتفاقات كامب ديفيد التي تكلمت عن ربط ما ، بين سيناء وبين انجاز مشروع الحكم الذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة خلال عام · نحن الآن دخلنا في نهاية العام الرابع تقريباً ،أواجتزنا العام الرابع لاتفاقات كامب ديفيد ، ومع ذلك ما زال كل شيء يدور في مكانه حول الحكم الذاتي ، بينما الاستيطان والضم الزاحف يزحف يومأ فيوماً على أراضي الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة · الآن من جديد مشروع ريغن يطرح لا باعتباره مشروعاً للتنفيذ للترجمة العملية ، بل باعتباره استنزافاً جديداً يريد أن يفرض مجموع هذه التنازلات التي ذكرتها والتي يترتب عليها اقراراً فلسطينياً وعربياً بمصادرة حقوق مستقلة لشعب فلسطين ، قائمة بذاتها كأي شعب من شعوب الأرض ، وحصر مجموع حقوق شعب فلسطين بالضفة وغزة كقضية حدودية بين العدو والدول العربية المجاورة ·

هنا الأخطر، هذا الذي يضعنا الآن أمام مفترق طرق بفعل نتائج معركة بيروت · وانطلقت فعلا الضغوطات على منظمة التحرير بأمل دفع منظمة التحرير بهذا الاتجاه ، لأن الدول العربية وبكل صراحة جربت في الفترة بين ٧٣ و ٧٨ شكلا من أشكال التنصل من قراراتها بموجب قرارات القمة العربية التي تعترف بمنظمة التحرير ، نوفمبر ٧٣ قمة الجزائر ، بمنظمة التحرير بأنها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين وجربت أن تتنصل منذ عام ١٩٧٤ نوفمبر قرارات الرباط التي تعترف بحق العودة وتقرير المصير ،والدولة المستقلة لشعبنا تحت ادارة وحدانية تمثيلية لمنظمة التحرير · لكن هذه المحاولات جميعاً صُدّت على صخرة نضال شعبنا داخل الأرض المحتلة ، ونضال ثورتنا ، وعلى صخرة النضال المشترك بين كل قوى شعب أمتنا العربية ، المصرة على أن تسير مع الشمس وليس عكسها · وجاءت اتفاقات كامب ديفيد من جديد في محاولة منها بالرمي بثقل مصر العظيمة ··· مصر الكريمة الكبيرة ، ولكن بالاتجاه المعاكس للدور الذي لعبته مصر في الثلاثين عاماً الأخيرة · محاولة توطيد طاقات مصر الكبيرة على يد السادات باتجاه معاكس للحقوق الفلسطينية والعربية ، عملا بموجب اتفاقات كامب ديفيد · أيضاً صُدّت هذه العملية ببسالة ·

ونتيجة لصد كل هذه المحاولات ، تعرضت الثورة الفلسطينية وحلفائها لسلسلة ، لم تتوقف بعد ولن تتوقف في تقديرنا، من الحروب المحدودة والخاصة : الحروب المحدودة على يد العدو الاسرائيلي مباشرة ، والحروب الخاصة على يد الدواخل العربية، فسالت الدماء أنهاراً وتراكمت الجبال أجساداً لشهداء شعبنا وأمتنا العربية · وعندما وجدت قوى الأعداء أن سلسلة الحروب المحدودة والخاصة لم تعط ثمارها التي أرادوها ، كانت الحرب الشاملة علينا في لبنان · كانت الحرب الشاملة على بيروت · ويعتقدون الآن بعد بيروت ، حيث فقدت الثورة الفلسطينية عدداً من عناصر القوة ، أنه قد حانت اللحظة للمذبحة



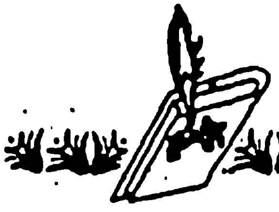
السياسية ، فالجمل قد وقع والسكاكين تكثر • يعتقدون هكذا •• لأننا في لبنان كنا نقف على الأرض اللبنانية الطاهرة بحصانة الجماهير اللبنانية ، وتحت رايات القوى الوطنية اللبنانية ، وبحصانة جماهير مخيمات شعبنا • فنحن موجودون في بحر هذه الجماهير •• قوتنا أن نبقى في وسط هذا البحر • جبهة الأعداء عملت على انتزاعنا من هذا البحر ، معتقدة أنه يسهل ذبحنا – في لبنان ، على هذه الأرض ، كانت قاعدتنا الثابتة في لبنان • على هذه الأرض كان المركز اللوجستي للثورة الفلسطينية بحماية وحصانة القوى الوطنية اللبنانية وجماهير لبنان ، اداريا وعسكريا وتعبويا واعلاميا • في لبنان كانت قواتنا الفلسطينية متمركزة ومركزة على خطوط التماس مع العدو الاسرائيلي ، تصب نفسها نيرانا على مستعمرات العدو ، وثقلا يوميا على كتف العدو وعلى كتف العالم ، بضرورة البحث عن حل عادل للقضية الوطنية الفلسطينية •

جبهة الأعداء ، بالحرب الشاملة التي شُنت ، أرادت أن تقتلع كل هذا ، بالاضافة الى ابادة شاملة أفقدتنا قاعدتنا الثابتة على الأرض اللبنانية الطاهرة • أفقدتنا مراكز قواتنا في جنوب لبنان وعلى خطوط التماس مع العدو ، لكنها لم تتمكن من الابادة الشاملة • وبالمقابل تعززت الهيبة السياسية للثورة ولمنظمة التحرير وقضية شعبنا • ووصل العالم بما في ذلك داخل دولة العدو ٤٠٠ الف يخرجون متظاهرين في تل أبيب •

ان قضية شعبنا لا يمكن حلها بالابادة العسكرية •• بالابادة الدموية ، ولا سلام ولا أمن ولا استقرار في الشرق الأوسط بدون الاستجابة للحقوق الوطنية الفلسطينية • والصراع الآن يدور بعد بيروت ، معتقدة جبهة الأعداء أن توازنا قد اختل بشكل واسع لصالحها ، بعد أن فقدنا القاعدة الثابتة التي نقف عليها – الصراع الآن يدور على مضمون هذه الحقوق • لا بد من حل سياسي • الابادة الشاملة لم تنجز ، والحل السياسي هو القراءة الأمريكية لاتفاقات كامب ديفيد •

مشروع ريغن بمخاطره الكبرى التي يضخها ، بسلسلة من التنازلات المسبقة والمجانية ، وبعد أن تقدم هذه التنازلات المسبقة والمجانية ، عندئذ سيفعل الأمريكان والاسرائيليون ما فعلوه بالسادات: هذه هي شروطنا الأمريكية – الاسرائيلية ، اما أن تأخذوا بها سواء جاء الى مائدة المفاوضات الأردن ، أو الضفة الغربية وقطاع غزة ، أو أي تجمع آخر في الحياة الفلسطينية والعربية • بعد نزع الأنياب ، بفرض هذه التنازلات المجانية والمسبقة ، سيقولون: هذه شروطنا الأمريكية–الاسرائيلية، اما أن تأخذوا بها أو اذهبوا واحرثوا بحرا ، كما فعلوا مع السادات • فما كان من السادات الا أن بدأ رحلة التنازلات الأفدح ، خطوة خطوة ، الى أن وصل الى ما وصل اليه من استسلام كامل للشروط الأمريكية – الاسرائيلية • في ظل هذا الوضع ، تتعرض منظمة التحرير لضغوط كبيرة بأمل أن تقدم بنفسها هذا التنازل عن وحدانية تمثيلها لشعبها ، ويشكل عندئذ هذا التنازل البوابة لسلسلة التراجعات العربية عن قرارات القمم العربية التي تعترف بوحدانية تمثيل المنظمة لشعبنا • والتنازل سيتبعه من يرث هذا التنازل •• القبول بالتفاوض على قاعدة مشروع ريغن • وهذا يشكل سلسلة التراجعات العربية عن قرارات القمم العربية التي تعترف بحقوق فلسطينية وطنية قائمة بذاتها ومستقلة : عودة ، تقرير مصير ، دولة مستقلة • والآن منظمة التحرير تجد أمامها ضغوطات ذات طبائع متباينة ، لكنها جميعا تصب بذات الطاحونة • ضغوطات من أجل تفويض الأردن • ومرة أخرى ، ليس حبا بالأردن ، كما لم يكن حبا بمصر ، باتفاقات كامب ديفيد • ولكن هدف هذه الضغوطات أن تمثل التراجع الكبير عن كل ما أنجز طيلة ثمانية عشر عاما من الكفاح المسلح والسياسي والجماهيري والدبلوماسي والفكري ، وتمثل التنازلات المجانية المسبقة المطلوبة بموجب مشروع ريغن • وهنا ، بهذه الضغوطات ، تواصل الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاتها على الدول العربية من أجل أن تكثر من ضغوطاتها على منظمة التحرير لدفع منظمة التحرير باتجاه الانزلاقات الكبرى •

قبل أيام قليلة ، كان عدد من اخواننا في القيادة الفلسطينية ، في عدد من الدول العربية • شخصيا



كنت من بين هـؤلاء ، وقرأنا بأنفسنا آخر مذكـرة أمريكية من ريغن لعدد من رؤساء الدول العربية ، يطلب فيها من هؤلاء الرؤساء (شخصياً قرأتهـا) مواصلة الضغط على منظمة التحرير الفلسطينيـة لتفويض الأردن وعناصر من الضفة الغربية وقطاع غزة ··· وعلى حد تعبير الرسالة ، بأن العناصـر المنتدبة المفوضة من منظمة التحرير ، من الضفـة الغربية وقطـاع غـزة ، تتعهـد الولايات المتحـدة الأمريكية أن لا يبرم أي اتفاق على النتائج التـي يتم التوصل اليها الا بعد تمكين هذه العناصر مـن مراجعة منظمة التحرير · صيغة تحايلية جـديدة هدفها الضغط على الدول العربية ، لتضغط بدورها على منظمة التحرير من أجل أن تتنازل عن حقها في تمثيل شعبها ، هذا الحق الذي بُني بالدم والعـرق والدموع والآلام · بُني بدماء آلاف آلاف الشهداء ·· بُني بدموع آلاف آلاف الأرامل واليتامى ·· بُني بآلام مجموع الشعب داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وفي كافة مناطق اللجوء والشتات · وبُني بنضالات تحت ظـل الثورة الفلسطينيـة ، وشعبنا وشعب الأمة العربية ، وكل قوى التحرر والتقـدم السائرة باتجاه الشمس في منطقتنا العربية والعالم ، وبُني بمساندة كل القوى الخيرة في هذا العالـم ، التي تقف الى جانـب شعب فلسطين وشعب أمتنـا العربية في نضالها ضد جبهة الأعداء ·

أمام هذه الأوضاع ، بالنتائج التي تمخضت عنهـا معركة بيروت سلباً وايجاباً ، أمام هذه الضغوطـات نحن نتكلم بوسط متابع لما يجري · عليه مهام كبيرة على الجبهة الفكرية في مجابهة الأعداء ، وهي سلاح يقف كتفاً الى كتف بجانب سلاح البندقية ، وقديماً قيل ·· قال شاعرنا أحياناً تتفوق على البندقيـة الجبهة الثقافية الفكرية ، لأن الرأي فوق شجاعة الشجعـان ·

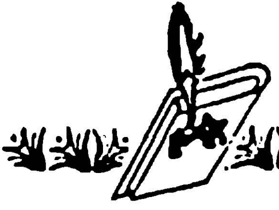
أمام مجموع هذه الأوضاع التي تولدت عـن معركة بيروت ، لبنان ، الحرب الشاملة، الضغوطات، ريغن ، الضغوطات على منظمة التحرير ، أمريكية ، عربية ــ نحن في الساحة الفلسطينية ، نجد أنفسنا مرة أخرى في مواجهة هذا الانعطاف الكبير أمام أكثر من تيار في فهم الأحداث · ليس جديداً هذا · ونحن مع الامام علي بن أبي طـالب الذي يقول : اللهـم اكشف حتى يستبين الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب ــ ليس جديداً ، كل منا يتابع ما يجري ·· وأمام كل انعطاف كبير في حياتنا ثورة ، في حيـاة شعبنا ليس بالضرورة جميع القوى المناضلة مـن أجل حق شعبنا بالحياة الكريمة المواكبة للشمس ، للتاريخ ، ليس بالضرورة أن نجد أنفسنا في موقف منذ اللحظات الأولى أو الأسابيع أو الأشهر الأولى ، في موقف موحد ، فدرجة التطـور العام في صفـوف ثورتنا ونحن حركة تحرر وطني تجمع في صفوفهـا كل التعبيرات عن طبقات شعبنا الوطنية على اختلاف مواقفها الايديولوجيـة والسياسية ، وكأي حركـة تحـرر وطني عـن ائتـلاف عريض متعدد المواقـع الايديولوجية والسياسية ، والنضال يدور دائمـاً من أجل جمع الجميع على قاسم مشترك في مرحلـة تحرر الوطن ، من أجـل تحرير الوطن ، من أجـل العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة ، ومن أجل توليد الدولة المستقلة على يد حاضنة نضال الشعب، حركة تحرره الوطنية ، وبلغتنا الفلسطينية المباشرة الثورة ومنظمة التحرير ، نجد أنفسنا أمام مفترق الطرق هذه ، أمام أكثر من تيار في كيفية معالجتها · يمكن حصرها بثلاثة تيارات أساسية :

تيار يعتقد أنه يمكن الاستعانة بعرب ريغـن على ريغن · وهـذا التيار نعتقـد أنه لم يوصـل ثورتنا الى شاطيء السلام وحقوق شعبنا الى شاطيء الأمان · فهـي معادلة لا تستقيـم كما لم تستقـم المعادلة مع قيادتنا الفلسطينية عام ١٩٤٨ عندمـا حاولت جاهدة بعد أن تحالفت تحالفاً خاطئاً، صححت التحالف بتصحيح أيضاً خاطيء عندما استعانت بعرب بريطانيا على بريطانيـا ، فكان ما كـان · والآن الاستعانة بعرب ريغن عرب أمريكا على أمريكا · معادلة لا تستقيم ، مع أن عـرب أمريكا بيدهـم الأسلحة العظمى لدفع أمريكا نحو تلمس مصالحها ، تحس رأسها باتجاه أن تتعـرف جيداً على حقـوق الشعوب ، على حقوق الشعب الفلسطيني وشـعب أمتنا العربية · فالمشكلة مع أمريكا ليست بالكلام بالمناشدة الأخلاقية والاتصالات السياسية ، خاصـة اذا أدركنا طبيعة المجتمـع الأمريكي · فالمجتمـع الأمريكـي هو مجتمع وليـد سلسلة من العمليـات الاستيطانية ، وعندما تتكلم مع المجتمع الأمريكـي ضد الاستيطان والضم الزاحف والمستوطنات ، أنت تتكلم عندئذ بمنطـق مغاير لطبيعـة تشكيله



وتكوينه ، فهو قد تشكل على قاعدة الاستيطان والضم الزاحف لأراضي شعب أو شعوب لم يكن من بينها الشعب الأمريكي المعاصر ، وسمي ذلك الشعب بشعب الهنود الحمر ـ ومن هنا ، معالجة القضايا مع أمريكا تتباين جداً عن معالجتها مثلاً مع الشعوب الأوربية التي لم تقم على قاعدة استيطانية داحرة لشعوب سابقة عليها ، بل قامت على قاعدة التكون التاريخي للشعوب. بينما الولايات المتحدة الأمريكية قامت على قاعدة الاستيطان والضم الزاحف ،وبالتالي عندما تخاطبها بمخاطر الاستيطان والضم الزاحف ، تصعب العملية على الفهم . بينما عندما تخاطبها بمصالحها المباشرة وتتحسس الجماهير الأمريكية المصالح المباشرة أنها تتضرر ، عندئذ يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تراجع سياستها ، خاصة بالنسبة لقضيتنا . وهنا عرب أمريكا بيدهم الأسلحة الكبيرة ، بعيداً عن وصم الاتهامات ، وبعيداً عن القواعد التقليدية في الحياة السياسية العربية : من ليس معي فهو ضدي ـ لا ... نعالج الأمور بحكمة أوسع اذا صح التعبير .فعرب أمريكا بامكانهم بكل الأسلحة الكبرى التي يملكونها أن يجعلوا أمريكا تتحسس أقدامها ،والجماهير الأمريكية تتحسس مصالحها . لكنهم مصرون حتى الآن عن الاحجام ـ بيدهم أسلحة النفط ، الأرصدة ، الأسواق . وبيد عرب الجبهة الأمامية وعرب الشعارات العريضة ، أسلحة أخرى: شعوب ، جيوش . بامكانها جميعاً أن توظف في خدمة هذا النضال الباسل ، لكننا نجد أنفسنا أمام أوضاع مختلفة . بدلا من دفع أمريكا الى تحسس مصالحها ، يدفعون بالضغط استجابة لهذه الأمريكا على منظمة التحرير حتى تتراجع عن وحدانية تمثيلها لشعبنا وعن حقوق شعبنا بالعودة وتقرير المصير والدولة المستقلة عملا بالقراءة الأمريكية الجديدة لاتفاقات كامب ديفيد ، ممثلة بمشروع ريغن كما قال قبل أيام في حديث بيننا أخي أبو عمار، أنه عندما التقى بالشاذلي بن جديد والملك فهد في الجزائر ، كانت بريطانيا قد قالت انها ليست مستعدة لاستقبال مندوب عن منظمة التحرير الفلسطينية في اطار اللجنة السباعية . فقال لهم : كويس ، هذا الاله الأمريكي ما حد منكم قادر عليه ؟ما حد منكم مستعد انو يرفع رأسه بوجهه ! طيب هذه بريطانيا كانت في الزمان الغابر متسلطة على العالم الثالث ، الآن ما عادت هكذا . فعلى الأقل قولوا لبريطانيا اننا لن نأتي اذا لم يكن بيننا مندوب لمنظمة التحرير ـ بعد نقاش وقعت الاستجابة . ومع ذلك ، حجم الضغوط على الدول التي لا زالت حتى الآن لم تنتقل الى مواقع الاقرار بحقوق شعب فلسطين والحقوق العربية ، لا زالت على يد عرب أمريكا أدنى من حجم الضغوط التي مارسها عرب أمريكا في أوربا الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية على قصة فيلم موت أميرة ـ فلا زال وزن القضية الوطنية الفلسطينية أخف من وزن قصة فيلم موت أميرة في نظر عرب أمريكا . فالاستعانة بعرب أمريكا .. عرب ريغن على ريغن ، نعتقد أنه لن يوصل الى بر السلام . بل انه سيقودنا الى سلسلة من المتاعب الجديدة ، وفي مقدمة هذه المتاعب استبدال تحالفاتنا بتحالفات لا تخدم مجموع قضيتنا . هكذا بدأ السادات عندما نسف تحالفه مع رفاق السلاح في الثورة الفلسطينية وسورية ، ثم مع الشعوب والجماهير وقوى التحرر والتقدم ،عربياً وعالمياً ، الاتحاد السوفييتي ، البلدان الاشتراكية ، الذين ساندوا قضايانا على امتداد ثلاثين عاما بشكل متواصل . عندما دمر تحالفات مصر الكبيرة مع هذه التحالفات ، أصبحت مصر الكبيرة ذات وزن خفيف، صغيرة بنظر جبهة الأعداء. فقيل له هذه شروطنا ، اما أن تأتي أو أحرث بحراً، فأتى راكعاً أمام هذه الشروط .

والتيار الثاني : في صفوفنا الذي يشخص بدقة أننا أمام هذا المنعطف الكبير ، مفترق الطرق ، الخطر الأكبر الداهم علينا هو خطر التنازلات الكبرى التي يطرحها مشروع ريغن بأمل تتويج العمليات الحربية التوسعية ومذابح بيروت ، بمذبحة سياسية . وعلينا أن نحشد كل القوى فلسطينياً وعربياً وعالمياً ، بأن نرمي كل نيراننا باتجاه الحلقة الرئيسية لمجابهة الخطر الداهم علينا ، تتجه سهامنا باتجاه الضربة الرئيسية لتطويق ومحاصرة ودمر مشروع التنازلات الكبرى الضاخة من مشروع ريغن، والاصرار بالمقابل على وحدانية تمثيل المنظمة لشعبنا .. حقوق شعبنا الوطنية القائمة بذاتها ، بالعودة وتقرير المصير والدولة المستقلة . وضع مجموع قضية الشرق الأوسط والقضية الوطنية الفلسطينية بعد أن أصبحت بنضال ثمانية عشر عاماً مسلحاً ، وبجهود كل شعوبنا ، قضية عملاقة



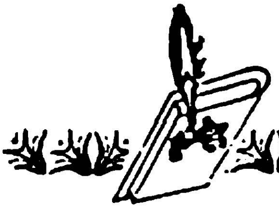
مُدوئَلة ، وضعها ، أيضـاً مدولة في اطار الحيـاةالدولية يومياً في الجمعيـة العامة للأمـم المتحدة وفي مجلس الأمن ، وليس في قبضة دولة كبرى وحدهـاكما هي الحال حتى الآن في قبضة الولايات المتحـدة الأمريكية • تصفعنا هذه القبضة يومياً من المحيطالى الخليج بطائـرات ف ١٥ وف ١٦ والبـوارج الحربية وكل آلات الفتك والدمار والقتل الجماعي• وعلى هذه القاعدة يجب أن لا يمثل شعب فلسطين الا شعب فلسطين ممثلا بالثورة وبمنظمة التحريرالممثل الشرعي والوحيد له • فشعبنا أصبح شعبـاً راشداً شب" عن سـن ١٨ وله الحق بأن يعبر عـنقضيته بنفسه ، يحتضنها بيده ، لا يفرط في هـذه العملية حتى تبقى القضية الفلسطينية قضية وطـن وشعب وحقوق وطنية قائمة بذاتها ولا تتحول الى قضية حدوديـة بين دولة العـدو والدول العربيـةالمجاورة ، كما تقـول اتفاقات كامب ديفيد وكمـا بقول مشروع ريغن ، وقبل هـذا أيضاً كما يقـول القـرار ٢٤٢ •

ثانياً ، بالاصرار على الحقوق الوطنية الثابتة التاريخية والمرحلية ، نبقي القضية الفلسطينيـة كقضية شعب طامح نحو بناء الدولة الديموقراطية الموحدة على كامل تراب الوطن •• على كامل تراب فلسطين ، عبر سلسلة من المراحل التاريخية تبقـى قضية حية وقائمة • أما اذا تحولت الى قضية بـين اسرائيل والدول العربيـة المجاورة ، ليس فقـط تحولت الى قضية حدودية ، بل انتهت عند المرحلة التي ينتهي فيها حل المسألة بالاطار الحدودي بـين اسرائيل والدول العربية المجاورة • وحتى نحفظها كقضية وطنية حية يجري انجاز مهامها التاريخية على مراحل ، مرحلة بعد مرحلـة ، لأن الأوضـاع العربية حتى الآن لا تسعفنا أن ننجز هذه العمليـة التاريخية بضربة واحدة بمرحلة واحدة • يجب أن تبقى القضية قضية حقوق وطنية • ومن هنا اصرارنا على تقرير المصير والدولة المستقلة ، لأنها الوجود التاريخي المادي والسياسي والثقافي والانساني في مجابهة الوجود الصهيوني على أرض فلسطـين أو على الجزء الآخر من أرض فلسـطين التاريخيـة •وبمقدار ما تتطـور الأوضـاع حولنا في منطقتنـا العربية والأوضاع العالمية في صالح القوى المعادية للحلول الاستعمارية التوسعية ، بمقدار ما ننتقل لاحقاً الى المرحلة الثانية ثم المرحلة الثالثـة عبـر عملية تاريخية طويلة ، كما تواجدت دولة عدونـا بعملية تاريخية طويلة على امتداد خمسين عاماً ،شبراً بعد شبر دونما بعد دونم شجرة بعد شجرة • نحن نريد أن ننتزع بلادنا ، أراضينا ، حقوقنـا ،مرحلة بعد مرحلة • وفي هذا الاطار بالضـرورة ، لا ••• لكل التنازلات التي يطرحها مشروع ريغن ،ولا لمشروع ريغن • والذي يقول ان في مشروع ريغن ايجابيـات ، فهو فعـلا يصب عنـدئذ في طاحونـة التنازلات الكبرى • فهـذه الايجابيات أيـن هي ؟ الايجابية التي يتكلمون عنها ، هي الوعد بأن أمريكاسترمي بورقتها بعد الخمس سنوات الانتقالية من اتفاقات كامب ديفيد ، يعنـي من الحكـم الذاتـي بموجب اتفاقات كامب ديفيـد ، بجانب أن يكـون مصير السيادة السياسية على أرض الضفة الغربيـةوقطاع غزة للفلسطينيين ، شرط الارتباط بالأردن• هذه هي النقطة الوحيدة التي عرب أمريكاوالنافخون بالأبواق ينفخون باستمرار في أسوار مشروع ريغن، بأن المشروع به ايجابيات • دلونا بالله عليكم آيـن هي هذه الايجابيـات ؟ نجد أنهـا تتلخص بهـذه النقطة ، وهي نقطة واعدة • بمعنى وعد بعد خمس سنوات من العملية الانتقالية• أمريكا سترمي بالثقل في هذا الاتجاه • ونحن عنـدنا مثل ، لا مؤاخـذةبالعامية ، يقول : هات يا كديش ليجيك الحشيش ـ وبعد الخمس سنوات الانتقاليـة ، اقعد دور مثـل ما يقول المثل على فطوم • والاصرار عـلى رفض كل الضغوطات الأمريكيـة وأي ضغوطـات عربيـة باتجاه أن تتنازل منظمة التحرير عن كونها الممثل الوحيد لشعبها ؛ لأنه هنا تكـر" المسبحة • ودائمـاً نحن بالتراث العربي الاسلامي شطار بالمسابـح • دائماً اذا فقدت المسبحة حلقتها الناظمة الرئيسية ، فقدت كل الحلقات وتفرط كلها • فاذا فقدت الحلقة الناظمة وحدانية تمثيل شعبنا بمنظمة التحرير ،تبدأ تفرط كل الحلقة • لكن عربنا ، والعرب عربين ومنذ زمان • بالمناسبـة ، وفي التاريخ العـربي ،العرب عربان : عرب عاربة ، وعرب مستعربـة • ما زالوا عربين • عرب مع الشمس ، وعرب ضـد الشمس • ما زالوا عرباً مع التقـدم ، وعرباً مـع الحفاظ على الأوضاع الظلامية الى أطول فتـرةممكنة ـ فرفض الضغوطات القادمة من أي عواصم عربية للتنازل عن وحدانية التميثل ، عن الحقوق المستقلة القائمة بذاتها ، وأكرر مرة أخرى أنهذه



ليس مصدرها الحب ٠٠ لا لمصر ولا للأردن ولا حباً بأي دولة عربية ، نزولا عند الشروط الأمريكية والاسرائيلية ، والا وجدنا أنفسنا غرقى هذا المستنقع القذر ممثلا بمشروع ريغن مقابل وعد بعد الخمس سنوات الانتقالية أن أمريكا سترمي بورقتها٠ ولذا علينا أن نحشد قوانا ـ لا٠٠ لمشروع ريغن ، لا ٠٠ للتنازلات الكبرى المسبقة المجانية التي يطرحها مشروع ريغن ٠ نحشد كل قوانا باتجاه هذه الجبهة الرئيسية الداهمة بمخاطرها علينا ٠ نعم لوحدانية التمثيل ، نعم لحق شعبنا بالعودة وتقرير المصير والدولة المستقلة ، نعم لابقاء قضيتنا قضية حقوق لشعب ووطن ، وليست قضية حدودية ٠ ونعم لأن تكون منظمة التحرير هي الناطقة بلسان هذا الشعب ٠ وهنا على الدول العربية أن تنضم لهذه الجهود بدلا مما هو جار حالياً من الضغط على منظمة التحرير لتتنازل وتشكل الستارة الواقية لسلسلة التنازلات من الدول العربية عن اقراراتها بموجب قرارات القمة العربية منذ عام ١٩٧٣ وحتى الآن ٠ وبهذا يمكن أن نحمي تحالفاتنا في اطار الساحة الفلسطينية ووحدتها ، في اطار تصحيح التحالفات الفلسطينية الوطنية العربية التي اهتزت في مجرى الحرب، وبشكل خاص كما قال بيان القيادة الفلسطينية الصادر في عدن ،وبشكل خاص في مسار العلاقات العربية الفلسطينية ، حماية العلاقات الفلسطينية السورية لخصوصيتها في مجال النضال العام المشترك ضد جبهة الأعداء المشتركة ٠ وبهذا الاطار ندعو لحل الاشكالات بين الأردن وفلسطين ،بين الثورة الفلسطينية والأردن ، لا على قاعدة متطلبات مشروع ريغن ، بل على قاعدة المتطلبات الوطنية للنضال المشترك أردنيا وفلسطينيا ضد الاحتلال ضد الاستيطان ضد الضم الزاحف ضد التهديدات الاسرائيلية التوسعية الصهيونية نحو اجتياح ما ٠٠٠ للأردن ٠ والعلاقات الناظمة بين الشعبين هي علاقات بين شعبين لكل منهما الحق في بلورة شخصيته ببلورة هويته بحضور مادي سياسي وثقافي وروحي وانساني على أرضه الوطنية ، وبشكل خاص لشعب فلسطين هذا الحق لأن قضيته هي المهددة بالازالة ، هي المهددة بالاغتصاب أرضاً وشعباً كما وقع عام ٤٨ بأمل طمس مجموع القضية الوطنية الفلسطينية لمرحلة زمنية طويلة ٠٠ طويلة، وهنا العلاقة يجب أن تكون بين دولة فلسطينية مستقلة لاحقاً عندما تولد هذه الدولة ٠





◍ مداخلة الأستاذ ناجي علوش

أيها الزملاء

أيها الحضور الكرام

١ ـ في الحقيقة انها لمبادرة ، ان ندعى الى مثل هذا الحوار، بعد حدث جلل كاجتياح القوات الصهيونية لبنان ، وأن يطلب منا أن نناقش ما جرى ويجري. فقد تعودنا ان تمر الأحداث سراعاً ، فلا نتنادى ، ولا نتحاور ... وتعودنا ان نسمع تبريرات الساسة ، فنضحك او نبكي سراً او علناً ، ونكتفي بالهمسات حيناً او اللعنات احياناً . ولكن هل كتب علينا ان نبقى كذلك؟ وهل نرضى ان نبقى على هذه الحال ؟

هذا ما سيحدده هذا الحوار ... وامثاله من الحوارات التي تفرضها الأزمة الراهنة ، والأزمات الكبيرة المقبلة .

٢ ـ ان ما حدث ايها الزملاء كبير ، ولكنه ليس أول السلسلة ولا آخرها .. فهل سيحركنا ماحدث ؟ ليس سهلا ان اجيب . فالأحداث الجلى من قبل لم تحرك ساكناً الا اللسان، ولم تحركه بما يكشف الخلل، او يجيب على الأسئلة التي تطرحها المعضلة ...

فلماذا يحركنا هذا الحدث؟ مادام مثله لم يحركنا من قبل !

٣ ـ ولا اكتمكم ايضاً ، ان ما استمعت اليه من احاديث القادة الفلسطينيين وما سمعته من محاضرات الأدباء والكتّاب ، لم يقنعني بأن الحدث هزنا ، او بان الكارثة ايقظتنا ... او اننا نريد ان نستخلص الدروس المفيدة . لماذا ..؟

لأن ما سمعته كان ـ فيما خلا خطاب الافتتاح الذي افتتح به ندوتنا الزميل علي عقلة عرسان ، والأفكار التي طرحها الزميلان الحبيب الجنحاني وهاني الراهب ـ يتسم بما يلي :

أ ـ التركيز على احاديث المعجزات والبطولات والملاحم ، وهي بطولات وملاحم كلنا نقدرها ونعتز بها ، ومن حق كل طرف ان يفخر ببطولاته ويتباهي ، او ببطولة كل المناضلين والمقاتلين .. ولكن الا ترون معي ان هذه الأحاديث ، وبهذه الصيغة ، يراد لها ان تحمسنا ؟ ونحن فعلا بحاجة ماسة الى الحماسة . ولكن يراد لها ايضاً ان تغطي التقصيرات السابقة التي ادت الى مثل هذه النتائج ، وان تخفف من وقعها المدمر علينا ... والا فلماذا لا توضع الأمور في نصابها؟ ولماذ لا تبحث المقدمات والوقائع والنتائج ؟

ان الصمود واجب قومي ، والدفاع عن الوطن شرف ، وكوننا صمدنا اياماً او اشهراً ، مأثرة مشرفة يجب ان تذكر وخاصة في عصور الهزائم المذلة . ومن حقنا ان نفخر بالتضحية وان نعتز بالبطولة . ولكن الحرب لم تكن للحرب ، ولكل حرب اسباب ونتائج . ونحن نحارب لكي نمنع العدو من تحقيق اهدافه . فهل منعنا العدو من تحقيق اهدافه الأساسية ؟

استطيع ان اقول ، بكل وضوح ، لا ...

لأن العدو :

١ ـ احتل لبنان .

٢ ـ وفرض خروج المقاومة منه .

٣ ـ وأصبح يهدد سورية اكثر من ذي قبل .

٤ ـ وهيأ الأجواء لقرارات فاس ، التي يؤيدها بعض ، كما ايدوا قرارات التقسيم وقرار ٢٤٢ مع انها جزء من عملية الاستسلام العربي الرسمي المهين .

٥ ـ ويحاول العدو ان يفرض الآن معاهدة استسلام، ولديه القدرة على ذلك ..

٦ ـ وكان قد فرض وقف اطلاق النار قبل ذلك ، وفي الوقت الملائم له .

٧ ـ وفرض خروجنا بالبواخر تحت اعلام البحرية الاميركية ..

وسيفرض ما نعلم وما لا نعلم في ظل الاستسلام العربي الرسمي ، الذي هيأ الأجواء لاستقبال التغلغل الاميركي ، وتصفية الصراع العربي ـ الصهيوني .

فماذا بقي من اهدافه ؟



لا انكر انه اراد العنب والناطور ، فاخذ الكرم كلـه واخرج الناطور بمراسم رسـمية . انني مـع تسجيل هذا الصمود ، لأنه يؤكد قدرتنا على مقاومة العدو وهزيمته ، ويفضح التخاذل والتآمر والعجز ، ويطرح من جديد أهمية التمسك بحرب الشعب سبيلا لتحرير فلسطين وهزيمة معسكر الأعداء . ومع ذلك، فهل يغطي قتال الثمانين يوماً احتلال لبنان؟ وهل يجوز ان نذكر الصمود وننسى النتائج السياسية ؟

اقول ... لا ، لا يجوز ، واذا سمحت القيادات لنفسها أن تعللنا بقدر الحصى، فلا يجوز لأدباء وكتّاب حضروا لمناقشة المسائل التي طرحتها حرب لبنان ، والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم بعد بيروت ... ان يفعلوا ذلك .

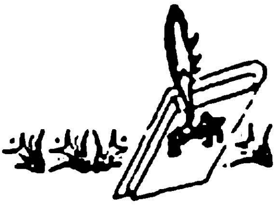
ب ـ العموميـة ... في كـل شيء . فيجـري الحديث عن المعركة دون خطتها ونتائجها . ويجـري الحديث عن الديمقراطية دون الحديث عن مقوماتها ، ويجري الحديث عن التجربة باشارة من هنا وومضة مـن هناك . ولكن اين البحث والتحديد ؟ عـن اي ديمقراطية نتحـدث ؟ وكيف يمكـن ان تكون هنـاك ديمقراطيـة ، حيث يسحب جواز سفر ، او يمنـع مواطن من السفر، او يمنع اديب من الكتابة ، او يمنع مواطن من انشاء حزب ، او الدعوة الى اجتماع او اضراب ، او يسجن مواطن بلا محاكمة ، او يعـذب متهم ، او يقتـل انسان بسبب رايـه ؟ كيف جرى الاعداد للحرب ؟ كيف كانت علاقات المنظمات والقوى قبلها ؟ كيف جرت قيادة الحرب ؟ لـماذا حوصرنا في بـيروت ؟ هـل كانت هـذه خطة ؟ هل كانت متوقعة ورضيناها؟ لماذا قبلنا الانسحاب؟ ولماذا وزعنا القوات؟ لماذا لم نستقبل كل المتطوعين ، ولم نعدهم للحرب؟ لماذا لم تتحرك القوات الموجودة في البقـاع والشمال تحركاً فعالا ؟ لماذا كان « الصمت العربي الرسمي » والصمت الشعبي ايضاً ؟ من الذين قاتلوا في بيروت ؟ كم عددهم ؟ لماذا اوقفت القوات المشتركة القتال في بيروت وخارج بيروت ؟ وما اهداف التحرك السياسي العربي عامـة ؟ ولـماذا يكون النظام السعودي قبلته والامبريالية الأميركية غايتـه والملك حسين محطتـه ؟ ولماذا نقـوّم التجربة حتى الآن ، ولم نطرح للشعب حقائق المعركة فلسطينياً وعربيـاً ودولياً ؟

ج ـ تجنب معالجـة القضـايا الجوهريـة ، وتحاشي النقد المحدد ، والاكتفاء بالاشارات الجزئية ... وهذا كله يجعل الندوة ـ اذا رضينا ان تبقى في هذه الحدود ـ جزء من الخطاب السياسي العربي المعاصـر ، الذي يفتقـد الى المنهـج ، وبالتالي الى التماسك النظري ، والذي تفضح تنميقاته كل تهافته، وتكشف الوقائع كـل عوراته .

ولذلك كله اسمحوا لي أن أصارحكـم ... وسأقصر مصارحتي على بضع قضايا حتى لا اطيل :

أولها ، أن فقدان المنهج يقود الى كل البلبلات التي نعيشها . وهنا اتفق مـع الأستاذ الجنحاني كل الاتفاق . وحتى لا يظن احد انني احاول فرض منهج عليـه ، فاني اقول : انني احترم كل المناهج ، مـن منهج الغزالي وابن خلدون ، الى منهج ديكارت وماركس. ولقد عانيت خلال السنوات العشر الماضية من شعور مقلق ، نتيجة احساسي ، بأننا امام دوامة خطرة ، لأن فقدان اي منهج افقد كلامنا مضمونه ، وتحليلنا دقته، وجعلنا نتفذلك حيناً ، ونثرثر اخرى . وهكذا اختلطت المفاهيم ، وضاعت المقاييس ، والتبست الأمور التباساً شديداً ، ولذلك فانني اؤيـد ايضاً اعادة النظر في كل مفاهيمنا ، كما طرح الزميل الحبيب الجنحاني .

كما ان فقدان المنهج في العمل ، لم يسمح لنا ان ننجز مشروعاً طرحناه ، فلا الوحدة القومية تحققت ، ولا تحرير الأرض تم، ولا التبعية السياسية والاقتصادية زالت ، ولا الديمقراطية قامت ، ولا الزراعة ازدهرت، ولا الصناعة سدت حاجاتنا ، ولا الجيوش التي بنيت لتحمي الأرض وتدافـع عـن الشعب فعلت ذلك ، ولا اجهزة الأمن امنت للمواطن راحته وسكينته ... فماذا بعـد ؟ على الصعيد القومي تعمقت التجزئة ، وبدات عملية التجزئة الجديدة باثارة صـراع الطوائف ، وهو اخطر اشكال الصراعات التي تخطط لهـا الامبريالية الأميركية والقيادات الصهيونيـة ، وتنفذها القيـادات الرجعية العربية . وعلى الصعيد السياسي ، تخلصنا مـن الاستعمار القـديم ، لنقع في مخالب الاسـتعمار الجديد . وعلى الصعيد الاجتماعي ، لم نتخلص مـن التخلف ، وعلى الصعيد الاقتصادي ، حدثنـا الفقر وزيّنـاه ، وزدناه حـدة ... وعلى صعيـد الحـرية والديمقراطية ، طورته انظمة اجهزة القمع ، واستحلت ما لا تحله القبائل الوحشية . وعلى صعيد الصراع مع العدو الصهيونـــي ، خسرنا كـــل الحـــروب ، وكان العـــدو يزداد بعـد كـل حـرب قـوة ، وها هو يجني ، ومنذ حرب تشرين ، النتائج السياسية التي يريد . ومنذ سنة ١٩٤٨ مرت ثلاثة عقود ويزيد ، ولم نستطع بناء قوة عسكرية تردع العدو عن العدوان، ولا نريد ان نتحدث عن التحرير . وكان دابنا الحديث



عن الاعداد، ولكننا لم نستعد، والتغني بالوحدة ونحن نتطاحن . وها نحن امام مازق لم تكن امام مثله من قبل ...

وثانيها، ان الذاتية المفرطة جعلت كلاً منا يدافع عن هزائمه وانتكاساته بكل الوسائل . ولذلك فان العدو الصهيوني ـ الامبريالي ـ الرجعي لم يحقق اهدافه ابداً ، ونحن دائماً منتصرون ، ومعاركنا كلها بطولات . ولم يقل لنا احد من رواة البطولات ومغنّي الملاحم ، كيف احتلت الضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان ولبنان ، وكيف وقعت اتفاقيتا كمب ديفيد، وماذا يجري في لبنان الآن. واذا كنا في كل هذه المعارك قد منعنا العدو من تحقيق اهدافه، فما الذي حصل؟ ولماذا يصول الملك فهد ويجول، وتفتح الأبواب لحسني مبارك ، ويصر بيغن على فرض شروطه في لبنان ، وتتغلغل الامبريالية الأميركية في كل وطننا سياسياً واقتصادياً ؟

وثالثها ، ان قضية الحرب في لبنان والخروج من بيروت ، يجب ان تناقش كل مقدماتها ونتائجها . ولا اريد ان اطيل ، ولكن على صعيد المقدمات ، نحن بحاجة الى التشديد على التالي :

١ ـ كان الانقسام العربي جاداً ، والوضع العربي متدهوراً الى درجة توحي لكل عابر سبيل لا للكيان الصهيوني وحده ، باغتنام الفرصة . ولكل علاقته بذلك ، ومسؤوليته عنه : الذين طوروا الصراعات ، على امل ان يحصدوا نتائجها فحصدها العدو ، والذين اثاروا الفتن وشجعوا الطوائف .

٢ ـ وكان الاستعداد العربي، ، في حده الأدنى، غير موجود... والخطة العربية غائبة . حتى للدفاع، فكيف اذا تحدثنا عن الهجوم ؟

٣ ـ وكانت التسوية شاغل الأنظمة الأكبر ، وشاغل فصائل المقاومة . فكل يبحث عن سبيلها ليسلكه او ليزاحم غيره في سلوكه . وكانت سياسة التسوية قد استولت على عقول قيادات ، وخدعت قطاعات من الناس ، وكان العمل لها على قدم وساق، وكان الحرب لن تقع . مع ان العدو كان يعد للحرب.. ولا شيء غير الحرب .

٤ ـ وكانت تقديرات القيادات العربية ، ومنها الفلسطينية ، تقديرات لا تقوم على اساس . سيان كان ذلك يتعلق بتوازن القوى بيننا وبين العدو ، او كان يتعلق بدور ميزان القوى الدولي في وطننا عامة ، وازاء الصراع العربي الصهيوني خاصة . فلم يكن هناك توازن قوى فعلي ، وكان الميزان الدولي في منطقتنا يميل لمصلحة الامبريالية الأميركية والكيان الصهيوني والقوى العربية الرجعية في ١٩٧٠ . ومع ذلك فان قادة فلسطينيين مثل نايف حواتمه ، بشرونا بالجنة ، على اساس ان ميزان القوى لمصلحة حليفنا الاتحاد السوفييتي . وكانوا حتى شباط الماضي يرون الدولة الفلسطينية بأم اعينهم ، لأنهم قطعوا نصف الطريق اليها ..

٥ ـ وكان تصميم العدو على العدوان واضحاً للجميع ، ومع ذلك فما من احد درس كيف ستكون المواجهة على ما يبدو ... والا ، فما سر ما حدث ؟ ولو كان هناك من درس الوضع ، ووضع تقديراً صحيحاً ، اما كان يمكن التغيير في مجرى الأحداث ؟ نعم كان بالامكان .

٦ ـ اننا نعرف ان الكيان الصهيوني قوة اميركية ، تمويلاً وتسليحاً ، ونعرف العلاقة بين الطرفين ، وان الطرف الصهيوني لا يخوض حرباً ان لم تضع دوائر البنتاغون خطتها كلها ، وتعطي اشارة البدء. ومع ذلك فقد كان توجهنا العام ملاينة واشنطن، ومسايرة وكلائها الأساسيين ، والتكيف مع مخططاتهم، ومخططاتهم اميركية خالصة ، تستهدف تصفية قضايا التحرر والتقدم ، ومنها قضية فلسطين وربط الوطن العربي بالسياسة الأميركية، وتصفية الصراع العربي ـ الصهيوني ... وسياسة مواجهة المخطط الصهيوني يجب ان تكون سياسة مواجهة المخطط الأميركي ـ الرجعي . وما دام ليس هناك مواجهة في هذا المجال ، فليس هناك نية لمواجهة العدو الصهيوني .

اما على صعيد النتائج ، فمن الضروري تأكيد ما يلي :

١ ـ ان الصمود كان كبيراً، ولكنه لم يمنع العدو من تحقيق اهدافه ، وكان يمكن ان يكون اطول واوسع واكثر فعالية لو اعددنا لذلك جيداً .

٢ ـ ان النتائج السياسية المترتبة على غزو لبنان، اكبر مما يتوقع كثيرون ، وهي تمس المستقبل العربي كله ، وتحتاج الى مواجهة جادة .

٣ ـ ان منع العدو من تحقيق اهدافه ، يتطلب استمرار المقاومة واحباط مخططات الاستسلام وحشد امكانيات الجماهير العربية لمواجهة المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي . ولكن لا القيادات العربية تريد

بحث الامر علميا ، ولا القيادات الفلسطينية ، لان لكل حساباته الخاصة، وهي حسابات تغطية هزيمة سابقة، والاعداد لهزيمة جديدة ، بغض النظر عن النيات . لان مجمل السياسات العربية خلال العقود الاربعة الماضية ، لم يقد الى انتصار واحد ، ولا الى الدفاع عن الوطن وهزيمة العدو ، ولا الى تحقيق انجازات هامة على الصعيد القومي .

ورابعها ، ان القوى السياسية الوطنية والديمقراطية ، مع احترامي لكل قادتها ومناضليها ، وتقديري لكل تضحياتها في السجون والمعارك ، باتت من ضعفها وتشرذمها تتغنى بالعور، لأنها تخاف العمى، وترضى بالقليل لأنها لا تجرؤ على طلب الكثير ... وتناور بالمبادىء لأنها لا تستطيع خوض المعارك الطاحنة . ولذلك صارت التسوية سياسة ثورية واقعية ، وصار الاعتراف المتبادل هدفاً مطروحاً ، وصارت الكونفدرالية مطلباً، ورضيت معظم الأحزاب والقوى ان تصبح ادوات في صراعات محلية ، وظيفتها ان تبرز وتنظر وتطبل وتزمر ، وصار السكوت على الاعتقالات والجرائم فضيلة ، وتملق اجهزة القمع عادة ، وتجاهل حقوق الانسان الأساسية والحريات الديمقراطية كياسة ... فماذا بعد ؟

تحدث بعض المشاركين عن الديمقراطية في واحة الديمقراطية . وبعدكم ، هل تسمحون لي بتذكيركم ببعض ما كان يجري ؟ الم تسمعوا بضحايا كاتم الصوت ؟ لقد كانوا كثراً . الم تسمعوا عن الذين قتلوا علناً او سراً ؟ لقد كانوا كثراً . وهل جاءكم حديث السجون والتعذيب ؟ انه رهيب ... ما حدث معي . الأمثلة اكثر من ان تحصى ، وكلها حصلت في واحة الديمقراطية ، بيروت . وقد حصل هذا مع المثقفين والعمال والفلاحين والبورجوازيين صغاراً وكباراً ، وكثير من هؤلاء اعتقلوا وصودرت حرياتهم واملاكهم واعتدي على نسائهم وبناتهم ، ولكن من ارتكب هذا كله ؟ هل هي المقاومة وحدها ؟ لا .. لا .. انها الأحزاب والقوى السياسية والعسكرية العاملة في لبنان .. وانا احمل مسؤولية كل كلمة اقولها . ومن لا يصدق ، فليتفضل ويدعو لجنة تحقيق الى دراسة هذا كله .. وسيجد الآلاف الذين يقدمون شهاداتهم . ولقد عشت ذلك كله ، وحاولت وقفه بكل الوسائل ، واتى لي ، انا ورفاقي ، ومعظم القوى تمارس ذلك او تحمي ممارسيه .. او تصمت عنه .

ورويدكم ايضاً ، ان ما كان يجري في لبنان ، يجري في كل ارجاء هذا الوطن بطريقة او اخرى ، لأننا نعيش في غابة . ولا نملك ما تملكه الطيور والوحوش من ضماناتها : اننا اضعف منها جميعاً امام القوى الفراسة .

وخامسها ، ان المثقفين يرضون من الغنيمة بالسلامة. لا استثني الا اقل من القليل . فقسم منهم اعضاء في القوى السياسية الحاكمة ، وهؤلاء ذوو امتيازات، يعطون الوظائف الهامة والمراكز الحساسة، ويدافعون عن انظمتهم بطريقة مبتذلة مكشوفة ، او بطريقة «ذكية» وهؤلاء يقودون اتحادات ومؤسسات. وقسم منهم يصمت ، واذا كتب فمن امرىء القيس او الحطيئة او الغزل في العصر الأموي ... وان تجرأ فمن شعر الخوارج . وقسم يهرب الى الخارج ، ولكنه يظل ملتزماً بالصمت، لأن هناك مشكلة الجواز، ومشكلة زيارة الأهل والبيت الخ ... الخ ...

ولهذا فالكل صامت او شيء من ذلك .. ومن تحدث فغمغمة او حديث هوامش .

وهناك قسم يهرب من القمع في قطر الى قطر آخر . ويجد منابر تشجعه ، وجهات تدفعه ، ولكنه لا يرى القمع الا في القطر الذي هرب منه ، حتى لو كانت تسيل تحت رجليه شلالات دماء ...

وهذه النظرة المحدودة . تطبع معظم أحاديثنا وحواراتنا وكتاباتنا . فنحن نتحدث عن الديمقراطية والقمع في غير القطر ، الذي نعيش فيه ، ونحمل المسؤولية لطرف آخر. فالذين كانوا في بيروت ويعرفون ما اعرف ، مثل الأخ نزيه ابو نضال ، يرى في بيروت ديمقراطية نسبية ، وينعي الديمقراطية في الوطن العربي ، مع ان بيروت كانت مزرعة الوطن التجريبية للقتل والقمع ، ولكاتم الصوت وعصابات الخطف وزوار الليل والنهار العلنيين والسريين ...

وتحدث الرفيق عبدالله الأحمد عن المدفعية الفلسطينية التي تتجه الى مدن لبنانية ، ولم يطرح مشكلة الأمن في لبنان منذ ١٩٧٥ ، ولم يسأل لماذا تفاقمت ؟ وما هو دور كل قوة من القوى في هذه المشكلة ؟ ادعوه ان يدرس ويتحقق ، وسيجد اطرافاً مختلفة ، ليست فلسطينية فحسب ، مشاركة في هذه الصراعات . فالكل لديه بنادق ومدافع ، والكل يقتل، والكل يشارك في تأجيج الصراعات ، ولكل حساباته..

ولم يحاول احد ان يوقف هذا الصراع الذي يخدم اعداءنا .. وان يحدد مفتعليه والمستفيدين منه ، ومنهم عملاء للعدو الصهيوني ، وللقوات اللبنانية ، والمكتب الثاني اللبناني ، وللمخابرات الأميركية ، ومنهم ممثلو احزاب وقوى سياسية وفصائل مقاومة وانظمة عربية ، رجعية وغير رجعية ... ومنهم لصوص محترفون وقتلة الخ .. الخ .. ومع ذلك لم تجرؤ لجنة تنسيق او تحقيق ان تدين طرفاً من هذه الأطراف . لماذا .. لماذا ..؟

فالى متى ايها الزملاء ، نرضى بالصمت حيناً ، ونتحدث بالعموميات حيناً ؟ ونتهرب من الأجوبة الدقيقة حيناً . لم يكن في بيروت ديمقراطية ، وليس في المؤسسات الفلسطينية اية ديمقراطية ، فانا بها خبير . ولو شئتم لطرحت كل الدلائل والبراهين . ولكن هذا لا يعني ان في هذا الوطن العربي ديمقراطية، لأن القمع في كل مكان .. والقتل في كل مكان. ولبنان كان مزرعة القتلة كلهم . فاحتكر تجارة القتل فيه الآن عملاء صهيون والقوات اللبنانية ، ربيبة الموساد ، وعملاء الكيان الصهيوني في الجيش اللبناني ، بعد الحرب الأخيرة .

وعليه ايها الزملاء ، فانني مع دراسة واقعنا بدقة ، وتقويم مسيرتنا بتعمق ، واصدار احكام قاسية على كل ظواهر التخلف والقمع والتشرذم والعدمية والتهرب من المسؤولية ... وصحيح ان قوة الأديب والكاتب من قوة الحركة السياسية ، ولكن الأديب مطالب ، حين تتعثر الحركة السياسية ، ان يخوض المعمان وان يتصدى بعزم ، وان يطرح كل قضايا الثورة بحزم وجرأة . ولذلك لا اتفق مع زملائي الذين تحدثوا عن دور الأدباء في بيروت ، فذلك يعتز انه يطالعنا في كل يوم بمقال ، وذاك يفخر انه يجري مقابلة مع المقاتلين ، وذاك يكتفي ان يغني لهم ... حسناً .. حسناً .. كل هذا جميل . ولكنه ليس كافياً وحده . فلماذا يقاتل العامل والفلاح والطالب ، ويرضى الأديب من الحرب بمقال .. او اغنية ؟ وهل يكفي ان يستشهد اديب وهو يوزع مجلته ، حتى نعتبر الأدباء شاركوا ؟ انني اسأل عن الدور القتالي ، وعن المشاركة القتالية ، وادباؤنا في هذا الوطن يعتبرون القصيدة والمقالة والقصة والتحقيق الصحفي اخطر واجباتهم ، وانها واجبهم القومي الوحيد .

لقد كنت اطمع ان يشارك الأدباء بالقتال مثل بقية فئات الشعب ، وان يكونوا حملة بنادق في الخنادق ، لا مغنين للمقاتلين ، وكتّاب خواطر فقط ... ولا اعرف من اختار هذا السبيل . واتمنى ان اعرف ...

ويؤسفني ان اضطر للاشارة الى انني لا اطالبكم بشيء لم الزم به نفسي . فقد شاركت في كل معارك المقاومة منذ ١٩٦٣ وقدت بعضاً منها . ولم ارض لنفسي غير الخنادق الأولى والصفوف الأولى ، مع انني لم اتدرب في اي معسكر ، او ادخل اية كلية عسكرية ، وهذا ما تعرفه قيادات المقاومة وجمهرة من الكوادر والمناضلين . ويؤسفني انني لم اتمكن من المشاركة في معركة بيروت ؛ لأن الصراعات السياسية فرضت ان اكون خارجها .. وان كان رفاقي قد شاركوا ، وظلوا في المواقع الأولى ، حتى اللحظة الأخيرة ...

واذا كنت احث على القتال والمشاركة فيه، فانني ايضاً احث الأدباء على خوض معركة القيم النضالية والانسانية ، قيم القومية والوطنية والحرية والديمقراطية ومحاربة الاستغلال والاضطهاد والقمع ... وهم يجب ان يكونوا سباقين في هذا المجال وعلى راس الحركة السياسية ومن طلائعها ...

والآن ما العمل ؟

انه نقد تجارب العقود الثلاثة الماضية ، وتقويم مسار حركة نهضتنا منذ ١٨٠٥ ... ما الخلل فيها ، ماذا حققت ؟ وما الذي فشلت فيه ؟

وهذا يحتاج الى قرار العمل ، مع القوى ذات المصلحة في مجتمعنا ، لاعادة النظر في كل مفاهيمنا ، واعادة بناء قوانا السياسية بما يكفل التعبير عن مصالح جماهير الأمة ومطامحها .

وهذا يتطلب الحوار ، والتفاعل ، والنقد ، والصراع ، ولكنه يتطلب الوحدة ، والصراع على ارضية الوحدة، الوحدة وحدة الوطن ، ووحدة القوى ذات المصلحة في تحرير وتوحيد واقامة الديمقراطية الشعبية فيه . والصراع دائما مع القوى الخارجية اولا ، ومع القوى الداخلية المعيقة ثانيا ، ولكن على ارضية الوحدة القومية الواسعة هذه .



اننا بحاجة الى وحدة هذا الوطن، اذا اردنا ان نعيش كرماء ، وان نوفر لأبنائنا الخبز والعمل والطب والدراسة والمستقبل المريح . ونحن بحاجة الى دولة قوية تقــوم على اكتافنا ، وتحظى باحترامنا ، والى جيوش تدافع عن حدود الوطن ، وتزرع الصحــارى والمستنقعات وتبني السدود ، نحبها ولا نخافها ، ولا نشعر انها كابوس رهيب يستهلك اموالنــا ويسلبنا حرياتنا وحقوقنا . ونحن بحاجة الى قوى أمن تحمينا من الأخطار وتؤمن لنا الطمأنينة ، فلا ترتعد فرائصنا اذا التقينا بأحد أفرادها ... ونحن بحاجة أن نعمل لهذا كله... لأننا بحاجة الى الوطن والكرامة والحرية وكل مقومات وجود الانســـان .

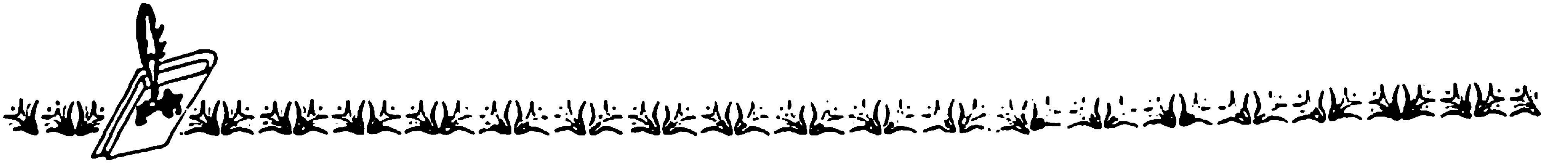
* * *

● مناقشــة ●

د. محمد العربي الزبيري :

شكراً للأخ ناجي على شجاعتــه وصراحتــه ،وشكراً له على ما قــدمه مــن تساؤلات تتطلب منــا كثيراً من التأمل . وانا شخصياً اتفق معــه خاصة فيالجزء الأول المتعلق بطرح الأفكار ومعالجة القضايا الأساسية . اما بالنسبــة للجانب المتعلق بتجربتــهالذاتية ... فانا لو كانت المناقشة مسموحة لناقشتها، لأنني سجلت فيها مجموعة مــن التناقضات ــ فلو كانالأمر ، لو جــرى مثــلا للأخ ناجي ... جرت هــذه الحادثة في ثورة نوفمبر الجزائريــة ، لأعــدم بدونمحاكمة. ولكنوجوده سالما الآن دليلعلىديمقراطية منظمــة التحرير الفلسطينية . صحيح ان الحركــةالثورية يجب ان تنظر قبل كل شيء للصالح العام ، فكثير من المجاهدين الجزائريين اعدموا لمجرد اتهــاملم نصل الى التحقيق فيه . لماذا ؟ لأن مصلحة الثورة كانت تقتضي ذلك . اما ان يستدعي القائــد العــامرئيس هيئة ، ويطلب منه ان يكذب شيئاً لم يصدر عنــه خاصة ، ويرفض التكذيب . فنحن مطالبون فياثناء الثورة ان نكذب على انفسنا لكي نحمي مصالح الثورة . اظن ان المداخلة لا تناقش ، وان الوقت قدحــان ــ واشكركم جميعــاً .





مداخلة الأستاذ أمين النفوري

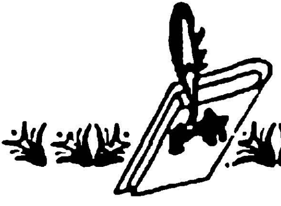
لا بد أن نتذكر التاريخ ، فنحن نبحث حوادث تتعلق بخمس سنوات، بعشر سنوات ، بعشرين سنة . ولكن هذه الأحداث الحاضرة تتأثر بحوادث ماضية ، مضى عليها قرن ونصف تقريباً . كيف يمكن أن نفهم المشكلة اليهودية التي هي أساس مشاكلنا الحالية ؟ المشكلة اليهودية بدأت في الثورة الفرنسية عندما استطاعت اليهودية أن تحرق جميع الاضبارات الموجودة بحوزة الحكومة الفرنسية والتي كانت تنص على أن اليهودي لا يعتبر مواطناً فرنسياً . كان اليهودي سنة ١٧٨٩ لا يعتبر مواطناً فرنسياً اطلاقاً . في الثورة الفرنسية أحرقت جميع الأوراق وغيَّر اليهود أسماءهم بأسماء فرنسية ودخلوا في الثورة الفرنسية ــ في سنة ١٨٠٢ عندما وصل نابليون الى عكا ، وجه أول نداء الى الصهيونية انه يجب أن يستعين بهم في سبيل الاستمرار في حصارها . هذه حوادث يجب أن لا ننساها أبداً . يجب ألا نذكر فقط حوادث ، كما قلت ، من عشر أو عشرين سنة ــ في سنة ١٨٠٦ في فرنسا نفسها ، لأول مرة بعد فراغ الهيكل ، جرى مع ما يسمى السان هدرين . السان هدرين هو عبارة عن الرؤساء الدينيين اليهود الذين يحكمون الأمة اليهودية . هذا الجمع جرى سنة ١٨٠٦ بقيادة نابليون . ولكن نابليون رأى بالأخير أن هذا السان هدرين يعمل لصالحه وليس لصالح فرنسا ، لذلك أخذ يميل الى العداء السافر نحو السان هدرين . ولما سقط نابليون سنة ١٨١٥ ... هذا السقوط كان في واترلو كما نعرف تاريخياً ، ولكن اليهودية استطاعت قبل ثلاثة أيام من واترلو أن تذيع في كل أوربا أن نابليون قد انهزم في واترلو قبل ثلاثة أيام من حصول المعركة . هذه الأحداث مثبوتة تاريخياً ، وهي تنم عن نفوذ الصهيونية الخفي الذي لم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت ــ في سنة ١٨٤٨ تولى الوزارة رجل اسمه كرينيو ، هذا الرجل بقي وزيرا من سنة ١٨٤٨ حتى ١٨٧٠ تقريباً ، وهو المؤسس للاتحاد الاسرائيلي العالمي . هذا الاتحاد ، تأسيسه عبارة عن دولة تدعمها الدول الأوربية . الدول الأوربية في مجموعها ليس فرنسا طبعاً . استطاعت اليهودية أن تسيطر على فرنسا سيطرة كاملة ، سواء برجال الفكر أو برجال السياسة . مثل في الجمهورية الثالثة كان رئيس الوزارة غامبيتا . غامبيتا يهودي . أكبر دولة كاثوليكية هي فرنسا كان رئيس وزرائها يهودياً .

في سنة ١٩٠٦ اجتمع أكثر رؤساء الدول الأوربية ، ونعرف أن الدول الأوربية في ذلك الوقت، هي الدول التي كانت مسيطرة على العالم . وأمريكا كانت في عزلة وحدها حسب مبدأ مونرو . هذه الدول اجتمعت ١٩٠٦ وقالت انه يجب خلق دولة يهودية في منطقة الشرق الأوسط بحيث تفصل بين الشرق العربي وبين أفريقيا . طبعاً المقصود منها أن تحمي قناة السويس بشكل خاص ، وأن تستطيع أن تجعل من هذه الدولة الجديدة ، دولة قوية يمكن أن تخرب ، ولا تجعل امكانية مطلقاً لأي تجمع عربي مقبل . هذا من سنة ١٩٠٦ ، لماذا في ذلك الوقت ؟ عندما كانت انكلترا هي الدولة العالمية المسيطرة ، جعلوا هذا الهجوم الكبير على الشرق العربي . هذا الهجوم ليس جديداً . انه يبدأ حتى قبل الحروب الصليبية . يبدأ بالدولة الرومانية ويبدأ بقرطاجة التي كانت هي الدولة الشرقية التي تحارب الامبراطورية الرومانية . ويبدأ أيضاً في الحروب الصليبية ، ولكن في العصر الحديث ــ بكل عصر تقدم كل دولة أو الدول المسيطرة أسلوباً جديداً للعمل كي تستطيع أن تقوم به بمعزل عن العالم . طبعاً الشرق العربي دخل في عصر تقهقر خلال القرن السابع عشر الثامن عشر التاسع عشر الى آخره .. ولكن أصبحت كل دولة لوحدها هي دولة قائمة بذاتها لا صلة لها بالدولة الأخرى العربية أو الاسلامية اذا أردنا أن نقول . في ذلك الوقت جرت الاتفاقيات الأوربية الكبرى . هذه الاتفاقات كانت تنص على أنه يجب أن تكون تركيا خارج النطاق الأوربي . يجب أن تقسم تركيا من كل ما يخصها، وأن تجزأ البلاد العربية أيضاً . مثلا اتفاقية سايكس بيكو .. وبالمناسبة فان كلا منا يعتقد أن سايكس بيكو هي محالفة واحدة أو اتفاقية واحدة ، ولكن سايكس بيكو عبارة عن اتفاق يشمل جزء منه الشرق، ويشمل جزء منه الغرب ، وتدخل فيه روسيا ، وتدخل فيه فرنسا ، وتدخل فيه انكلترا . فاتفاقية سايكس بيكو كانت بين الدول الثلاث على أن تستطيع كل دولة أن تأخذ حصتها . فمثلا تستطيع روسيا أن تأخذ كل منطقة تركيا ، وأن تركيا تعتبر نفسها وريثة للدولة البيزنطية .



ونعود الى القضية اليهودية الصهيونية ـ هذه القضية كما قلنا ليست جديدة علينا • انها قديمة من عهد هرتزل ، انها أقدم من ذلك بكثير • ومثلا في عام ٣٦ قامت الثورة في فلسطين ، هـذه الثورة كانت تجند لها كل الطاقات الشعبية رغم أن البلاد العربية كلها كانت تحت الانتداب أو الاستعمار ، حسب الوضع القائم في كل بلد ـ ثورة ٣٦ ، هذه الثورة التي أعيها جيداً وأعرف كثيراً من رجالاتها الذين كانوا يقومون بأعمال تكتيكية ولا تدخل بأعمال استراتيجية كبرى • كانوا يعملون ضمن منطقة خاضعة للاستعمار الأوربي ، فكل مايجري يمكن أن يغطي حتى لو اكتسب العرب أي معركة يمكن لهذه المعركة أن تغطى • كما جرى مثلا في عام ١٩٧٣ • مثلا عام ٧٣ جرى فيه بعض الانتصارات، ولكن هذه الانتصارات يمكن تغطيتها لأن الاستعمار الأوربي ، الاستعمار الأمريكي بصورة خاصة استطاع أن يجعلها في زوايا النسيان •

نحن في هذا الموقف ، يمكن أن نقول أكثر من ذلك ، وكلنـا يعرف أنـه في الوقت الحاضر ثمـة استقطابان : استقطاب أمريكي واستقطاب روسي • الدول البقية حتى بما فيها أوربا ، داخلة في هـذا الاستقطاب ، ولكن ليس لها رأي • ونحن في الدول العربية بحكم تفرقنا وبحكم خصوصية كل قطر ، وأن كل دولة تسعى سواء بزعمائها أو بقلة ثقافة بعض المثقفين فيها الذين يديرون السياسات فيها، يجعلون لكل دولة خصوصية معينة بشكل أن يركزوا كل دولة لنفسها بشكل لا يمكن أن تتحد مع دولة أخرى • فاذا كانت الدول الأوروبية القوية التي هي منذ أكثر من خمسمائة سنة دول متطورة وقوية ، تستطيع أمريكا بجلسة واحـدة أن تقول لوزراء الدول الأوربية زيدوا اثنين ونصف بالمئة مـن ميزانيتكم السنوية للدفاع ، فيضطرون أن يعملوا ذلك • نحن لسنا في هذا السبيل ـ كيف يمكن أن نخرج من هذه المشكلة مشكلة الاستقطاب ؟ ودخولنا فيها كجزء من هذه اللعبة الدولية التي نحن فيها عبارة عن كرة تتقاذفهـا الأمواج • الروس طبعاً لا يستطيعون أن يدافعوا الا عن مناطق نفوذهم • أمريكا تدخل بقوة في هذا العالم بشكل تتحدى فيه الاتحاد السوفييتي بشكل لترغمه على التدخـل • نحن لا يمكن أن نفعل شيئـاً • الأسلحـة الموجودة لدينا أسلحة محدودة ، وبصورة خاصة كما تعرفون أن الأسلحة ليست كما كانت في السابق ، يمكن أن تتبدل كل ٣ سنوات أو كل ٥ سنوات • كل شهـر تخرج أسلحة جديدة • ولقد رأينـا مثـلا القنبلة الفراغية في بيروت •• عبارة عن ٥ دقائق بناية من عشر طبقات جعلتها قاعاً صفصفاً • فاذن هـذه الأسلحة ليست في متناولنا • ان ما يجب أن نفعله نحن كعرب أن نستطيع سواء كان للقيادات أن هذا الدور الذي يجب أن تلعبه في التوحيد ، فالقيادات ما تزال متقوقعة على نفسها • هذه القيادات يجب أن تدرك تاريخياً أنها في وضع اذا استمرت فيـه سوف تتلاشى • فنحن قوة كبيرة ، صحيح اذا قسنا ما لدى الدول العربية من أسلحة ، نجد أن لديهـا ستة آلاف دبابة ، حوالي ١٢٠٠ طائرة ، كذا قطعة مدفعية ، كذا أكثر من مليون ونصف جندي • ولكن هذه القوة ليست كلها مجموعة • كل هذه الجنود واقفة مقابل بعضها وليست مقابلة للعدو • اذن علينا أن نعي هـذه الحقيقة ونعي هـذه المشكلة القائمة التي هي موروثة من أكثر من مئتي سنة • اذن هل الثقافة فقط هي التي يمكن أن تنجينا من ذلك ؟ نحن مثقفون أكثر مما كنا عليه منذ أربعين سنة ، ولكن نرى التخلف في الوقت الحاضر أكثر مما كنا عليه قبل أربعين سنة • اذن ما يجب أن نقوم به في الوقت الحاضر أكثر مما كنا عليه قبل أربعين سنة • اذن ما يجب أن نقوم به في الوقت الحاضر هو أن نعي أننا في منطقة كبرى يتزاحم عليهـا أطراف كثيرة ، وهذه الأطراف تريد أن تبتلعها سواء قطعة واحدة أو متفرقة • لذلك ، الوصية الرئيسية التي يجب أن تبقى راسخة في ذهننا الى مدة طويلة، هي أن العرب ، صحيح أن لهم مساحة ١٣ مليون كم٢، صحيح أن لهم عدد سكان لا يقل عن مئة وستين مليون نسمة ، وصحيح أن لهم قوى عسكرية كبرى موجودة ، ولكن هذه القوى يمكن أن تدمر في ظرف بسيط • لنبني فقط الانسان • بناء الانسان العربي بمفاهيمه • فالرجل الموجود في الأدغال اذا تحديته فانه يتحدى مباشرة بأضعف سلاح • فنحـن رغم وجود أسلحة كثيرة ، ولكن التحدي موجود ولا نتدخل بأي سلاح من الأسلحة • امكانياتنا للتدخل قـد ضعفت جداً ، وهـذا له عوامـل كثيرة ، وأكثركم تعرفون هذه المشاكل ـ طبعاً كنت أريد أن أقول أكثر من ذلك ، ولكني أترك المجال للزملاء •



مداخلة الأستاذ نجم الدين الصالح

ان هذا العالم تتناثر اجزاء منه ، ينحل اثمن مبادئه واغلى اهدافه في الانسان . في الحضور الانساني وكأنه يصغي من لحد عميق أو ينظر في شاشة تتحرك عليها صور لا تعنيه . أنا أريد أن أذهب الى العالم أيضاً . لقد بقيتم كلكم في الاطار العربي .

عالم النصف الثاني من القرن العشرين الذي بدأ بمذبحة قبية ودير ياسين وانتهى حتى الآن بمذبحة صبرا وشاتيلا ، وفي طليعته عروشنا وسلاطيننا وسيناريو مضحك يشد خيوطه بن غوريون وغولدا مايير وبيغن وشارون ، ويلقم كل منهم الانسان والانسانية حجراً ، كلما حاول او حاولت ان تتكلم امسك جزار صهيوني امريكي بعنق قرية او مدينة اوقطر مجاور كلبنان الشقيق مثلاً . وكان خيراً للعالم ان يطوي هذه المهزلة ، مهزلة ما يسمى اعلان حقوق الانسان التي مرت ذكراها قبل ايام ، وان يعتبر العالم مدينة مفتوحة امام السنة النار المندلعة من واشنطن وربيبتها اسرائيل . اذا كان لا يملك اتخاذ اي موقف او حتى التفكير في اي موقف ، فاين هي حقوق الانسان التي يختفي وراءها العالم او التي يحتفي بها العالم عاماً بعد عام وهو يمشي في جنازة مدن تباد وشعب يذبح بكامله ؟ بالنتيجة ، العالم لا يفهم الا لغة القوة ، التي فهمنا بها من قبل في الصين ، في الأندلس ، ما وراء منابع النيل . فعلى جماهيرنا العربية ، على كل من يحمل قلماً او سيفاً في الوطن العربي ، ان يحصر اهتمامه في توفير القوة المتكافئة مع العدو ، وما عدا ذلك فكله هباء في هباء ، ان تزيل الجماهير من وجهها كل العوائق مهما كانت. علينا ان نفكر بالطريق التي رسمها شهداء الحق والعروبة الذين نحني امامهم وامام كل قائد وجندي من قادة وجنود منظمة التحرير الفلسطينية ، والجيش العربي السوري والقوى الوطنية اللبنانية وكل القوى التي شاركت او رغبت في ان تشارك في شرف الاستشهاد او النصر .

بعد هذا اجد انه لا بد من وقفة قصيرة ، عندما تحدث عنه الأخ الأستاذ نايف حواتمه عن وجود خلاف في وجهات النظر بين فصائل المقاومة الفلسطينية الباسلة ، حتى ليكاد ذلك الخلاف ان يصل الى القطبين المتعاكسين في الرؤيا حول مشروع ريغن . وجهة نظر تود ان تقصر املها على محاولة تسليط عرب امريكا على امريكا ، ومعروف سلفاً من هم عرب امريكا او عبيد امريكا ، وعرب وعبيد انكلترا من قبل ــ وجهة نظر اخرى تقف في وجه مشروع ريغن بكل ما تملك . وثالثة ترتعش خوفاً من النتيجة وتحاول ان تسلم بالحلول المطروحة .

هذا ما اعتقد انني سمعته من قائد فصيلة بارزة وهامة جداً بالأمس . كما استمعنا الى بعض الاخوة الباحثين وهم يشخصون امراض هذه المرحلة الرديئة المدانة المشبوهة من تاريخنا العربي . ووقف الكل يتساءلون : ماذا يترتب على الغد العربي من مهام ، وما هي استراتيجية الغد ؟ اننا بعبارات بسيطة ، نرجو ان نشير الى عدة مبادىء تتلاحم كراس جسر للغد الذي ينتظرنا على مفارق الطرق ، واهمها :

اولاً ، اننا نطالب قبل كل شيء بوحدة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، تنظيراً وتخطيطاً وتنفيذاً ، لتتوفر بذلك واكثر فاكثر فصيلة التحرير الأولى في الوطن العربي وعلى طريق الوحدة لا الاقليمية .

ثانياً ، اننا نقوم معركة بيروت بانها ملحمة اسطورية خالدة تحققت وتعمدت بها وحدة الدم العربي والكفاح الواحد والموحد في الفصائل الفلسطينية والسورية واللبنانية وبقية المقاتلين العرب ، تنظيراً وتنفيذاً واستشهاداً . ونقر بانها فرضت على العالم ان ينظر الى قضية فلسطين بمنظار جديد .



ثالثاً ، اننا ندين مشروع ريغن مقدمة ونتيجة ونعتبره محاولة لاغتيال فلسطين برمتها ،سياسياً وعسكرياً ، وطمس هويتها واسمها ايضاً ، وجعل ما تبقى منها جزءاً لاحقاً للاردن الشقيق ، شعباً بلا ارض ؛ لأن ريغن لم يشر الى الأرض لا من قريب ولا من بعيد . وقد كان مشروع روجرز وغيره ، يقف الى جانب القضية اكثر بكثير منه . ونعتبر هذا القرار محاولة لاجهاض اروع صمود عرفه تاريخ البشرية من فئة لا تملك الا الايمان بقضيتها تجاه اشرس قوة واعتاها في العالم ، سلاحاً وبغياً ووحشية . كما ان هذا المشروع يرمي الى ضرب الأقطار العربية بعضها ببعض ، وتعميق انقسامها اكثر واكثر . لذلك فاننا ندعو الى محاربة هذا المشروع وتحريك كل الجماهير العربية ضده وضد كل من يسلم به .

رابعاً ، اننا ندعو لوضع استراتيجية لغد النضال والتحرير وان يكون العمود الفقري لهذه الاستراتيجية قيام جبهة متلاحمة . واقول متلاحمة بكل ما يحمل التلاحم من معنى بين القطر العربي السوري ومنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للحق الفلسطيني باقامة دولته ، ومن القوى الوطنية اللبنانية وغير اللبنانية ، من القوى الشعبية العربية . ونرى ان هذه الاستراتيجية لا بد من ان تبدأ بتلاحم سوري فلسطيني للأسباب التالية :

آ ـ ان سورية العربية تؤمن وتعيش بدستورها وقوانينها وعقيدتها وادبها واهدافها ، الوحدة العربية ولا يمكن ان تؤمن بقضية قلبها محتل وفلسطينها ممزقة .

ب ـ لأن الشعب العربي الفلسطيني لا يمكنه الابتعاد عن رفيق السلاح العربي السوري الذي خاض معه كل معارك النضال والتحرير بدءاً من معركة ١٩٤٨ مروراً بمعارك ٦٧ و ٧٣ وانتهاء بمعركة بيروت .

ج ـ اننا ندعو قيادة البلدين للاسهام الجاد بانهاء الاشتباكات شبه اليومية في طرابلس الشمال ، واسدال الستار على ذلك الجرح العربي النازف .

د ـ ندعو قيادة البلدين للالتزام بالجبهة الاستراتيجية التي تنشأ بادىء ذي بدء بينهما التزاماً مسؤولاً امام الجماهير العربية وامام الضمير والتاريخ والشرف .

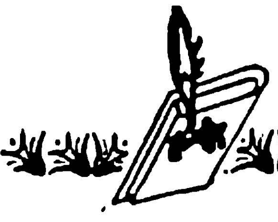
خامساً ، والبند الأخير ، وهو مهمتنا نحن المفكرين والأدباء، كما هو مهمة الأحزاب العقائدية، ان نتحرك بمعركة مخططة مبرمجة لحرق كل الهشيم المتحرك من عملاء في الوطن العربي .. ان نوقد النار في كل العقالات والعروش المذهبة التي تقدم بترولنا وذهبنا واسواقنا مجاناً لواشنطن في سبيل حمايتها ، ليس من اسرائيل ، وانما من غضبة الشعب العربي..وان نحرق كل معوق في سبيل التحرير والوحدة ؛ لأن المعركة القومية والتحرير ، لا تنفصل عن المعركة الاجتماعية كما ادركنا الآن وقبل الآن ، خاصة ونحن نرى كيف تقدم الرجعية العربية كل ما تملك شعوبها من ذهب وبترول الى الامبريالية الأمريكية التي تحولها الى صواريخ وقنابل تمول كل حرب تشنها دولة الصهاينة وغيرها من صنائع الامبريالية الأمريكية والصهيونية العالمية . فلنتقدم ولنقتلع من بين ظهرانينا بيت المتنبي الذي استشهد به احد الاخوة :

وسوى الروم خلف ظهرك روم ،

فعلى اي جانبيك تميل .

فهل نحن فاعلون ؟ هل نتخذ قراراً بذلك ؟ نرجو هذا وشكراً .





مداخلة الدكتور نذير العظمة

ما زلنا نتعاطى مع الحقيقة والواقع تعاطياً اما لغوياً ، واللغة منفصلة عن الحقيقة تماماً عندنا ، او ايديولوجياً . والايديولوجية اما ان تكون وطنية قومية او مستوردة . وفي كلا الحالين ايضاً لا تعطينا صورة موضوعية عما يجري في الواقع . او عاطفياً فنخلط الأمور خلطاً عجيباً بهذه العناصر الثلاثة . فمثلاً ، ما هي الحقيقة وما هي الوثائق التي صدرت عن الأطراف المشتركة في هذه الحوادث الأخيرة ؟ هل صدر هناك سفر عن وثائق هذه الحرب ؟ هل صدرت دراسات عنها ؟ ما هي مصادرنا عنها ؟ اننا نعتمد في جل ما نعتمد على الكلام المسموع في الذاكرة ، في الرواية ، او على وكالات الأنباء الأجنبية والترجمة . فالحقيقة ليست واضحة تمام الوضوح في اذهاننا .ماذا جرى وما هي اسبابه وما هي نتائجه وكيف صار وكيف حصل ؟

انا اتضامن مع زميلي د. حافظ الجمالي بأن منظمة التحرير الفلسطينية المنظم الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . هي جزء من كل ، على كل ما فيها من وهج ، عربية مصرية شمال افريقية من العرب ، وتتحد هذه الحركات كلها في جبهة ثورية واحدة قادرة على استئصال اسرائيل أو احتواء اغراضها الاستراتيجية التي تحاول السيطرة على المنطقة · ولكنها مع الأسف خميرة لم تصنع عجينة· وشيء من النقد مطلوب في هذا المجال . فمنظمة التحرير الفلسطينية فيها ما في الأنظمة من مثالب وفضائل ، فقد اعدتها الأنظمة بأن تصبح نضالاً ، ولم تعد الأنظمة بأن تقلبها ثورة · والشواهد كثيرة ولا اريد ان استفيض في هذا ، ولأنني قضيت السنتين الاخيرتين في لبنان ، وشاركت بالكلمة وبالسلاح في المعركة بعد اغتراب سبعة عشر عاماً في امريكا ، استطيع ان اشعر بكامل الحرية لأن انتقد من انتقد بدون ان اضع امامي المحاذير ، اما من المنظمة او من الأنظمة ؛ لأن الحرية تمارس ولا تعطى من هذا الحاكم ولا من هذا النظام . مارسها وتحمل التبعية ـ فلماذا نطالب الأنظمة بأشياء نعرف سلفاً بأنها لا تستطيع ان تعطيها لنا . علينا ان نمارس الحرية بصرف النظر عن العواقب التي تأتينا من ممارسة الحرية هذه .

المعركة لم تبدأ الا عندما فكك التضامن العربي، فاذا كان التضامن العربي مخيفاً وحاداً لقوى الصهيونية المتغطرسة ، فما بالكم بتضامن ثوري يمكن أن ينشأ بين القواعد الشعبية؟ فمثلا، لم تبدأ المعركة الا عندما حُيِّدت مصر بكامب ديفيد ، فشق عرب المغرب عن عرب المشرق ؛ وحُيِّدت الجبهة الشرقية بالحرب الايرانية العراقية ، فكسر العامود الفقري لهذه الجبهة . وحُيِّدت سورية بعزلها عن محيطها الطبيعي ، فانقلب قتالها من قتال استراتيجي الى قتال تكتيكي .

نحن لا نقدر حقيقة ماذا يجري في الطرف الآخر في المجتمع الصهيوني . هناك تغير تحتي في البنى الاقتصادية والنفسية والثقافية في المجتمع الصهيوني، ونحن نقابله بتغير فوقي بتراكم السلاح وبحشد الطاقات بدون بنية عضوية . هناك تغير نوعي في المجتمع الصهيوني نقابله بالنوم . لذلك يقاتلوننا قتالاً استراتيجياً يرمي الى محونا عن الخارطة البشرية ، يقاتلوننا قتالاً استراتيجياً يرمي لا الى ابتلاع فلسطين فحسب ـ في حصارهم بيروت ، يحاصرون دمشق ·ان احتلال لبنان هو احتلال لسورية ولكل الكيانات الأخرى في الجبهة الشرقية . فاذن ما هو المطلوب منا؟ بالدرجة الأولى ان نعرف الحقيقة بمباشرتها نحن بأنفسنا ، لا أن نتكل على وكالات الغرب باداء هذه الحقيقة . فعلينا ان نشكل لجنة من اتحاداتنا او من الكيانات التي اشتركت في هذه المعركة التاريخية المشرفة ، ان نحصر الوثائق العسكرية ، وثائق المعارك، الوثائق اللوجستية . هذا هو العمل الأساسي الذي يجب ان نبادر اليه . ام ان نحارب ونشارك بالكلمة الجماهير في المعركة ؟



انا آسف ، ربما اطلت عليكم ، ولكنني اريـد ان اختم ذلك بنبذة صغيرة ـ انا آسف ان اقول انه طيلة وجودي في بيروت ؛ انه لم يكن هناك قرار بالقتالمن كل الأطراف ، حتى احتشدت كل القوى المقاتلة داخل المدينة الغربية في ٩ كلم ، عند ذلك لم يكن هناكمناص من القتال . هذا مفاجاة لي تكاد تكون اهم من مفاجاة الشوف . الشوف لم يطلق طلقة واحـدة .وزوربت القوى الصهيونية من الجنوب الى بـيروت بدون قتال اطلاقاً في طريق الجبـل الى بعبدا .

اية امة هذه ؟ اي حركة تحرير نقول ... والىحدود بيروت الدامور ، كان قتـالاً فردياً قامت بـه المبادرات الفردية . انا لا اتهـم ، ولكنني كمشاهـدومراقب ، ولا اتخـذ لنفسي صفـة الدارس وانمـا انتظرهامن مختصين استراتيجيين ومفكرين ولوجستيين ، الى آخر ما هنالك ، ولكنني أبدي هذه الكلمة · بدوري كنت هناك . انا اعتقد ان قرار القتال لم يكنحازماً وحقيقياً الا داخل بيروت الغربية ، وما عداها لم يكن سوى مبادرات فردية من الحركة الوطنية ،وكنت مشاركاً بها ، ومن القوات التي كانت تتواجد هنـاك .. سـورية او غير سورية ، ومـن الحركـةالفلسطينية ـ اما بيروت فهي رمز عظيم مهم في تاريخ صدامنـا مـع القوى الصهيونية التي اعقبت ثلاثـةحروب فاشـلة ، بعضهـا يمكن ان يشعرنا بالنخـوة كحرب ٧٣ لأنه حصل العبور وحصل الهجوم واخترنانحن الزمان والمكان واستطعنا ان نؤدي صفعة جيـدة الىالعدو الصهيوني ـ وبيروت مهمة جداً ،واسمحوالي ان لا اطيل وان اختم ذلك بثلاثة ابيات من قصيدة لي كتبتها في المعركة ونشرت فيما بعد في جريدة البعث:

الـكـرامـة خـروج مـن الرحـم ،

ايلول الأسـود خـروج مـن الرحم ،

الخروج من بيروت خروج من الرحم ،

فلنتحمل سـفر الحب والم الولادة .



صوت صارخ في البرية

جورج صدقني

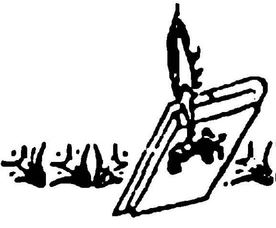
أعترف منذ البداية بأنني أخشى ألا يجد القارىء في ما سأقول جواباً عن السؤال المطروح ٠ ذلك بأنني أحسست بميل جارف منذ قراءة السؤال الى تجاوزه واعتباره مجرد مناسبة للكلام في الأساسيات الأولى ، أعني في الحقائق البديهية للصراع العربي الصهيوني ، وهي حقائق يمكن للمرء أن يجد في واقع الممارسات السياسية العربية أكثر من دليل على أنها قد أصبحت حقائق منسية ، أو على الأقل ليس في تلك الممارسات أي دليل على أنها حقائق ماثلة للعيان حاضرة في الذهن ٠

ان الكلام في أي موضوع من الموضوعات عبث لا طائل من ورائه ، اذا لم يكن الكلام منطلقاً من فهم دقيق لماهية هذا الموضوع ، واذا لم يكن مبنياً على أساس فهم واحد ومتفق عليه لجوهره العميق٠ وبالتالي فان وعي جوهر الصراع العربي الصهيوني، أو وعي ماهيته ، شرط منطقي لازم لجدوى أي بحث أو أية مناقشة فيه ٠

لهذا كان الحكيم اليوناني القديم سقراط يقول : قبل أن تبدؤوا حواراً حول مفهوم (العدالة)، اتفقوا على تحديد هذا المفهوم واذا لم تفعلوا انقلب الحوار الى ما يشبه (حوار الطرشان) ، الذي يغني كل واحد فيه على ليلاه ، ويتكلم كل واحد فيه على (عدالته) هو ، وليس على (العدالة) ٠ يجب أن نعي مفهوم العدالة وعياً كاملا قبل كل شيء ، ثم نأخذ في الحوار ، وعندئذ لن تكون مادة الحوار مفاهيم غامضة ملتبسة متداخلة مشوشة ، بل واضحة محددة ، بحيث يصبح من المحتم أن يصل الحوار في خاتمة المطاف الى نهاية منطقية حتمية جلية كالشمس في رابعة النهار ، تفرض نفسها فرضاً مثل الحقائق الرياضية، فلا تكون عرضة للجدل والمماحكة كما أن الواحد مضافاً الى الواحد يساوي اثنين ٠

فهل نحن متفقون على ماهية الصراع العربي ـ الصهيوني ؟

أشهد أن هذا السؤال يجب أن يبدو غريباً كل الغرابة ٠ وأشهد أن طرح السؤال عن ماهية الصراع العربي الصهيوني ـ أو بالأحرى اعادة طرحه ـ بعدما يناهز القرن من بداية هذا الصراع فيه ما يبعث على السخرية والضحك ٠ ولكن شر البلية مايضحك، كما يقولون : فأنا أزعم أنه رغم مرور خمس وثمانين سنة على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول ما زال بين العرب عرب يريدون أن يميزوا بين (حكام اسرائيل) وبين (الشعب الاسرائيلي) ٠ وأنا أزعم أن بين العرب عرباً يأبون أن يضعوا أنفسهم الا في صفوف الثوريين والتقدميين ، ومع ذلك فانهم يعلقون آمالا عراضاً على (المعارضة) في اسرائيل ، كما أنني أزعم أن اتصالات اليسار العربي بـ « اليسار الصهيوني » قد سبقت اتصالات اليمين العربي بـ « اليمين الصهيوني » ٠ أزعم زعمي هذا ولا أقصد به تبرير ممارسات اليمين العربي ،



ولكنني أود أن أشير الى أنه اذا كان دافع اليمين العربي الى هذه الممارسات هو الخيانة، فان اتصالات اليسار العربي باليسار الصهيوني تدل في أحسن الظنون على عدم فهم طبيعة الصراع العربي الصهيوني ٠ واذا كان الأمر على غير هذا النحو ،فكيف نفسر اكتظاظ صفحات مجلات اليسار الصهيوني في أوروبا وأمريكا بتصريحات العديد من أبرز وجوه الثورة الفلسطينية وازدحام مراسلي هذه الصحف والمجلات بالذات على أبواب أولئك القادة ؟ وكيف نفسر تعليق الآمال على أمثال يوري أفنيري ، أو على عقد لقاء مع مئير فلنر زعيم الحزب الشيوعي الاسرائيلي ؟

هل هي حنكة أو « شطارة » لكسب تأييد الرأي العام العالمي ؟ هل هي محاولة لنزع الصورة المشوهة التي كونها الغرب عموماً ، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص ، عن العرب وعن القضية العربية وعن الموقف العربي (الهمجي) الهادف الى « إلقاء اليهود في البحر » ؟

هل بلغنا من السذاجة حداً نعتقد فيه أن الغرب ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعرف مدى قدرة العرب على القاء اسرائيل في البحر ، سواء أكانوا ينوون أن يفعلوا ذلك أم لا ؟ واذا لم نكن ساذجين الى هذا الحد ، فلا بد أن هذه المواقف الخاطئة ناجمة عن عدم وضوح الرؤية وعن عدم وعي الطبيعة العميقة للصراع العربي الصهيوني وعدم فهم ماهيته وأبعاده ؟

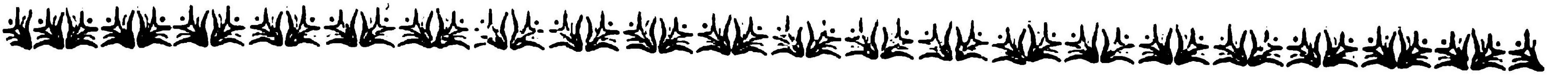
ان الصراع العربي الصهيوني ليس صراعاً على الحدود ، وانما هو صراع على الوجود ٠ انه صراع حياة أو موت ، إما أن تنتصر بنتيجته نظرية « القومية العربية » على « النظرية الصهيونية » ، فيندثر الفكر الصهيوني العنصري العرقي الرجعي، ويتم القضاء على كل مايعنيه من استعمار استيطاني وتمييز عنصري٠ وإما أن تسود النظرية الصهيونية وتقضي على نظرية القومية العربية ، وتثبت بالقوة الغاشمة أنه لا توجد في هذه المنطقة من العالم قومية واحدة ، وانما يوجد فيها عدد كبير من القوميات الصغيرة القائمة على أساس العنصر والدين : كالأكراد والبربر والأقباط والسنة والشيعة والموارنة والدروز وغيرهم من الطوائف ، ويأتي في طليعة هذه القوميات ، بل فوقها ، الشعب اليهودي، شعب الله المختار ، الذي خلق لكي يسود هذه الشعوب المتخلفة ويسخرها لبناء رفاهيته ومجده ٠

ليس في هذا الكلام المعاد جديد ٠ أجل ،ليس فيه جديد ، والمصيبة أنه ليس فيه جديد ، ومع ذلك فان العرب ما زالوا يتصرفون وكأنهم لم يسمعوا هذا الكلام من قبل ٠ لقد كانت الأمة العربية غنية دائماً بالغيورين من أبنائها الذين بادروا الى قرع نواقيس الخطر وايقاظ الهمم الهاجعة منذرين أمتهم بما ينتظرها من قدر فاجع ، اذا لم تتنبه وتعد نفسها لمواجهة المصير ٠ ولعل أقدم « صوت صارخ في البرية » في هذا المجال كان صوت نجيب عازوري(من قرية عازور في جنوب لبنان) ، الذي استشف كنه الصراع العربي الصهيوني ونفذ الى جوهره منذ سنة ١٩٠٤ ، أي قبل قيام دولة الكيان الصهيوني بأربع وأربعين سنة ، بل قبل صدور وعد بلفور بثلاث عشرة سنة ٠ في سنة ١٩٠٤ كانت فلسطين ما تزال خاضعة لسيادة السلطان العثماني ، وفي سنة ١٩٠٤ كانت الدعوة الصهيونية دعوة حديثة لم يمض على عقد مؤتمرها الأول الا بضع سنوات، في سنة ١٩٠٤ ، أي قبل ثمانية وسبعين عاماً (معظم قادة العالم المعاصر لم يكونوا قد ولدوا بعد) ،قال نجيب عازوري ــ واسمعوا جيدا ما قاله في سنة ١٩٠٤ :

« ظاهرتان هامتان لهما نفس الطبيعة ، بيد أنهما متعارضتان ، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتوضحان في هذه الآونة في تركيا الآسيوية ٠ أعني يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لاعادة تكوين مملكة اسرائيل القديمة على نطاق واسع٠ ان مصير هاتين الحركتين هو أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر احداهما على الأخرى ، وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين حضاريين ، يتعلق مصير العالم بأجمعه »(١) ٠

---

١ ــ يقظة الأمة العربية ، تاليف نجيب عازوري ، تعريب احمد بو ملحم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ٧ ٠



ماذا ؟ ! مصير العالم ؟ ! أجل مصير العالم متعلق بالنتيجة النهائية للصراع العربي الصهيوني. يكفي أن نشير الى أن الصهيونية تخطط للسيطرة على هذه المنطقة من العالم بكل ما تعنيه هذه المنطقة من موقع استراتيجي وثروات طائلة ... الخ . وبعد أن تسيطر على هذه المنطقة تنتقل الى توسيع دائرة سيطرتها لكي تبسط هيمنتها على العالم بأسره .

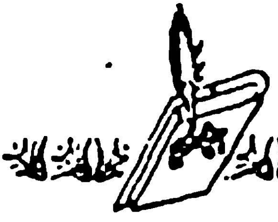
لطالما استخف العرب بأعدائهم الصهاينة ، وفي كل مرة كان العرب يدفعون مقابل استخفافهم ثمناً باهظاً . هناك فرق شاسع بيننا نحن العرب وبين أعدائنا الصهاينة يتلخص في أن رواد الفكر القومي العربي طرحوا أهداف القومية العربية منذ وقت مبكر ، ولم ينتقل الفكر العربي بعد ذلك الى التخطيط لتحقيق هذه الأهداف ونقلها من حيز النظرية الى حيز التطبيق في الواقع العملي ، بل ظل العرب حتى يومنا هذا يتناقشون في هذه الأهداف على الصعيد النظري البحت. أما الصهاينة فقد حددوا أهدافهم في أواخر القرن التاسع عشر، ثم انتقلوا دفعة واحدة وعلى الفور الى التخطيط لتنفيذ الأفكار على أرض الواقع مرحلة بعد مرحلة، مدة كل مرحلة عشر سنوات أو عشرون : في سنة ١٨٩٧ انعقد المؤتمر الصهيوني الأول ـ بعد عشرين سنة ، أي في سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . بعد ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٤٧ صدر قرار التقسيم . بعد عشرين سنة ، أي في سنة ١٩٦٧ احتل الصهاينة كل فلسطين وسيناء والجولان . بعد عشر سنوات ، أي في سنة ١٩٧٧ ذهب أنور السادات الى القدس . فما الذي سيحدث في سنة ١٩٨٧ ؟ !

قرأت منذ أيام في صحيفة (الوطن) الكويتية ، وبالتحديد في عددها الصادر يوم الثلاثاء ١١/١٦/١٩٨٢ ، مقالة للكاتب العربي المصري عنوانها : « اسرائيل .. دولة عظمى ذات أبعاد كونية ؟ ! » . في هذه المقالة يتحدث الكاتب عن وثيقة صهيونية عنوانها « استراتيجية اسرائيل في الثمانينات من القرن العشرين » ، نشرتها في الأصل بالعبرية مجلة صهيونية بالقدس ، ويكشف الكاتب عن أبرز محتويات الوثيقة ، لافتاً الانتباه الى ما تنطوي عليه « من جسارة في التصور فاقت في الحقيقة كل ما يصل اليه خيال ! » . وهأنذا بدوري أعطي فكرة موجزة عن مضمون الوثيقة بالاعتماد على تلك المقالة :

١ ـ ان العالم العربي الاسلامي بأقلياته العرقية ، وانقساماته ، وأزماته الداخلية « مدمر لذاته بشكل يثير الدهشة » . انه « مثل بيت مؤقت بني من أوراق اللعب ، وقام بترتيبها لاعبون أجانب ـ فرنسا وبريطانيا في العشرينات ـ دون أن يأخذوا رغبات السكان بالحسبان » . لقد « تم تقسيمه تعسفياً الى ١٩ دولة كلها خليط من الأقليات والمجموعات العرقية التي تعادي بعضها البعض » . لدرجة أن كل دولة عربية تعاني تخريباً اجتماعياً عرقياً من الداخل ، وفي بعضها الآخر حرب أهلية مسلحة ناشبة بالفعل . أما (العروبة) و (القومية العربية) فهي أوهام وتخيلات ، وما (الأمة العربية) الا جماعات عرقية متنافرة . وعلى الهامش تدعو الوثيقة الى تقسيم مصر الى دولتين : الأولى (اسلامية) والأخرى (قبطية) في الصعيد ! !

٢ ـ لا تكتفي الوثيقة بالحديث عن مستقبل اسرائيل « كدولة عظمى اقليمية فحسب بل كدولة عظمى ذات أبعاد كونية تزاحم وتناطح الولايات المتحدة الأمريكية ، وتريد أن تحل محلها في التصدي لأعداء الحضارة الغربية وفي حماية تراثها وقيمها».

٣ ـ تحولت الاشتراكية والشيوعية الى « تمثيلية مضحكة » ! وأصبح الاتحاد السوفياتي أكبر خطر يتهدد البشرية ، وهو سوف « يقلب معظم عالمنا رأساً على عقب خلال سنوات قليلة » . يلي ذلك كلام عن نظرية جورشكوف في السيطرة السوفياتية على المحيطات وعلى المناطق الغنية بالمعادن في العالم الثالث . ثم كلام أيضاً عن العقيدة النووية السوفياتية الحالية التي ترى امكانية شن حرب نووية وكسبها والبقاء بعدها ! !



٤ ـ الغرب لم يعد قادرا على مواجهة التحدي، بعد« انهيار النظرة العقلانية والانسانية باعتبارها حجر الزاوية في ٠٠ منجزات الحضارة الغربية منذ عصر النهضة » ٠ ثم يلي ذلك حديث عن أزمات التكاثر السكاني ، ومصادر الطاقة « التي لا تنمو نموا يلاحق التكاثر السكاني ٠٠ ولذلك فمن غير الواقعي أن نتوقع امكانية الوفاء بالاحتياجات الأساسية للمجتمع الغربي ٠

٥ ـ اسرائيل بقوة دفع الصهيونية وفلسفتها هي وحدها القادرة على النهوض بدور المنقذ ، فتصمم مخطط مواجهة السوفيات بديلا عن الولايات المتحدة الأمريكية التي شملها التفسخ والانهيار ، وتضع مخططا تباشر تنفيذه اقليميا في الشرق الأوسط ليكون معبرا لقيام اسرائيل بدورها كدولة عظمى ذات أبعاد كونية ! !

ثم يصف الكاتب الوثيقة بأنها « هلوسة » ولكنها « هلوسة ٠٠ يجب أن تؤخذ بكل جدية ! » ٠ وأنا أرى أن الكاتب على حق في ما ذهب اليه ، فلطالما استخف العرب بالتخطيط الصهيوني واعتبروه أضغاث أحلام ، ثم تحولت هذه الأحلام الى واقع ملموس ومحسوس لأن العرب لم يخططوا تخطيطاً علمياً للمواجهة ٠

ان على العرب أن يقرؤوا أسطورة (كاساندرا) لدى الاغريق ويتعلموا منها ، وأن يحملوا نذر المنذرين على محمل الجد ، وألا يدعوها تضيع كصوت صارخ في البرية ٠ ان فعلوا فبها ونعمت ، وان لم يفعلوا فقد لا نشغل من التاريخ مكاناً أرحب من المكان الذي تشغله الآن العرب البائدة !



أبعاد الصراع العربي - الصهيوني ومستقبله

يحيى خلف

عقد مؤتمر القمة العربي في فاس بعد الحرب الوطنية في لبنان ، وبعد خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت ، تلك القوات التي خاضت المعارك المجيدة والتي يمكن اعتبارها من أشرف معارك العرب ٠

ولقد كشفت معارك بيروت ضعف وتردد وعجز الأنظمة العربية ، تلك الأنظمة التي فشلت في عقد مؤتمرها أثناء الحصار ، ولم تقدم حتى الماء أو الدواء لأطفال بيروت ٠

وظل معظم الأنظمة الرجعية ينتظر اللحظة التي يتم فيها تصفية الثورة الفلسطينية لكي يجري في فاس مراسيم تأبين القضية الفلسطينية ٠

لكن الثورة الفلسطينية خرجت صامدة ، وحافظت على قواعدها الذاتية ، واكتسبت خبرة وتجربة تضاف الى رصيدها وتراثها الكفاحي ، وحصلت على تعاطف عالمي واسع أعطى مكانة سياسية هامة للقضية الفلسطينية ٠

اذن ، جاءت قمة فاس لتكون محصلة للاوضاع القائمة ، وللسياسات الرسمية ، ولتشكل محطة أخرى من محطات التراجع ، وتواصل الطريق في نهج التسوية ٠

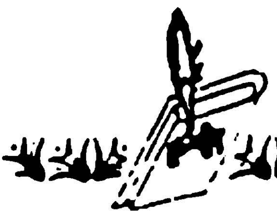
جاءت قرارات فاس لا لتوقف الانهيار في السياسة العربية ، وانما لتزيده تعقيدا ،ولتضرب ركائز الصمود والصراع ، ولتفتح الأبواب واسعة على مستقبل غامض لأجيال عربية جديدة ٠

ولعل أبرز الملاحظات التي يمكن أن نسجلها على قرارات فاس تتمثل في النقاط التالية :

أولا – ان قمة فاس ألغت من كل الحسابات الخيار العسكري ، ولم تطرح الا بنود التسوية السياسية ، ولعله من البديهي أن تصدق مقولة (من يلغي الخيار العسكري ، فانه يخسر الخيار السياسي) ٠

ثانيا – أقرت قمة فاس في البند السابع مسألة الاعتراف الواقعي بوجود اسرائيل ، اذ أكد هذا البند ضمان مجلس الأمن لحق دول المنطقة في العيش بسلام، وأعتقدأن مخاطر التسليم بحق اسرائيل في الوجود واضحة ، ولا تحتاج الى شرح ٠

وهذا البند يضرب أحد أبرز ركائز الصراع مع العدو الصهيوني ، اذ أن النضال العربي ضد العدو ، وتصعيد الثورة الفلسطينية لزخم الصراع ، قد وجه ضربة كبيرة للفكر الصهيوني الرجعي٠ وان أي اعتراف بوجود دولة العدو الصهيوني ، سوف يعيد الحياة الى الفكرة الصهيونية التوسعية ، وسوف يمكن هذه



الدولة من استيعاب المزيد من المهاجرين الذين ستجذبهم حالة انهاء الحرب ، وسيكون هذا التوسع مقدمة لاندفاعة صهيونية جديدة · ان الصهيونية شكل جديد للعنصرية والنازية ، ومن المعروف أن أحدا لم يهادن النازية ، وظل الصراع قائماً معها الى أن تم تحطيمها في عقردارها·

ثالثاً – لم تطرح قمة فاس حلا مرحلياً ، بل حلا نهائياً على قاعدة الاعتراف باسرائيل ، واسقاط معظم الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، وخاصة حقه في العودة ··· ومما تجدر ملاحظته ان قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ تنص على حق الفلسطينيين الذين أبعدوا عن ديارهم في العودة أو التعويض · ومنذ عام ٤٨ والشعب الفلسطيني يصر على العودة ويرفض التعويض ، وجاءت قرارات فاس لتثبت التعويض دون أن تؤكد على حق العودة · علماً بأن الموقف المبدئي هو تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ·

ومن المهم أن أذكر هنا ، ان المبادرة الامريكية الجديدة (مشروع ريغان) والذي يدعو الى حكم ذاتي للفلسطينيين من خلال الأردن ، يسقط من الحساب الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الضفة والقطاع ، ويحول القضية الفلسطينية الى مسألة حدودية بين الأردن واسرائيل، ويسقط كافة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني المطرود من أرضه ، والمقتلع من ترابه الوطني ·

★ ★ ★

يبدو للبعض أن ثمة ايجابيات في قرارات فاس ، وانها جاءت من أجل وقف التدهور في الموقف العربي وان الانجاز الكبير كان في تجنيب المؤتمر الموافقة على المشروع الأمريكي (مشروع ريغان)، وان هناك فروقات بين المشروعين ، فبينما يدعو المشروع العربي (قرارات فاس) لانشاء دولة فلسطينية ، فان المشروع الأمريكي يدعو الى حكم ذاتي مرتبط بالاردن ·

ولكن الحقيقة المرة هي أن قرارات فاس رغم كل تحفظاتنا فانها غير قابلة للتحقيق ، لأنه ليس وراءها قوة عسكرية لتحقيقها أو ليس وراءها ما اصطلح على تسميته ب (قوة الدفع) ·

لذلك ، فليس هناك في الواقع سوى المشروع الأمريكي الذي يطالب العرب جهارا بالموافقة على ما يلي :

١ – الغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية ·

٢ – تفويض النظام الاردني للمشاركة في التسوية كممثل للفلسطينيين ·

٣ – الاعتراف الواضح باسرائيل وبحدودها الآمنة ·

٤ – اسقاط حقوق الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الضفة والقطاع ·

٥ – تمرير مؤامرة الحكم الذاتي للفلسطينيين ·

★ ★ ★

وهكذا ، فان آخر سيناريو مطروح على أرض الواقع هو السيناريو الأمريكي ، وهو يطالب العرب بالتنازلات التي ذكرتها سابقاً ، وبما أن قرارات فاس على هزالها غير مقبولة تماماً من الولايات المتحدة ، فان الامبريالية سوف تطالب العرب بالمزيد من التنازلات ليصبح ما كان مرفوضاً في مرحلة ، حقيقة واقعة في مرحلة لاحقة ·· أليس هذا هو النتيجة الطبيعية لمؤامرة كامب ديفيد ، وعدم الجدية في التصدي لها ؟

★ ★ ★

هذا هو الواقع المؤسف ، والمتردي للوضع الرسمي العربي ، هذا هو الواقع الفاسد الذي يجب أن نرفضه ككتاب وكمثقفين ، وكجماهير عربية ·

ان رفض هذا الواقع الفاسد ، والعمل على تغييره مهمة أساسية من مهام حركة التحرر الوطني العربية ·· مهمة أساسية أمام الثورة الفلسطينية ، وأمام الأنظمة الوطنية (جبهة الصمود والتصدي) وأمام الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في الاقطار العربية ·

ان محور نضال الأمة العربية في هذه المرحلة يجب أن يكون الصراع ضد العدو الصهيوني · يجب أن يكون مواصلة الصراع لا وقفه أو تجميده · لذلك يجب أن يكون هنالك برنامج نضالي يعطي الأولوية في الصراع ، الى التناقض الرئيسي ،

التناقض مع العدو الصهيوني • وهذا يتطلب أن تشمل النقاط البرنامجية للنضال العربي القضايا التالية :

أولا ـ دعم الثورة الفلسطينية وتقديم كل المساندة لها ، وفتح كافة الجبهات العربية أمام نضالها وتمكينها من تصعيد الكفاح المسلح داخل الأرض المحتلة ، وتعزيز مكانتها في الساحة الدولية •

ثانيا ـ النضال من أجل تعميق التحالف بين أطراف قوى حركة التحرر الوطني العربية ،ووضع البرامج الكفيلة بتحويل مواقفها الى سياسات عملية قادرة على المجابهة وعلى التصدي، وخاصة بين الثورة الفلسطينية وسورية والحركة الوطنية اللبنانية •

ثالثا ـ رفض كافة الحلول الاستسلامية وعلى رأسها المشروع الأمريكي (مشروع ريغان) •

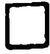
رابعا ـ دعم الحركة الوطنية المصرية بما يمكنها من التصدي لبرنامج مؤامرة كامب ديفيد، واعادة مصر الى الصف العربي والى المواجهة ضد العدو الصهيوني •

خامسا ـ دعم النضال الجماهيري والشعبي في الاقطار الرجعية، وفضح السياسات العربية المرتبطة بالمركز الامبريالي •

سادسا ـ النضال من أجل الحريات الديمقراطية للجماهير •

سابعا ـ تأكيد وتعميق التحالف مع معسكر الاصدقاء في العالم وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي •

وغني عن القول أن للكتاب والمثقفين دورا بارزا في اشاعة ثقافة وطنية صحيحة ، ونشر الفكر الوطني والتقدمي •



تصور الدكتور أحمد أبو مطر

رئيس تحرير حولية الثقافة الفلسطينية

في البداية أود التأكيد على أمر بالغ الأهمية، فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الصهيوني ، له علاقة باستراتيجية الحركة الصهيونية ، وهو أن لدى الحركة الصهيونية، ورأسها العسكري في المنطقة العربية ، خطة توسعية لا تناقش على ضوء غزو لبنان ومذابح المخيمات الفلسطينية ، الا على اعتبار أن هذا الغزو تجسيد عملي للاستراتيجية التوسعية، التي تهدف الى استيعاب مساحات واسعة من المنطقة العربية ، بدليل أن « دولة اسرائيل » التي زرعتها الحركة الصهيونية بدعم الأمبريالية ، ترفض حتى الآن الاعلان عن حدود نهائية لها ٠ ولدى الجماهير العربية المهددة بهذا الخطر التوسعي السرطاني دليل عملي ، يمتد من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٢ ، حيث دأب الكيان الصهيوني على توسيع حدوده ، مستغلا حالة التشتت والضعف العربي ٠ كان العرب يعتقدون أن هدف الحركة الصهيونية الاستيلاء على الجزء الفلسطيني الذي أعلنت قيام دولتها « اسرائيل » عليه في عام ١٩٤٨ ٠ وفجأة في عام ١٩٦٧ ، استولت على باقي الأرض الفلسطينية « الضفة والقطاع »، والجولان السورية ، وسيناء المصرية ٠ وفي عام ١٩٨٢ يمتد سرطانها الاستيطاني الى أجزاء كبيرة من الأرض اللبنانية ، بعد أن أعلن عن ضم الجولان للكيان الصهيوني ، حتى أن الانسحاب الشكلي من سيناء ، لا يشكل خللا في هذه الاستراتيجية ، فهو انسحاب ، ضمنت من خلاله الوجود الأمريكي الفعلي في المنطقة التي انسحبت منها ، بالاضافة الى اعتراف رسمي من الحكومة المصرية بشرعية وجود هذه الدولة ، وهو أمر لم تكن تحلم به الحركة الصهيونية وقادتها ٠

لذلك، فان الغزو الصهيوني للبنان، واستمرار احتلال أجزاء واسعة منه ، رغم خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ، والمذابح البشعة التي يرتكبها العدو ضد المدنيين الفلسطينيين ، يؤكد بشكل قاطع ، أن الصراع مستمر ، ولا يمكن أن ينتهي طالما هذه الحركة الاستيطانية مستمرة في توسيع ابتلاعها للارض العربية ، وطالما حركة المقاومة الفلسطينية ـ العربية ، تتواصل لوضع حد لهذه العقلية الاستعمارية الاستيطانية التوسعية٠ ان المجازر البشعة ضد المدنيين الفلسطينيين في لبنان، والأرض الفلسطينية المحتلة ، وعمليات التهجير والطرد المستمرة ، تؤكد أن من أهداف الحركة الصهيونية ابادة الشعب الفلسطيني المقاوم ٠ وقد صرح الارهابي ميناحم بيغن أكثر من مرة ، بان المنطقة لاتتسع الا للشعب اليهودي أو الفلسطيني، وهي دعوة صريحة لابادة الشعب الفلسطيني ، وكل أعمال الدولة الاسرائيلية، تصب لخدمة هذا الهدف٠

ان غزو لبنان ، واستمرار احتلال أراضيه ، وعمليات الابادة الجماعية للشعب الفلسطيني ، انذار خطير للامة العربية ، ودرس عملي ، يضعها أمام مسؤولياتها التاريخية ، لوقف هذا الخطر السرطاني التوسعي الذي يهدد الأمة العربية ، مدعوماً بالامبريالية العالمية ٠٠ وقد أثبت صمود المقاومة الفلسطينية في بيروت العديد من الدروس المهمة ، على طريق التصدي لهذا الخطر ،أهمها :

أولا – أن جيش العدو الاسرائيلي ، ليس جيشا أسطوريا لا يمكن قهره ، فقد تمكن آلاف قلائل من المقاتلين الفلسطينيين من الصمود قرابة ثلاثة شهور ، أمام أكبر حشد عسكري صهيوني في البر والبحر والجو ، وأوقعوا في صفوفه خسائر فادحة، أدت الى خلخلة كبيرة في داخل الكيان الصهيوني .

ثانيا – ان حرب التحرير الشعبية طويلة المدى، هي طريق الأمة العربية لتحرير اراضيها المحتلة ، كي تتمكن من كسر تفوق العدو النظامي ، ولدى الأمة العربية كل مقومات هذه الحرب ، وهي ما تتحاشاه أجهزة العدو ، لأنها تدرك أن طبيعة مجتمع الكيان الصهيوني لا تتحمل حربا طويلة المدى .

وعلى ضوء مقررات قمة فاس ، علينا أن نقف بجرأة قومية أمام هذه المقررات ، التي تعترف في بندها السابع بشرعية الكيان الاسرائيلي على الأرض العربية ، وهذا أمر يستهين بالتاريخ العربي ، والحقوق القومية العربية ، ويمثل خيانة واضحة لتراث كل الأجيال العربية . ان واجب الحركة الوطنية العربية ، بشكلها الجماهيري ، أن ترفض هذا التخاذل الذي يقدم خدمة للصهيونية والامبريالية على حساب كرامة هذه الأمة العريقة . ان عدم قدرتنا على تحرير الأرض المحتلة الآن ، لا يمكن أن يكون مبررا لأحد ، كي يتخاذل أمام العدو الصهيوني . ان هذا الأمر خطير للغاية . ان الهزيمة بعد قتال خير من الاستسلام للعدو بدون قتال ، لأن الهزيمة بعد قتال تعني استمرار فكرة الكفاح المسلح أمام الأجيال القادمة ، أما استسلام الجيل الحالي بدون قتال ، فمن شأنه أن يسلخ فكرة الكفاح المسلح من ذهن ووجدان أجيالنا القادمة ، وهذا ليس من حق أحد ، فردا أو نظاما . ان مسؤوليتنا اليوم تتمثل في تأكيد بعض المسلمات والبديهيات التي ليس من حق أحد أن يتجاوزها . ليس معقولا أن تصبح الخيانة وجهة نظر . وليس معقولا ولا منطقيا أن يصبح التفريط بالأرض العربية اجتهادا، يمكن مناقشته ، في فلسطين المحتلة ، قبل عام ١٩٤٨ ، كان الثوار الفلسطينيون يقومون باغتيال كل فرد يفكر ببيع (دونم) من أرضه للحركة الصهيونية ، فما بالنا اليوم يطرح البعض قضية قومية ، في مزاد علني دولي ، دون رادع يردعهم ، ويعيدهم الى صوابهم .

من هنا، أرى أن على الكتاب والمثقفين العرب، وهم ضمير هذه الأمة، أن يشكلوا جبهة ثقافية مناضلة صادقة، تستلهم تاريخ هذه الأمة، لتعيد تأسيس وتأصيل بعض المسلمات والبديهيات ، التي تشكل محرمات ، لا يجوز لأحد ، فردا أو نظاما ، أن يتجاوزها أو يعبث بها ، وهي :

١ – فلسطين عربية بكامل ترابها التاريخي القومي، من البحر الى النهر .

٢ – لا اعتراف بأي شكل من أشكال الوجود الصهيوني على أية بقعة من أرض فلسطين العربية ، والأراضي العربية الأخرى المحتلة .

٣ – الكفاح المسلح الجماهيري ، طويل الأمد ، طريقنا لتحرير كامل التراب العربي المحتل .

٤ – الامبريالية الامريكية تاتي على راس قائمة معسكر الخصم ، ومحاربة العدو الصهيوني تتلازم وتتزامن مع محاربتها ، فهي المحافظة بكل امكانياتها ، السياسية والمادية ، على بقاء الكيان الصهيوني ، وتوسيع امتداده السرطاني .

٥ – ضرورة التفكير بردع كل من تسول له نفسه، التصرف بواحدة من هذه المسلمات والبديهيات.

ان صراعنا مع العدو الصهيوني صراع استراتيجي طويل ، وعلى هذا الجيل العربي أن يغير من أساليبه في المواجهة والتصدي ، وفقا للفهم العلمي الموضوعي لطبيعة معسكر الخصم ، واذا لم يتمكن هذا الجيل من حسم هذا الصراع لصالح الجماهير العربية ، فان دوره التاريخي يتطلب منه ، أن يسلم الجيل القادم ، راية الكفاح ، بدلا من أن يورثه عارا وذلا واستسلاما . ان أربعة وثلاثين عاما من الاحتلال الصهيوني لفلسطين زمن قصير بالنسبة لتاريخ شعوب العالم التي رفضت الاحتلال والاستعمار الأجنبي ، رغم مرور مئات من السنين، وفي تاريخنا العربي ، استمر الاحتلال الفرنسي للجزائر ما يزيد على مائة وثلاثين عاما .. ان مرور الزمن لا يبرر الخيانة والاستسلام .. وعلينا ككتاب ومثقفين ، أن نكون في مستوى اللحظة التاريخية ، فمن العار أن نخون تراثنا وتاريخنا ، أو نسكت على العابثين به .. فالكاتب الحقيقي ، لا يخون نفسه ولا أمته .. وهنا دورنا التاريخي المطلوب .



الخـــروج الثّـــالث

بقلم :
ابراهيم يحيى الشهابي

كان الخروج الأول عام ١٩٤٨ . لم ينهزم الفلسطينيون عسكرياً امام الهجمة الصهيونية . وليس ادل على ذلك من معارك القدس وباب الواد وسلمه ، ولوبيـة في الجليـل . كانت القوات الصهيونية تتميّز بالتنظيم والتدريب والقيادة الواحدة والتسلح باحدث ما وصل اليه حينذاك علم التدمير والابادة ، تدعمها بريطانيا وامريكـاوحتى الكتلة الشرقية في ذلك الحين . كان الشعب الفلسطيني بالمقابل بلا قيـادة ، ولا تنظيم ، ولا تسليح ، ولا دعم من اية جهة كانت ، ومـع ذلك كانت جميـع المعارك التي خاضها ضـد الغزاة الصهاينة تسفر عن هزيمة نكراء تلحـق بالقوات الصهيونية . ولا اريد الآن الدخول في التفاصيل،ولا الخوض في ضـرب الأمثلة وايراد الوثائـق ، واعتقد ان الاشارة الى معـارك منطقة القـدس ومنطقة الجليل كافية لاعطاء فكرة واضحة عمـا أعنيـه . بيـد اني اريـد استعراض ما امكن استخلاصه من تلك المرحلة :

١ ـ دلت المعارك على ان العدو الصهيوني اجبن من أن يواجه الانسان العربي المصمم على القتال حتى النصر او الشهـادة .

٢ ـ ان السلاح ليس هو العنصـر الحاسم في المعركة ، بل الانسان هو الذي يحقق النصـر . واذا ما فقد الانسان انسانيته ، مُني بالهزيمة في اي مجال يخـوضـه .

٣ ـ ان الشعب الفلسطيني هو الشعب العربي الأقدر على فهم طبيعة العـدو الصهيوني والأجدى في مواجهته والأكثر دراية في مصارعته . وبالتالي فانه هو المؤهل ليكون طليعة النصر العربي في صراع هذه الأمة ضد اعدائها على اختلافهم .

ويبدو ان هـذه الحقيقة معروفة لدى العدو ، وواردة في توراته اذ قالوا لنبيهم موسى عندما دعاهم لقتال الفلسطينيين : « ان فيهـا قوماً لأشداء لا قبل لنا بهم، فاذهب انت وربك فقاتلا، إنا ههنا لقاعدون ».

وتاكدت الحكاية في القرآن الكريم . ويبدو انها كانت معروفة كذلك لدى الأنظمة العربية منـذ عام ١٩٤٨ وما قبل والتي كانت قابلة، بلا شك، بوجود اسرائيل، ولكنها لم تجرؤ على التصريح بذلك . ولهـذا ساهم الجميع في اخراج الفلسطينيين مـن وطنهم لتحقيـق الأهـداف التـاليـة :

١ ـ افسـاح المجـال للاستعمـار الصهيـوني الاستيطاني كي يستقر ويترسخ في ارض مفرغـة مـن سكانها الأشداء الذين لا قبـل للصهيونية بهم . مما يؤدي الى تحقيق الهدف الأساسي مـن اقامة كيان غريب في المنطقة يتمثل بالكيان الصهيوني . ولا بـد لي هنا مـن التذكير ببعض الأقوال والتوصيات لبيان طبيعـة هـذا الهـدف .

آ ـ أوصى مؤتمر بانرمان الذي عقد في انكلترا في مطلع القرن العشرين بما يلي : « توجد على سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية شعوب مؤهلة لأن



تكون امة واحدة وقوة كبرى في العالم تفرض وجودها وتهدد مصالح الغرب في المنطقة ، وذلك لأنها تدين بدين واحد ، وتنطق بلسان واحد، ولأنها تتمتع بمزايا استراتيجية واقتصادية فريدة » . وللحيلولة دون تمكينها من تحقيق وحدتها والاستفادة من طاقاتها ، لا بد مما يلي :

١ ـ تمزيق المنطقة جغرافيا .

٢ ـ تمزيقها فكريا .

٣ ـ القضاء على اللغة العربية .

٤ ـ خلق جسم غريب في المنطقة لاشغالها دائما واستنزافها باستمرار (فكانت اسرائيل ذلك الجسم الغريب) .

ب ـ قال سكرتير وزارة المستعمرات البريطانية عام ١٨٤٨ (اي قبل مئة عام من قيام دولة اسرائيل وتشريد الفلسطينيين) :

« يجب اقامة حاجز جغرافي عسكري بين البلاد العربية لمنعها من التفكير في الوحدة » .

وتوكيداً لهذا الاتجاه ، فقد قال جنرال فرنسي بأن وجود دولة غريبة في بلاد العرب ، يمنعهم من التفكير في الوحدة .

٢ ـ تحويل الشعب الفلسطيني الى لاجئين مشتتين ، واذلالهم بأن يجعلوا ايديهم هي السفلى . وعندئذ سيكون الزمن كفيلاً بحل المشكلة كما صرح تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية . وكان الذين يراهنون على الزمن يقصدون ان الجيل الذي ولد في فلسطين سيموت بعد حين في بلدان الشتات ، اما الذين يولدون خارجها فلن يكون ارتباطهم بفلسطين بأكثر من ارتباط اي شخص غير فلسطيني او حتى غير عربي . وبالتالي يسهل الحل لصالح اسرائيل .

ولضمان عدم تفاعل الفلسطينيين مع شعبهم العربي أطلقت ضدهم اشاعات مسمومة سبقتهم الى الأقطار العربية التي استوعبتهم . لا اريد هنا التطرق الى نوعية هذه الاشاعات ، فهي باطلة اصلاً ، وليس هذا مجال ذكرها او دحضها .

فماذا كانت النتيجة ؟

١ ـ ماتت الاشاعات ، لأنها غريبة على التربة التي بذرت فيها. والبذرة الوحيدة التي تقبلتها الأرض فنمت فيها وترعرعت هي بذرة الكفاح المستمر ضد الصهيونية ومن وراءها. فتفجرت الثورات في الأقطار العربية بهدف اسقاط الأنظمة التي اتهمت بالخيانة والتواطؤ ووضع الأقطار العربية في حالة تؤهلها لمواجهة الهجمة الصهيونية الامبريالية على المنطقة .

٢ ـ تحول الشعب الفلسطيني من لاجئين الى مقاتلين . ومن هم المقاتلون ؟ ليسوا فقط الذين ولدوا في فلسطين ، بل ايضاً اولئك الذين ولدوا خارج فلسطين . الذين لم يروا تربة فلسطين ، ولم يشمّوا رائحة هوائها او عبير ازهارها . هؤلاء الفتيان الصغار الذين قلبوا الموازين وافسدوا الرهان على الزمن وعكسوا المعادلة .

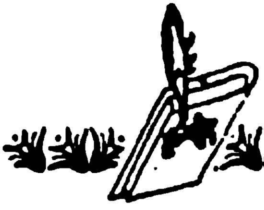
وهكذا تمخضت مرحلة الخروج الأول عن ثورة فلسطينية اتخذت من الأردن منطلقاً لها لكون خط المواجهة فيها اطول واجدى . ومن معالم هذه المرحلة التجربة الفلسطينية الأردنية التي تجلت في معركة الكرامة حيث استطاعت القوات الفلسطينية الأردنية المشتركة ان تنزل بالقوات الصهيونية اكبر هزيمة منذ عام ١٩٤٨ حتى ذلك الحين . واسفرت هذه المعركة عن نمو متصاعد للمقاومة الفلسطينية وتفاعل الشعب في الأردن معها تفاعلاً يستحق التسجيل .

بيد ان النتيجة كانت خروج المقاومة من الأردن عام ١٩٧٠ لأسباب ردها البعض الى اخطاء ارتكبتها المقاومة هناك ، وردها البعض الآخر الى ان ضرب المقاومة هو هدف بحد ذاته لا يحتاج الى مسوّغات واسباب .

لكننا يمكن ان نتبين سببين بارزين أديا الى اخراج المقاومة من الأردن هما :

١ ـ ان تعاظم التواجد العسكري للمقاومة الفلسطينية في اي قطر عربي (ايا كان) يجعل النظام في ذلك القطر يشعر بخطرها عليه بشكل مباشر او غير مباشر ، وسواء كان ذلك الشعور حقيقياً ام وهمياً (وهو بالتأكيد وهمي لأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تفكر يوماً في تسلّم السلطة في اي قطر عربي او أن تجعل اي قطر عربي وطناً بديلاً عن فلسطين ، لأن في ذلك خيانة عظمى وتحقيقاً لأهداف الصهيونية والامبريالية الأمريكية) ، مما يدفع ذلك النظام الى محاولات السيطرة على هذا التواجد واحتوائه وضبطه واخضاعه في احسن الحالات ، او الى اقتلاعه في أسوأ الحالات .

٢ ـ ان تعاظم المقاومة في قطر عربي كالأردن له مع العدو اطول خطوط مواجهة واضيقها عرضا عبر



فلسطين مما يسهل على الفدائيين ان يزرعوا الأرض المحتلة من النهر الى البحر ، ووجود عمق عربي خلف خط المواجهة ، هذا الأمر يقض مضاجع الصهيونية والامبريالية الأمريكية ، ويهدد الكيان الصهيوني ذاته ويعرضه للانهيار .

ان قطراً كالأردن ، معظم شعبه من الفلسطينيين (هكذا ترى الصهيونية وحلفاؤها ، اما نحن فلا نفرق بين فلسطيني واردني او اي عربي لايماننا العميق الذي لا يتزعزع بأننا شعب عربي واحد من المحيط الى الخليج وبأن القضية الفلسطينية قضية عربية ، وان الهجمة الصهيونية لا تقتصر على فلسطين ، بل هي هجمة على الأمة العربية بأسرها وعلى الوطن العربي باكمله) ان قطراً كهذا يشكل مناخاً ملائماً لتحوله الى فيتنام شمالية اخرى في المنطقة .

اما الأهداف التي اريد لها ان تتحقق نتيجة هذا الخروج الثاني فتتلخص فيما يلي :

١ ـ تاكيد الاحتمال الأول وترسيخه في اذهان الحكام العرب .

٢ ـ القضاء على الاحتمالين الثاني والثالث ، من الأسباب المذكورة اعلاه .

٣ ـ احداث شرخ بين المقاومة والأنظمة العربية لأنها لم تنجح على الأقل في المحافظة على بقاء المقاومة في الأردن وخلق المناخ الملائم للتفاعل الأردني الفلسطيني المعزز للثورة الفلسطينية .

٤ ـ شق صفوف المقاومة ذاتها ، واحداث هوة بينها وبين قواعدها الشعبية .

٥ ـ ابعاد الثورة الفلسطينية عن خطوط التماس مع العدو الصهيوني بعد اضعافها .

٦ ـ زعزعة ايمان الفلسطيني بامته وبانتمائه اليها ، وبالتالي دفعه الى الانعزالية والاكتفاء القطري .

غير ان المقاومة خرجت من الأردن ليحتضنها لبنان العربي ، وفتحت جبال لبنان ووهاده ومغائره وقلاعه الأثرية وسهوله صدورها للثورة الفلسطينية ، والتحمت جماهير الثورة بجماهير لبنان العربية ، فتعاظمت الثورة .

لم تضعف الثورة اذن . لم تحقق اسرائيل الأمن الذي تريد . لم يتزعزع ايمان الفلسطيني بامته ، وباختصار فشلت الأهداف المتوخاة من الخروج الثاني كافة .

فكان لا بد من القضاء المبرم على هذا الوجود الفلسطيني لاجتثاث الثورة من جذورها . فبدات المحاولات من الداخل بادىء الأمر بظهور قوى لبنانية مضادة للثورة ، ثم بتدخل صهيوني عندما اكتشف العدو في مواجهة جرت بينه وبين م.ت.ف. في العرقوب ان المقاومة ما زالت قوية وقادرة على انزال افدح الخسائر بقواته ، وعلى القفز الى قلب الأرض المحتلة . فكان الهجوم الصهيوني الشامل على الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ والتي اسماها العدو بحملة الليطاني، وعرفت عند الفدائيين بحرب الأيام السبعة، ولكن العدو تكبد فيها خسائر فادحةدفعته الىالتفاوض بشكل غير مباشر مع م.ت.ف. على وقف اطلاق النار ووضع قوات فصل دولية .

ضاعفت نتائج هذه الحملة منالتصميم الامبريالي على انهاء م.ت.ف. فكانت الغزوة الصهيونية الشرسة في السادس من حزيران عام ١٩٨٢ والتي اسماها العدو بـ «حملة سلامة الجليل» وعرفت عالمياً بالحرب الفلسطينية الاسرائيلية ، وكان حصار الثمانين يوماً لبيروت ، وكان الصمت العربي المطبق الذي صدرت عنه رائحة التواطؤ والذي جاء تفسيراً لكلام فيليب حبيب ، المفاوض الأمريكي والمبعوث الشخصي للرئيس ريغن حين قال : « ان ابادة المقاومة امر متفق عليه عربياً ودولياً » .

فما هي اهداف هذا الغزو ، وما هي نتائجه ، وماذا يجب ان نفعل كمقاومة فلسطينية وكامة عربية ؟

يأتي في مقدمة اهداف الغزو :

١ ـ القضاء على الفاعلية الفلسطينية عسكرياً وسياسياً .

٢ ـ تحويل الشعب الفلسطيني من مقاتلين الى لاجئين مشتتين في مختلف الأقطار العربية مرة اخرى.

٣ ـ انزال هزيمة نفسية بالشعب الفلسطيني تجعله ينزلق الى :

آ ـ الاقليمية الشوفينية .



ب ـ دفعه الى القيام بعمليات تخريب في الوطن العربي والتصدي للأنظمة العربية ورموزها تحت شعارات مثل : طريق التحرير تمر بكذا وكذا من العواصم العربيـة .

جـ ـ انزال هزيمة نفسية بالشعب العربي تقـوده الى القبول بوجود اسرائيـل والاعتراف بهـا .

د ـ خلق حزام أمن لحماية اسرائيل يمتد من الناقورة حتى رفـح .

هـ ـ التوصل الى معاهدات صلح وعلاقات تطبيع مع الأنظمة العربية بالشروط اليهودية طبعـاً .

و ـ الهيمنـة الفعلية على المنطقـة ، فيكون الكيـان الصهيوني بذلك قـد توسع دونما حاجة الى ضم او حـدود جديـدة .

فماذا كانت النتائـج ؟

تتلخص حصيلة الغزوة الصهيونية للبنان فيما يلي:

آ ـ بالنسبة للكيان الصهيوني :

١ ـ لقـد حقـق :

آ ـ احتـلال الجنـوب بأكمله .

ب ـ خروج الفدائيين من بيروت .

جـ ـ محاولة فرض رئيس جمهورية على لبنان ، بهدف الهيمنة على النظام كله وفرض معاهدة صلح عليه . ولكن الشعب اللبناني رفض ذلك .

د ـ محاولة فرض ارادة قوات الاحتلال على الشعب اللبناني ذاته وتنظيماته وهيئـاته ، كالمطالبة باخراج المرابطين من بيروت .

هـ ـ خروج العرب من مؤتمر القمة الثانية عشر في فاس بمشروع سلام لمنطقـة الشرق الأوسط لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ م . وهو مشروع يؤدي بالنتيجة الى الاعتراف بالكيان الصهيوني وضمان امنه وسلامته.

٢ ـ وفشـل في :

آ ـ سـحق المقـاومـة الفلسطينيـة وفـرض الاستسلام على م.ت.ف.

ب ـ تحقيق اي من الأهداف النفسية المتوخاة من الغزوة الصهيونية للبنان .

جـ ـ في دفع الفلسطينيين في الداخل الى التعاون مـع الكيان الصهيوني كنتيجـة حتميـة للقضاء على م.ت.ف.

ب ـ بالنسبة للفلسطينيين :

١ ـ كان الشعب الفلسطيني وممثلته م.ت.ف. المنتصـر الوحيـد في المعركـة .

٢ ـ ادرك العالم كله مـن خلال هذه المعركـة وجميـع المحاولات السابقة ان القضاء على م.ت.ف. امر مستحيـل .

٣ ـ ترسخ مفهوم ان السلاح ليس هو العنصر الحاسم في المعركة مهما كان تطوره ومهما بلغت قدرته على التدمير ؛ بل ان الانسان المؤمن بربه وبوطنه هو القادر على تحقيق النصر وانزال الهزيمة باكبر الجيوش عـدة وعـددا .

٤ ـ سمع العالم كله صوت الحق الفلسطيني، وشهد ان الفلسطيني قادر على الدفاع عن حقه واهدافه ببطولة وشجاعة نادرتين حتى ولو تخلت عنه كل الدنيا.

٥ ـ ادرك العالم الا بـد من الاعتراف بحـق الشعب الفلسطيني في ان يكون له دولته المستقلة على ترابه الوطني ، وان السلام في العالم ، وليس في منطقة الشرق الأوسط فحسب ، لا يمكن ان يعيش بـدون الفلسطينيين . ودليل ذلك التحرك المكثف الذي قامت به فرنسا ، والتحول نحو الوضوح في مواقف الغرب ، ومقابلة قداسة البابا لياسر عرفات ... الخ .

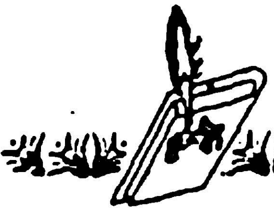
جـ ـ بالنسبة للأمـة العربيـة :

١ ـ ادرك الشعب العربي ان كثيراً من انظمة حكمـه ليست في مستوى المعركة ، هـذا اذا لم تكن محصلة ممارساتها لصالح العـدو .

٢ ـ التمزق العربي كـان وما زال مـن اكبر عوامل قوة العدو . والا فان الغزوة الصهيونية للبنان يجب ان تؤدي الى سقوط الكيـان الصهيـوني كله وانهياره انهياراً تاماً . ولم تفت الفرصة بعد .

٣ ـ ان افتقـار الشعب العربي للديمقراطية وحرمانه من حرية التفكير والتعبير تؤدي الى استلابه انسانيته مما يؤدي الى فشل الأمة في تحقيق اي نصر على جميع المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، والى فشله في تحقيق الوحدة العربيـة .

ولكي يتمكن الشعب الفلسطيني بقيادة م.ت.ف ومن ورائه الشعب العربي مـن تفويت الفرصة على الأعـداء ، واحباط مخططاتهم واهدافهم ، وتحقيق



خطوة متقدمة تضعنا على درب النصر ، لا بد من اتخاذ خطوات جذرية في المرحلة القادمة من الصراع العربي – الصهيوني الامبريالي ، تتلخص فيما يلي :

آ – على مستوى م.ت.ف. :

١ – تجميع دوائر المنظمة كلها في المكان الذي يكون فيه مقر قيادة المنظمة .

٢ – القيام بمراجعة شاملة للمراحل السابقة وتقويم علمي ونقد ذاتي جريء لاستخلاص العبر والقاء الضوء على الخطوات الواجب اتباعها في المستقبل لتحقيق تقدم ملموس باتجاه هدفنا الاستراتيجي .

٣ – وهي اهم خطوة : نقل المعركة الى الارض المحتلة ، وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

آ – احباط نظرية الامن التي يتذرع بها الكيان الصهيوني ، واثبات ان توسعه العسكري واحتلاله لأراض عربية واقامته للمستوطنات فيها لا يمكن ان تحقق له امناً ولا استقراراً .

ب – ان المقاومة الفلسطينية موجودة في قلب الارض المحتلة ، وان خروجها من هذا القطر العربي او ذاك لا يؤدي ابداً الى اضعافها ، بل على العكس يؤدي الى تصعيد المعركة باساليب مختلفة .

ج – تصغير دولة الكيان الصهيوني واضعافها في نظر حلفائها وعلى راسهم الولايات المتحدة التي وقف رئيسها يتبجح بكل تفاخر ان احداث لبنان اثبتت له ان اسرائيل هي اقوى قوة في المنطقة . ويعني بذلك ان امريكا سوف تستمر في اعتماد هذه الدولة وكيلة لها في المنطقة وحامية لمصالحها.

فتصغير هذا الكيان العنصري واضعافه واظهار عجزه حتى عن حفظ امنه سيؤثر حتماً على موقف الآخرين ونظرتهم .

واكتفي بهذا القدر من الأهداف البارزة لأن بقية الأهداف موجودة ضمناً فيما سبق ذكره .

٤ – تحقيق الوحدة الوطنية الاندماجية الكاملة بين جميع فصائل المقاومة الفلسطينية ، وتاجيل الصراع الايديولوجي الى ما بعد التحرير ، او تحويله الى حوار فكري ضمن حركة تحرر وطنية واحدة .

٥ – توحيد التربية الفلسطينية لخلق جيل موحد فكرياً مما يُسْهِم في توحيد الطاقات ووضوح الهدف وفاعلية التحرك التكنيكي .

ب – على المستوى العربي :

١ – على الأنظمة العربية ان تعمل فيما بينها على وضع خطط قومية شاملة على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية تؤدي الى تقدم امتنا وتحريك طاقاتها واستخدامها لصالح الهدف المشترك وهو القضاء على الصهيونية والامبريالية ، وتحرير الأرض العربية .

٢ – لا بد من ارساء قواعد ديمقراطية اصيلة تتيح لكل طاقات الشعب العربي ان تعمل ، ولمختلف افكاره ان تتفاعل ، فيولد الانسان المتحرر من الجوع ومن الخوف ، فيكون عملاقاً يحقق النصر المؤزر .

دمشق في ١٩٨٢/٩/١٥

ابراهيم يحيى الشهابي



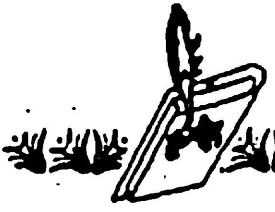
كانت مجلة « الكاتب العربي » قد نشرت في عددها الثالث عدة أبحاث حول العلاقة القائمة بين المسيحية واليهودية ـ وقد جاءنا من الأب أسبيرو جبور الرد التالي :

بقلم :
أسبيرو جبور

طالعت مؤخراً في مجلة « الكاتب العربي » الغراء مقالات أربع في مسائل مسيحية ويهودية · وبما أنها مشوبة بأخطاء فاحشة لذلك أنبري للرد علمياً وموضوعياً بنزاهة لا يرقى اليها الشك ·

افتتح الأستاذ ندرة يازجي العدد ١٩٨٢/٣ بمقال طويل بعنوان « أصول العلاقة القائمة بين المسيحية واليهودية » · وقال : « لما كانت هذه الدراسة بحثاً لاهوتياً* ··· » فليسمح لي أن أقول له سلفاً ان بحثه ليس بلاهوتي أبداً ، كما سنرى · وقال : « ان سير الأمم المسيحية في ركاب اليهود واعتقادهم بعدالة قضيتهم ··· » هناك سياسيون استعماريون لعبوا بمقادير الامبراطورية العثمانية ومزقوها أشلاء وتوزعوا المنافع في الأشلاء · والبترول في منطقتنا هو رب هذه الدنيا اليوم · واسرائيل كلب حراسة له · ولما تطاولت في لبنان وتجاوزت الحدود المرسومة من جهة وهددت مصالح دول كبرى من جهة أخرى، رأينا غضب العالم ينهال على رأسها · فلا علاقة للمسيحية بالموضوع · وقبل ظهور هرتزل مؤسس الصهيونية زار المنطقة استعماريون نادوا قبل هرتزل بالوطن اليهودي في فلسطين · ولا علاقة للانجيل بالأمر · ولم يسء المسيحيون فهم الانجيل · وقبل الأستاذ اليازجي بألف وستمائة سنة نسف القديس يوحنا فم الذهب قواعد التفسير اليهودي للتوراة ووضع الأسس اللاهوتية الخالدة لتفسير علاقة التوارة بالانجيل · ولو طالع الأستاذ اليازجي كتاب الأب الفرنسي غريلو وكتابي « يهوه أم يسوع ؟ » لما تجاسر على كل تطاولاته · الكتابان هما أحدث مرجعين · الأول كاثوليكي والثاني أرثوذكسي · لا خلاف بينهما · هناك فئات بروتستانتية مثل شهود يهوه والسبتيين والمتجددين وسواهم يفسرون التوراة (العهد القديم) تفسيراً صهيونياً · ولكن هؤلاء مأجورون أو مضللون · البروتستانتية تعتمد حرية الفرد في التفسير · لذلك تمزقت شيعاً ومذاهب ، لا رابط يربط بينها · القوة المسيحية الحقيقية كامنة في الأرثوذكس والكاثوليك ثم الانكليكان لأن الروابط الداخلية متينة في وحدة ايمان وهدف · وهؤلاء لا يقيمون دينهم على التوراة بل على الانجيل ويفسرون التوراة على ضوء الانجيل لأن الانجيل هو المفتاح · لو راجع الأستاذ اليازجي كتابي « يهوه أم يسوع » لرأى ان العهد القديم (التوراة) هو عهد موقت وعابر يهيىء العهد الجديد · الرسالة الى العبرانيين (٩ : ٩) استعملت في الأصل اليوناني لفظة Parabole أي مَثَل · وهي اللفظة التي استعملها المسيح لضرب أمثاله · فان كان العهد القديم مثلا على شاكلتها فالممثول هو العهد الجديد · يكون العهد القديم ظلا ويكون العهد الجديد حقيقة ·

وينسب اليازجي الينا الجهل بكتابنا والقراءة الجزئية · وهذا مرفوض · الأب فيليون الفرنسي شرح كل الكتاب المقدس ثم صرف ٢٥ عاماً على انشاء ٣ أجزاء كثيفة جداً عن « حياة المسيح » ، من



أكثر من ١٨٠٠ صفحة · المعاجم الدينية الكاثوليكية الفرنسية مكتبة كاملة · مجموعة آباء الكنيسة باليونانية واللاتينية والسريانية مئات المجلدات الضخمة · هذا فضلا عن ألوف المجلدات في اللغات الأوروبية المعاصرة ، بأقلام علماء ثقات وأساطين معرفة ونقد لامعين · ولا نفسر فصلا دون فصل بل نأخذ الكتاب كله ككتلة واحدة منطلقين من كون العهد الجديد هو مفتاح العهد القديم · فأي تناقض بين العهدين يتغلب فيه العهد الجديد ، لأن العهد القديم موقت وعابر ، وعتبة للعهد الجديد ·

أما زعم اليازجي انه علينا أن نفصل العهد الجديد عن التوراة (ص ٨) فهو قائم على جهل لاهوتي كبير · لو كان عالما لاهوتياً لكان يجيد اللغة اليونانية ويطالع فيها العهد الجديد والترجمة اليهودية اليونانية (قبل الميلاد) ليطلع في طبعات نستله والارد للعهد الجديد على استشهادات العهد الجديد من العهد القديم اليوناني مطبوعة بحروف بارزة خاصة · فكيف نستطيع رفض العهد القديم الا اذا بترنا هذه الآيات ؟ وفضلاً عن الاستشهادات الصريحة هناك ألوف التلميحات ·

وكيف يتنطس لدراسة لاهوتية وهو من فئة « ثيوزوفية » ؟ (ص ٨) · فهذه غير مسيحية · واللاهوت رؤية الهية مسيحية في المصطلح اليوناني للفظة ؟

من هم أدعياء الدين التقليدي الفئات اليهودية ـ المسيحية ؟ هذا خبط عشواء · هل شهود يهوه الزنادقة الكفار هم المسيحية ؟ هل الكاثوليك والأرثوذكس المثلون الأصليون للمسيحية التقليدية يهود مسيحيون في رأيك ؟ هذا هو التجني الفاحش · اتحشرنا في زمرة شهود يهوه ونحن نبرأ الى الله منهم؟

لماذا تفرق بين الأناجيل الأربعة ، فتطعن في متى ومرقس ولوقا ، وتمتدح يوحنا ؟ (ص ٨) · طالع « يهوه أم يسوع » تسقط أوهامك · الخبراء قالوا ان يوحنا كتب باليونانية بينما كان يفكر بالآرامية ، ففاحت من كتبه روائح التعبير الآرامي · وكان حافظاً عن ظهر قلب العهد القديم بالعبرية واليونانية ، فطفحت كتاباته بالاستشهادات الصريحة والضمنية · أما محاولات التفريق بين الرسل فواهية · بولس ذكر أن يعقوب وبطرس ويوحنا هم أعمدة الكنيسة في القدس (غلاطية ٢ : ٩) · واختلاف بولس مع برنابا على مرافقة مرقس عابرة ؛ بدليل أننا نرى مرقس ولوقا الى جوار بولس في روما أثناء سجنه فيها (كولوسي ٤ : ١٠ و ١٤) · ومرقس محسوب أيضاً على بطرس الذي دعاه « ابني » (بطرس الأولى ٥ : ١٣) · ولوقا رفيق بولس في قسم من أسفاره · وهو الذي كتب لنا سيرة بولس في كتابه « أعمال الرسل » الذي احتوى في القسم الأول سيرة بولس · وسلوانوس أحد أركان بولس (أعمال ١٥ : ٢٢ و ٢٧ و ٣٢ و ٤٠ و ١٨ : ٥ و ١ ت ١ : و ٢ ت ١ : ١ و ٢ كور ١ : ١٩) · هو الذي كتب رسالة بطرس الأولى (٥ : ١٣) · ورسالته الثانية تثني على رسائل بولس (٣ : ١٥) · أما خلاف بولس مع بطرس في أنطاكية فحادثة طارئة لا تؤثر على وحدة القلوب ·

وبولس نفسه قاوم أية محاولة للتمزق شيعا بين منادين ببطرس ومنادين ببولس ومنادين بأبولس (كورنثوس الأولى ١ : ١٢ ـ ١٣) وذكر بولس ظهور المسيح لبطرس والرسل ويعقوب والأخوة وله (كذلك ١٥ : ٥ ـ ٩) · وليس هؤلاء هم « الرسل الكذبة والعملة المكارون ، المتنكرون بهيئة رسل المسيح » (كورنثوس الثانية ١١ : ١٣) الذين حاربوا بولس ومكروا به ·

والمسيحية منفصلة عن اليهودية العرقية منذ نيف و ١٩ قرنا ومنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها بمئات ملايين أبنائها ، بينما اليهود دون الثلاثين مليونا ، أغلبهم ليسوا من نسل يهوذا ، بل من قبائل الخزر التركية التي تهودت في القرون الوسطى في أواسط روسية ثم تشتتت دويلتها بتعاون روسي ـ بيزنطي · ولذلك تسقط أقوال اليازجي في ص ٩ · وليست الأمم بحاجة الى دفاعه عنها · فمنذ الأوائل أطلق أسقف أنطاكية المتوفي حوالي العام ١١٠ على الكنيسة لقب « كاثوليكية » أي جامعة · ومن يعرف معنى هذه اللفظة اللاهوتي في اليونانية تسقط امامه العرقيات والعنعنات والتمييز العرقي والقبلي وكل ألوان التمييز الأخرى ·



وليس تاريخ المسيحية كما رواه (ص ٩) ٠السامريـون قـوم نشـأوا بعد دمـار السامرة في العام ٧٢١ قبل الميلاد ٠ فجلب الآشوريون اليها أمماًوثنية امتزجت بالباقين ٠ وقصرت أمرها من العهـد القديم على أسفار موسى الخمسة ممزوجة بوثنيات٠وكانت الكراهية بينهم وبين اليهود فاحشـة ٠ مر يسوع بالسامرة (أنجيل يوحنا ٤) ٠ وقد بشرهـاالشماس فيلبس ثم أتاها الرسولان بطرس ويوحنا يبشران (أعمال الرسـل ٨ : ٤ ـ ٢٥) ٠ وهـذاجرى قبل اهتداء بولس ٠ وبطرس هو الـذي رأى رؤيا عنت زوال الحواجـز وبطلان تقسيم الأمـوروالأطعمـة والناس الى نجس وطاهر ، اذ ان خليقة الله جميعـاً طاهـرة ٠ وعمَّد القـائد الرومانـيكرنيليوس وصحبه ٠ وأقنع المعارضين في القـدس بصواب تصرفه ، « فمجدوا الله قائلـين » : « اذن،لقد أعطى الله التوبة للأمم أيضاً ، لتكون لهم الحياة » (الفصـلان ١٠ و ١١ : ١ ـ ١٨) ٠ بقيت فئـةمتخلفة متهودة استقرت في مدينة پلا بشرق الأردن٠ ثم تشتت ٠ وهي فئة صغـيرة ٠ زالت من الوجـودمنـذ القديـم ٠

ومن أغرب ما ذهب اليه اليازجي (ص ١٠ و ١٣) هو جعل الرواقيين وأهل الغنوص والفلاسفـة مادة المسيحية الحقة ، وتصـوير بطـرس وبولس بزعيمين لحركة تنادي بالدخول في اليهودية أولا ثم الانتقال الى المسيحية ثانياً ٠ هل قرأ التاريخ فعلا؟ هل استوعب العهد الجديد فعلا ؟ ألم يقل يسوع : « ٠٠٠ أخفيت ذلك عن الحكماء وأصحاب الدهاء ،وكشفته للأطفال » ؟ (متى ١١ : ٢٥) ٠ وبولس الرسول على هـذه الغخطى (كورنثوس الأولـى ١ :١٧ ـ ٢ : ٥ ، ومواضع أخرى عديدة من رسائله)٠ وفي هذه النصوص نرى أن المسيحيين الكورنثيين الأولين كانوا من عامة الشعب لا من الفلاسفة ٠ وفي أثينا سخر الفلاسفة الرواقيون والأبيكوريون مـنبشارة بولس (أعمال الرسل ١٧ : ١٦ ـ ٢٢) ٠ والغنوص فئة تمزج المذاهب والأديان٠مزجت بتعاليمها« برنيشا » مسيحياً ، فكانت أخبث عشّ بدع وشيَع في القرن الثاني ، وسرطاناً فتاكاً ٠ الا أن الكنيسةكافحتها بدفاعات عقائدية متينة ، حتى زالت من الوجـود ٠

رغم أن استيفانوس كان أممياً يونانياً (ص١١) ٠ انه يهودي ناطق باللغة اليونانية حاكمـه المجمع اليهودي ٠ لو كان رومانياً لما حاكمه المجمـعاليهودي وقضى عليـه بالموت رجمـاً ٠ صلاحياتـه محصورة باليهود فقط ٠ هو محكمة لليهود ٠ ومـاأقامه اليازجي على هذا الغلط باطل لأن ما بُنـي على الباطل هو باطل ٠

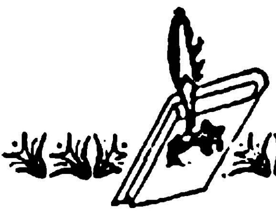
ويعود الى تعظيم يوحنا الرسول (ص ١١ ـ١٢) ٠ ما على اليازجي الا أن يقـرأ « يهـوه أم يسوع » ليرى مـدى اعتمـادي على يوحنـا لدحض تعاليم شهود يهوه وتفسيراتهم الباطلة للعهد القديم٠ وليس في أنجيله أي توجه نحو أهل الحكمة والفلسفةوالغنوص (ص ١٢) ٠

فاتحة أنجيله متأثرة بالشعر الآرامي ٠ ولفظة« كلمة » (١ : ١) مرتبطة بالعهد القديم والعهـد الجديد والايمان المسيحي لا بالفلسفة الرواقيـة ٠فليراجع اليازجي عنها مقالا رائعاً في معجم الكتـاب المقدس الفرنسي وفي الترجمـة الانكليزية لمعجـمكيتل الألماني في « معجم لاهوت العهد الجديد » ٠ وقد قبَّـح بولس في رسـالة أفسس ديانـة اليونانيـين(الفصل ٢ و ٠٠٠) ٠

زعم ان طرسوس (موطن بولس) واقعـة فيلواء الاسكندرون الى جنوب مصب نهر العاصي أي بين السويدية واللاذقيـة ٠ طرسوس بلـد في قلبكيليكيا شمالا (ص ١٢) ٠

وليس بولس بأفضل من جميع الرسل (ص١٢) ٠ هو نفسه اكتفى بالتساوي ٠ وفي القـدس ارتاب التلاميذ من بولس ردحاً فقط ، فقدمه برناباللرسل ، فصدَّقوه ، فانطلق يبشر ، فوقعت مؤامرة على حياته ، فهرّبـه الأخوة الى قيصرية عاصمـةفلسطين ، ثـم الى طرسوس (أعمال الرسـل ٩ : ٢٦ ـ ٣٠) ٠

والمسيحية الأولى انطلقت من القـدس لا منأنطاكية ٠ أنطاكية مقر انطـلاق بولس ٠ وبعـد استيفانوس بشَّر الرسل في فلسطين بما فيهم بولسكما مر الآن معنا ٠



والمسيحية تأسست قبل بولس خلافاً لما زعم اليازجي (ص ١٣ . والتفريق بين الاسرائيليين واليهود والسامريين بالصورة الواردة في ص ١٣ غير صحيح . بعد سليمان الحكيم انقسمت فلسطين الى مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب. عاصمة الأولى هي نابلس . عاصمة الثانية هي القدس . بعد خراب ٧٢١ صارت السامرة وثنية مصبوغة بيهودية . هرب من هرب الى الجنوب . وجلا من جلاه الآشوريون الى أصقاع الامبراطورية. ولذا في زمن بولس كان اليهودي والاسرائيلي لفظين مترادفين . أما أهل الجليل فكانوا يهوداً مجاورين للوثنيين . وكان بعض التغلغل بين ظهرانيهم .

قال : « ليلعن (بولس) نهايتهما » (ص ١٣). بولس علمنا أن نبارك وأ ن لا نلعن (رومية ١٢ : ١٤) .

نسبح كثيراً حول خلاف شكلي بين بطرس وبولس (ص ١٣) . لم يكونا مختلفين في المضمون لأن بطرس كان يعيش كما تعيش الأمم . الا أنه ساير المتهودين فوبخه بولس على هذا الضعف . وانتهيا في روما شهيدين كبيرين .

ومجمع أورشليم « شقلب » اليهودية . فلماذا يعطيه اليازجي صبغة التهود ؟ (ص ١٣ ـ ١٤) . انتهى الى وفاق تام بين بطرس ويعقوب وبولس وبرنابا . وأرسل الرسل يهوذا وسيلا يحملان الرسالة الى أنطاكية وسواها يدعمان رأي بولس . والذين اعترضوا هم فريسيون متنصرون . رفض المجمع أقوالهم وانتهى الأمر . وماذا في قراراته من سخيف ؟ هل تحريم الزنى والأصنام سخيف ؟ وكيف تعترف بعمل الروح القدس فيه وتقول ان قراراته سخيفة ؟ هذا تناقض ممزوج بشيء من الكفر .

بولس ناقش مطولا علاقة الناموس بالانجيل . لم يقل ان العهد القديم أضحى لمتاحف التاريخ . لقد استشهد به كثيراً جداً . أما اليازجي فينسف الأمر اعتباطاً (ص ١٤) .

ويحلل على هواه في ص ١٥ . الناموس شيء والنعمة شيء آخر . الناموس شريعة . النعمة قوة الهية ، وليس من مسيحي بالطبيعة . المسيحي مسيحي بايمانه ومعموديته . ولماذا يحاول اليازجي اقامة تمييز لصالح الأمم ضد اليهود (ص ١٥) وبولس نفسه رفض التمييز ؟ (غلاطية ٣ : ٢٨) . واذا كان بولس قد استهجن الأوثان فهو لم ينكر وجودها كما ذهب اليازجي (ص ١٥) . ألم يقل كتاب أعمال الرسل عنه وهو في أثينا : « اغتاظت روحه فيه لرؤيته المدينة مملوءة أصناماً »(١٧:١٦)؟

قال : « لقد أكد بولس أن جميع الناس قبلوا النعمة والايمان منذ الأزل » (ص ١٥) . لو كان الأمر كذلك لما كانت من حاجة لمجيء المسيح . اليازجي حريص على التمييز العرقي . وهذا ما أرفضه ١٠٠٪ لأن العهد الجديد قد رفضه . ان كان يكره عرقية اليهود فالبديل الصحيح ليس عرقيته هو .

وذكر ان سمعان يخبرنا في أعمال الرسل (ص١٦ ...) . والصحيح هو يعقوب (أعمال ١٥ : ١٦ ـ ١٨) .

يكرر لفظة « المسيح الكوني » (ص ١٦ و ١٧ وسواهما) ، هل يعني بذلك تصوراً رواقياً للمسيح على غرار Logos (كلمة) الرواقيين ؟ نحن نرفض هذا التصور . الرواقية مادية . وبعض أركانها انتحر لأنها متشائمة وسلبية بينما المسيحية رجاء وفرح ونضال مرير . أما يوستينوس الشهيد (ص ١٧) فلم يهتد عبر الفلسفة (في القرن الثاني) . مر على الفلسفات فلم تشبع روحه ، فوجد ضالته المنشودة في يسوع . اليازجي ينكر على اليهود الاقتراب من مفهوم « الكلمة » Logos . هذا ضلال مبين . فليراجع المعجم المذكورة أعلاه .

وينكر على اليهود التأثر باليونانية (ص ١٧) . هل نسي فيلون اليهودي الاسكندراني المعاصر للمسيح ؟ ويعود في (ص ١٧) الى تكرارات وتركيز على الفلسفة . ان آباء الكنيسة من باسيليوس الكبير (القرن ٤) الى غريغوريوس بالاماس (القرن ١٤) رفضوا هذه المزاعم وطعنوا في



الفلسفة اليونانية ٠ والمسيحية ليست بنت البيئة ولا بنت « هذا الشرق المضيء » (ص ١٧) ولا بنت الفلسفة الرواقية ولا الحضارة الكنعانية ـ الفينيقية ٠ وكل القرابات الظاهرية سطحية ، المضمون مختلف ٠ الألفاظ نفسها مستعارة من المعاجم ٠ فالكاتب يستعمل ألفاظ المعجم ٠ ولكن المعنى على فم الكاتب المسيحي يختلف تماماً ٠ لوغوس الرواقيين مادي ٠ الغنوص أشد الفرق المسيحية كفرا ، وليست حتى بشبه مسيحية ٠ ولا نؤمن بالخلاص عن طريق المعرفة ٠ وبولس صريح ١٠٠٪ ٠ وقصة التوحيد في مصر قصة توحيد مادي نسبي ٠ تنزيه الاله تنزيهاً مطلقاً مفهوم توراتي صرف ٠ خارج ديانة اليهود كان جميع الأمم وثنيين بما فيها أثينا كما مرَّ معنا ٠ وكان ثلثا الامبراطورية الرومانية في عصر المسيح عبيداً ٠ والتمييز كان قائماً على قدم وساق ٠ وفي الغنوص مراتب ٠ المسيح وحده أقام التساوي والعدل والمحبة الشاملة المعطاء المضحية بنفسها ، والا فقبله كان كل شيء ظلاماً ٠ أما الطعن بالاله يهوه فهو جهل فاضح ٠ راجع كتابي « يهوه أم يسوع؟ » ترَ أنك تتجنى على المقادس ، وان مفهوم الألوهة في لفظة « يهوه » فريد في التاريخ القديم ٠

قال : الخميرة العتيقة فاسدة لا تصلح : هي الناموس والأنبياء ٠٠٠ وقد سادت تلك الخميرة القديمة ٠٠٠ من آدم الى موسى » (ص ١٨) ٠ هذا جهل ٠ هل وصية « لا تقتل » فاسدة ؟ ومثلها : « لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشته ٠٠ » وموسى هو الذي وضع بدايات الناموس ، وبعده جاء الأنبياء ٠ فكيف كان الناموس والأنبياء قبله من آدم اليه ؟

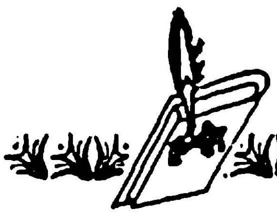
لفظة انجيل وردت في انجيل مرقس على لسان المسيح في بداية بشارته (١ : ١٥) ونهايتها (١٦ : ١٥) ٠ وتعني « البشرى السارة » لا البشارة فقط ، لأن مطلعها EU يعني السرور ٠ وهي لفظة مفردة وليست جمعاً كما ذهب اليازجي (ص ١٨ ـ ١٩) ٠ لست أدري كيف يتنطس لتحليل الكتاب المقدس وهو يجهل اليونانية ؟

وانجيل مرقس وانجيل لوقا صدرا خارج فلسطين ٠ وقرابتهما مع متى تزيد الثلاثة موثوقية فيكون معنا ٣ شهود ثقات على الموضوع ٠ ولو تعلم اليازجي اليونانية وألقى بنظره على ازائية الأناجيل الأربعة باليونانية وتعمق لعرف عمق الارتباط بين الأناجيل الأربعة وكيف أن يوحنا يفترض في أماكن عديدة أن القارىء يعرف الباقي الذي لم يدونه ٠ وهكذا تسقط محاولة التفريق لدى اليازجي (ص ١٩) ٠

يذهب بعيداً في ص ٢٠ لجهة انكار كون يسوع متحدراً من داود ٠ كل الأناجيل تؤكد ذلك ٠ كيف ينكر الشمس في رابعة النهار ؟ ماذا يريد اليازجي ؟ أيريد أن نحذف من العهد الجديد والقرآن كل ما له علاقة باليهود وشخصياتهم وأنبيائهم ؟ ينطلق من منطلق قومي صرف ليفرض علينا أموراً تمس جوهر العقيدة ٠ ما هكذا تُورَد الابل ٠ لي كتابات حادة جداً ضد الصهيونية ، ولكن لا أنزلق الى الطعن في الكتاب المقدس لأن اليهود فهموه على هواهم ٠ هناك طوائف مسيحية تفسر أموراً دينية عديدة بخلاف ما أفسر ٠ هل أحذف الآيات المختلف على تفسيرها ؟ حاشا ٠

قال ان المسيح دخل أورشليم يوم فصح اليهود (ص ٢١) ٠ دخلها الأحد بينما كان فصحهم يوم السبت التالي ٠

قال : المسيحيون التقليديون « يعتقدون ، كاليهود والنصارى ، ان المسيح قد اتى ليكمل موسى » ٠ ويستشهد بمتى ٥ : ١٧ ٠ لو كان اليازجي يعرف اليونانية لما تفلسف كل التفلسف الوارد في ص ٢٣ ٠ اللفظة اليونانية تعني ملء شيء ناقص ٠ الدين اليهودي ناقص وعابر ٠ المسيح جاء بالكمال ٠ الموعظة على الجبل (متى ٥ ـ ٧) أبانت مراراً وجه النقص في شريعة موسى ، وأعطت الشريعة الأكمل ٠ موسى قال : « لا تقتل » ٠ يسوع منع الغضب ٠ فهل هذا يعني الغاء منع القتل ؟ والأنبياء تنبأوا عن المسيح ٠ فهل نتضرر شيئاً ان قرأنا نبواتهم وازددنا قناعة بصحة رسالة المسيح لأن الأنبياء أخبرونا به قبل مئات السنين ؟ مهلا ! الاعتدال أفضل من هذا التعصب القومي الأعمى ٠



زعم أن انجيل يوحنا لم يذكر لفظة يهود (ص٢٤) . اليه بنص الأدلة على العكس : (يوحنا ١ : ١٩ و ٢ : ٦ و ١٣ و ١٨ و ٢٠ و ٣ : ١ و... و ٢٠ : ١٩) .

ويتعرض لفكرة المجيء وينكر وجودها لدى يوحنا . ولهدف ما يحاول تبديل ترجمة متى ٢٤ : ٣ ليفسر النص على حسب هواه . كيف يتنطس لذلك وهو يجهل اليونانية ؟ (ص ٢٤ و ٣٠ حاشية ٩) . يوحنا استعملها في رسالته الأولى ٢ : ٢٨ . وقد وردت لفظة مجيء في محلات عديدة من العهد الجديد . وهي تعني في العهد الهيلنستي في العالم اليوناني ـ الروماني الزيارة الرسمية والعلنية التي يقوم بها ملك الى مكان ما . وفي العهد الجديد تعني مجيء المسيح (انظر متى ٢٤ : ٣ (١ كور ١ : ٨ ١ ت ٢ : ١٩ و ٣ : ١٣ و ٤ : ١٥ و ٥ : ٢٣ و ٢ ت ٢ : ١ ويعقوب ٥ : ٧ ، ٨ و ٢ بط ١ : ١٦ و ٣ : ٤ ، ١٢ ويوحنا الأولى ٢ : ٢٨) .

فان كان اليهود ينتظرون مجيء مسيح قومي فهل نلغي نحن ايماننا بمجيء مسيح المجد الأبدي ؟ اني أخشى على الأستاذ يازجي من هذا التطرف القومي غير المقبول بل غير المعقول .

قال : « وقوع المسيحيين أسرى أكاذيبهم .. »(ص ٢٧) . هذا قول لا يستحق الرد . الشيطان هو الكذاب وأبو الكذاب (يوحنا ٨ : ٤٤) . . الكذب آفة من الكبائر . لاهوتي مسيحي وكذاب ضدان لا يجتمعان . وأرجو أن يتعلم اليازجي ضبط لسانه وقلمه . متى كذب اللاهوتي المسيحي سقط من رتبته . وعلماء اللاهوت هم الذين علموني الايمان . وهم قمم الصدق والاستقامة والنزاهة ولو كره المغرضون(١) . من يستطيع أن يقبل كلامك ليرفض يوحنا فم الذهب مثلا ؟ ومن قال لك ان اليهود يستغلون الا ضعفاء الوجدان من المسيحيين المزيفين الذين تجد مثلهم في كل مكان ؟

يعترف اليازجي بأن اليهودية تحولت الى طابور خامس ضد المسيحيين في الامبراطوريتين الرومانية والفارسية (ص ٢٧) . ومع هذا ـ خلافاً لما يدعي ـ بقي المسيحيون يستعملون العهد القديم على غرار بولس وجميع الرسل .

قال : « والدفاع عن التوراة دفاع عن اليهودية » (ص ٢٨) . هذا تطرف أعمى .

قال : « استطاع اليهود الذين دخلوا في المسيحية أن يجتذبوا اليهم ، بطرقهم الخاصة ، ملايين المسيحيين ، وأرسلوهم الى أقطار المعمورة ... يعدون بالملايين ... » وهذا تطرف أيضاً . شهود يهوه والسبتيون والمتجددون ومن شاكلهم أقليات مرذولة تزودهم الصهيونية بالمال والمنشورات والدعاية ، فيتوهم المرء أنهم شيء وهم نفايات . اشتروا بعض الناس في بلادنا للتجسس . هم جواسيس لا أهل دين .

في حواشي ص ٢٩ تطرفات عديدة . الاعتماد على كتاب فرويد في موسى باطل . الكتاب عتيق . الحاشية ٩ ص ٣٠ : « المسيح كلمة عبرية ... هكذا يتوجب علينا أن نتغاضى عن التعبير اليهودي للمسيح ونتجاوزه الى واحدة من هاتين الكلمتين :كريستوس أو عمانوئيل . الأولى كلمة يونانية تعني « من حقق الله » والثانية تعني « الله معنا » . « مسيح » عربية . وزن « فعيل » بمعنى « مفعول » أي ممسوح . بالعبرية « ماسيا » وبالسريانية « مشيحو » . وهي ترجمة دقيقة للفظة « خريشوس » اليونانية . ما هذا الخبط العشوائي ما دمت لا تلم بلغات الكتاب المقدس ؟ الحاشية ١٤ ص ٣٠ مرفوضة كلياً على ما قلنا سابقاً . الحاشية ١٦ ص ٣٠ شطط فاحش . متى ١ : ٢٣ طبق كلام أشعياء على حبل العذراء وولادتها المسيح . وقبل قليل قبلت لفظة « عمانوئيل » . وتزعم أن الاسرائيليين أقحموا أموراً في توراتهم . هل لديك أدلة تاريخية أو مخطوطات على ذلك ؟ والا فأنت تخبط خبط عشواء لتصل الى أهدافك .

---

١ ـ المسيح علمنا : « فليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (متى ٥ : ٣٧) . اي من الشيطان . الكذاب هو مسيحي مزيف كبير ومشوه هائل .



الحاشية ١٩ ص ٣١ تتنطس لتصحيح نص متى ٢٤ : ٣ ، برغم جهل اليونانية . هذا تجاسر كبير . استشهادات الحاشية ٢١ ص ٣١ على مجيء المسيح غير ناجحة . أنت تقصد ما يقوله اليهود . النصوص هنا تعني أمرين : ١ ـ التجلي على جبل ثابور ٢٠ ـ خراب أورشليم . وكلاهما حدثان قد عبرا منذ القرن الأول للميلاد ، وعالجت الباقي قبلا .

قال : « هكذا أشاعوا بين المسيحيين فكرة « هي تؤلف ولا تؤلفان » (حا ٢٢ ص ٣١) . العهد الجديد خال من هذه الفكرة . ولا أساس لها في اليونانية . وكل شيء لا أساس له في أصولنا اليونانية مرفوض كلياً ، لأن العهد الجديد وقدامى الآباء القديسين كتبوا فيها أو درسوا فيها أو في ترجمات عنها . فلا تنسب الينا أقوال بعض جهلة العامة المنقولة عن الغير .

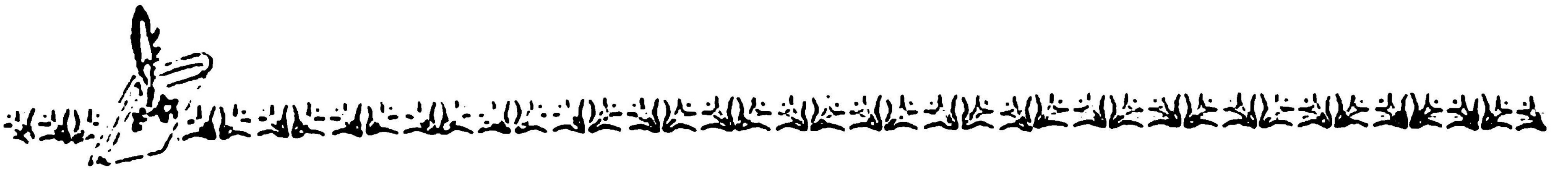
دعوى التزوير والتزييف في (حا ٢٤ ص ٣١) أوهى من خيط العنكبوت ، لأنها لا تقوم على أي دليل . وهذا مجانب للموضوعية والنقد العلمي النزيه والحياد الفكري .

أما الدكتور مروان فارس فيجعل الغزو الصهيوني للفكر المسيحي قد حصل في فترات متأخرة من التاريخ الوسيط . وهو عكس ما ذهب اليه اليازجي (ص ٣٢) الذي جعل الغزو باكراً ومنصباً على التقليديين . وفي كتابي « يهوه أم يسوع » نسفت التفسير اليهودي لأرض الميعاد والوطن القومي . ولا أوافق الدكتور فارس على ما جاء في البند ٢ من العمود ٢ ص ٣٤ . فالتوراة لم تستعر الأفكار المذكورة من الخارج . وما كان اليونان يؤمنون بالقيامة . ولما طرح بولس في أثينا الأمر توهم أولا السامعون أنه يتكلم عن اله اسمه « قيامة » (١) ... (أعمال ١٧ : ١٨ و ٣٢) . والارتباط بين المسيحية والتراث السوري القديم مفقود (٢) . والمسيحية انتشرت أولا في أوساط اليهود الناطقين باليونانية ثم امتدت الى الوثنيين الناطقين باليونانية . وآثارها الأولى مكتوبة باليونانية . في القرن الرابع بدأ ينبغ كتبة سريان من أمثال افرام السرياني . ومن الظلم الفاحش أن يجعل فارس الوثنية السورية ـ الاغريقية أرقى من الديانة اليهودية (ص ٣٥) . في الفصل الأول من رسالة بولس الرسول الى أهل رومية نقف على الانهيار الأخلاقي في الامبراطورية الرومانية . وما كانت دولة الفرس بأرقى من ذلك . فالتاريخ (ثيوذوريتوس أسقف قورش بمحافظة حلب) يذكر أن ديانتهم اباحية مطلقة . وأول كنيسة مسيحية تأسست في القدس الا أن مركز الثقل انتقل الى أنطاكية . ولا أوافقه على تصورة لتاريخ الكنيسة في الشرق كصراع مع السلطة الامبراطورية (ص ٣٥ ـ ٣٦) . شرقنا منذ عهد الآراميين حتى اليوم مولع بالشقاق والتحزب والتطاحن . ديبو سومر وصفه في كتابه عن الآراميين (ص ٤٨) أحسن وصف . شكري القوتلي قال فيه لعبد الناصر ان كل من فيه يعتبر نفسه سياسياً ، و ٥٠٪ زعماء ، و ٢٥٪ أنبياء ، و ١٠٪ آلهة ، ومنهم من يعبد الله ومنهم من يعبد الشيطان و ... (الأهرام ٥/١٠/١٩٦١) . والبدع الدينية ظهرت من مشرقنا . ولا علاقة لها بالصراع مع الدولة . كان سطوريوس أسقف العاصمة القسطنطينية سورياً يحميه الامبراطور ضد كيرللس أسقف الاسكندرية . فالصراع سوري ـ مصري انجر الامبراطور اليه . وفي المجمع الرابع المسكوني (٤٥١) انتصر السوريون على ديوسقوروس المصري مدعومين بلاون بابا روما بينما كان سلفه حليف كيرللس الاسكندري . ومع هذا بقي الصراع داخلياً حتى سافر فيلكسينوس أسقف منبج الى القسطنطينية ، وكذلك فعل صديقه سويروس . فقلبا أفكار الامبراطور انسطاسيوس وجروه الى معركة ، فتعرض عرشه للخطر مراراً . وهكذا افتتح معركة غرق فيها خلفاؤه سلباً وايجاباً . الخلاف ديني صرف يقوم على سوء فهم من جهة ، وعلى تنافس أسقف الاسكندرية مع أسقف القسطنطينية فلافيانوس وحلفائه من السوريين . وكان للمصريين حزب في سوريا . اذن : صورة جديدة عن تاريخ قديم في الصراع الداخلي . في كتابي « سر التدبير الالهي » عرض موضوعي نزيه للأمور هلل له أبناء الطوائف جميعاً . أما الزعم أن مشرقنا ديموقراطي بينما

---

١ ـ وسخروا من مناداة بولس بقيامة الأموات .

٢ ـ المسيح هو عماد المسيحية وشخصية فريدة كلياً . لا مسيحية بدون المسيح . هو الكل في الكل .



الغرب ديكتاتوري فهو نسبي جداً(١) • كان انتخاب المطارنة عاماً في كل دنيا المسيحية طيلة قرون طوال • وقد أنشأت كتاباً لم يطبع في المادة الا انني أهيىء الآن كراسة معتمدة عليه • والديموقراطية المزعومة هي الفردية « والانفلاش » • ما الماضي الا سلف الحاضر • وأنا أرثوذكسي حتى نقيّ العظم وأعرف كنيستي الأنطاكية معرفة عميقة مشهورة لدى الأرثوذكس • درست ماضيها وحاضرها دراسة منشورية • هذا الشرق غير مستقر •

في كتابي « سر التدبير الالهي » ترى أقوال الاختصاصيين : ١ ـ ارسطو أبو البدع الدينية • ٢ ـ بمفهوم الحرية قصمت المسيحية ظهر الفلسفة اليونانية القدرية • ٣ ـ المجمع الرابع المسكوني (٤٥١) نسف أسس الفلسفة اليونانية •

المسيحية ـ كما ترى في كتابي المذكور ـ هي فلسفة وجودية شخصانية بينما الفلسفة اليونانية فلسفة ماهيات • والفلسفة الوجودية المعاصرة انتعاش للحقيقة فقط •

أما لويد جورج البريطاني (ص ٣٦) فهو رئيس وزارة بريطاني أتى به اليهود في الحرب العالمية الأولى • فهل هو عالم لاهوت ؟ ومحاولة التفريق لاهوتياً بين الغرب والشرق في احترام العهد القديم (ص ٣٧) فاشلة • هناك عملاء صهاينة صرحاء وهناك عملاء متقنّعون • واعطاء الغلاف على قيمة التوراة خطراً حربياً بين المذاهب (ص ٣٨) هو من نسيج الخيال • ولن نسمع منك فننفي عن التوراة صفة القداسة • فهي جزء من كتابنا المقدس • ولا تتوهم أن الكنيسة الشرقية ستسمع لك (ص٣٨). فان قلنا لأرثوذكسي أوروبا ان العهد القديم لا يؤلف جزءاً من الكتاب المقدس اعتبرونا مارقين من الأرثوذكسية • أما معاهد الأبحاث والدراسات العربية (ص ٣٨ ـ ٣٩) فهي غير دقيقة • في أثينا عُرض علي في العام ١٩٧٩ ان تتم ترجمة كتابي « يهوه أم يسوع » الى اليونانية لمكافحة شهود يهوه • فهم يوزعون النشرات والكتب بكثرة • وصدرت في أثينا كراسات لمكافحتهم • ولكن النفر الضئيل القادر على ترجمته سيطالب بأجور كبيرة • لن يدفعها أي معهد أبحاث أو دائرة من دوائر الجامعة العربية ، السلك العربي في أثينا اعترف لصديقي الغالي المغفور له البطريرك الياس الرابع ان كل نشاطه لا يعادل شيئاً في الدعاية العربية بالنسبة لزيارته لليونان •

أما مؤتمرات الدعاية للعرب وفضح أساليب اليهودية فتتطلب كفاءات خاصة غير متوفرة • أمام العلم الغربي لا يقف علمنا • صار التخلف جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية •

أما الأستاذ مركيس أبو زيد فردد بعض معزوفات سلفية • ليست المسيحية كنعانية أو فينيقية أو عربية أو يونانية أو يهودية ••• هذه شقشقة فارغة • وليست المسيحية ثورة قومية اجتماعية (ص ٥٢) • وليست حرب طبقات (ص ٥٢) • هي أرفع من هذا كله • واستقلالية كنيسة أنطاكية عن روما (ص ٥٢) نسيج خيال • الكنيسة جامعة • وبولس السمسياطي أسقف أنطاكية (ص ٥٢) كان خازناً لدى زنوبيا مدعوماً من اليهود كما نوهت في كتابي « سر التدبير الالهي » • وكان اليهود أنصارها لا مع روما • فتاريخهم مع روما مرارات سواء في دورها الروماني أو دورها البيزنطي • في كتاب الأب ابيل عن تاريخ فلسطين الشيء الكثير • المرحوم جواد بولس في تاريخه الكبير بالفرنسية ذكر نتفاً هامة من ذلك (٢ : ص ٧٢ ـ ٧٣ و ١١٩ ـ ١٢١ و ١٢٣ و ٣٦٣) • بعد خراب القدس (العام ٧٠) ، هاجر يهود الى بادية الشام ، وكان يهود في بابل منذ القرن السادس قبل الميلاد ، فكثر اليهود في المناطق الشرقية وتدمر وشقوا الطرقات وشبكات الري في البادية • وقد أتوا بالفتح الفارسي في أوائل القرن السابع فوصل الفرس الى مصر ، ودخلوا الاسكندرية ، وخلعوا أساقفة الأرثوذكس وبخاصة في المناطق الشرقية ، وحاكموا أسقف انطاكية محاكمة مريعة صورية وأعدموه • واستعادت بيزنطية المناطق ، فاضطهدت اليهود وشردتهم ففاروا في الصحارى يكيدون لها (راجع كتب أسد رستم وكتاب جورج مرعي حداد ، فتح العرب للشام ، ١٩٣١ ص ٢٩) • فبين اليهود وروما أولاً وبيزنطية لاحقاً عداوة •

---

١ ـ الأنظمة الديموقراطية في العالم موجودة في الغرب ، وان كان فيها فساد كبير •

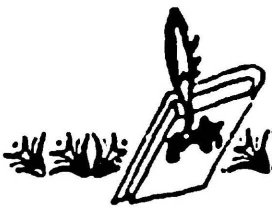


من جهة أخرى ، الصراعات اللاهوتية جميعاً نشأت في اللغة اليونانية على مصطلحات يونانية ٠ لم تكن اللغة اليونانية ـ بالرغم من دقتها البليغة ـ قادرة على أداء المعنى ٠

ولم يكن الامبراطور البيزنطي رأس الكنيسة(ص ٥٢) ٠ هذا ضلال مبين ٠ لما حاول بعضهم فلسفة دوره في الكنيسة اعتبره شماساً أي في آدنى رتبة ٠ ولم يستطع أي امبراطور بيزنطي أن ينتصر على الكنيسة ٠ فمن أين هذه المعلومات الباطلة ؟(ص ٥٢) ٠ الذي انتصر دوماً في النهاية على الأباطرة المعاندين هو الايمان الأرثوذكسي القويم ٠والتنازع المزعوم بين العناصر البيزنطية والآرامية والقبطية ليس وارداً ، لولا انعدام الرجال المماثلين لأبطال الكنيسة في القرنين الرابع والخامس ٠ في ذلك الحين تدارك أسقفا الاسكندرية أثناسيوس الكبير وكيرللس الانفجار الكامل بمرونتهما ، مع ان التاريخ يقول فيهما وفي ديوسقوروس انهم كانوا فراعنة الكنيسة ٠ وفي عهد كيرللس وديوسقوروس كان استقلال مصر واسعاً ، فكان كل منهما بمثابة نائب الامبراطور في مصر ٠ وفي كتابي « سر التدبير » العرض الواني للخلافات اللاهوتية السطحية والشخصية ٠ ومن جهة أخرى مشرقنا هو الذي لعب لعبة الانفصال ٠ كان الخلاف داخلياً وتنازعاً على المناصب الأسقفية ٠ الا أن فيلكسينوس أسقف منبج وسويروس الأنطاكي ويعقوب البرادعي ساروا في طريق الانشقاق الى مذهبين نهائيين ٠ ولما شاء يعقوب الاعتدال كان الزمن قد سبقه ، وزملاؤه قد أحرقوا المراحل ٠

أوتو فينيشيل أحد كبراء المحللين النفسيين يشبّه عمل المحلل بعمل عالم الآثار ، فيرفع المشاكل النفسية طبقة فطبقة ٠ فان درسنا تاريخ مشرقنا بهذه الصورة دراسة شاملة ، فبماذا نفوز ؟ الحاضر مرتبط بالماضي ودليل اليه ٠ اننا أعسر الشعوب مراساً ٠ في دراسة تحليل نفسي نوهت بأننا مشحونون بتضاد نفسي هائل ٠ وهذه الظاهرة وصلت الى لغاتنا السامية على ما جاء في الكتاب نفسه ٠ وعدت الى الموضوع قليلا في مجلة «المعرفة» الغراء (١٩٨١) ٠ هذا التضاد يهدد باستمرار علاقة أحدنا بالآخر ٠ والتضاد يحوي السلب والايجاب ، والحقد والمحبة ٠ لذلك تصطبغ كل قضايانا بحالات نفسية ، فتعصف بها الأهواء ،وتتبخر الموضوعية والحياد والنزاهة والتجرد ، ويسود التطرف والمبالغات ، وينتصر التعسف والأنانية ٠ وأغلب الناس يبقى غائباً عن الوجود منصرفاً الى الكسب لا يبالي بمصير الأمة ٠ وينتهي التطرف دوماً الى كوارث ٠ وليس حاضرنا بأفضل من ماضينا ٠ ويطعن الحليف حليفه من الظهر ٠وينجح الانتهازيون في القفز على جميع الأحبال ليغتالوا نضال الشرفاء ويحوّلوه الى مكاسب فردية أنانية خسيسة قد تنطلي أحياناً بالمثاليات ٠ ولو أردت أن أدون كل خبرتي في جميع الميادين لأنشأت العديد من المجلدات الضخمة ٠ ولو قصرت ذلك على أية قرية أو أي حي في أي مدينة لأنشأت مجلداً على الأقل ان لم أقل مجلدين أو ثلاثة ٠ وبما أني متضلع من شؤون العالم الأرثوذكسي فاعرف أن كرسينا الأنطاكي أعسر مراساً من كل العالم الأرثوذكسي مجتمعاً بعشرات المرات ٠ يبدو حيوياً ؛ولكن معضلاته أعسر المعضلات رغم قلة عدد سكانه بالنسبة لروسيا مثلا ٠

أما قصة المذابح (ص ٥٢) فمبالغات مشرقية، فضحت أمرها في كتابي « سر التدبير » ٠ والرواية مغلوطة ٠ يتهم الموارنة سويروس الأنطاكي بطريرك من نسميهم اليوم « السريان » بذبح ٣٥٠ راهباً (لا ٢٥٠٠ كما تقول) من رهبان دير مار مارون في محافظة حماه أثناء ذهابهم في زيارة دينية في العام ٥١٧ ٠ الامبراطور انسطاسيوس هو الذي خلع بطريركنا ونصّب مكانه سويروس ٠ ولغة سويروس كانت اليونانية وكذلك لغة الرهبان كما دللت في كراسة « مار مارون » (ص ٩ و ١٥) ٠ وكان الرهبان على مذهبنا اذ لم يكن الموارنة بعد كمذهب ٠ كان انسطاسيوس في البداية حيادياً ثم انقلب علينا فأعقبه نصير لنا ينتقم ، فجاء جوستنيانوس وزوجته يزدوجان ٠ جوستنيانوس معنا ولكنه كان يناور ويفاوض للسلام ، زوجته ضدنا ٠تكررت اللعبة ، ولكن الساحة كانت قد خلت من رجالات كنيسة عظام ٠ وتشنجت مصر تحزباً لرئيسها البطريرك ديوسقوروس الذي سقط ضحية تصرفاته الشخصية لا عقيدته ٠ وانما مصر هي مصر : أهرام تحت قدمي رئيسها وكتلة متراصة



وراءه · هذا التراص المصري هو قوة مصر ، بينمانقيضه هو ضعفنا وسبب تمزقنا فريسة لأهوائنـا وغرائزنا الهدامة · نبني ناطحات السحاب لنهدمهابعد حين ولنتفـرج عليها كما تفـرج نيرون عـلى احراقه روما · كلنا نشكو من هذا التوتر الداخلـيبين الهدم والبناء ، بين الطعن والرأفة ، بين الانتقام والعفو ، بين الحقد الدفين والمسامحة العفويـة ·ذبذباتنا النفسية بين أقصى قطبي العداوة والمحبـة تعيي كل الأدمغة الاليكترونية في العالم ، فتعجز عناحصائهـا ·

أطلت ، ولكن في هذه النبذة التحليلية فائـدةلقوم يعقلون · وأظنها أنها ستفيد من أناظرهم ، ليفهموا أن التطرف مضر ·

كخاتمة لهذا البحث الطويل ، أرى أن طريقةالطرح عقيمة · لن يستطيع الكتبـة أن يقنعونا ، وبخاصـة متى كان كلامهـم مشوباً بكل الأخطـاءالفاحشة سواء التي ذكرناها ، أم التي أغفلناهـا لضيـق المقـام ·

المواجهة السليمة مع الصهيونيـة هي كتـابالأب غريلو وكتابي « يهوه أم يسوع » · جردناها من كل أسلحتها · لم ينتشر الكتابان في بلادنا لأن الجهلوالاهمال يلفانهـا · وهي عـن فلسطين لاهيـة · والأيام الأخيرة أعطت الدليل تلو الدليل · لو حزمالعرب أمورهملكانت اسرائيل دويلة· ولكنها ترتقي في معارج العلـم لننحـدر نحن في غيـاهب الجهـلوالتفكك العام الشامل · ما التغلغل الصهيوني الى العالم هو عدونا الأول بل نحن أعداء انفسنا أولاوأخيراً ·



المـراجـع الأجنبيـة

في كتابيّ « يهوه ام يسوع » و « سر التدبير الالهي » سيل من المراجع الأجنبية وسواها · وقد ساهمت في كتاب برك ادناه بفصلين احدهما لغوي والثاني تحليل نفسي لغوي · وعدت الى المادة في عدد تشرين الثاني ١٩٨١ من مجلة « المعرفة » الغراء · واذكر ادناه ٥ مراجع فقط والباقي في كتابيّ المذكورين ·

1 — Dupont - Sommer, Les Araméens.

2 — Jawad Boulos, Les peuples et les civilisations du proche orient, tome 2, p. 359-72 et 3 p. 372-5.

3 — Jacques Berque, L'ambivalence dans la culture arabe.

4 — Robert et Feullet, Introduction à la Bible, tomes I et II.

5 — Abel, Histoire de Palestine, 2 tomes.



الأدب في البحرين

ما بين المد والجزر

إعداد : منى غزال

إن مجرد التفكير في محاولة وضع لمحات بسيطة عن الادب في الخليج يعتبر ضربا من المجازفة لا مجال للوصول اليه في مذكرة صغيرة كهذه المذكرة ... انما تفرض علينا مناسبة وضع هذا العدد الخاص عن مختلف مجالات التنمية والصناعة والثقافة والسياسة والاعلام لدول الخليج وضع موجز بسيط عن الحركة الأدبية فيه .

وكما يذكر الكاتب ابراهيم غلوم في مقدمة كتابه ـ القصة القصيرة في الخليج الكويت ـ البحرين(١) ـ نحن لا نعني في تحديد مجتمع الخليج العربي ما ذهب اليه الدراسات الجغرافية والتاريخية من أنه يشمل ـ ايران ـ العراق ـ الكويت ـ السعودية ـ قطر ـ البحرين ـ الامارات ـ عمان .. لأننا نربط تحديد هذا المجتمع بمجمل الظروف التاريخية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية ـ ولأن لكل منها حجماً حضارياً مختلفاً وتطوراً تاريخياً خاصاً ـ ولأن عمان وقطر والامارات وهي من الوحدات السياسية التي تفاعلت مع اقتصاديات البحر والنفط عاشت في عزلة تامة عن العالم الخارجي ابعدت عنها فرص الاتصال بأسباب المعرفة وأوجه الحضارة .. بينما تميزت البحرين والكويت في مظاهر من التفاعل الحضاري والتكامل في اتساق الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما يدفعنا الى النظر اليهما مجتمعا واحداً يمثل نموذجاً منفرداً لمعطي الحياة العربية في ضفاف الخليج .. انما سنحاول القاء الضوء على الشعر في البحرين من خلال ما كتب عنه من مقالات نقدية والتي تحمل رأي كتابها على الخصوص ومن مجلة الأقلام في عددها الخاص عن أدب البحرين(٢) تؤكد أن الحركة الأدبية الجديدة في البحرين تشكل وجهاً مشرقاً للحركة الأدبية في أقطار الخليج العربي دون أن نقلل من شأن الحركة الأدبية في هذه الأقطار حيث نلاحظ في الفترة الأخيرة أنها جميعاً تتفاعل وتتمازج وتتوحد ليس على طريق وحدة الثقافة العربية في منطقة الخليج وحسب بل على طريق وحدة الثقافة في الوطن العربي كلا ...

وفي بحث ودراسة أدبية قدمها الكاتب المعروف طراد الكبيسي عن الحركة الشعرية في البحرين وموقعها من حركة الشعر العربي الحديث من العدد ذاته(٢) يذكر : أن المتتبع لمراحل تطور الأدب في البحرين يجد أن أوائل الستينات هي نقطة انطلاق حقيقية للتيار الواقعي الجديد حيث كشفت تلك البدايات عن امكانيات وطاقات أدبية جيدة لدى الشباب هي الآن الوجه المضيء للحركة الأدبية الحالية في البحرين وهذا ما أكده الشاعر علوي الهاشمي في أطروحته عن الشعر البحريني المعاصر(٣) قال : بداية الستينات بدأت تظهر الأصوات الأدبية الجديدة وخاصة في مجال الشعر ساعدها على

الانتشار عودة الصحافة البحرانية الى الصدور بعد فترة الصمت التي امتدت من ٥٦ ـ ١٩٦٥ ٠وفي عام ١٩٦٩ أنشىء أول تيار أدبي بعد النادي الأدبي سنة ١٩٢٢ وهو أسرة الأدباء والكتاب في البحرين ٠ ويذهب التعريف الى تحديد أكبر حيث يقول : ان بداية تلك الادراكات الواعية في الشعر كانت حيث اتجه عبدالله خليفة الى اسقاط قضية البحار التي كانت تعتبر قضية الغالبية العظمى من الناس في الخليج على واقع الانسان المعاصر محولا ما فيها من أبعاد الى مادة شعرية ـ أبرزت بوضوح موقفه تجاه الجهد الانساني الضائع من جراء سطوة المتاجرين بقوت العاملين في استخراج اللؤلؤ من البحر تحت أقسى ظروف وأمر العيش ص ٩ ٠٠ ويعني هذا بعبارة أخرى ان الظروف والعوامل التي ساهمت مساهمة كبيرة في انطلاق حركة التجديد الشعري العربي في أواخر الأربعينات تعيد نفسها في البحرين حيث يلعب الواقع المرير وصراع الانسان في الخليج مع البحر والظلم عبر قناع تاريخي هو تراث (التعريف ص ٣) ويلعب هذا الواقع الى جانب عوامل أخرى منها : عدم ايفاء الاطار التقليدي للشعر سواء ما كان منه في منحاه الفني امتداداً لتراث فترة الانحطاط الحضاري أو ما كان منه شعراً مناسبياً أو احيانياً(٢) أو شعراً رومانسياً خالصاً أو ما كان يقع ضمن اطار الفكر التقليدي والمعالجة الاصلاحية ـ الترميمية أو العاطفية الانفعالية ـ ولهذا كان طبيعياً جداً أن تستند الولادة الجديدة الى أرضية الواقع منطلقة من منظور ثوري ـ انقلابي على الواقع وبرؤية فنية جديدة ٠٠ ولكن بما ان كل ابداعية لا بد أن تأتي محملة بأخطاء الحماس والبدايات الأولى ومثقلة بكثير من اشكالات الماضي فاننا نشهد من التجارب الأولى للشاعر البحريني الجديد الكثير من الملامح والاشكالات الفنية والفكرية لتجربة أقدم من الستينات في الشعر العربي الجديد٠ وأقصد بذلك : مرحلة الخمسينات ذلك ان قراءة مقارنة للأسلوب والمنحى الفكري للتجارب الأولى من شعر علي عبد الله خليفة وقاسم حداد وعلوي الهاشمي مثلا ، تدلنا على الأسلوبية الخمسينية كما عرفناها في تجارب البياتي والسياب ونازك وكاظم جواد وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم متمثلة في بناء الجملة وبناء القصيدة واستخدام الرمز والمنحى الموضوعي (الواقعي) المشوب بالرومانسية ونظام التقفية أي ضمن الاتجاه

الذي كان سائداً في الخمسينات لدى شعراء الواقعية في مراحلها الأولى أي ما يسمى بالواقعية الرومانسية ٠٠٠ وجعل الشعر الجديد البحريني لم يجد أمامه تراثاً محلياً من هذا الشعر لذا فانه أقبل على الشعر العربي الحر الخمسيني في الوقت الذي بدأ الشاعر العربي في الأقطار الأخرى يتمرد ويثور ويطور تراث السياب والبياتي وأدونيس وصلاح عبد الصبور ٠٠٠ الخمسيني نجد الشاعر البحريني يقبل هذا التراث أو اعتبره نموذجاً يحتذى في مراحله الأولى وكذلك بالنسبة لشعر الستينات٠٠ هذه الظروف التي حرمت الشاعر البحريني من تراث محلي من الشعر الجديد تعتبر عاملا مهما في تكوين الاستعداد النفسي وترسيخ الاطار الفني ـ التعبيري لديه ولدى القارىء أيضاً باعتباره المتلقي الذي يؤثر سلبياً أو ايجابياً في الشاعر ـ والشاعر البحريني كما يبدو حرم أيضاً من كثير من مصادر الثقافة الفنية ـ العربية والأجنبية المهمة والأولية ـ ولفترة مهمة كان يمكن أن تكون عوناً كبيراً له في تكوين وتطوير رؤيته الفنية وتوسيع مداركه الثقافية وتعميق رؤيته للواقع القومي والانساني بانفتاحه على التجارب الأخرى الفنية خاصة٠ ولعله من المناسب قبل أن نحدد موقع القصيدة والشاعر البحريني من القصيدة العربية أن نمر مروراً سريعاً بتجارب الشاعر المخصوصة لنرى مدى تفرد هذا الشاعر عن ذاك ولنرى في الوقت نفسه التجربة المشتركة بين الشباب وسنجعل تواريخ صدور الدواوين وكتيب التعريف دليلنا في ترتيب الأسبقية في تناول الشعراء ٠٠٠

☐ علي عبد الله خليفة :

يجمع الأدباء الشباب كما جاء في (التعريف) على ان علي عبد الله خليفة كان الرائد المحلي في تجربة الشعر الجديد أو على الأقل كانت تجربته بداية الادراكات الواعية في الشعر حين اتجه الى اسقاط قضية البحار التي كانت تعتبر قضية الغالبية العظمى من الناس في الخليج على واقع الانسان المعاصر (التعريف ـ ص ٩) ويعني أن تجربة علي عبد الله يتجلى أولا في أن الشاعر جعل من القضية الأكثر محلية والتصاقاً بحياة الناس وبالتالي من أكثر القضايا التي عاناها الانسان العربي في البحرين قضية شعره الأولى مركزاً على طابع الصراع والاستلاب الطبقي الذي تعانيه هذه الفئة

من الناس ـ صيادي اللؤلؤ ـ حيث البؤس والاستغلال والعذاب والجوع هو الذي يطبع حياتهم :

زادنــا تمـر نخيــلات عجــاف
عــاش فيهــا الدود وطـر ثم عاف
بعد أرز قــدر الكفــاف ص ٤٥

ان الميزة الحقيقية لديوان علي (أنين الصواري) وقصائده تتراوح في تاريخ نظمها بين ٦٦ ـ ١٩٦٨ ـ في واقعيته ـ أي صدقه ـ في التناول والأداء الشعري وتعبيره تعبيراً أميناً عن حيــاة صيادي اللؤلؤ ومــا يعانونه من مخاطر البحر وشظف العيش ومرارة التجربة ـ ولكــن علي عبدالله خليفــة في ديوانــه (اضاءة لذاكرة الوطن) ـ ١٩٧٧ ويشمل القصائد التي كتبها ما بين ٦٩ ـ ١٩٧٣ يتطور بشكل كبير عما كان عليــه فهو يتخلص مــن القيود الشعريــة ويتخذ لنفسه (أساليب) بدأت تشيع في القصيدة الحديثة منها مثلا أسلوب الحكاية او الاستفادة من تكتيك القصة القصيرة في القصيدة ٠٠ واذا جاز القول أن الشاعر البحريني مباشر وصريح وواضح ورموزه لا تقل عن ذلك وضوحاً الا لضرورات فنية فان علي عبدالله لا يشذ عن سواه بل لعله اكثرهم وضوحاً في مباشرته وتقياه كما نلمس هذا في قصيدته (الحضور والغيــاب في تضاريس جبل الدخــان) حيث يشير الى تاريخ البحرين العريق ويضعــه في معادلة مع الحاضر٠ وبما أن الشاعر البحريني شاعر متفائل وتفاؤلــه تاريخــي فانه يؤمن مهما طــال انتظار البحرين الجــديد بأن الأرض حبلــى وأن الولادة لا ريب آتية حتى وان تأخرت في هذا الزمان الذي يطارد ويصــادر فيه حتــى ابتسام الطفولــة ص ٥٦ ٠

(اذكر مرة سمعته يقول
في تــلوة صغيرة عن المحبة :
السيــد الوطــن
وكلنــا بنوه الفقراء
مهمــا تطل او تقصــر الطـريق
فلــن تكون الغامــرين دائمــا
يجيء يوم ابيض في قمــة الزمن
تكــون فيــه ما تكــون ص ٤٧

[_] **قاســم حــداد :**

حتى كتابة هذا العدد الخاص كان قاسم حداد قد قدم ثلاث مجاميع شعرية خلال خمس سنوات : (البشارة ـ ١٩٧٠) و (خروج رأس الحسين من المدن الخائنة ـ ١٩٧٢) و (الدم الثاني ـ ١٩٧٥) وعلى هؤلاء تنصب هذه الدراسة الا أنه قدم بعدها ـ قلب الحب ـ القيامة انتماءات ـ شظايا ـ كلهم الماء ٠٠٠ و ٠

ففي (البشارة) وتضــم معظم ما كتبــه في الستينات نجد الرمز السائــد هو الطفولــة ـ او الأطفال بشارة الفجر الآتي ـ كما جاء في الاهداء ثم التأكيد على ضرورة التلاحم والتواصل بين الجيلين الآباء والأبناء ويعني أنها بعد أن تصور عزلة هذا الجيل ـ الآباء ـ او الجيل الحاضر ومحاصرته وراء الأبواب تطمح لو يلتقي الجيلان ليفرغا حزنهما في حلمة واحدة /ص٩/ ٠ وعلى مايعتقد الأستاذ طراد الكبيسي ان قاسم على صواب انما هو غير مقتنع فنيا ـ حيث يظهر تأثيرات مباشرة لشعراء آخرين في شعره للبياتي والسياب وصلاح عبد الصبــور لكنه لا يجرده من رؤياه الخاصة مهما بدت تأثيرات الآخرين فيها وقاسم يعرف أنه يخط أبجدية ـ مــع زملاء آخرين ـ في أرض بكر وهذه الأبجــدية التي يصفها بأنها جديدة ـ أبجدية اعتراف ـ ان جاز التعبير ـ أكثر منها جــديدة بالمعنى الاصطــلاحي فيقــول :

فنحــن لا نكتــب فــوق المــاء
لكننا نخط بالدماء في مقاطع القصيدة
فالشــاعــر الشجــاع يعتــرف
ويغمس الريشــة في الجــراح
ويصـــرع الريــــاح
ويركب العذاب عبر الرحلة البعيدة ص ١٦١ ٠

وهذا دليل على أن شاعر البحرين الجــديد يختلف تماما عن أسلافه من الشعراء الذين لم يخطوا حرفا جديداً بل اقتفوا أثر الأسلاف ٠٠ وقــع الحافر على الحافر ولم يغمسوا ريشهم وأقلامهم في جراح الفقراء ليكتبوا عن عذابهم وقهرهم وجوعهم فجاء كل ما كتبوه او معظمه كتابة على المــاء ٠٠ وفي (خروج رأس الحسين من المدن الخائنة) يدخل قاسم مرحلة السبعينيين ، بلغته وصوره وتشكيلاته

ورموزه ٠ فلم تعد لغته مباشرة كما كانت في البشارة انه يعتمد على الرمز المستفاد من التراث كطفول والحجاج وأسماء بنت أبي بكر والحسين ، أو الرمز الذي يصوغه هو وخاصة الأطفال : رمز الجيل الآتي المغير أو الذي ينتظر على يديه ـ التغيير الجذري ـ كما يظهر تأثير روح أدونيس خاصة بما فيها من تمرد ورفض٠لغة ترفض المألوف وتتشبث بالحلم، الحلم الأول الذي هو بالأساس يرتبط بالنشوء والتكوين ، لغة ترفض كل الشعراء وخمولهم وسقوطهم فريسة الأمراض الشائعة في الحياة الثقافية العربية واختلاط المفاهيم والمصطلحات حول اللغة و (حضارة الكلمة) والتعبير والنظرات الأدبية والصدق وعدممعاناة حمى الرأس الابداعية٠ فهو في قصيدة الدم الثاني يقع تحت سطوة قصيدة : هذا هو اسمي لأدونيس في تأكيده على الآنية (أنا) وتجزئتها الى شهوتين : للهدم والهجوم واللغة اللغم كتقطيع الكلمة أو استخدام الأبجدية ومهما يكن فان لقاسم حداد صوتاً له طعم أصوات الملايين التي تمشي الى الشمس وتبني ص ١٠٥ ، صوت له خاصيته النابعة من جرح الشعب ورائحة الأرض والعشب ٠٠ هذا الصوت بقدر ما يأتي عميقاً ودموياً ملتهباً بحرارة الواقع يأتي خاطفاً كالبرق الطالع من ليل الأساطير ، صوت فيه من الحزن بقدر ما فيه من الفرح وبقدر ما فيه من ذاكرة التاريخ ورموزها الدالة الثورية فيه من ذاكرة الحاضر وسجونه الكئيبة :

(لك يا هاربة العينين والجرح الذي
يرقص في الحزن ، أغاني الجديدة ،
أنت في ذاكرة التاريخ ورد عاصف
يأتي وفي السجن قصيدة)

□ علوي الهاشمي :

يفتتح علوي الهاشمي ديوانه الأول (من أين يجيء الحزن ـ ١٩٧٢ ـ) ويضم كتاباته بين أعوام (٦٨ ـ ١٩٧٢) بقصيدة (كلمات من دفتر جدي) ـ كلمات من ذاكرة التاريخ ـ وغيرها ٠ في هذا الديوان يميل علوي حقيقة الى الغنائية الحزينة الحبيبة التي تصل أحياناً الى حد المباشرة واللغة الخارجية الجسدية من المحبوب رغم ما يتخللها احياناً من التفات الى طبيعة الهجر والسفر ٠٠ (السفر من والى الحبيبة) لأن كل الطرق تؤدي اليها ص ٥٧ ٠٠

وفي شعر علوي نجد تلك الروح المللولة والقرف من الحياة لا لأن الحياة كذلك بحد ذاتها ولكن لأنها جعلت كذلك،فالفساد يعم الأرض ويغرقها كالطوفان، والنخيل عراة والحية تطوي حبها للحياة بعد رغبة شديدة بها ، مرموزاً لها بالتهامها أعشاب الخلود والشباب التي أتى بها جلجامش من رحلته ٠ وعلوي كغيره من الشباب الشعراء لا ينظر الى الطريق على أنه نهاية المطاف بل لعله بداية للتطهر من الأدران والانبعاث نحو حياة جديدة ٠٠ والشاعر يداور الموت ويداريه حتى يستغفله ويصرعه أخيراً مجتازاً دائرته نحو دائرة الزمن القادم ، الا أنه ما يلبث أن يبتدع موته، وكأنه لايستطيع أن يعيش بدون الموت، فحتى لو فقد رأسه فالرأس الأخرى تتبعه ٠٠٠ ولعل هذا المقطع من أجمل مقاطع (القراءات) ٠

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً
يلاحظني من حيثما أتلفت ٠٠٠
لا بأس ٠٠

الموت الآن يحاورني ٠٠
ويدور حولي مركزه الثابت ٠
٠٠٠ يلحظني من حيث أدور

والحظه من حيث يدور
أدور يدور حوالي ٠٠ أدور٠٠ يدور٠٠
أدور ٠٠٠

يدور ٠٠٠
أدور ٠٠٠٠
يدور ٠٠٠
أدور ٠٠ أدور ٠٠٠٠ أدور ٠٠٠٠

فيتعب وجه الموت من الدوران ٠
ولا أتعب ٠٠

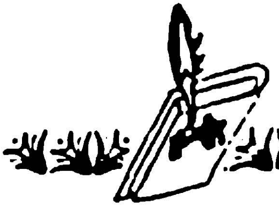
أطعنه عند القلب
يخر على الأرض صريعاً
فامد الخطوة خارج دائرة الموت

واخطو في الحلم ٠٠٠

(واعلم ان الموت شيء مؤقت)

أخطو في دائرة الزمن القادم

أخطو في زمني ، مبتدعاً موتي
أخطو ٠٠٠
هل تبعتني الراس الأخرى ؟ ص ٨٧ ـ ٨٨



ان لعلوي الهاشمي طاقة شعرية تقف بجدارة في صف الشعراء العرب الذين بزغوا في الستينات ، في شعره نحس نكهة الوطن ولونه وعذابه ورائحة دمه المسفوح في (جيوب المصارف وحقائب جيش الغزاة) ونعرف في شعره هذا الحب العميق الذي لا يقف عند آخر الكلمات يشاغله اليوم والأمس والغد ٠٠ فهل يقدر هذا الحب أن يسترد الحبيبة المسافر بها عنوة ٠٠ وفي شعره نستعيد ذاك الغناء الجميل الذي يأتي به الينا أغاني العشاق الأزليين ، حيث البراءة والشفافية والنبل العاطفي الذي لا يعرف الورم :

(يا شجرة الوعد آت حبيبي
فيمم بوجهك نحو الجنوب
ويا قمر العمر آت حبيبي
فضوىء بعينيك كل الدروب) ص ٦٦

ولكن قصائد علوي عموماً بحاجة الى التركيز، ويشكو من الاستطالات والتكرار ، وكثيراً ما يدفعه الحماس الى النثرية والسطحية المباشرة ٠

□ يعقوب المحرقي :

وديوانه (عذابات أحمد بن ماجد) الذي يطرح فيه مسألتين :

١ ـ قضية الرحيل والعودة ٠ الانسان الذي تشده المغامرة ـ وفي المغامرة يشده الشوق الى الأهل والوطن ـ فهو في المغامرة اذن يعاني ٠ الرحيل والاياب وهو أسير الرغبتين : (نحن أسرى الرحيل وأسرى اشتياق الرجوع) ص ٥

٢ ـ والقضية الثانية هي هذا السؤال : لماذا يهاجر الانسان ؟ للبحث عن الغريب العجيب؟ (ليحضر عرس القواقع والريح في الريح أو في اخضرار منازل صحو القمر) ؟ ـص ٨ـ أم يهاجر لأنه لا يملك غير أن يهاجر، تشده الرغبة في المغامرة واظهار الجسارة ؟! قد تكون لهذه الأسباب مجتمعة ولكن ابن ماجد يسافر هذه المرة (وحيداً في عتمات البحار) يذهب ولا تذهب معه (جلفار) موطنه يعني أنه هذه المرة قد لا يعود ٠ فان ما يدفعه للرجوع لم يعد له وجود ٠ لماذا ؟ ٠٠ لأن جلفار الحبيبة التي كان يعرش عليها صوته سرقوها العفاف وقطعوا ثديها في ليلة زفافها ـص ٩ـ ٠٠

والمحرقي يقدم الفرح بصورة على غير ما ألفها الشعراء في صورة الحب أو الجنس او الانتصارات ، انه يقدم الحب في صورة حبيبين متعانقين ويلتقيان نهراً من الضوء ممتلئاً بنسغ الحياة : تصير هي نبعاً تذوب شفاه المغني عليه ويجن به جنوناً ، ويصير هو ساعداً موجة تقيم على شاطىء الصيف ٠ وعن الواقع الذي تعيشه منطقة الخليج ويعانيه شعبها العربي من اندفاع الغرباء اليها واستباحتهم حرمات أهلها وتربتها : يقول :

(مد من الجزر المستباحة
دمل اسمه السادة الغرباء على وجهها ،
البحر لا يشتهيها
النهر لا يشتهيها
فتبحث في كل أمسية عن عشيق) ص ٥٣

ان (عذابات ابن ماجد) هي اذن عذابات الشباب المثقف الذي استقبل كل الرياح وتغترب بحثا عن الحقيقة في أرضه ووطنه متحملا الآلام والمخاطر في سبيلها وكأنه أسير تقاذفه أهواء الرحيل وتغريه حنين العودة ٠٠٠ وهو الشاعر رغم الخلفيات التي يستوحيها من التراث وقد استهلك بعضها الا أنه يبدأ التجربة من جديد مركزاً على قدرة الشاهد على الشهادة كما في قصيدة (أبو ذر يكاتب البحر) مثلا :

(لن أسير وحيداً
هنا اصبعي على تربة الشام أخرج أطفالها
من غصون التعب)

□ علي الشرقاوي :

(الرعد في مواسم القحط) ويلعب التراث دوراً مهماً في شعر علي الشرقاوي كحافز في الابداع وكمنظور ثوري في رؤياه للقصيدة والثورة المعاصرة ٠ التراث الخارجي والقرمطي خاصة ٠ الى جانب وجود قصائد أخرى مسكونة بالرؤيا التراثية أو بالدلالة ٠ وخاصة تلك الرؤية (الحلولية) بين الشاعر والأرض، مجسدة بالعشق والتوحد والقتل٠ ان شبح البحر ورذاذه ورائحة الملح والتراب الممزوج بعرق الكادحين تفوح من قصائد علي الشرقاوي ، ان ثمة عشق غير عادي يكنه الشاعر للبحر والأرض انه العشق القاتل، العشق الذي يحيا به وبه يقتل٠٠

وبالرغم من أن هناك قدراً من الصراخ ـ بصوت عال ، من الألم وحالة الحصار التي يعانيها ـ الا آنه يتدفق واثقاً منساباً مثل النهر الواثق من مجراه واتجاهه ينادي الحبيبة ألا تخشى شيئاً ٠٠ وفي لغة الشاعر وضوح ببساطة وسلاسةواقتراب من النفس، وهي مباشرة دون فجاجة ، قليلة الترميم ، ورموزها واضحة غير مستغلة ٠ فالبحر هو رمز مشترك بين الجميع ٠٠ رمز يلبس أقنعة متعددة : مرة عاصفة الجماهير ومرة عاصفة الحكم ومرة بحراً ممتلئاً خصباً ومرة ظامئاً سحيحاً ومرة أليفاً صديقاً للفقراء والكادحين ومرة غريب الوجه يرج الشواطىء غضباً على واقع مرفوض(٩) ٠

ع ـ عروسا تصير بلادي

ل ـ لوائح موت عليها توقع كل ولادة

ي ـ ينام القطا ٠٠ لا تنام القلوب ٠ (ص٢٢)

□ حمده خميس :

(اعتذار للطفولة) : في شعر حمده خميس نجد بساطة بدائية فهي تحكي بمباشرة تصل أحياناً الى حد الاعتيادية ٠ في شعرها وضوح حيث لا صور ولا رموز ولا أفكار جديدة مثيرة أو معقدة اللهم الا في مقاطع قليلة تقترب من روح نشيد الانشاد كقولها :

(كنت نطفة في كيمياء الخليقة
ناداني صوت حبيبي الجميل
صرت طفلة
منحتني أمي وجهها الآدمي حين جاء الخروج
صعدت صرختي
التقطها حبيبي الجميل
وابتدأنا الرحيل) ص ٣٨

حقاً ان لحمدة طموحات كبيرة وأفكار صحيحة ، ولكن امكانيات الشاعرة الفطرية والمكتسبة لم تصل بعد الى امكان احالة هذه الأفكار والطموحات الى فن أو قضايا فنية أو (بانوراما) ترصد الذات الانساني عمقاً وشمولا ٠ ورغم البساطة المحببة في شعرها لم ترق بعد الىمستوى طموحها،ولهذا لاحاجة بها للاعتذار من أنها : انما تكتب الشعر لا من أجل أن يقال عنها أنها شاعرة أو أن ينقش على شاهدة القبر : هنا ترقد الشاعرة :

بل من أجل أن يطلع الفجر الذي طال انتظاره ص ٧٧ ٠

المطر الواعد سوف يجيء
يفتض بكارة هذي الأرض
والنسغ يسافر في كل الفصول
التاريخ البشري
مذ يبدأ تاريخ الرفض) ص ٩٦

نخلص مما تقدم أن حركة الشعر الجديد في البحرين تقع ضمن الموجة الثانية التي عرفت بالستينية ، والتي كانت دفقة شابة جديدة مجددة لحركة الشعر العربي الحديث ، التي بدأت في أواخر الأربعينات ٠ والفرق بين هذه وتلك ان هذه في البحرينحركة رائدةعلى المستوىالقطري ـالبحرين ـ ولم تسبق بتراث ، بينما حركة الستينيين مواصلة متجددة لتراث رائد ، وخاصة في العراق ومصر وسورية ولبنان ٠٠٠ والدارس لهذه الحركة ، يلاحظ أن هناك تركيزاً على التجربة المحلية ، ومعاناة لهذه التجربة ٠٠ فهو شعر يدور معظمه حول الحب ٠ ويتبع هذا الحب كل مظاهر الدفاع عنه، ضد الكوابح النفسيةوالاجتماعية والاقتصادية والقتل والوأد ٠ ولعل هذا هو السبب الذي جعل من الشعر البحريني كله شعراً غنائياً وأضعف فيه الجانب الفكري ـ الأنطولوجي ـ بما معناه أن الشاعر قلما يقدم فلسفة أو رؤى فكرية ٠ انه يكتفي بالغناء بأن يقدم عواطف ومشاعر وطنية وحبية ملتهبة ، ومقاومة باسلة للظلم والبطش وحالة الحصار ، ومع هذا فنجد فلذاً من القصائد لدى هذا الشاعر وذاك ، ففي قصيدة (زهرة الدم) نجد علوي الهاشمي يبدأ قصيدته بهذا التساؤل المرير :

أحبك

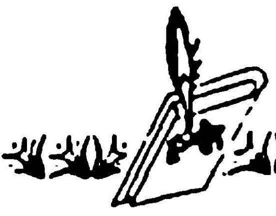
هل هذه آخر الكلمات اليك ؟

وتمضين ٠٠ أو يأخذونك عني

وأبقى أنا في مكاني (ص ٥٢ ـ العصافير ـ)

مجسداً ذلك الاغتراب الذي يحول بين المحب وحبيبته ٠٠

وفي ختام هذه الدراسة يصنف الأستاذ الناقد طراد الكبيسي الشعر البحريني بالواقعية النقدية الحديثة ذلك أنه :



١ ـ من أبرز خصائصه امتزاج الواقع بالعاطفة ٠

٢ ـ مصور أمين للواقع ٠

٣ ـ ناقد لهذا الواقع بجرأة وشجاعة ٠

٤ ـ ورغم هذا هو متفائل بالغد تفاؤلا مبنياً على وعي تاريخي ٠

٥ ـ وفنياً حاول أن يحقق أعلى قدر ممكن من الجمالية في اللغة والصور والايقاع وتركيب العبارة والبناء الفني للقصيدة ، ولو أن هذا الأخير أضعف ما فيه كما هو في عموم الشعر العربي المعاصر ٠٠

٦ ـ وللشاعر البحريني رموزه التي تعبر عن قلقه وخوفه ، تمرده وثورته ايمانه بالمستقبل واحباطاته ، منها البحر ـ الطفولة ـ النخل ومن هنا تلتصق النخلة والبحر بتجربة الانسان في البحرين ، لا كمظهرين من مظاهر الطبيعة وحسب ، ولكن كعنصرين أساسيين من عناصر تجربته في الوجود والصراع من أجل البقاء ٠

هذه الدراسة كتبت لتلقى في المهرجان الثقافي لأسرة الأدباء والكتاب في البحرين ولكن المهرجان ألغي في بغداد ـ ١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٩ ٠

بعد أن ألقينا اضاءة على شعر الشباب في البحرين والمعتمدة على دواوين الشعراء المطبوعة حتى عام ١٩٧٩ وهي :

١ ـ **علي عبد الله خليفة** : أنين الصواري ـ ١٩٦٩ ـ اضاءة لذاكرة الوطن ـ ١٩٧٣ ـ عطش النخيل ـ ١٩٧٠ ـ ٠

٢ ـ **قاسم حداد** : البشارة ـ ١٩٧٠ ـ خروج رأس الحسين من المدن الخائنة ـ ١٩٧٢ ـ الدم الثاني ـ ١٩٧٥ ـ ٠

٣ ـ **علوي الهاشمي** : من أين يجيء الحزن ـ ١٩٧٢ ـ ٠ العصافير وظل الشجرة ـ ١٩٧٨ ـ ٠

٤ ـ **يعقوب المحرقي** : عذابات أحمد بن ماجد ـ ١٩٧٣ ـ ٠

٥ ـ **علي الشرقاوي** : الرعد في مواسم القحط ـ ١٩٧٥ ـ ٠

٦ ـ **حمده خميس** : اعتذار للطفولة ـ ١٩٧٨ ـ ٠

واعتمدت على كتاب ما قالته النخلة للبحر : وهي دراسة فنية في الشعر البحريني المعاصر ، رسالة ماجستير لعلوي الهاشمي ـ ١٩٧٥ ـ ٠

ـ والتعريف بالحركة الأدبية الجديدة في البحرين اعداد أحمد المناعي البحرين ـ ١٩٧٣ ـ ٠

وتتمة لهذه الاضاءة ٠٠٠ نضع مصدراً جديداً وهو العدد الخاص من مجلة كتابات الفصلية ـ العدد السابع عشر ، السنة السادسة ـ ١٩٨١ ـ عن الشاعر ابراهيم العريض ٠

ـ اخترنا منها العريض كما أراه بعد سنة من دراسته ـ للدكتور محمد جابر الأنصاري ـ ٠

ـ وانطباعات عن أدب العريض للكاتب رجاء النقاش ص ـ ١٢٦ ـ ٠

ـ قصيدة أعجبتني للدكتور غازي القصيبي ٠

العريض كما أراه : د٠ محمد جابر الأنصاري٠

٠٠ يضع الدكتور محمد جابر الأنصاري هنا تقييم موجز عن أدب العريض كصوت نقدي ضمن أصوات أخرى في هذا الملف الخاص بأدب العريض ٠٠

١ ـ يمتاز العريض بثقافة موسوعية متعددة الأوجه لا تقتصر على الشعر والنقد ، بل تتعداها الى الدين والتاريخ ـ شأنه في ذلك شأن الأدباء الرواد كالعقاد مثلا ـ تكتشف هذه الحقيقة عن العريض اذا ما حاورته على انفراد ، وفي لحظات الصفاء ، أكثر مما تجدها في كتاباته ٠ لقد كان العريض دائماً على حذر وتحفظ عندما يكتب فهو في المحاورة أكثر حيوية وتحرراً وعمقاً ٠

٢ ـ ليت العريض اتجه الى أن يكون كاتبا ثائراً ومفكراً محللا ، اذن لكسبناه كسباً أفضل من كسبنا الحالي له ٠٠

ورغم أن العريض كتب قصصه بأسلوب الشعر ٠٠٠ فان ذلك الأسلوب جاء نثرياً في صياغته وفي تقديم وتأخير عباراته، وفي بطء نبضه وحركته٠ وهذا ما جعل الناقد مارون عبود ـ في نظر الكاتب ـ يقول رغم اعجابه بالعريض ٠ ان شعره لا يحفظ ولا يرسخ في الذاكرة ٠٠ وتعليلي لهذا الحكم أن النثر أصعب على الحفظ من الشعر ٠٠٠ والشعر نحفظه لايجازه وحرارته وقوة تأثيره وهي صفات أخشى أن يكون معظم شعر العريض لا يتصف بها لقيامه على ركائز الأسلوب النثري والتصور الذهني ٠٠٠

وهـذه المشـكلة وقع فيهـا أديب كبير مثـل العقـاد ٠٠

ومن ترجمته لرباعيات الخيام ببراعة للمعاني الفلسفية الدقيقة في الرباعيات ما يدل على تعمقه الذهني وحدة تفكيره وتبحره في استقصاء المعـاني المفصلة وذلك شان الناثر المفكر المحلل ٠٠

٣ ـ وينقسم نثر العريض الى قسمين : في النقد النظري وفي النقد التطبيقي وأرى أن النـوع الثاني هو أجمل ما كتبه العريض ٠

٤ ـ يخلو أدب العريض من (اللون المحلي) انه يذهب بعيداً الى فلسطين والأندلس ومن النادر أن تجد في أدبه مسحة بحرينية أو خليجية ولقد تأثر العريض بالمدرسـة الرومانسـية وخاصة مدرسـة ايليا أبو ماضي ٠

٥ ـ رغم أن عصر العريض في شبابه ـ كان عصر شعر المناسبات والمديح والتهاني فانه لم يسخر أدبه على الأغلب لمثل هذه الأغراض التي هبطـت بكرامة الشعر ومكانته وظل العريض مخلصاًلقوميته العربية وفنه معتزاً بكرامته الأدبية ٠٠

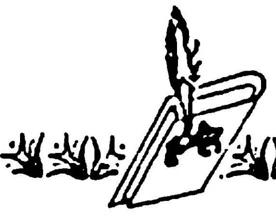
٦ ـ نتمنى أن يكتب ابراهيم العريض قصته بحلوها ومرها ، وبتجاربها وتطوراتها وخلاصاتهـا التي لا شك أنها غنيـة وستضيف بعداً آخـر الى أدبه ومكانته ٠

كانت هذه مجموعة من القناعات توصل اليها الدكتور : محمد جابر الأنصاري عبر تطور تجربته النقدية ذاتها كوجهة نظر لا غير ٠٠

انطباعات عـن أدب العريض : للكاتب رجاء النقاش ـ ص ١٢٦ ـ ٠

يذكر الكاتب أن ابراهيم العريض كان منـذ البداية مدركاً للخطر الاقليمي الذي كان يهدد الأدب العربي ولعل ذلك يعود الى أنه قـد ولد ونشـا في الهند بعيداً عن بلده البحرين ٠٠ مما خلق فيه منذ البداية نظرة أشمل وأوسع تدفعـه الى التطلـع والنظر الى ما وراء الحدود الجغرافيـة والأدبيـة الضيقة ٠ وفي هذا الموقف يتجسد لنا أول ما ينبغي تسجيله لابراهيم العريض من فضائـل أدبية فقـد أدى تطلع العريض خارج حدوده الضيقة الى حركة له فياتجاهين أساسيين٠كان أولهمااتجاهاًمن البحرين الى البلاد العربية الأخرى التي تملك بيئة أدبية أوسع وأنشط ، وكان هو أول صوت أدبي ينطلق من الخليج الى الوطن العربي الواسع من خلال مجلـة الرسالة هذا هو الاتجاه الأول لحركـة العريض في الثلاثينات والأربعينات ٠٠٠ وتحرك هذا الشاعر في اتجاه الأدب (الآسيوي الافريقي) فقـرأ الآداب الهندية والفارسية وتأثر بها وكتب بعض قصائده بلغتها وكانت هذه في الثلاثينـات من المحـاولات الأدبية الجريئة ، فنجده مهتماً بالاتصال بهذا الأدب واستلهامه مما أثر على أدبه تأثيراً حقيقياً انعكس على أدبه وتلك فضيلة أدبية أخرى بارزة تضاف الى الملامح الفكرية والفنية له ٠

وللعريض في النقد كتابات عميقة لها قيمة بل ان بعض الباحثين يرون أن نقده أهم من شعره لأن عقله أكبر من عاطفته وقلبه ، فهو مفكر وصاحب رأي وعقيدة ودين ٠٠٠ على أن (المطب) الكبير الذي وقع فيه العريض هو مالاحظـه عدد من الباحثـين والنقاد على شعره من سيطرة النثرية عليه وسيطرة العقل وضعف العاطفة وانعدام القدرة على التكثيف والميل الى الاستطراد الوصفي ، الذي هو من شأن النثر ٠ وهذه ظاهرة وجدت في شعراء كثيرين أمثال العقاد وأحمد زكي أبو شادي الى جانب أبي ماضي وناجي وعلي طه وخليل مطران٠كانت هذه انطباعات عن الشاعر ابراهيم العريض الشاعر الذي جمع بين الشعر والنقد وهي ان لم ترق الى درجة اليقـين الأدبي كما يشير الكاتب رجاء النقاش الا أنها تؤثر في الحقيقة الأساسية وهي أن ابراهيم العريض قد ظهر في حياتنا الثقافية ليبقى في التاريـخ الأدبـي العربي ٠ أما الشاعـر الدكتور غـازي القصبي ـ ص ١١٨ ـ فيقـدم تحليـلا لقصيـدة أعجبتـه مـن شـعر ابراهيـم العريض ويعتبـر قصيـدة الرثـاء أصـدق أنـواع الشـعر عـلى الاطـلاق ويختـار فيـه القصيـدة الروايـة ٠٠٠ يذكـر في حديثـه عـن العـريض ٠٠٠ ان طبيعة العريض أرادت أن يكون روائياً وأصر هو على أن يكـون شاعراً فكان لكل منهما ما أراد فاصبح شاعراً روائياً أو روائيـاً شاعـراً فهـو لا يسـتطيع أن يكتـب قصيـدة دون أن يحـولهـا الـى روايـة أو عـلى الأقـل الى قصـة أو أقصـوصـة وهـذه النزعة نفعت العريض وضرته في الوقت نفسه، نفعته اذ مكنته من أن يكتب لنا شعراً قصصياً يندر مثيله في الشعر العربي الحديث وأروعه بدون شـك (ملحمة الشهداء) ، وضرته لأنها حرمت شعره الحديث من ديناميكية اللحن والألفاظ والصور التي يتميز بهـا



الشعر الغنائي العربي الجيد • والمعجبون بشعره أغلبهم من النقاد والباحثين ويندر أن تجد له معجبين من القراء العاديين •••

ولعل آخر قصيدة كتبها الشاعر هي : عبارة عن احدى عشرة مقطوعة ، جمعها الشاعر في كتيب صغير، طبع حديثاًباسم : مذكرات شاعر ـ١٩٨٢ـ • ويهديه الى الدكتور غازي القصيبي ، وفي آخر مقطوعة فيها رد على حديث الدكتور القصيبي الأخير في قصيدة أعجبتني والمنشورة في المجلة العربية عدد يناير ـ ١٩٨١ ـ واسمها لفتة الزمان•

يا ضوء نار بالأمس شبت
عاد غلدي منه في دخان

عدمت قلبي لولا حديث
لدمية عنك غير فان

طالت تباريحها بنفسي
حتى احتوى قدرها لساني

هل كان يرقى لمستواها
لو جاوز الصدق في البيان

يا ويح نفسي على شباب
غاب بأعذاره الحسان

يستطلع السر في الدياجي
واليوم حتى الضياء وانِ

من قال : ان الحياة ذكرى
ما هي عندي سوى افتتان

بحاضر فيه ضوء ماض
كأنه لفتة الزمان

تلك (حياتي والشعر) تروى
في قصة فهي قصتان

نثراً ؟ هل كان غير نظم
ما لفقوه همو اغاني

□ أحمد محمد الخليفة :

في العناقيد الأربعة ••• وهو من الشعراء الذين ابتدأوا قرض الشعر وهم صغاراً • في الخمسينات صدر له من أغاني البحرين ـ ١٩٥٥ ـ وجميع شعره كلاسيكي الطبع منذ البداية وحتى الآن • وظهر ديوانه الثاني هجير وسراب عام ـ ١٩٦٠ ـ ثم صدر ديوانه الثالث بقايا غدران في ـ١٩٦٩ـ بعدها ظهر ديوانه القمر والنخيل •• وقد ضم الشاعر هذه الدواوين الأربعة في مجموعة واحدة أسماها العناقيد الأربعة ظهرت في عام ـ١٩٨٠ـ وسيصدر له قريباً الديوان الخامس غيوم في الصيف ، وقد دارت معظم قصائد الشاعر في المناسبات الخاصة ، بالذات القومية والوطنية في البحرين •• ومناسبات الأسرة الحاكمة لأنه فرد من أفرادها ••• كما وله الكثير من قصائد الغزل الجميلة والقصائد الدينية وبالذات في المناسبات الدينية ••• وفي قصيدته جزائر اللؤلؤ الفائزة بالجائزة الثانية في المسابقة الشعرية لوزارة الأعلام يقول :

بحر وأشرعة ونخل ناضر
يعيا الخيال به ويعيا الناظر

وشواطىء وشى الجمال رمالها
فاذا الضفاف بها شذى وأزاهر

أرض تعرى الحسن فوق شعابها
حتى استبان وما عليه ستائر

تتعانق الأحلام فوق ضبابها
فجراً فيسبح في سناها الخاطر

في الصيف تسبح في الضياء ضفافها
والموج فيها لؤلؤ متناثر

واذا رأيت قبابها تحت السنى
شاهدت أحلى ما يروق الشاعر

تبدو الى الرائي لجيناً سائلا
فكأنما سحرٌ دحاها ساحر

واذا الربيع أتى رأيت هضابها
مجلوة يحتار فيها الناظر

حيث المروج الخضر يعبق طيبها
فجراً فيسرقها النسيم العابر

ويبثها للعاشقين على الربى
فتفوح منها في السفوح مجامر

يا أرخبيل الدر أنت على الثرى
سفر من العليا وكنز نادر

تروي الحقيقة عنك ما يعيي النهى
ان الحقيقة اعين وحناجر •••

ولا نستطيع أن نغفل الشاعرين الكبيرين ، أحدهما الشاعر عبد الرحمن بن قاسم المعاودة الذي

كتب في المسرح الشعري وكتب في الشعر ولديه ديوانين : دوحة البلابل ٠٠ والقطريات ٠

والشاعر المرحوم رضي الموسوي ولديه ديوان طبع بعد وفاته ٠٠٠ ولن نغفل عن ذكر الشاعر عبد الرحمن رفيع الذي لديه ديوانين من الشعر - أول المحبة - وهو شعر شعبي ، مطبوع ٠ والى جانب تميزه في الشعر الشعبي فشعره الواقعي يبحث فيه عن الحقيقة دون أن يراها شيئاً ملموساً أمامه ، فهو يسعى وراءها ويجاهد من أجل أن تتكشف له في الفجر الجديد فيقول :

والحقيقة حلم راود أذهان الخليقة
انت ضيعت ليالي سدى
عندما أغريتني يوماً فاسرعت لبابك
ملقياً كل طموحي في متاهات رحابك
اننا نقوى على العذاب عندما يصنع فجراً ٠٠٠

ويذكر الدكتور ماهر حسن فهمي في دراسته تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج (٣) ان كل شعراء الخليج على وجه التقريب قد تناولوا في صورهم البادية والبحر معاً ، ذلك أن المجتمع الخليجي مجتمع صغير ، كان الى عهد قريب يمارس لوني الحياة معاً، في الشتاء البداوة وفي الصيف الغوص٠ وحتى اذا اقتصرت حياته على الصيد وحده، فهو على حدود البادية التي يشعر بالانتماء اليها ٠ هذا بالاضافة الى أن المرء يمكن أن يكون منتمياً فكرياً الى غير طبقته ، وان كان هذا قليل الحدوث٠٠٠ وهذا يوضح ان ربط الأدب بالمجتمع ربطاً عضوياً يمكن أن يكشف عنه اتجاه نقدي جديد، يحلل الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعية ، بينما يدرس التاريخ الأدبي ككل باعتباره جزء من تاريخ الحضارة وتبقى وجهتا نظر : الأولى ترى ان الفن متميز عن الواقع وليس صورة له ، أو تعبيراً عنه فهو واقع نسبي له ولا يصح أن نقابل بينه وبين الواقع الحقيقي أو نأخذ أحدهما على أنه صورة مطابقة للآخر٠ فلا تصح هذه النظرية العلمية التي ترد الظواهر الى مسببات بيئية ، وهي نظرة مهمة ومحور عمل الناقد الأدبي في تذوق النص، وتوجيه الأديب، أما الاعتراض الآخر الذي يوجهه أصحاب النقد الجمالي، موجه في الحقيقة الى أصحاب التفسير النفسي للأدب ٠٠٠ لأن العمل الفني والشعر خاصة من وجهة النظر النفسية، يتمثل في الخيالات الابتكارية، التي تنجم عن ذلك النشاط العقلي ، الذي يرمي الى الاستعاضة عما في البيئة أو النفس من نقص أو قصور ٠٠٠ وهكذا يتبين أن المنهج التكاملي ، هو المنهج النقدي الذي يستفيد من العلوم الأخرى ويرى في العمل الأدبي اشعاعات في كل اتجاه ٠٠٠

وتاتي القصة في المرتبة الموازية لمرتبة الشعر في البحرين، حيث تبتدىء جذورها مرتبطة بالكويت، في مجتمع الخليج العربي، في وضوح الشخصية المحلية واستقلال خصائصها(٤) وترتبط من ناحية بالحركة الوطنية التي استقلت داخل المجتمع الخليجي ٠ وارتبطت من ناحية أخرى بحركة التحرر في الوطن العربي التي دأبت منذ بواكيرها في التأكيد على هذا المسعى ، حيث كانت تضع على رأس مطالبها في الاصطلاح السياسي والاجتماعي ، وضع دستور يحكم البلاد بالرغم من العزلة الرهيبة التي فرضها الاستعمار البريطاني على الشخصية العربية في الخليج ، ومن خلال هذه التأثيرات السياسية أصبح للشخصية العربية في البحرين والكويت هوية محددة ، تمكنت من خلالها أن تعبر عن الكثير من قضاياها وتجاربها ، في السياسة والأدب والصحافة ٠ وكما ظهر الشعر الوطني وبرز بروزاً واضحاً في هذه الفترة ، وجدنا أن القصة القصيرة أيضاً تنمو محاولاتها ويزداد عدد كتابها ، والحق أن اتساع المحاولات القصصية في هذه الفترة انما يدين الى وضوح الشخصية العربية المحلية ، وشعورها العارم بالذات واحساسها بالقدرة على صنع نفسها ، خاصة وانه قد رافق هذه المشاعر قيام الثورة العربية المصرية في /٢٣/ يوليو سنة - ١٩٥٢ - ثم نجاح قيامها في العراق أيضاً ٠٠٠

ان معظم كتاب القصة القصيرة في هذه الفترة - فهد الدويري - جاسم القطامي - عبد العزيز محمود - فرحان راشد الفرحان - فاضل خلف من الكويت - وأحمد كمال - وعلي سيار - ومحمود يوسف - كل هؤلاء يمثلون الرعيل المؤسس لفن القصة القصيرة في الخليج العربي وينتمون الى تلك الفترة التي شهدت وضوح الشخصية المحلية وبروز الطبقة المتوسطة ٠ وبحكم انتمائهم الى بدايات هذه الفترة شاركوا فيها بفعالية كبيرة ، وأكثر مشاركتهم تأثيراً في ميدان الصحافة كتابة ، وفي ميدان القصة القصيرة تأليفاً ٠٠

فنشرت أول قصة قصيرة في الخليج العربي ، وهي قصة - منيرة - التي كتبها خالد الفرج سنة - ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٨ م في العدد السادس والثامن من مجلة الكويت ٠



ونشرت أول مقالة في النقد النظري للقصة بعنوان : لماذا نقرأ القصص في جريدة البحرين لعبد الله الزائد ٠٠ وقد عالجت القصة في هذه الفترة وحتى الستينات الموضوعات الاجتماعية التي تصور البؤس الاجتماعي وفظاظة العيش وشقاء المهنة وتبدل القيم الأخلاقية ، بل انها تطرح معالجتها لأثر التقاليد والمفاهيم المختلفة في فساد المجتمع وضياعه فالتقاليد والمفاهيم المتوارثة مرهونة حقاً بالعقول وطبيعة التفكير لدى الفرد ٠٠ الى جانب ارتباط المجتمع العربي بعاملين من عوامل الطبيعة ـ البحر والصحراء ـ ٠٠فهو يتفاعل معهاباتساق وبما تمليه عوامل التأثر والتكيف٠٠٠ وبما أن فترة الثلاثينات والخمسينات تميزت في الوطن العربي بكونها أخصب مراحل الرومانسية في فنون الأدب جميعها، فقد استأثر الأسلوب الرومانسي بكثير من الأدباء وبخاصة في فن القصة القصيرة والرواية، ووجدوا فيه امكانية التعبير عن أفكارهم وميولهم في اصلاح المجتمع ، فتظهر هنا الكثير من القصص المعبرة عن الواقع الاجتماعي الفاسد في الخليج في ذاك الوقت مثل قصة (جناية أب) لأحمد كامل في مجلة صوت البحرين عام ـ١٩٥٠ـ شعبان وقصة الكأس الأخيرة لأحمد كمال عام ـ ١٩٥٢ وقصة ـ أشباح الليل لعبد الرحمن سيار عام ـ ١٩٥١ ـ وقصة عاشق الصورة لعلي زكريا الأنصاري عام ـ١٩٥٠ـ(٥) ٠

ثم يظهر الاهتمام بالواقعية من جراء التغير الحضاري الذي يتعرض اليه مجتمع الخليج ، ويظهر تطبيق هذه النزعة لدى الكتاب في مسابقة أدبية عام ـ ١٩٥٣ ـ في جريدة الخميلة واسمها (مسابقة الخميلة للقصة الواقعية) في هذا التأثر تظهر قصة (دموع العيد) للكاتب علي سيار عام ـ ١٩٥٣ ـ وقصة (امينة) لبدرية مساعد من الكويت عام ـ ١٩٥٣ ـ وقصة (الشيخ والعصفور) لفهد الدويري ، ونشرت في مجلة الرائد الكويتية ٠

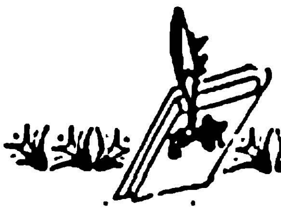
وبانتهاء العقد الخامس(٦) تكون القصة القصيرة قد اجتازت مرحلتها الأولى لتأسيس هذا الفن الأدبي الجديد ، والتعبير به عن مشاكل المجتمع وأدواره المقترنة بتحولاته الاجتماعية والاقتصادية٠ وقد كان توقف جهود القصة القصيرة مع نهاية النصف الأول من هذا القرن ايذاناً حقيقياً بالدخول في طور جديد ٠٠ ويرتبط هذا الطور بفجوة كبيرة من الصمت الأدبي والثقافي والتلق السياسي والاجتماعي ٠٠٠

وتظهر عام ـ١٩٦٨ـ عدة قصص لعلي زكريا الأنصاري ، في مجلة البيان الكويتية ٠ وتطالعنا الصحافة المحلية بأسماء عديدة تبدأ بكتابة القصة ومن بينهم عيسى بن راشد الخليفة في قصة (النوخذة أحمد) عام ـ ١٩٦٧ ـ ـ وقصة صفحة من حياتي عام ـ ١٩٦٨ ـ في جريدة الأضواء ثم تظهر الأسماء متتالية كخلف أحمد خلف في قصة وجه من صخور الشاطىء عام ـ ١٩٧٠ ـ وقصة رحلة الصقور لمحمد عبد الملك ، وقصة الدفة لسليمان الشطي عام ـ ١٩٦٢ ـ وقصة الهاجس والحطام لسليمان الشطي عام ـ ١٩٧٠ ـ وتصدر لسليمان الشطي مجموعة الصوت الخافت عام ـ ١٩٧٠ ـ ٠٠ كما يظهر في الكويت الكاتب سليمان الخليفي عام ـ ١٩٦٤ ـ وقصة : رؤيا جديدة في مجتمع العظام ٠٠ وهناك قاسم فكري مشترك مع غالبية الكتاب لهذه الفترة ٠ جعلتهم أقرب الى التحول نحو الواقعية حين تذهب آثار الانفعال والتلقائية الرومانسية ٠ ومن كتاب الرومانسية(١) الذين عبروا عن نظرة ثابتة للقيم الرومانسية المفقودة مع قلق التغيير وخيبته المتلاحقة ٠ وفيهم ثلاثة كتاب ٠٠ فرحان راشد الفرحان وحسن يعقوب العلي ومحمد الماجد ٠٠ ويمكن القول ان فرحان راشد هو القاص الوحيد الذي استمر في انتاجه القصصي منذ الأربعينات والخمسينات ثم انقطع فترة ثمان سنوات وعاد في ـ١٩٦٦ـ بقصة (احلام فتاة) من مجموعته سخريات القدر التي طبعت في الكويت ٠ ونشر حسن يعقوب العلي أولى قصصه في مجلة الرسالة الكويتية بعنوان (المنبوذ) عام ـ١٩٦٣ـ واستمر في الكتابة في الصحف المحلية الى أن اجتذبته الحركة المسرحية بالكويت في السنوات الأخيرة ٠

وارتبط معظم كتاب القصة القصيرة بالشعور العارم الذي اختلج بوجدان الطبقة المثقفة خلال الستينات ازاء التطور السريع للنظام الاقتصادي ٠ وتظهر مشقة البحث والصراع الذي يجول فيه البطل الرومانسي في قصص محمد الماجد ويظهر هذا في مجموعته (مقاطع من سيمفونية حزينة) التي أصدرها في بداية السبعينات بعد أن جمع فيها ما نشره من قصص ما بين ـ١٩٦٥ـ١٩٦٩ـ ،وأكثر ما تميزت به قصص الماجد هي نزعتها المتشائمة التي استمدت نقمتها وتمردها من فلسفة العبث

والعدمية، ثم تعبيرها عن الحالة الذهنية والوجدانية الممزقة بالحوار الداخلي الذي يرصد تلك الحالة، ويجسمها بدقة فنية شديدة، ويلعب هذا الحوار دوره الفني في أكثر من قصة حيث يخرج الكاتب بين تداعيات الوعي الداخلي لدى الشخصية وبين احساسها بالعالم الخارجي ٠٠٠ وانقطع محمد الماجدعن الكتابة فترة وانشغل بكتابة المقالة الصحفية وفي السنوات الأخيرة عاد الى كتابة القصة ولكنه لم يستفد من تجربته السابقة، فقد ظلت رؤيته وتأثيره الثقافي ولم يستطع مع عودته أن يهتدي الى شكل قصصي يمكن أن يلتفت اليه بعناية، وكانت مجموعته الأخيرةالرحيل الى مدن الفرح التيصدرت في ـ١٩٧٧ـ، ويظهرالتمازج بينالعنصرالرومانسي والعنصر الواقعي في بعض قصص سليمان الخليفي ومحمد الفايز وأمين صالح وفي معظم ما كتبه أحمد حجيري في القصة القصيرة ٠ فمن مجموعة (هدامة) للكاتب سليمان الخليفي نجد قصة (الأسئلة المغلقة) عام ـ١٩٦٤ـ وللكاتب محمد الفايز نجد (أم عبد الله) (العيد والذباب) ، ولأمين صالح نجد قصة (انسان وقضية) عام ـ١٩٧٠ـ وقصة (الحبيبة وقسوةالانتظار) عامـ١٩٧١ـويتميز أحمدحجيريمن بين جميع كتاب القصة القصيرة في البحرين والكويت بتعلقه الشديد بواقع القرية وتصوير اللوحات الواقعية التي يستمدها من الريف البحراني ٠ ولقد عالج غيره من الكتاب موضوعات تنتهي الى المجتمع الزراعي في القرية نذكر منهم ـ محمد الفايز ـ محمد عبد الملك ـ خليفة العريفي ـ أمين صالح ـ خلف أحمد خلف ـ عبد الله خليفة ـ وجميع هؤلاء باستثناء الفايز من كتاب القصة القصيرة في البحرين ٠ ونجد الحديث عن الريف واضحاً في قصص أحمد الحجيري كقصة (أحاديث الليالي المقمرة)ـ١٩٧٢ـو (الثأر) و (بعد الفضيحة) عام ـ ١٩٧٠ ـ و (الولادة العسيرة) ـ ١٩٧٠ ـ و (الوالد وآخرون) كتبت عام ـ ١٩٧٥ ـ ويبدو الكاتب وهو يطمح الى تطوير أسلوبه ولكنه يظل مثقل الخطى في صياغة منظور فكري ثابت ٠ ولعلنا نستطيع القول ان أكثر الملامح الفنية المتطورة في معالجة قضية القرية قد جاءت بدلالة كلية لمعنى وجود القرية في ذهن البطل ٠٠٠

وتتفتح مفاهيم النظرة للواقعية لدى جيل الستينات عندما يدور حوار في النقد النظري بين ثلاثة من كتاب الحركة الأدبية في البحرين وهم محمد الماجد وعلي سيار وغازي القصيبي ٠٠ فقد كانت بداية علي سيار مع القصة الواقعية القصيرة أكثر تبكيراً من غيره ومع ذلك فقد استطاع أن يقوم بتأصيل بعض التقاليد الفنية في القصة التحليلية ، وأن يؤكد بعض القيم الجديدة التي تشكل نسيج النموذج الواقعي في القصة القصيرة ٠٠ يأتي بعده الكاتب سليمان الشطي ، الذي انتقلت اليه القصة القصيرة في الكويت باستفادتها من التعبيرية ونحوها من المفاهيم الحديثة في الأدب والفن ، وقد جاء ذلك معبراً عن تطور المقدرة التحليلية وازدياد المعرفة بقضايا الشكل القصصي بعد ثبات التوجه نحو الواقعية ٠٠ ثم يبدأ بعض الكتاب بالتخلص من القيود والرواسب الرومانسية كخلف أحمد خلف في قصة (حكاية عن الانسان والقهر) ، التي كتبت عام ـ١٩٧٠ـ٠ والكاتب الكويتيعبدالعزيز السريع الذي انصرف الى المسرح واصبح أبرز كتاب المسرحية الكويتية(٧) ٠ ولهذا الكاتب عدة قصص منشورة مثل (القططان) و (الذبابات الثلاث) و (الخلاص) ٠ والكاتب الثالث هو سليمان الخليفي الذي يبدو متأثراً بالطابع الملحمي ، ويظهر ذلك في قصة (اختلاط) المنشورة عام ـ١٩٧٢ـ من مجموعته (هدامة) ٠ ثم يظهر استفادة الكتاب من تكنيك الرمز متمثلاً في قصص الكاتب عيسى هلال كقصة (خميس) عام ـ١٩٧٣ـ ولعل من القصص القصيرة التي دلت على الاحساس بتفاعل رموز التاريخ مع تناقضات الواقع الراهن قصة (الحاجز) لأمين صالح ٠٠ وينحو كثير من كتاب القصة الواقعية القصيرة نحو دمج الماضي والحاضر في وحدة ذهنية متحركة ٠ ومن بين من يسوقهم التحول من الاستمرار الرومانسي أتى الاتجاه الواقعي والنقدي خليفة العريض في قصة (الدخول الى الدائرة) المنشورةعام ـ١٩٧٤ـ ٠٠٠ ويعتقدالكاتب انمحمد عبد الملك هو أبرز من ترتبط تجربته القصصية بالامتداد الاجتماعي والايديولوجي في هذه الفترة مما يجعلنا نعتبره من أكثر كتاب القصة القصيرة تأصيلا للمقولات الجمالية في الواقعية النقدية ، اذ تركز جهوده في مدى عشر سنوات على تبني الأسس الفنية والنظرية للتراث الواقعي التقليدي ، ويطرح في مجموعته (موت صاحب العربة) الصادرة عام ـ ١٩٧٢ ـ و (نحن نحب الشمس) الصادرة عام ـ ١٩٧٥ ـ أخصب دلالات الاجهاد والاستهلال في



الطبقة الاجتماعية العريضة ٠٠ وقد وجدت القصة القصيرة عند محمد عبد الملك امتدادها الايديولوجي في قصص عبدالله علي خليفة ، وهي زاوية لامتداد لواقعية عبدالملك النقدية ، وزاوية المحتوى التعليمي الايديولوجي الذي يندغم مع صياغة الكاتب للموقف بوعي وبغير وعي ، ونجد هذا في قصصه (القرار) ونشرت عام ـ١٩٧٣ـ (الغرباء) (السلوى)، وتظهر في ذلك الوقت (لحن الشتاء) مجموعته القصصية الأولى التي بالرغم مما توحي اليه من أشكال فانها تسعى ظاهرياً لتجاوز بعض التقاليد السابقة في القصة الواقعية القصيرة لذا فانه لا يستطيع أن يحقق تطوراً فنياً ، بل تنحرف لديه بعض تجاوزاته ، وبدلا من أن ينغمس في مظاهر الوجود الاجتماعي والنفسي للمشكلة ، أو يكون النموذج محدداً بتعبير الموقف عن الاستغلال الاجتماعي في معاني مباشرة، وموضوعات تفتقر الى غنى الأسلوب أكثر مما يفتقر الى سهولة المادة وقربها الشديد فنيا من ذوق الملتقى ٠٠ ٠

وهكذا يظهر أنه منذ أن خرج كتاب القصة القصيرة في البحرين ، والكويت ، من الاستمرار الرومانسي والقضية الأساسية أمامهم، أصبحت ذات شقين يتجاوب صداهما كل في الآخر، وهي البحث عن الجوهري بين تناقضات الواقع ، والبحث عن أسلوب تتلاءم وسائله مع منظور البحث السابق، وقد تشكل هذا البحث في أعمق صوره ، كان أكثر حرصاً على التأصيل في أسلوب القصة ذات الواقع النقدي ٠ وتأتي قصص أمين صالح وخلف أحمد خلف ، من الوجهة التاريخية ، توجيهاً وايقاظاً لأهمية القيم التطورية الجديدة ، التي ينبغي أن يسايرها الفنان في مواجهته للواقع ، لازاحة الكثير من تراكمات التراث الواقعي التقليدي ٠٠ ويمكن القول بأن القصص الأخيرة لخلف أحمد خلف ، وهو الذي يساهم مع أمين صالح في خلق واقعية جديدة للقصة القصيرة ، لا تختلف مصادرها كثيراً عن قصص أمين صالح ٠ وكانت قصة (عودة الرؤيا) بدءاً حقيقياً للتجربة الحديثة في القصة القصيرة، وان كلا من خلف أحمد وأمين صالح يتفقان على خلق موقف انساني جديد عن طريق الوعي الشعري بالحياة٠ وهي علامة على أن القصة القصيرة في الخليج العربي تربط تجاربها بالتجارب المتطورة في الآداب الأخرى ، بل اننا نعتقد أن القصة الحديثة عند أمين صالح وخلف أحمد خلف ماهي الا امتداد للقصة العربية الحديثة٠

والى جانب السليمانيين (الشطي والخليفي) ظهرت أسماء كثيرة في الكويت زاولت كتابة القصة في الصحف والمجلات المحلية وقد اختلفت نسبة تواجد التأصيل في أسلوب القصة ذات الواقع النقدي، وتأتي المقومات الفنية والاجتماعية بين هذه القصة وتلك وبين هذا الاسم أو ذاك لعدم تفرغ أكثر الكتاب ٠ ولأن أغلب ما قدم كان أشبه بالخواطر الأدبية أو القصائد النثرية٠ ومن بين (٤٣)كاتب وكاتبة يختار الكاتب الناقد فهد اسماعيل في كتابة القصة القصيرة ففي الكويت يوجد (١١) كاتباً منهم على أنهم مميزون عن غيرهم ولديهم امكانية لظهورهم ككتاب موهوبين مستقبلا وهم : ـ فاطمة الناهض ـ فاطمة يوسف العلي ـ غنيمة مرزوق ـ عبد الأمير التركي ـ طارق عبدالله ـ محمد الفايز ـ عبد العزيز السريع ـ صقر الرشود ـ حسن يعقوب العلي ـ جاسم محمد الحمد ـ يعقوب يوسف الغربللي ٠٠٠ ويبرز منهم أسماء لكتاب طامحين ـ وهم : ـ ليلى العثمان ـ ثريا النخصمي ـ فاطمة عبد الكريم ـ وليد الرجيب ـ ويذكر أن السمات الرئيسية التي تعيشها القصة في الكويت هي :

١ ـ الواقعية الميكانيكية الفجة وهي واقعية نقدية ٠

٢ ـ بدء ظهور مؤشرات ايجابية توحي بميلاد أدب قصصي تقدمي هادف يعي مدى أهمية الوظيفة الاجتماعية للأدب الملتزم ٠

٣ ـ الكتاب الرواد وانصرافهم عن الكتابة بأفكار معاكسة لما كانوا يتبنوه في الأربعينات ٠

٤ ـ ملاحظة انتشار الفكر القومي بين أبناء الطبقة البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة في الخمسينات وأوائل الستينات مع رصد التغيير النوعي الذي طرأ على هذا الفكر بالاتجاه التقدمي ، الى جانب تغلغل الفكر العلمي لدى المثقفين من أبناء الطبقة البرجوازية الصغيرة مما أدى الى ظهور أصوات أدبية تبشر بالالتزام ٠

٥ ـ المشاركة الايجابية المؤثرة من جانب بعض القصاصين العرب الوافدين ٠

٦ ـ الانتشار الجماهيري للصحافة وخاصة في السنوات الأخيرة وما طرحته المنافسة من

تسابق هـذه الصحف عـلى اصدار الملاحـق الأدبية بالاضافة الى تواجد بعض المثقفين من ذوي الحس والنقد والاتجاه الأدبي المتخصص للاشراف على تلك الصفحات • هذه العوامل أدت الى تنشـيط وتطوير الحركة الأدبيـة عموماً والقصصية على وجه التخصيص •

وحتى لا نبخس بقية الكتاب المهتمين بمختلف النواحي الأدبيـة الأخرى نورد هنا ذكر أسمائهـم وبالذات كتاب البحرين ••

في كتابة القصة القصـيرة كما ذكر ابراهيـم غلوم في دراسته يظهر منهم كأبرز الأسماء : محمد الماجد ـ خلف أحمد خـلف ـ محمد عبد الملـك ـ أمين صالح ـ عبد القادر عقيل ـ منيرة الفاضـل ـ نعيم عاشـور ـ عبد الله خليفـة ـ فوزية رشيد •

اما من كتّاب النقد :

فيبرز منهم الدكتور محمد جابر الأنصاري ـ وحسين الصباغ ـ وعلـوي الهاشمي ـ وابراهيـم غلـوم الى جـانب بعض الكتـاب الذين يقدمـون اجتهادات فردية من المقالات النقدية في الصحف وفي الكتب المطبوعة المختلفة مثل : أحمد المناعي ـ أمين صالح ـ محمد عبـد الملك ـ يوسف يتيـم ـ منى غزال ـ خلف أحمد خلف ـ قاسم حداد ـ راشد نجم ـ علي حسن يوسف ـ يوسف حمـدان ـ علي سـالم العريض ـ عبدالجليل الصفار ـ عبدالحميد المحادين •

أما في المسرح فلـم تظهر كتباً مسرحية انمـا ظهرت أسماء لكتـاب كتبوا في المسـرح أمثـال : أحمد جمعة ـ خلف أحمد خلف ـ ابراهيم بوهندي ـ يوسف سند ـ منى غزال ـ محمـد عـواد ـ عيسى الحمـر •••

وفي كتابات الأطفال لم يتخصص سوى القلة من الذين يمارسون مجالات أخرى في الكتابة أمثال : خلف أحمد خلف ـ ابراهيم بشمي ـ عبد القـادر عقيـل •

الى جانب هذا لا نغفل ذكر الكثير من الشعراء والشاعرات اللواتي لديهن مخطوطات في طريقهـا للظهور مثل : فوزيـة السندي ـ ايمـان أسـيري ـ منى غزال ـ سلمان الحايكي ـ علام عبد الله الذي ظهر له ديوانان في الفترة الأخيرة ديوان شعبي هـو سكاي العطش وديوان فصحى وهو شمس العطش ـ وحسين علي يحيى •

وفي الرواية الطويلة لم تظهر سـوى راويـة الجذوة لمحمد عبد الملك وروايتين لعبد الله علي خليفة كما نشرت رواية لمنى غزال ـ وأمين صالح ••

وفي التـرجمـــة ظهـرت قصائـد مترجمـة لعبد القادر عقيل انما ما زالت مخطوطة وظهـرت ترجمات سينمائية في النقد السينمائي والسيناريو لأمـيرة صالح •

وهـذه الفكـرة المبسطـة عـن أدب البحرين ـ الكويت سريعـة تعتمد في غالبهـا على مصادر جاهزة وليست عن جهد شخصي وذلك بسبب السرعة الشديدة التي توجبها مناسبة اعداد هـذا الملف الصغير • الا أنني من خلال معرفتي بالكثير من هؤلاء الأدباء الشباب أرجو أن تسنح لنا الفرصـة لنتعاون في اعداد ملف عن الأدب البحريني شامـل وموسع ليكون سمة تميزهذا الثراء الفكري والتدفق الأدبي في هذه الأرض المميزة من العالم العربي ••

منـى غـزال
١ ـ ١١ ـ ١٩٨٢

□ ● □

الحواشـي :

١ ـ المقدمة من كتاب القصة القصيرة في الخليج العربي : ص ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ عن دراسة للدكتور محمد عزيز شكري •
٢ ـ الأقلام : السنة الخامسة عشر ١٩٨٠ العدد الخامس شباط ص ٣ •
الأقلام : السنة الخامسة عشر ١٩٨٠ العدد الخامس شباط ص ٤ •
٣ ـ هذه الدراسة من مجلة كتابات الفصلية العدد الرابع عشر السنة الرابعة ١٩٧٩ •
٤ ـ القصة القصيرة في الخليج العربي ـ الكويت البحرين ـ ابراهيم غلوم ص ٥٢ ـ ٥٣ ـ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ •
٥ ـ نفس المصدر ص ١٦٢ •
٦ ـ نفس المصدر ص ٤٠٦ •
٧ ـ نفس المصدر ص ٥٣٤ •

انطباعات عن الحركة الأدبيّة في البحرين

بإشراف : أحمد المناعي

ما كادت علامات التطور الاجتماعي والسياسي تطفو على ساحة الوطن العربي متمثلة في انتفاضات التحرر من الأنظمة الرجعية والاستعمار والتمرد على نمط الحياة الفكرية والاجتماعية التي تفرزها تلك الأنظمة الفاسدة ، حتى سرى أثرها في المجتمع البحراني فدفعه الى كسر قيود العزلة والتقوقع والاتجاه نحو الانفتاح على العالم واحداثه وتياراته الانسانية ومن ثم تضامنه مع كل المكافحين من أجل الحرية والكرامة الانسانية بكل ما تيسر له من وسائل التعبير ٠

وبانهيار جدار العزلة والتقوقع نتيجة لاطلاع الشباب على تيارات التجديدفي الأدب وخاصة مدرسة الشعر الحر والثقافات الأجنبية الحديثة التي تأثروا بها كثيراً ، أخذت تظهر الى الوجود ومضات أدبية متنوعة ساعد على نموها وتحسين عطائها عودة الصحافة المحلية الى الحركة والنشاط ، حيث واكبت هذه المرة نهضة أدبية شابه تميزت بالادراك التقدمي والواعي ٠

وبالرغم مما وجه الى هذه الحركة الأدبية الجديدة من انتقادات قاسية وما أثارته هذه الانتقادات من ردود وجدل عنيف اتسم بالحدة والانفعال على صفحات المجلات ، الا أن الحركة الشابة استطاعت أن تثبت جدارتها لا عن طريق مقاومتها فحسب ، بل باستمرارها على العطاء والتنوع والتجديد ٠

وجاءت تلك المعارك الأدبية التي احتدم أوارها ـ وما زال ـ نتيجة الرؤية الجديدة التي طرحها الأدباء الشباب تجاه المفاهيم السائدة في الأدب ، وكذلك الأشكال الحديثة التي استخدمها الشباب بجرأة وصراحة ٠ لذا فقد صدمت هذه المحاولات الجديدة أدباء الجيل السابق وكتابه ومريديه، واستفزتهم لمعاداتها حين سحبت منهم شهادة التمتع بالأستاذية ـ ونعني بها تجاوز الأدباء الشباب بأدبهم ادراك الجيل السابق وفهمه وبرفضهم الانطلاق من النقطة التي جمد عندها ٠

□ الشعر :

في هذا المجال كشف الشاعر الشاب عن منابع جديدة لفنه ، فبدت قصيدته معاصرة تسير في صعود مستمر ضمن آفاق رؤية واقعية ملتزمة ، متخطية باصرار النظرة الرومانسية الضيقة ، نافذة بوعي الى العالم والانسان ، فالشاعر البحراني أخذ يواجه الواقع مواجهة صريحة وخارقة ولم يعد صوته خافتاً تحت أنماط معينة من الغنائية والمباشرة الساذجة٠

وكانت بداية الادراكات الواعية في الشعر حين اتجه علي عبدالله خليفة الى اسقاط قضية البحار

التي كانت تعتبر قضية الغالبية العظمى من الناس في الخليج على واقع الانسان المعاصر محولا ما فيها من أبعاد الى مادة شعرية ، أبرزت بوضوح موقفه تجاه هذا الجهد الانساني الضائع من جراء سطوة المتاجرين بقوت العاملين في استخراج اللؤلؤ من البحر تحت أقسى الظروف وأمرّ العيش ٠

فكان لجو المعاناة والكدح اللذين سادا في أشعاره صدى بعيد وتقبلا عظيم في نفوس الجماهير التي ظلت مدة طويلة بعيدة عن جو الشعر الذي لم يكن يعبر بصدق واخلاص عن آلامها وآمالها ٠

ركز علي خليفة في أشعاره في بادىء الأمر على ابراز صراع الانسان الفقير في الخليج مع البحر والظلم عبر قناع تاريخي وهو « تراث البحر » ، فجاءت صورها تجسيماً مؤثراً لأجواء البؤس والعذاب وتصويراً حياً للتمزق الذي يعانيه الانسان في ظل هذه الأجواء ٠

« واحذر البحر ، ففي البدء الدوار
عاصف ياتيك ٠٠٠ محموم الأوار
ومياه الشرب في فنطاسنا الهش العتيق
كبقايا القيء في جوف السقيم
زادنا تمر نخيلات عجاف
عاث فيه الدود وطرا ٠٠ ثم عاف
بعد ارز قدره قدر الكفاف »

كل ذلك داخل وحده نموذجية تجمع بين فنية الشكل وجدة المضمون ، فالوحدة العضوية والنضج الشعري ميزتان بارزتان في أشعاره ، كما يلاحظ اعتماد الشاعر في الغالب على أساليب الاثارة العاطفية من تمنٍّ ونداء وتحسر ومخاطبة ٠

« يا أصدقائي الطيبين
الفجر ما طل على قعر انزواء
ولهاث الأرض يدري كم قبور في أوال
أواه يا فجر بلادي ٠٠٠
يا حنين النبع ٠٠ يا ماء الزلال »

وانطلقت أشعار علي فيما بعد معبرة في امتداد طبيعي الى صعيد انساني منفتح على قضايا التحرر في كل مكان ، فكانت المعاناة فيها تحمل تعاطفاً انسانياً يدل على النضوج الفكري والفني عند الشاعر :

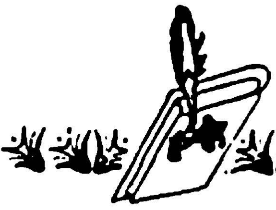
« أنا طفل ٠٠
يموت بضفة (الميكونج) مقتولا
وفي الأدغال كم ضاقت به الدنيا
وكم جالت به رجلاه مذهولا
فهذي أمة تهذي بلا عقل
ولا تدري ٠٠٠
لعمر عذابها طولا
فكل الأهل قد ماتوا
ومات الزوج والأحباب
ومات الزهر والأعشاب ٠٠ »

واستطاع علي في ديوانه الأول «أنين الصواري» ١٩٦٩ ـ أن يكون له لغة جديدة تشع من حولها هالة متميزة في الأداء الفني وانتقاء الألفاظ الملائمة الموحية ، داخل اطار من المحافظة على جزالة العبارة والوزن الحر الملتزم بقافية شطرية ، والاستفادة من التراث الشعبي وخاصة ما يتعلق بحياة الغوص ومصطلحاته ٠ وكان لنجاح علي خليفة في ديوانه الأول تأثير كبير في جعله مشدوداً ـ لفترة ـ الى الأسلوب الذي رسمه منذ قصائده الأولى في الديوان المذكور ٠ ولكن الشاعر تنبه في الآونة الأخيرة الى هذا القيد ، وبدأ يطرح محاولات جديدة ، اتسمت صورها بالحداثة ـ الى حد ما ـ والبعد عن رتابة الرنين والألفاظ الموقعة في آخر الأشطر ٠ وبرزت في القصيدة رؤية سياسية واضحة ، وخلفية مستقاة من نماذج المقاومة والتضحية في تاريخ الحركات الشعبية في البحرين ، وأبعاد رمزية من التراث الحضاري القديم كأسطورة دلمون « أسطورة الخلود » السومرية :

انطفات في عتمة الجب عيون النهار
و « دلمون » التي كانت بها بكارة الحياة
جارية مفرودة الساقين للشرطة والأغراب والمتاجرين
يلتهب الجرح الذي تخثر على البحر على أشداقه ،
يلتهب الجرح ومن قلبها
يستل « انكي » بغتة الانتفاض
يظل منه في حشاها اختمار
ومولد اللحظة ومض في جبين الرماد ٠

ان « أنين الصواري » لم يكن تعبيراً عن صراع الانسان مع واقعه فحسب بل عبر كذلك عن تجربة للشاعر في بحثه عن الحب كقيمة انسانية ٠

فالمجتمع البائس يخلق أناساً ممزقين في جوانب من حياتهم والفنان أقرب الناس الى هذا التمزق ٠ هكذا كان حال الشاعر في بحثه عن الحب في مجتمع



يعادي مثل هذه القيم ويدفع بالانسان الباحث عنها الى الانتحار أو الجنون •

وغـربتـي بـلا نسـب
ضربت في البلاد طولها وعرضهـا
محمـلاً بثقلهـا
بسورة الحنـين واختلاجـة القلـق
بكـل ما اكتفـا
بـداخلـي
وكـل مـا احتـرق
عدوت بالضيـاع في مجاهـل الضباب والألم
حملت رايتي وأحـرفي
عبـرت عالمـاً مزيـف القيـم

فمرارة التجربة العاطفية لدى الشاعـر تأتي من كونها جارحة وسرابيـة • فما ان يقترب منهـا حتى تتبدد •

« أرى هناك في مـدى النظـر
تلـوح لي عيناك في الصباح والمساء كالألق
كواحتـين دونمـا حـدود »

هذه ارهاصات لتجربة عاطفية قابلة للتحقيق أو الاخفاق ، ففي قصيدة « شهوة الطوفان » تقترب « الحبيبة » من عين الشاعر ولكن ما ان يحدق حتـى يشم رائحة الأصباغ وبقع الزيف التي ألصقت بها • فيتحول بحثه الى مجرد عزاء لتحمل آلام بحث جديد عن القيمـة الضائعة « الحب » • وهذا البحث هو كل ما يملكه الشاعر • فهو حين يفتح لنا « دفتر الوجد » فانما ينزع جلد صدره كاشفاً لنا عن الشيء الذي خلفته التجارب (الصغيرة) •

« ولـم يبـق سـوق نـدب
لجـرح غـاص في قلبـي
بآلام وآهـات صديديـة
ومـات الحـب ماتت رعشتي الأولـى »

هنا خفتت حدة التساؤلات وصار الموت هـو الاجابة الحاسمة لها بعد أن تـرددت طوال قصائـد الحب الصغـيرة •

قطار الحب يا قلبي تراه فات أم طوّل ؟
أم الساعات خانتنا فما عادت كما الأول ؟

قطار الحب تحطم والساعات لم تقف بل ماتت مع الرعشات الأولى •

الى جانب هذه الملامح اتسمت تجربة الشاعر في بحثه عن الحب بالتمني ثم بالمحاذرة منذ بدايتها• وبعدها أصبح الخوف من التجربة مستبداً بالشاعر• فكثرت تساؤلاته عن امكانيـة تحقيق التجربـة في الوقت الذي تتردد في القصائـد اشارات توحـي بالاخفـاق •

« صديق مخفـق في الحب حدثني »

وتوصلنـا هـذه الاشارة الى اخفـاق حقيقي يعبر عنه اعتـراف الشاعر في المقطـع الأخـير من « مقاطع من دفتر الوجد » خيبة •

« أسـى ما كنت أسمعـه
وتعـذيب وتجريـح »

على أثر هذه الخيبـة التي واجههـا الشاعـر باعتراف صريح لم يترك المجال لعنفوانها وحدتها أن يرميا به في متاهات الضياع • فها هي « زهرة في القلب » تنمو من رمـاد التجربة المخفقـة لتعطي وتواصـل العطاء •

رفاقـي هلموا ، بقلبـي زهـرة
تضـوع عطـراً ، وتمـلأ عمـري
جمـالا ونضـرة •

هكذا يتحول الحب من مجـرد بحث وتجربـة خائبة الى جرح كبير عميق الدلالة •

ان موقع علي خليفة لم يخلقه عطاؤه الشعري الفصيح والعامي الذي سيأتي الحديث عنه ــ فحسب انما أيضاً ممارساته ونشاطاته العملية من أجـل دفع الحركة الأدبية الجديدة نحو التطور والنمـاء والاستمرار • وهو يعكف حالياً على اعداد دراسة عن الموال في الخليج العربي وتعتبر هذه الدراسـة الأولى من نوعها في هذا المجال حيث تناول الموال كظاهرة فنية واجتماعية عبرت عن آلام وأفـراح الانسان الفقير في هذه المنطقة •

يأتي قاسم حداد كعلامة مضيئة أخرى ليوسع هذا المسار الشعري الجديد وليؤكد كذلك بأن الأدب ما هو الا توصيل واكتشاف مستمر • يتجه قاسم في مجموعته الأولى « البشارة » ١٩٧٠ الى التعبير عن قضيـة الانسان ، متخذاً في ذلك أسلوباً نضاليـاً مطبوعاً بالصراحة والوضوح ، معولا على الرمـز كمنبع لارواء قصائده بابعاد فنيه عن رؤية سياسية متفائلة الى حد بعيد •

قل للجباه السمر أن تهدي السلام
قل للتراب بأن في شط الخليج
رمـلا يتـوق الى الحيـاة
وعيـون أطفال تعيش بلا جباه
ولسـوف يرتاد الجميع ذرى الجبال
بلـغ سلامـاً للرجـال
وأصرخ بهـم : نسـر جديـد
سـيهب من عـين الخليـج
نسـر كبـير
ومن الخليـج الى الجنـوب ٠

هكذا كانت الرؤيا في البشارة رومانسية شفافة تتماشى وطفولة المرحلة الشعرية وبراءتها (النسر الكبير الذي يعلن موت الغـروب ، الأطفال الذيـن يحطمون أسوار التاريخ الفاسدة ، الطوفان الذي يغسل الأرض ويكتسح حديد السجن ليخلص القمر الحزين ويزرع في العالم السلام) ومع الرؤيا يطل الحب متردداً قلقاً موزعاً بين العاطفة والقضية ٠

يا أنـت يا كاتبـة الكتـاب
لا تفتحـي بوابـة الدمـوع
لا تندبي على غنـاء الوتـر المقطوع
لا تنشـري أشـرعـة الغيـاب

وفي البشارة ظل المنطلـق الفكري ساذجـاً ، وظلت القصيدة تطفح بالتفاؤل والأمل حتى أصبح من العسير على الشاعر أن يطلـق على مجموعتـه الأولى غير عنوان البشارة ويقدم لها « الى الأطفال بشارة الغد الآتي » فالمجموعة باختصار صرخة تفاؤل قـويـة ٠

شـبعت جزيرتنـا بكـاء
شـبعت شـقاء
فلتسكت الأنشودة الثكلى
وتشـرع في الغنـاء
أنشـودة الانسان والغـد والبنـاء

فجأة تصبح « البشارة » مرحلة تفصل بينهـا وبين المجموعة الثانية « خروج رأس الحسين مـن المدن الخائنة » مسافة طويلة ، فالقصيدة في المجموعة الأخيرة عافت تلك الرؤى الرومانسية وهدأ فيهـا صخب الأمنيات وضجيج التبشير ، أصبحت تنظر الى الواقع بوعي وتطل على المستقبل برؤية ناضجة ٠

ان الخروج من دائرة البشـارة مواجهة حقيقيـة للمستقبل كان على الشاعر أن يعبرهـا مختـاراً لا أن يتمنى ويحلم :

لـم يبـق لدينـا في الخيمـة
لـم يبـق سوى تلـك النجمـة
امـا أن آكـل من كتفـي
أو أبقى في الصحـراء وأكفـر ٠

ان الاختيـار كان استنفـاراً حقيقياً لقـوى التحدي والصلابة لدى الشاعر ، من هنـا اكتسبت تجربة (الخروج) عنفاً وحدّة ، وأصبح الموقـف أكثر ملامسة للطريق الثوري :

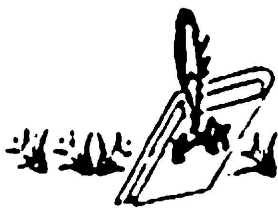
لبسـت وشـاح الرعونـة
ترافقت عبـر القـرون الحزينـة
حتـى انثنى السيف في هامتـي

في الواقع (الخروج) هزة انفجارية عنيفـة رافضة لكل المواقف السلبية (الانتظار ، التباكي ، الحلم بالثورة ٠٠ الخ) انها بالتأكيد صفة لمرحلة انهزامية نعيشها ٠

قفـا : لا
أيها الأحبـاب لا جـدوى
سيقتلنـا الـوقـوف
سـوف تميتنـا الدمعـة
قفـا نضحـك ٠

حين نؤكد على المسافة الطويلة بين « البشارة » و « الخروج » تبرز أمامنـا أمـور عـدة تحتـاج الـى توضيـح أكثـر ٠ الرمز ، اللغة ، استخدام الحروف ٠٠ الخ ٠ في البشارة الرمز كما هو عند شعراء الحركـة الأدبيـة الجديدة في بدء نشوئهـا دلالة جزئية مستعارة ٠ في «الخروج» يولد الرمز مع التجربة والتماعاتها الذهنية في الحالتين الرمز يستمد أهميته من ارتباطه بالواقع ، ولكنه في الثانية يمنح القارىء ـ بالاضافة الى الدلالة ـ هزة التعرف على الجوانب الخفية في القصيدة ٠

ترجل أيها الرجل المسافر في قتال العسكر الوحشي
آن لـك الأوان
عرج علـى تلك الخيام لكي تنام
« وطفول » تغسل كل ليل ، يستحيل الجرح في يدها
رسائـل تحمـل البـارود



توصلها لأطفال يصيرون انتفاضات أليفة
آه عبد الله لو جزر الغياب وساحل الزيت
استكانت
مت في خشب الصليب
آه لكن سوف يمشي الحبيب الى الحبيب ٠

من أبرز الرموز التي لا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائد مجموعتي الشاعر هو رمز الأطفال او الطفولة ٠ في المجموعة الأولى « بشارة الغد الآتي » تمثل الأطفال أما في المجموعة الثانية فتحولوا الى ضد الواقع المزيف وملجأ للتطهير من أدرانه :

تجاسرت
الغيت كل مواعيد قتلي
ولذت بصدر الطفولة

الحركة النفسية ، مدخل فريد وأساسي لفهم القصيدة في ديوان « الخروج » فالتدفق الانفعالي ذو الموجة العالية هو ما يحكم القصائد أو أغلبها في هذه المجموعة ، انه بناء جديد ينبذ التصانيف الفنية لهيكل القصيدة ، لا يتعامل مع المواضيع ، ان المتلقي حين يعي هذا المسار يندفع مع تدفق الانفعالي الى عالم شعري حقيقي لا حدود له تجتاحه حالة انبهار تشتد وتتصاعد تحت وقع الألفاظ التي تتألى كضربات مطرقة قوية وتكون الصور والأصوات المترابطة اضاءة قوية لها ، كل ذلك في حركة مستمرة لا تسمح بالاستراحة الا حين توصل المتلقي الى حد القابلية للتفجير ، وتبدأ تنحدر به حتى تهدأ ثم تعود ثانية :

وألغيت كل مواعيد قتلي
تجاسرت ، صرت احتضارا لهم
عانقتني جراح الرياح
وحين أتوا
قلت : « حاولت تغيير كل التضاريس في عهدكم »
قاطعوني
وسنوا القوانين ضدي
تجاسرت ، لكنهم جردوا السيف من غمده
حاصرتني الخيول
ولما أتت لحظة الموت كنت قتيلا على الأرصفة
عرضة للنكات السخيفة والضحكة النازفة

ليس جديداً استخدام الحرف في شعر قاسم ، فقد كانت تجربته الأولى في مجموعة البشارة في قصيدة « أبجدية القرن العشرين » ، وهي بالفعل كانت أبجدية لم يكن للحرف فيها ذلك البعد الرمزي أو الصوفي أو التشكيلي ٠ ان الهدف الأساسي لاستخدام الحرف عند قاسم هو اعطاء المعاناة الشعرية بعداً عميقاً يحيل المعنى الى حركة تنتشل المتلقي من حالة السكون في محاولة لتفجير القلق والشك بين المتلقي وواقعه المعاش أي أن الكلمة لا تمر مروراً عابراً في القصيدة ، انما تتحول عبر التجربة الشعورية الناضجة الى أداة حادة تجرح السكون والاسترخاء عند المتلقي :

لام تنثني تحرث صدر الآخرين
كل شيء يغرق الآن بضحكات القتيل
والسلاطين استفاقوا ، سقطوا

أو في صورة أخرى مرعبة تعمق حالة الاستلاب:

« جيم منجل تحصد الرؤوس وتبني على جثة الخليفة عالما ، عاد من صلبه ، ذهبت الى الموت ، لكن « طفول » هنا تساقط الآن كل الشموس بحضن العذارى »

أو حلم مخضب بالرفض والعنف والثورة :

« جاءت الياء تزحف في جسد المستحيل
تسمي البغايا باسمائها تمتطي المفردات
الغريبة ، توزع نار المحبة والأصدقاء
وتمحو تقاويم عصر المرابين ، تكتب عصر النقاء »

يمثل قاسم حداد طموح الشاعر الجديد الذي يسعى لخلق قصيدة تحتوي تعقيد العالم وتعبر عن قضاياه في أن واحد ، عن طريق انفتاحها ـ أي القصيدة ـ فنياً ونفسياً ، لا تحدها قوالب جاهزة ولا يتحكم فيها الزمان والمكان ٠

● علوي الهاشمي صوت ثالث متفرد في حركة الشعر الشابة ، ذو منبت رومانسي ما تزال الغنائية تلون قصائده حتى الآن في حالات الفضح والتعرية لواقعه المستكين ، تشعرك قصائده أنك أمام شاعر يمتلك السيطرة على اللغة والموسيقى ، ونقل تجربته بصدق عبر الفاظ رقيقة موحية وعبارة بسيطة التركيب ٠ وهو في قصائده العاطفية لا يعطي جديداً في المضمون :

غدا ترحلين كغيرك عني
وأبقى وحيداً ، كما كنت



أحمل فوق جبيني تواريخ حزني
وأغنيـــة راعفـــة
وحيداً ٠٠ وحيداً ٠٠ كمقبرة في الظلام
تخاطف عيني القطارات وهي تمر سراعاً
وتصفـر دون وقوف

وفي هذه القصائد تتحرك المرأة حبيبة جميلـة مشتهاة ، أما في قصائده ذات الرؤية الواقعية فتتحول الى رمز أو نبوءة ٠٠

على رصيف الشارع المقابل
رأيتهـا مكتوفـة اليدين واللسان
تمسح التراب عن وجوهنا ٠٠ تقاتل
تحمل فوق هدبهـا أحزانهـا الخضراء
أسرابـاً مـن الطيـور
تحمـل في جبينها مخاض هذي الأرض
حبـاً ثورة ، مشـاعـل
عرفتهـا بانهـا الحبيبة ٠٠

من أنضج قصائد مجموعته الأولى « من أيـن يجيء الحزن » ١٩٧٢ قصيدة الطوفان التي حاول الشاعر فيها أن يحقـق موروثاً شعرياً عن طريـق العلاقة بين الماضي والحاضر فحاول أن يوصل بـين الجد المتمرد والابن الثائر ، الجـد الذي أفـرغ تمرده في الأرض والأغاني والمواويل ، والابن الذي حول هذه البذرة الى مـدن من الرفض والثـورة والى جانب هذا الربط والتوصل والعناق تتضمن القصيدة مـوالا شعبياً ومقاطـع نثرية ، ومقطـع نثرية ، ومقطعاً غنائياً عذباً يتكرر كلازمة حتـى تصبح القصيدة شديدة التعقيد في تركيبهـا وهـذا ما يجعلها تنفرد بالوجدة بين قصائده المجموعـة ٠ والمقطع الغنائي المذكور هو الذي يفتح عادة بوابـة المقاطع الكبيرة ، فتنداح الصور في شكل مهرجان مشحوب بالرعب والموت والمخاطرة فاذا المقطع الغنائي العذب يجر وراءه الدم والأهـوال وصهيل الجياد الجامحة وألحان المـوت المبحوحة ووقـع الأرجـل الهائجة ٠٠ انه مفاجأة أو صدمة غير متوقعة تجابـه المتلقي فتهزه وتدهشه :

من أين يجيء الحزن الي وأنت معي
أبصر في عينيك الأكفان المصبوغة بالدم
تتفتـق زهـراً وحشـياً
وجيـاداً نافـرة الأعناق تخب الأرض
وترقص فـوق حبال الهم
قومـي نرقص فالحلبة خالية
والموسيقى عالية النبرة تدعونا للرقص
ولحن الموت ينادينـا مبحوح الصـوت
يزفر في أضلعنـا صخبـه
والأرجـل كاد يميت البـرد مفاصلها ٠

ان مجموعته الأولى « من أين يجيء الحزن » تعرف القارىء على مرحلة دقيقة يمر بها الشاعر ، هي مرحلة الانتقال من الرومانسـية المنفعلـة الى فضاء التعبير الواقعي٠ فالمجموعة تشكل مزيجاًعجيباً من الغنائية والرفض من الرقة والعنف ومن الغربـة والحضور ٠٠ وقصيدة الطوفان هي قمة التعبـير عن المرحلة التي يجتازها الشاعر ٠٠ أو هـي في الواقع جسر العبور ٠٠

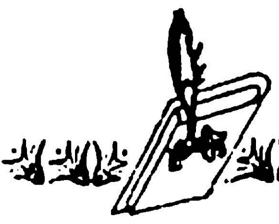
● دخلت ميدان الحركة الشعرية بعد هؤلاء الثلاثة مجموعة من الشباب تميزت أصواتهم بالتنوع والطموح نحو التجديد وأبرزهم ، يعقوب المحرقي وعبد الحميد القائد وعلي الشرقاوي ٠

يمتاز هؤلاء الثلاثـة (المحـرقي والقـائد والشرقاوي) بكثرة عطائهـم واستمرار تدفقـه ويلتقون في وجهة واحدة هي بحثهم الدائب عن لغة جديدة وصور مستحدثة ومفردات غير مستهلكة ، يفرغون فيها معاناتهم النفسية والفكرية ٠ يقـول المحـرقـي :

أنا الطفل كانت سمائي بيت العصافير
كـان الغنـاء الذي بيننا لغـة
كسـرت قيـودي
هربت من البيت جرياً وراء العصافير
لا تخبـري والـدي
أنا لن أعـود الى اللغـة الميتـة

ويقول القـائد :

فانا من رغوة الشمس تكونت ، ومن أرمدة النار ، تجسدت
تواريـخ الزمان المرعب الموغل في شتى عصور الدم والمـوت ، تجسدت الزوابـع
صـار اسمي قمراً ، نجماً بنفسج
صـار اسمي دمغة من عبق البركان في جفن كتاب السفـر



الراكض في جوف المحيط

. . . .

. . . .

صار اسمي مطراً يضحك في أوج النهار ·

وهم في أساليبهم يهدفون الى اثارة المتلقي ومحاولة هزه من الداخل بطرائق مختلفة تجعله في حالة من القلق واستفهامات ملحة لما وراء القصيدة وصورها الشعرية وأصواتها الداخلية ومفرداتها الغريبة كاللجوء مثلا الى تكثيف الصورة وتعميق بعدها الشعوري · يقول المحرقي :

الجنون سماء توصل للبحر

والبحر كاتبني فانتهيت اليه

صرنا صديقين ، عبنا ، اغتربنا

مات جوادي على حافة البئر هما

واقتادني الجند

« يا امرأة البحر مالحة شفتاك

ومن كتفيك سيطلع ريش الكتابة

أو استخدام الصور الشعرية الجارحة للذوق الأخلاقي الرفيع في الأدب في محاولة للاطاحة بازدواجية التعبير عند الفنان وازدواجية التذوق عند المتلقي ، ان هذه الصورة اذا ما اختلطت بالموقف الرفضي أصبحت كحد السكين الجارح للواقع المهترىء ·

ان الرفض هو الخاصية التي تمسح قصائد الشعراء ، وقد يكون الرفض أحياناً نابعاً من الحد من حرية الفنان وكبت ابداعه والاعتداء على شرف الكلمة الشعرية ، مما يجعل الصور معمقة بالتحدي والانفعال · يقول الشرقاوي :

تتراءى لي

أبيات من الشعر الملغية

أنثى تستجمع فخذيها كي تصفع غاصبها الهمجي

كي ترسم ظفراً في عينيه

موشوماً بالقتل الفاخر

هل يبكي قلبي أو يضحك ؟!

وقد يصل التحدي الى قمة انفعاله فيصير معانقة صوفية للثورة وتوحداً فيها وتمسكاً عنيفاً بالتعبير الجذري للواقع · هذا الموقف الحاد يخلق صوراً طقسية ذات لغة جديدة وزخم ثوري صوفي يجد في الشعر متنفساً له · يقول الشرقاوي ··

توحدت بالثورة العشق ، لم أرتديها نعالا

ولم أرتديها ثياباً

توحدت لا حاجزاً بيننا ـ والتراب

وقبل انعتاقي قبل انصداع الجدار

أتلومونني

ومن شفتيها بقايا حريق ، يرطب قلبي

« كنت معي مثل وجهي

كنت شهيقي

فكيف أكون غريباً

وأنت أنا في شهي العذاب

● الى جانب هؤلاء حاول يوسف حسن التعبير عن هموم القرية مع المحافظة على بساطة الصور الشعرية وسهولة تركيب العبارة والنفس الشعري القصير والرمز المباشر والدوران في لغة القصيدة الخمسية الحرة وتركيبها · أما حمدة خميس ففي أواخر الستينات نشرت عدداً من القصائد تعبر عن تجارب ذات نزعة وجودية استعانت فيها بالحوار الداخلي وتعدد الأصوات في القصيدة الواحدة مع محاولة الانفلات من شكل القصيدة السيابية · يعيب قصائدها اضطراب عام في الايقاع مع تشائم وقتامة في الصور ·

بقي أن نعرف أن هناك أسماء أخرى في هذا المجال بالاضافة الى العديد من البدايات الجنينية التي لم تبدأ بعد كما يجب ·

أهم مظاهر الحركة الشعرية في البحرين :

الاتجاه الواقعي الملتزم بالتعبير عن آلام الانسان البحراني وطموحاته والنفاذ منها الى التعبير الانساني الشامل من خلال رؤيا واضحة وصريحة تجاه قضية الانسان في العالم ·

القلق الثوري والرفض ، من أكثر المظاهر بروزاً في القصائد · وهي وليدة الظروف السياسية الصعبة المعاشة ، والمحيطة بالحركة الأدبية والمحدة من انطلاقها في التعبير والانتقاد ·

التركيز على النزعة الانسانية ذات البعد الثوري ، والابتعاد عن النزعات المتطرفة والعصبية الدينية والعرقية •

رفض الأنموذج التقليدي للقصيدة القديمة ، لعجزه عن التعبير عن نمط الحياة الجديدة التي تتطلب مناخاً فنياً يساير تطورها الفكري •

تعدد المنابع الفنية للقصيدة الواقعية ، وتجدد لغتها وتنوع الأساليب داخل التيار الواقعي الجديد•

تعميق القصيدة وصورها بالبعد النفسي والتأملي ، وتكثيف الرمز مما جعل الجمهور يعاني من صعوبة الفهم ، ويطرح على سطح الحياة الأدبية قضية الغموض ، ومشكلة العلاقة بين الفنان والجمهور •

تطور القصيدة السريع وملاحقة الشعراء لأحدث النظريات والمفاهيم ، من أجل التوصل الى قصيدة عصرية تتخطى المقاييس الثابتة والقوالب الجاهزة •

الاتجاه نحو الاغتراف من التراث الشعبي والحضاري لمنطقة الخليج ، والافادة من الجوانب المضيئة في تاريخه السياسي •

☐ القصة القصيرة :

في البداية لم تهتد القصة البحرانية الى البناء الفني الجديد من حيث الشكل والمضمون ، فقد لفحتها ترسبات القصة التقليدية أسلوب السرد التقريري والخطابية والبطل السلبي العاجز عن التعبير عن أزماته وهمومه ، البطل الذي يقذف الناس والعالم والأقدار باللعنات والاحتجاجات دونما رؤية واضحة للأشياء والمسببات، والأطر الرومانسية المغرقة في التصوف والانعزالية ، أو الأطر الواقعية التصويرية التي تنقل الحياة كما هي نقلافوتوغرافياً وغيرها من الترسبات التي لازمت القصة البحرانية في بداياتها ، والتي ما زالت آثارها عالقة لدى بعض القصاصين الشباب •

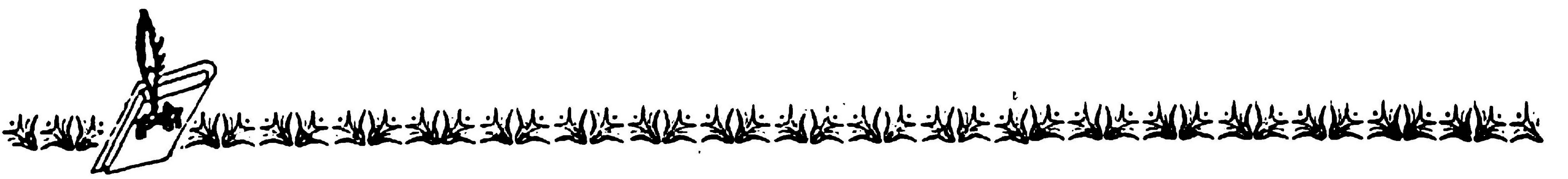
في المخاضات الأولى للقصة القصيرة ظهر مقال صغير في جريدة الأضواء للقصاص خلف أحمد خلف يدعو فيه الى ضرورة ايجاد « قصة متجاوبة مع الواقع » ويعد هذا المقال لفتة قيمة في تاريخ القصة البحرانية الجديدة • حاول « خلف » أن يضع دعوته على محك التطبيق مباشرة •

ولكنه حين نزل بقصصه ، لم يحالفه التوفيق في كتابة القصة المتجاوبة مع الواقع ، فجاءت الموضوعات قديمة ومستهلكة لدى قاص الخمسينات وبدت المعالجة ضعيفة • والأسلوب لزمه التقرير والوصف التسجيلي • والأحداث والمواقف متكلفة ومفتعلة أحياناً ، واختفت ملامح الشخصيات عندما تقلد القصاص دور الرواية ، وكانت المقدمة عبارة عن تلخيص لفكرة القصة ، وانهاء القصة بمأساة أو حل جزئي يحققه البطل •

ومن خلال حديث القاص عن البطل ، نتعرف على البطل ، فنجده انساناً يعاني من تزمت المجتمع الديني أو القبلي ، أما رؤية البطل فاصلاحية محضة ، أو ثورية ضيقة الأفق والوعي ، هذه البدايات مع كونها فتحت الطريق للقصة البحرانية الجديدة ، هي – أيضاً – محاولات تخطاها « خلف » بقصص جيدة ، تخلص فيها من رواسب الشكل التقليدي للقصة ، فبطله بدت ملامحه أكثر وضوحاً وصار يمارس أحداثاً يومية ملتصقة بالقضايا الأساسية للانسان ، ففي قصة «وجهان وفأر مذعور» استلهام جيد لأحداث الثورة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، يطل بها « خلف » على البيئة المحلية وقضاياها التي تتشابك فيها المواقف والأحداث الى حد كبير كما يلاحظ في القصة تطور في الشكل • فقد استعمل القاص الحوار الداخلي والهوامش والجمل الطويلة ، وفي قصة « اللعبة » يلحظ فيها تطور الى حد ما في الحبكة والحوار والتحليل واستخدام الرمز•

☐ محمد الماجد :

أحد القصاصين الشباب ، دخل ميدان القصة بأسلوب مغاير تماماً لزميله خلف • اذا تطرق في قصصه منذ البداية الى قضية الضياع والعبث عند الجيل الجديد من الشباب ، ركز في قصصه على ابراز النفسية القلقة الضائعة وسط زيف الحياة وآليتها •



من خلال مجموعته « مقاطع من سمفونية حزينة » نتعرف على ملامح القصة وشخصياتها ٠ القصة تتحرك في اطار رومانسي تراجيدي صوفي ، يجعلها بعيدة كل البعد عن المفهوم الفني للقصة ٠ فهي أقرب الى المذكرات والخواطر وخاصة ان وحدة الأسلوب وتكرار الفكرة والشخصية الثابتة هي سمة المجموعة القصصية كلها ٠

ان هذه الوحدة تؤكد لنا أن البطل في المجموعة هو المؤلف نفسه ، يطرح نظرته الوجودية للواقع « الحياة بلا معنى ، فليضع كل منكم معنى لحياته » ويفصل المعنى المراد بهذه العبارة « كونوا مزيفين دائماً لكي تربحوا الحياة ، ففي شرقنا المريض لا يربح الحياة الا المزيفون » هذه هي فلسفة المؤلف على لسان بطله الذي يعيش جحيم الضياع والعبث في كل قصة ٠ يعلل البطل ضياعه بفشله الدائم في الوصول الى غايته وهي السعادة في الحب ٠ ولكن التأمل في سلوك البطل يعطينا عكس ذلك ، فهو في الواقع يعيش الاخفاق مع نفسه وبالتالي فالاختلاف مع الآخرين ومع العالم الخارجي أمر محقق ، فالبطل في الحقيقة يعاني من أزمة وجودية ، وتساؤلات ميتافزيقية جرته الى الحزن النفسي والضياع الفكري ومن ثم الى عدم الانسجام مع العالم ٠ الفشل في الحب هو قناع وضعه المؤلف ليحجب بها رؤية بطله ، فالرؤية التي يطرحها المؤلف من وراء الستار هي الضياع الفكري ولكن رسم البطل بذات واحدة في حالتي الوعي واللا وعي أزال ملامح الشخصية وأطاح بالرؤية والموقف والحدث ومعنى ذلك أن لا وجود لقصة تفتقد هذه العناصر٠ ان مفهوم القصة كفن يكاد أن يكون غير مستوعب استيعاباً كاملا لدى القصاص وأكبر دليل على ذلك قصة « ثلاث أغنيات على فم التاريخ » فقد تحولت القصة الى قصيدة نثرية مغرقة في الرومانسية « في البدء قرأت اسمي منقوشاً على صفحة الكون ورأيت وجهي متلألئاً في مرايا التاريخ وسمعت صوتي يتدفق من حنجرة الزمن » ٠ الماجد قصاص لديه القدرة على الكتابة ولكنه يعجز عن توظيف الصور الفنية التي يستخدمها في تطوير الرؤيا لديه وبالتالي تأتي الجمل بلاغية راقية لا تناسب الشخصية ، والصور مفتعلة في الموقف والحوار فلا تخدم الحدث وتسقط في التعبير الشعري ٠

☐ محمد عبد الملك :

هو البداية الفعلية للقصة الواقعية ، فمن قصصه سقطت أغلب ترسبات الشكل التقليدي ، صدرت له أخيراً مجموعة قصصية بعنوان « موت صاحب العربة » ١٩٧٣ ، ينزع القصاص في مضمونه الى التعبير عن البيئة المحلية وبالذات كفاح الطبقة الفقيرة في المدينة والقرية ٠ الشخصية في قصصه تخضع للتحليل الدقيق ، لأهوائها ، وميولها وأفكارها ، يرسم لها أبعاداً متناهية في الدقة والتنسيق ، ويركز خاصة على الصراع ، صراع الانسان مع قوته ويرسم بالحوار الداخلي مدى ارتباط هذا الانسان ببيئته وأشيائه فتأتي الأجواء في القصص مشبعة بالحركة واللون ٠ البطل في القصة يعبر عن روح انسانية صميمة ، تمارس فعلها بعفوية الانسان البسيط المسالم – غالباً – الذي لم يتعلم بعد كيف يواجه الاستغلال والظلم ٠ عبد الملك يعتمد كثيراً على تصوير الأحداث والمواقف الى درجة الحرفية ، مما يجعل معظم قصصه تخلو من الرؤية الواضحة ٠ فالتعبير عن صراع الانسان الفقير مع الحياة وقوت يومه لا يكفي ان لم يكن هناك موقف ورؤية للبطل ، تجعل من القصة فناً متكاملا ذا قيمة ٠

« قوس قزح » من القصص التي تنفرد بمضمونها الجديد ورؤيتها الواقعية الواضحة ٠ يعرض فيها القصاص نموذجاً جديداً .هو المثقف البرجوازي الصغير الذي يعيش التناقض في موقفه والبلبلة الفكرية والازدواجية ، المثقف الذي يدعو الى القيم الثورية في مراحل حياته المبكرة ، ثم يحاول أن يتخلص منها نتيجة للتناقض بين طموحاته الفردية وطموحاته الجماهيرية التي كان يتطلع معها الى حياة أكثر اشراقاً ورفاهية ، فيسقط في أزمة نفسية حادة ٠ ان هذا النموذج صورة حقيقية لواقع طبقة معينة في المجتمع العربي تلعب دوراً مهماً فيه٠ حاول القاص أن يعطي المضمون الجديد شكلا مناسباً، حيث نجد الجملة المكثفة المتقطعة واستخدام الرمز والحوار الداخلي المتوتر ٠ عبد الملك يملك الموهبة ووفرة الانتاج وبهما يستطيع أن يحقق له مكانة رفيعة في القصة الجديدة في البحرين ٠



من القصاصين الشباب الجدد الذين استطاعوا أن يطوروا أدواتهم ويكونوا لهم أسلوباً متميزاً القاص أمين صالح • في قصصه التي ينشرها في المجلات المحلية والعربية ، تظهر لنا مدى الاستفادة من تجارب القصة القصيرة الأجنبية والعربية الحديثة • يعتمد القاص في أسلوبه على الايجاز وشحن الجملة بدلالات وأبعاد عميقة في الرؤية والحوار المركز • ومن خلال الصور الخاطفة في الجملة أو الحوار تجري أحداث القصة ومواقف الشخصية « وضع الغريب وردة في شعر الفتاة الغزير الفاحم ، ثم اختفى وذابت الفتاة دهشة ، ولأن الشارع كان وحيداً لا منعطفات فيه ، فقد توقعت أن تراه وهو يسير ، ولكنها لم تره ، فذابت دهشة » •

القصة عند أمين صالح غوص في أعماق الواقع المعاش والأشياء وكشف عن العلاقات الخفية التي تتحكم في مصير الانسان وحركته ، فالمعالجة لديه ليست سكونية ، بمعنى أنها ليست متعة ، بقدر ما هي تحريك عند المتلقي وادخاله في حدود العمل الفني •

وهناك مجموعة أخرى من القصاصين الشباب برز منهم محمد مصطفى خميس وخليفة العريفي وعيسى هلال وأحمد جمعة وعبد الله علي خليفة وأحمد حجيري •

* * *

بتصرف عن كتاب التعريف بالحركة الأدبية الجديدة في البحرين •

اعداد مجموعة من الأدباء باشراف :
أحمد المناعي



دراسة تطبيقية لرواية الجذوة
على ضوء المنهج الواقعي

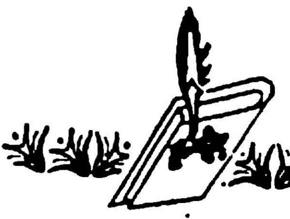
بقلم: يوسف عبدالله يتيم

□ **تمهيــد :**

تنتمي رواية « الجذوة » الى اللون الأدبي المسمى « بالرواية القصيرة » Novelette وليس الى الرواية بمعناها الدقيق أي بمعناها الملحمي ، فالجذوة رواية من حيث كونها تحتوي على عناصر الرواية من جهة ، عندماتطمح في تقديم بانوراما أو نظرة شاملة لمرحلة أو لمراحل محددة من حياة بعض الشخوص (ولا سيما العامل فرج الشماس وابنه شاهين والحارس مشعل الياس ورحيم غزوان وميرزا عجب والمدير العام) ، حيث تعكس هذه الشخصيات وبشكل متفاوت وبدرجات مختلفة ، متباينة ، مرحلة محددة من مراحل تطور مجتمعنا ، بدءاً بمنتصف الخمسينات ،مروراً بالستينات • وقد تجلت تلك المرحلة على مستوى الشخصيات في فرج الشماس ،مشعل الياس والمدير العام على وجه التحديد ، بينما عبرت ــ وبحدود معينة ــ شخصيات مثل شاهين فرج ورحيم غزوان وميرزا عجب ــ والى حد معين ، السكرتيرة رجاء عن فترة زمنية في تلك المرحلة بدءاً من منتصف الستينات الى بداية السبعينات • وغني عن البيان ، فان تلك المرحلة وفي فترات زمنية محددة ، كانت حبلى بالأحداث والتحولات النوعية في بنية مجتمع ما بعد اكتشاف النفط،

حيث نشأت علاقات اقتصادية واجتماعية جديدة في أحشاء المجتمع القبلي ــ الاقطاعي الذي تفتتت وتحللت علاقاته بالتدريج وبفعل قوانين التطور الاجتماعي حيث أخذت تنمو العلاقات الرأسمالية المتقدمة تاريخياً على علاقات ذلك المجتمع القبلي الأمر الذي أدى الى تشكل مجتمع شبه رأسمالي بعد استخراج النفط ، تحددت ملامح تطوره اللاحق على طريق التطور الرأسمالي بشكل أوضح بعد دخول الشركات المتعددة القوميات والبنوك الأجنبية وتزايد مشروعات الانتاج الرأسمالية واتساع رقعة نشاطها الاقتصادي داخل البلاد ، الأمر الذي تمخض عنه نشوء قوى اجتماعية جديدة كالعمال والرأسمالية

الوطنية تحالفت تارة لتهشيم أسس المجتمع القبلي القديم وتناقضت فيما بينها تارة أخرى وذلك طبقاً لتقارب أو تباعد مصالحها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد تجلى ذلك التناقض في الصدامات والمعارك الاجتماعية التي عصفت بالمجتمع في الخمسينات والستينات وعلى مشارف السبعينات • وقد طرأت على بنية المجتمع ــ ولا سيما في منتصف السبعينات ــ تغيرات سريعة وجديدة كنتاج لتلك المعارك الاجتماعية خففت نسبياً من هذه الصدامات الاجتماعية السابقة وقد تمثلت تلك التغيرات في الانتعاش النسبي للاقتصاد بشكل عام • وما كان من الممكن تمثل ظواهر الوحدة والصراع بدقة



وتجلي قانون تطابق وتناقض علاقات وقوى الانتاج الرئيسية في المجتمع وانعكاس تلك الظواهر وذلك القانون في الوعي الاجتماعي ، الا بعد انقضاء المرحلة المذكورة أعلاه . (ولسنا هنا بصدد تأريخ تلك المرحلة . وهذه الدراسة لا تطمح الى أبعد من بحث رواية الجذوة وكذلك وضع مقدمات نظرية عامة ، ميتودولوجية لاستيعاب ظاهرة الرواية ووضع بعض الأسس المنهجية لدراسة الظاهرة المذكورة في الحركة الأدبية البحرينية في المرحلة الراهنة) .

ان الاشارة العابرة هنا لظواهر الوحدة والصراع تومىء الى أن بعض أحداث رواية الجذوة وملامح الشخصية تفصح ـ بهذه الدرجة او تلك ـ عن تجلي الظاهرة المعنية وبصرف النظر عن وضوح أو غموض ذلك التجلي ودرجات انعكاسه في الوعي الاجتماعي لشخوص الجذوة .

من هنا ، واذا ما وضعنا في عين الاعتبار طموح الرواية الى التعبير عن مرحلة أو مراحل من حياة مجتمعنا ، وبجانب تجلي الظاهرة الاجتماعية المشار اليها وبغض النظر عن درجة التجلي تلك ، فاننا سنجد في الجذوة ما يتيح لنا القول بطابعها الروائي من جهة . أما من جهة أخرى فسنرى فيما بعد أن الجذوة تنتقي أو تنتزع لقطات سريعة ومكثفة من حياة شخصيات أخرى ظهرت لنا اما في شكل نماذج مكملة للنموذج الأصلي (أي للأب فرج وابنه شاهين) أو في صورة شخصيات هامشية عادية لا تعبر عن مرحلة بأسرها أو عن فئة محددة من الناس وبخصائصها وقسماتها المشتركة وذلك اذا ما وضعنا في عين الاعتبار مبدأ (النمذجة) كعنصر ضروري في بناء العمل الروائي .. هذه الشخصيات هي على وجه التحديد والدقة ـ سعد مختار وعنتر السجان وأبو محمد ، والتي لم تربطها روابط علية سببية بالحدث الروائي . وسنأتي على ذلك بالتفصيل فيما بعد .

وهذا الأمر يخلق في هذه الرواية القصيرة ميلا للجمع بين خصائص شكلين من أشكال القصة (أي القصة القصيرة والقصة الطويلة) . ان الميل العام أو النزوع نحو خلق بانوراما لحياة النماذج عبر الحدث والفعل ، والرغبة الجامحة في تغطية حياة كاملة أو مرحلة معينة من حياة الشخصية ومصيرها التاريخي ، وبصرف النظر عن درجة التحقق والتجسد المادي لتلك الرغبة في العمل الروائي ، يشكل سببا رئيسيا في الانعطاف نحو الرواية القصيرة بشكل عام . كما أن المتتبع عن كثب للاتجاهات الأدبية الأخيرة ، سيجد أن هذه الاتجاهات تبحث عن أشكال وأساليب فنية جديدة في النثر . « لقد أضحى البطل النموذج الملحمي شائعا على نحو متزايد بحيث أصبحت القصة ـ النثر دون ذلك النموذج غير مقنعة . وهذه هي احدى أوجه أو سمات الرواية القصيرة المعاصرة . وهي تخلق جاذبية استثنائية خاصة في تصوير الحياة المعاصرة.. في تعقدها ، غناها وتنوعها »(١) كما يقول الناقد الأكاديمي « سافا دانجلوف » . وهذا هو السبب الآخر للانعطاف نحو الرواية القصيرة في أدب البلدان النامية وبما فيها بلادنا . ولعل من الدواعي البارزة في التوجه نحو الرواية القصيرة هو عدم قدرة القصة القصيرة بمساحتها المألوفة على رصد وتصوير مرحلة أو مراحل متعددة من حياة البطل ـ النموذج وبالتالي على تفريغ التجربة الذاتية والخبرة الحياتية للأديب .

يجيب مؤلف الجذوة ـ محمد عبد الملك ـ على سؤال ما اذا كانت القصة القصيرة قد ضاقت بطموحاته نحو الرواية ، بأن القصة القصيرة ، « ضاقت ليس بطموحاته بقدر ما ضاقت بحمل أعباء النفس . فالفرد منا كما يقول ـ يشعر بالصلب ودبيب المسامير في راحتيه وطرقات حادة تأتي اليه من أكثر من مكان ويواصل . كيف أستطيع أن أقول كل شيء في قصة قصيرة وكيف أقول كل الأشياء دفعة واحدة... »(٢) (انتهى كلام المؤلف).

ان الانتقال الى كتابة الرواية ليس بالأمر الهين أو البسيط ، فالمسألة ـ ولا سيما في طور ولادة الرواية ونشوئها في البلد المعني ـ مرهونة بعوامل عدة ، أهمها الموهبة الفنية في الكتابة القصصية والروائية ، هذا العامل الذي يمكن تلمس بصماته حتى الآن عند كل من أدبائنا الشباب : محمد عبد الملك ، عبد الله خليفة ، أمين صالح وخلف أحمد خلف ، وذلك دون المبالغة في تضخيم ذلك العامل أو التقليل من شأنه (ان الحديث يدور هنا عن الكتابة الروائية في مرحلة تطور الحركة الأدبية في اللحظة الراهنة أي في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات) ، وبجانب تلك العامل الحاسم توجد عوامل أخرى ليست أقل أهمية من عامل الموهبة الفنية وصدق الانفعال



بالحياة ، ويأتي على رأس تلك العوامل : الثقافة الأدبية والفنية العالية بما تنطوي عليه من مهارة ومراس وخبرة بالتكنيك الفني ودرجة محددة من الوعي الاجتماعي بحركة تطور المجتمع عامة والقوى الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة فيه ٠٠٠ تطور مجتمعنا بالذات ، والامساك بقوانين تلك الحركة وظواهر الوحدة والصراع ودرجة تجليهما في المرحلة المعنية ، تآلفهما وتناقضهما الجدليين ، اضافة الى تجميع المادة الحياتية ومعرفة كيفية التقاط ما هو هام وجوهري في الحياة الاجتماعية واستبعاد ما هو تفصيلي ٠٠ عادي ٠٠ رتيب ، عبر اكتشاف الحلقات المهمة والرئيسية في ذلك التفصيلي العادي ٠٠ الرتيب ، أي الحلقات المساعدة أو الموصلة وبشكل فني الى ما هو هام ، نموذجي وجوهري ٠ ومن الواضح أن هناك فرق شاسع بين الادراك المعرفي ، على المستوى النظري لهذه المهمة الصعبة وبين تجسدها وتجليها المادي الحي المتحقق في العمل الروائي على المستوى التطبيقي ٠

ان عصرنا الراهن هو عصر التجريد الفني والجمالي ، عصر الاكتشاف والخلق الابداعي ، هذا الأمر يجعل من هذا الفن (أي الرواية القصيرة) شكلا نموذجياً ينبغي أن تتجلى من خلاله عملية التجريد الفني ليس بشكل نمطي ، معمم ، مجرد من المادة الحياتية أو مفرغ من الحياة كما هي معاشة أو الشخوص الواقعية وصراعات الحياة الحقيقية من جهة ، ولا بعرض ما هو رتيب عادي وتصوير كل شاردة وواردة في حياة البطل ــ النموذج أو التفاصيل الموغلة في ثانويتها ٠

ان نقطة البدء في الابداع الروائي هنا ينبغي أن تنطلق من حياة مجتمعنا ذاتها ومن الأحداث والوقائع الحياتية الفعلية ، ودون ذلك لا يمكن أن تتأسس الفكرة الفنية الأولية أو أن تتكامل على شكل صورة فنية ٠ ولا يمكن أن يتأسس الفن الروائي دون أن يكون أديبنا قد مر مسبقاً بتجربة ذاتية واستحصل ذخيرة من الانطباعات المتنوعة ، هذا الأمر الذي سيشكل بالنسبة له مخزوناً من الصور الفنية وأشكالا متعددة من الابداع الفني ٠ تلك هي نقطة البدء في كتابة الرواية ٠

بيد أن معرفة الأحداث والوقائع الحياتية لا تكفي وحدها لأن تخلق لنا في العمل الروائي صور فنية دون اشراك الخيال ٠ وهذه صفة هامة للموهبة ٠ ويمكننا أن نتلمس هذه الصفة وبعض خطوطها لدى بعض كتاب القصة القصيرة في البحرين ٠

ان الالمام بدقائق التنميط في الفن ومعرفة سبل النمذجة يعد أمراً ضرورياً لا يمكن تخطيه ، تجاوزه أو القفز عليه في كتابة النص الروائي ٠ وعندما يكون أمام كاتب الرواية نموذج واقعي للصورة الفنية التي يطمح في تشكيلها أو انشائها ، سيشعر حتماً بضرورة وجود خيال مبدع كشرط أساسي وجوهري في بناء العمل الروائي ٠ فالصورة الفنية لا تصف لنا النموذج أو البطل كزيد أو عمرو من الناس ٠ ان الصورة الفنية تكتسب محتوى أغنى وأعمق من شكل البطل أو النموذج الموجود في الحياة الحقيقية والتي تطمح تلك الصورة في عكسه وتصويره ٠ بيد أن ذلك لا ينبغي أن يختلط بفكرة أخرى مناقضة ، تتمثل في الابتعاد عن الحياة وصراعاتها الحقيقية ورسم صور وأشكال مختلفة٠٠ باهتة ، لا هوية لها ، وبعيدة عن تربتها الاجتماعية أو عن المنطق الداخلي للواقع المحلي المعاش ٠

يقول أحد النقاد في هذا الصدد بأن « الموهبة عند الفنان تعبر عن ذاتها في قدرة صاحبها على التقاط الجوهري والأهم ، وعلى تركيز انتباهه على العمليات والوقائع الحياتية الأشمل في اظهارها لمعنى ما يعكس ٠ وامكانية هذا النوع من التعميم موجودة في الحياة نفسها ٠ فالقضية هي أنه توجد في كل ظواهر الواقع (بما في ذلك الانسان) الى جانب الملامح الذاتية المتفردة ، سمات عامة توحدها في مجموعات متفاوتة في كبرها ٠ فكل واحد منا هو انسان ذو قوام خارجي وداخلي خاص به وحده ٠ لكنه توجد في أخلاقنا الى جانب ذلك ، ملامح نشترك فيها مع أناس آخرين من نفس مهنتنا ووضعنا الاجتماعي وقوميتنا وأخيراً مع الانسان بوجه عام ٠ ولهذا السبب تتوفر عند الأديب وهو يتحدث عن انسان ما محدد ، امكانية التعميم في صورة ذلك الانسان ملامح وخصائص يشترك فيها أناس كثيرون أو حتى كل الناس ٠ وهذا التعميم من خلال الصورة الفنية المتفردة يسمى « نمذجة »(٣) ٠

ان الواقعية الجديدة وبوصفها منهج حي متطور لا تتحقق في خلع الرمز على فكرة عامة مجردة



ولا عن طريق تقريرها وتوضيحها بمثال فردي وصورة مشخصة انما باظهار العام في المفرد ٠٠٠ في الخاص ومن خلاله ٠ فالنمطية والتجريد في النمذجة والابتعاد عن تصوير الحياة الحقيقية بكل آلامها ومآسيها ٠٠ وبكل أفراحها وأعراسها ، انما هي نزعة تتوحد مع تيار آخر نقيض لها هو التسجيلية والتقريرية في تصورهما المشوه لقوانين التعميم والنمذجة في الأدب الواقعي ٠٠ ومن هنا تنشأ ضرورة العمل بدأب ودون منافحة أو مواربة لتجاوز التقريرية وضد الشحوب والعبث في الفن على حد سواء ، بهدف ارساء أسس واضحة لتطوير حركتنا الأدبية وانتشالها من المراوحة في مكان واحد وكسر جمودها والتصدي لمحاولات التحجر والانغلاق والتكلس ٠

ان من الخواص الرئيسية للرواية القصيرة عامة هو أن الأحداث فيها تتطور وتتنامى وفقاً لتسلسلها الزمني المتواصل والنظر للزمن كوحدة غير متقطعة ، وكخاصية موضوعية مستقلة عن وعي الذات عامة وعن وعي الأديب وشخوص عمله الروائي بشكل خاص ٠ ولا يمكن تصور الرواية القصيرة دون وجود ما يسمى بمبدأ «الكرونيكاليتي» Chronicality (أي عرض الأحداث طبقاً لتسلسلها وتعاقبها وتتاليها الزمني بشكل متواصل) ، هذا الجانب الحيوي نجده واضحاً عند كتاب الرواية القصيرة الواقعيين الذين انتهجوا هذا الشكل الفني منذ تورجينف الى آيتماتوف وكيزين كوليف وفالنتين راسبوتين وغيرهم من كتاب الرواية القصيرة الواقعية في مختلف الآداب العالمية المعروفة ٠

ان انعدام التعلق والترابط الكرونولوجي للزمن الروائي ، أمر يتعذر فهمه بحيث أنه «يستحيل على كاتب الرواية ، كما يقول ادوار مورجان فوستر ، انكار الزمن في بنية عمله الروائي»(٤) ، ويواصل الناقد قوله مؤكداً على أن العنصر الأساسي للرواية هو وجود قصة وهذه القصة هي حكاية مؤلفة من أحداث منسقة في تسلسل زمني » وذلك في تعليق له على موضوع الكرونولوجيا في رواية « والترسكوت » ، (جامع الآثار) The Antiquery وفي تقييمه لموضوع الزمن وتفتيت التسلسل الزمني عند الروائية » جير ترود ستين Gertrude stein وبصرف النظر عن صحة تعريف فوستر للرواية ، فان تاكيده على الطابع الكرونولوجي أي التسلسل والتعاقب الزمني لاحداث الرواية ، وهو أمر لا يحتمل الجدل ٠

ان المصير التاريخي المأساوي لشخصية فرج الشماس في رواية الجذوة تعكس الى حد ما تعقد ظروف المرحلة التاريخية الملموسة ٠ كما أن الأهداف العامة التي تسعى الى تحقيقها شخصيات الجذوة من البحث عن الحقيقة ، والكفاح من أجل الخير ومقاومة الشرور الاجتماعية ، هذه الأهداف الانسانية الرفيعة تجلت لنا في الرواية المذكورة على أنها أهداف بعيدة المنال في الظروف الحالية الراهنة ٠ ان المصير التراجيدي للشخصية يلعب هنا دوراً خاصاً في فترات التحول الاجتماعي اذ أنه يعكس تعقد وصعوبة المشاكل التي يطرحها الزمن والتاريخ على أفضل الناس والتي يتعذر حلها في الوقت الراهن. هكذا مثلا كان وعي « هاملت » للمأزق المأساوي لوضعه في هذا العالم ، الذي بدا له بشكل سجن ضخم ، حيث أحس بالعالم احساس رجل ذي نزعة انسانية قرر أن يدخل في مواجهة غير متكافئة مع هذا العالم ٠

هكذا ينبعث لنا موت انسان كفرج الشماس والمصائر التاريخية للشخصيات الأخرى كانهيار لقيم انسانية هائلة قوامها الصدق ، والعفوية والرغبة الجامحة في نشر الخير الاجتماعي ٠ ان هذا الموت لذلك الانسان وهذا الانهيار لتلك القيم انما تثير فينا شعوراً بان هذه القوة العظيمة الهائلة من الأفكار والمشاعر الانسانية لم تذهب عبثاً ٠ فالمأساة هنا قادرة على أن تعبر عن الايمان العميق بالانسان وبمستقبله ٠ « قال لي القمر ما سيقوله لأحفادي ، ان الضوء جميل ، والليل الدامس مقبرة رهيبة ٠ لغة الريح واحدة أيضاً : ان الشر تجتاحه العواصف مع الأيام »(٥) ٠

تتناول هذه الدراسة رواية الجذوة من الجوانب التالية : الجانب التفسيري والجانب التحليلي والأساسي التقييمي ، وبما تنطوي عليه تلك الجوانب من تفكيك للرواية وتحليلها لعناصرها الرئيسية والمتمثلة في المقاطع المختلفة ٠ فهي من هذه الناحية تنصب على التكوين البنيوي للنص الروائي من حيث تحديد الشخصيات والحدث أو الأحداث الرئيسية والأسلوب والعلاقات البنيوية المكانية والزمانية وكذلك علاقات التماثل



والتناقض • ثم يمتد هذا التناول ليشمل دراسة الرواية المعنية من وجهة النظر الروائية من حيث البؤر والمحاور المتعددة كبؤرة السرد الروائي وبؤرة عنصر التشويق وبؤرة الشخصية وملامحها الرئيسية ومبدأ النمذجة والترتيب الكرونولوجي لاحداث الرواية ودراسة الخبرة الحياتية ومدى التجربة الذاتية ، مع اخضاع تلك الجوانب لمنهج الابداع الفني ، وذلك بهدف تجاوز وتخطي الميل الانطباعي ـ التأثري والنظرات الذاتية والأحادية الجانب في دراسة نص العمل الأدبي وبالتالي تأسيس الخطوات المنهجية الأولى اللازمة والضرورية لمواجهة أزمة النقد المزمنة في حركتنا الأدبية والتي وبدونها سيظل نتاج أدبائنا الشباب عرضة للمزاجية وتغليب الذاتية على المنهج • ولا تدعي هذه الدراسة بأن خطواتها المنهجية قد استكملت مقوماتها في دراسة النص الأدبي ، ذلك لأن المنهج نفسه لا يتأسس دفعة واحدة ودون مقدمات ، انما عبر المعاناة والمعايشة الحقيقية للنص •• وعبر التطبيق وبما ينطوي عليه من اخفاق تارة والكشف عن حقائق جزئية في النص تارة أخرى • ان المنهج في هذه الحالة غير موجود ، ولكنه يتشكل •• يتأسس •• ويشق طريقه الى حيز الوجود •

☐ البحث الأول :

الهيكل العام للعلاقات البنيوية في «الجذوة» :

١ ـ بنية المقاطع من حيث الشكل :

تتألف بنية نص رواية الجذوة من احدى وعشرين مقطعاً ، وتتعدد في داخل المشهد العام للرواية تنقلات الذاكرة في الزمن ، بحيث ان الرواية في بنائها العام هي حصيلة التراكم الكمي لمجموع التداعيات وتنقلات الذاكرة • كما تتعدد هذه التداعيات والتنقلات ليس لتشييد البناء العام للرواية فحسب ، انما لتؤسس الاطار العام لكل مشهد على حدة وضمن المقطع الواحد أيضاً • لنأخذ على سبيل المثال « المقطع الثاني » ، وهو أطول مقطع من حيث تعدد الموضوعات وتداعيات الذاكرة عند الراوي في حجمها الكمي • فهذا المقطع يتألف من خمسة وعشرين مشهداً جزئياً تقع في ست صفحات فقط • وهذه المشاهد الخاطفة والتداعيات تأتي اما في صورة ، سؤال وجواب : مثل ، س : ما الفرق بين العادي والخارق ج ـ انهم يضحكون من القلب وهذا فعل خارق/أو في شكل حوار بين متحاورين مستترين كما في المثال التالي :

ـ • • • • • • •
ـ لم يمت مخموراً •
ـ • • • • • • •
ـ كانت آثار ثقوب في ظهره •
ـ المقاول •
ـ لا أعلم ، لم يمت مخموراً •

أو كما في المثال التالي :

ـ هل جاء الى العمل •
ـ لماذا شاهين فرج •
ـ لأنه الرأس •
ـ هو موجود !!

أو على هيئة نبرة الصوت الثالث وتداعي الذكريات وانثيالها في مخيلة الشخصية الرئيسية :

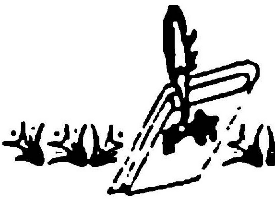
ـ « أنا عشيق زوجة المقاول » ص ١٠
ـ « بوسع الانسان أن يكون خارقاً يوماً ما » ص ١٢
ـ « من أجلي لا تشارك » ص ١٣
و ـ « بيت لليلة الواحدة ••• »

أو على شكل حوار بين شخصية مستترة ، هي الراوي ، وأخرى غير مستترة ، كما في الحوار التالي :

قال مشعل الياس :
ـ أتحب التغيير •
ـ للأفضل •
ـ سيشاركك الحجرة مهرب •
ـ مخدرات •
ـ شاب من عمرك •
ـ أي شيطان !
ـ ما اسمه
ـ رحيم غزوان ••• الخ

أو في حالة تنقل الذاكرة في الزمان والمكان كما في الصورة التالية :

ـ رحيم غزوان ، يعمل في الطيران/أول جملة على صفحة ١٤ •
ـ لكنه لا يعمل في الطيران •/آخر جملة على صفحة ١٥ •
ـ قبل سنوات ، أما في السنوات الأخيرة ••• } ص ١٦ •
ـ معاً في زنزانة واحدة •



أو في اعتماد السرد على لسان الراوي ، كما في المثال التالي من نفس المقطع : (هو يعرف الحقيقة « أي رحيم غزوان » ، وكل ما حدث · نحن من حارة واحدة ، ذهب اليهم بنفسه ، وعاد معهم بنفسه · أشار الى البيت · كان ليلا وبرداً · كنت خلف النافذة ، أرقب جري الكلاب ونباحها من وراء النافذة ، سمعت أبي يغني ثم يشخر ، داهمني الرجال ···)

وهكذا تستمر الأسئلة والأجوبة تتدافع ، واللقطات والمشاهد الخاطفة كما لو أنها لقطات ومشاهد سينمائية سريعة التنقل ، وتداعيات الذاكرة لا تكف عن الانثيال في المقاطع الأولى والوسطى من الرواية ، ثم لا تلبث أن تتضاءل تدريجياً في النهاية ، فيبدأ السرد القصصي في التزايد ، بدءاً من المقطع السادس عشر ، ذلك وان تخللت المقاطع الأخيرة ، الحوارات وتداعيات الذاكرة أحياناً ·

ان المؤلف يقوم هنا بمحاولة تطبيق ما يسمى بالمونتاج الروائي حيث يسعى الى القيام بعملية توحيد وممازجة المشاهد الجزئية للأحداث عن طريق ارسال لقطات سينمائية سريعة التنقل في عملية توصيل المشهد العام للحدث الرئيسي ·

ان هذه القضية ترتبط بمسالة ما اذا كان الكاتب يعرف جيداً كيف أن أي تغير في هيكل أو في بنية الرواية وأن أي تنويع في الأسلوب ، سيعمل على تغيير الاستجابة الكلية عند القارىء · فمثلا لنرى كيف أن أديباً كهمنغواي في أحد قصصه (القتلة The Killers) وحيث لجأ الى أسلوب المونتاج القصصي قد اختلط أسلوبه الواضح والبسيط والواقعي بمشاهد وومضات سينمائية فكان على تلك المشاهد أن تجتمع وتتوحد فيما بينها في عملية توصيل المشهد العام للعالم حسبما يراه الكاتب »(٦)· ان الصعوبة هنا تكمن في القدرة على توحيد المشاهد الجزئية في توصيل المشهد العام وليس في مسالة مشروعية تطبيق أسلوب المونتاج أو عدم تطبيقه ·

٢ ـ الشخصيات :

تتجلى لنا الشخصيات في رواية الجذوة على النحو التالي :

أ ـ شخصيات رئيسية هي فرج الشماس والمقاول ثم شاهين فرج ورحيم غزوان ، مشعل الياس والمدير العام ·

ب ـ شخصيات ثانوية مكملة للنماذج الأصلية وهي : ـ زوجة المقاول وعشيقة شاهين فرج ثم ميرزا عجب والسكرتيرة رجاء وأم شاهين ·

ج ـ الشخصيات ذات الأهمية بالنسبة للراوي والمقطوعة الصلة بالحدث الروائي وهي : سعد مختار وأبو محمد وعنتر السجان ·

٣ ـ الحدث الرئيسي :

يتلخص الحدث الرئيسي في أن علاقة تناحرية عدائية تنشأ بين المقاول وبين العامل فرج الشماس، سنأتي على ذكر أسبابها فيما بعد ، يدفع المقاول بامرأة تصدم فرج الشماس في حادثة سيارة ، يموت من جرائها فرج الشماس بشكل مأساوي · ورغم كثرة شهود العيان ، لا يجرؤ أحد على الشهادة برؤيته للجرم ، وعندما يظهر الشاهد (وهو الرجل الغريب ظاهراً ـ شاهين فرج الابن واقعاً) ويعلن عن شهادته وعن رؤيته للحادث ومعرفته بالمجرم ، فيدخل هو في السجن وليس المجرم وحيث يتعاطف الشرطي مع الفتاة ويتهم شاهين فرج بالحديث عن أعراض الناس وعلى ذلك يتحول شاهين فرج من شاهد على مقتل والده الى متهم بالقذف في عرض المومس التي دهست والده في الحادثة المذكورة · وهناك في الرواية حدث آخر مماثل للحدث الرئيسي حيث يسقط أحد العمال من احدى طوابق عمارة ، فيموت بنفس الطريقة التي مات بها فرج الشماس·· أي عن طريق الغدر والتخطيط المسبق للجريمة مع الايحاء في كلا الجريمتين بأن هذا العامل وكذلك فرج الشماس قد وافتهما المنية بشكل طبيعي ، وبسبب كونهما مخموران وليس بحكم التدبير وسبق الاصرار على ارتكاب الجرم ·

٤ ـ الأسلوب :

يتسم أسلوب الرواية بالبساطة والوضوح التقريري مع استخدام الجمل والعبارات القصيرة والبسيطة التي تسود في مجمل مقاطع الرواية ، الا فيما ندر حيث تأتي الجمل المركبة والمعقدة في سياق السرد وعلى نحو طفيف · وفي المقاطع الأولى يكثر الحوار وتتعدد التداعيات مع تداخل نسبي للسرد في المقاطع التي يسودها الحوار ويمكن تمثيل ذلك بالصيغة التالية : (حوار/حوار/حوار/سرد حوار/حوار/سرد/حوار/حوار) ، وبالعكس ،



ففي المقاطع الأخيرة من الرواية يتزايد السرد ويقل الحوار تدريجيا ويمكن تمثيل ذلك في صيغة : (سرد / سرد / سرد / حوار / سرد / سرد / حوار / سرد / سرد) ٠

وفي أثناء الحوار نجد أن الشخصيات تتحدث عن بعضها كحوار مشعل الياس مع شاهين فرج عن والده ، وكذلك حديث المدير العام مع الابن عن الأب وعن نفسه ، وأيضاً حديث الأم مع ابنها عن والده ، الأمر الذي يؤكد أن الراوي (شاهين فرج) ليست لديه المعلومات الكافية عن تاريخ حياة والده ٠

أما في حالة السرد ، فيتولى الراوي نفسه الحديث عن الشخصيات الأخرى كحديثه ووجهة نظره في ميرزا عجب وفي سعد مختار وعنتر السجان وأبي محمد ٠ أما في حالة مثول الشخوص وحضورها وجهاً لوجه ، فان الحوار في هذه الحالة ، ينعقد مباشرة فيما بينها ودون وساطة شخص ثالث ٠

أما الصوت الثالث في الرواية فيتجلى لنا على شكل تداعيات في ذاكرة الراوي ، تعود به الى أحداث سابقة وتبرز على هيئة ارتجاع فني Cut-back يفتت ويقطع التسلسل الزمني بايراد أحداث وصور أو مشاهد وقعت في الزمن الماضي ٠ وتظهر تلك التداعيات في الرواية بين الحين والآخر في جمل وعبارات موضوعة بين هلالين صغيرين ٠ وهذه التداعيات في مجملها تعيد نفسها في ذاكرة الراوي.. بعضها يتمركز في بؤرة الشعور وتومىء الى ذات الراوي ، وبعضها الآخر يتراجع الى هامش الشعور، بحيث أن صيغتها الدلالية المجسدة في الكلمات والجمل والعبارات المختلفة ، تشير الى الآخر وليس الى ذات الراوي ٠

وقد بلغ حاصل التراكمات الكمية ١٠١ تداعيا وذلك فيما يتعلق بالرواية ككل ٠ واذا ما استثنينا المقاطع الأخيرة من ١٦ ـ ٢١ والتي تشكل في حد ذاتها بؤرة تجمع أو مركز الحدث الروائي وهي التي يتناقص فيها عدد التراكمات الكمية لتداعيات الذاكرة ، فاننا سنجد أن ذلك التراكم يتزايد بشكل ملحوظ في المقطع الثاني والثالث وكذلك في المقطعين الرابع عشر والخامس عشر ٠

رقم المقطع	عدد التداعيات
١ ـ	٣
٢ ـ	٩
٣ ـ	٨
٤ ـ	٦
٥ ـ	٥
٦ ـ	ـ
٧ ـ	ـ
٨ ـ	٧
٩ ـ	٢
١٠ ـ	٧
١١ ـ	٤
١٢ ـ	٤
١٣ ـ	٦
١٤ ـ	١٣
١٥ ـ	٩
١٦ ـ	٦
١٧ ـ	٥
١٨ ـ	ـ
١٩ ـ	١
٢٠ ـ	٢
٢١ ـ	٤
مجموع التراكمات الكمية ـ ١٠١	

٥ ـ العلاقات البنيوية في نص رواية الجذوة :

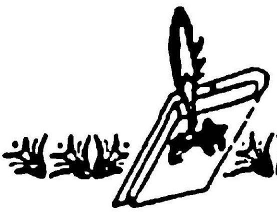
أ ـ علاقات التماثل والتناقض البنيوية :

وتتوزع هذه العلاقات على مستويين : مستوى الحدث ومستوى الشخوص ٠ فعلى مستوى الحدث نجد أن ثمة حدثيين متماثلين ٠٠ أي وفاة فرج الشماس ووفاة العامل الذي سقط من العمارة ٠ وتتجلى تماثلية الحدثين في العبارات والجمل التالية من المقطع الحادي والعشرين (٢١) :

ـ ميتة الرجل تشبه ميتة أبي ٠

ـ مدفوع ٠ المقاول نسج الرواية كاملة ، دفع له الأجر ، وأبي ٠٠٠ مخموراً ٠

ـ نفس الصوت ـ نفس الفم ـ نفس الوجه / و ـ منذ سنوات وهو في غابة السكر ٠٠ لماذا الآن ٠



ان علاقة التماثل المذكورة هي علاقة جوهرية ، أما علاقة التباين بين ذينك الحدثين فهي علاقة ثانوية تتمثل في أن فرج الشماس مات على أثر صدمة سيارة بينما مات العامل من جراء اسقاطه من احدى طوابق عمارة ٠ كما أن علاقة التماثل تلك تعني تكرار حدثين متشابهين ينسج احداهما الآخر ٠

أما على مستوى الشخوص ، فتقع علاقات التماثل بين شخصيتين رئيسيتين هما : فرج الشماس (الأب) وشاهين فرج (الابن) ، حيث تجمع بينهما روابط وصلات عديدة ليست فقط صلة القرابة، انما أيضاً التشابه في الموقع الاجتماعي، فالأول عامل والثاني كذلك ، وأيضاً فيما يتعلق بالتجانس الثقافي وكذلك التقارب على مستوى التكوين النفسي السيكولوجي ، بحيث أن كلا الشخصيتين تنسخ احداهما الأخرى، فلا نكاد نتعرف على علاقات التمايز والتفرد بينهما ٠

ومن أمثلة الصيغ الدلالية الموحية بذلك التماثل بين الشخصيتين المذكورتين ، تلك العبارات والجمل التي ترد بين الحين والآخر في الرواية ٠ فمثلا يقول مشعل الياس لشاهين فرج : « أنت صورة منه » ، أي أن شاهين فرج (الابن) نسخة عن أبيه فرج الشماس ص ٨ وفي المقطع الثاني ، حيث يطالع الابن صورته في علبة البيرة ويقول « في العلبة وجه أبي » ص ١٠ وأيضاً عندما يروي المدير العام لشاهين فرج عن مكانة والده بين العمال ، موضحاً تقارب تلك المكانة ، حيث يقول « ـ أنت رأس الجميع و ـ كان أبوك رأسنا » ص ١٩١/ و ـ مافي رأسك في رأسه ص ٢٤ ٠٠٠ الخ ٠

أما علاقات التناقض ، فتتجلى على شكل صراع خارجي حاد بين فرج الشماس والمقاول ، يتجسد في هيئة تعارض تناحري وصراع بين شخصيتين ، ينجم في الظاهر عن دوافع وبواعث شخصية خاصة ويفضي الى فاجعة مأساوية تمثلت في موت فرج الشماس عن طريق الغدر ٠ ثم لا يلبث هذا الصراع أن يعيد نفسه ويتكرر للمرة الأخرى ، متجلياً في المرة التالية على شكل تناقض بين شاهين فرج (الابن) وبين رحيم غزوان ، ثم تتسع رقعة هذا التناقض لتنتقل من حالة صراع بين شخصين الى صراع عام شامل بين من يصنع الخيرات المادية بعرق الجبين وبيع قوة العمل وبين من يقطف ثمار هذه الخيرات دون جهد ٠٠ بين الخير الاجتماعي مجسماً في شخصيات مثل : شاهين فرج ، السكرتيرة رجاء وميرزا عجب وغيرها من شخصيات والتي عكست الى حد كبير ، مشاعر النبل والانسانية المشوبة بالكبرياء والاباء جنباً الى جنب مع العفوية والصدق ، الطيبة وصفاء النفس وحب الايثار والرغبة الجامحة في التفاني من جهة وبين الشر الاجتماعي مجسماً في شخصية رحيم غزوان وبما انطوت عليه هذه الشخصية من مظاهر الخنوع والجبن ، الجشع والغطرسة والوشاية والغدر ، الخسة والدناءة ، الأنانية وحب الذات من جهة أخرى ٠

كما تجلت علاقات التناقض المذكورة على شكل صراع داخلي بين الأفكار والعواطف على مستوى الشخصية الواحدة : ومن أمثلة ذلك الصراع، التوتر والاضطراب الداخلي عند مشعل الياس ، هذا الحارس الذي رغم كراهيته للبنادق والسجون ، نجده يرتدي البزة العسكرية ويحرس السجون ٠ فهو يكره البزة ، بينما يضطر في الوقت نفسه الى ارتدائها بحثاً عن لقمة العيش تارة وبفعل الخوف تارة أخرى ، وتنسحب علاقات الصراع الداخلي تلك على المدير العام أيضاً ٠٠ بين تذكره واستعادته للماضي عندما كان فارساً قديماً وبين وضعه في اللحظة الراهنة وبوصفه مديراً عاماً ٠ لنستمع اليه وهو يحادث شاهين فرج : « كنا نسميها فترة النهوض الأولى ، والعسكر يملأون الأرض والسماء، أحذية أجنبية ، صادقت أباك ، كنا نزحف ، وجهي ووجهه ، من فوقنا كان غبار وجند وخيل ٠ تصور كيف كان يتم التعارف بين جيلنا في الماضي ، في الظلام ارتمت راية ممزقة وسنابك خيل ، أنا لم أزحف صدقني ، ولم أتخل عن ايماني ، لكن الأمور بدت مستحيلة وما يتم من حولي لا يصدر من هذا المكتب » ص ٤٥ » ، وأيضاً عندما يبدي المدير العام تعاطفه مع شاهين فرج حيث يقول :

ـ أنت طيب ٠

ـ يؤلمني موت أبيك بهذه الطريقة ص ٢٢ ٠

أي بطريقة الغدر ٠ فالمدير العام يعرف جيداً أن فرج الشماس مات ميتة غير طبيعية الا أنه يلوذ بالصمت ٠٠ دون أن يكون له حول أو قوة ، وكذلك عندما يصفع رحيم غزوان السكرتيرة رجاء على

وجهها ، حيث يدافع المدير العام عن نفسه أمام شاهين فرج ، مؤكداً له بانه ليس هو السبب في كل ما يدور ، لنستمع الى هذا الحوار بين المدير العام وبين شاهين فرج حول رحيم غزوان :

شاهين : يقول بانك تعطيه الأوامر ٠

المدير : يكذب ٠

شاهين : وانه منفذ لقرارتك ، مهدد بالفعل من قبلك ٠

المدير : يكذب ٠ هل تصدق انساناً يضرب امرأة ٠ أنا المدير العام لكني حائر ٠

هكذا يقع المدير العام فريسة للصراع الداخلي والتوتر والاضطراب والحيرة ويظل يحوم في أسر ذلك الصراع ، فهو يعرف الحقيقة ، لكنه لا يقوى على البوح بها ويبدي تعاطفه مع قوى الخير ، لكنه لا يجرؤ على مقارعة الشر أو الاصطدام به ، فيظل حبيساً للخوف وللموقع الاجتماعي الذي يتبوؤه في اللحظة الراهنة والمصير التاريخي الذي آلت اليه شخصيته بفعل اصطفافه الاجتماعي العاضر ٠

وعلى هذا النحو يبرز لنا الصراع الداخلي على مستوى الشخصية الواحدة وتتكشف لنا علاقات التماثل والتناقض على مستوى الحدث والشخصيات في العمل الروائي المعني ٠

تجليات المكان في رواية « الجذوة »

تتعدد العلاقات المكانية في رواية الجذوة بتعدد المشاهد الجزئية وتنقلات ذاكرة الراوي في الأماكن المتعددة والعودة اليها مرة أخرى ٠ ففي المقطع الأول نلتقي بمشعل الياس والراوي على ظهر قارب في البحر ، وفي المقطع الثاني تنتقل ذاكرة الراوي الى الطائرة في الجو حيث تتجه به الى بلاد أخرى ولا يعرف وجهته ، وفي المقطع الثالث تنقلنا الرواية الى بيت أم شاهين ، وفي المقطع الرابع تعود الذاكرة بالراوي الى السجن ، وفي المقطع الخامس نتعرف على المصنع حيث الاضراب وعلى مكتب المدير العام حيث يدور الحديث بين شاهين فرج والمدير العام، وفي المقطع السادس تتعين وجهة الراوي الطريد التي لم تكن واضحة في المقطع الثاني ، فتتحدد بشكل أوضح ، فنلتقي به في المنفى أو في الغربة حيث تنثال ذكرياته حول المقهى ، وفي المقطع السابع يتحدد لنا المكان على انه الشارع ، حيث يقع الحدث الرئيسي عندما تدهس السيارة البيضاء فرج الشماس وهو فوق عربته الحمالة ، وتتمازج الأماكن في المقطع حيث ننتقل للمرة الأخرى الى المصنع عندما يهرب رحيم غزوان ويتوارى في المدينة وكذلك في المقطع الثامن ، حيث يظل المصنع هو المكان الرئيس ، وفي المقطع التاسع نعود مرة أخرى الى مكتب المدير العام ، وفي المقطع العاشر تنثال ذكريات الراوي حول « أبو محمد » صاحب المقهى في الغربة في احدى دول الخليج ٠ وفي المقاطع التالية تتكرر الأماكن ذاتها فتتنقل ذاكرة الراوي بين المخفر والسجن والمصنع ٠٠ الخ ٠ وعلى هذا النحو تتعدد تنقلات الذاكرة في المكان براً وبحراً وجواً ٠٠ في الوطن وفي المنفى ٠٠ في السجن وفي المصنع ٠٠ في الشارع وفي المخفر ، وذلك تبعاً للتصميم العام للرواية والتي اعتمدت أساساً تعددية المشاهد الجزئية المختلفة ، الأمر الذي ترتب عليه ، وكنتيجة طبيعية ، الايغال في تجزئة المكان على النحو المذكور ٠ وربما كانت علاقة المؤلف بالمكان هي علاقة حسية محض تعني بالمكان المحدد ، المعين والملموس دون أن ترقى للعناية بحيز المكان الروائي ٠ وهذه العلاقة تعكس من الناحية الاجتماعية، ارتباط المؤلف والراوي وشخوص الرواية على حد سواء وشدة تعلقهم وانتمائهم لهذا التراب المحلي بالذات ولهذا الشعب ولهذه الأرض بالذات ، أما من الناحية الجمالية الفنية ، تبقى الأماكن من حيث الصيغة الدلالية ، اشارات ومسميات واقعية لا تخضع لنظام الترويز والتجريد الذهني ، فالبحر هو البحر الواقعي الذي لا يومىء الى أبعد من ذلك والسجن هو السجن بجدرانه الأربعة والمصنع هو المصنع ، والشارع هو الشارع كسائر شوارع المدينة وكذلك الطائرة وهكذا دواليك ٠ ها هنا نجد أن المكان المحدد الملموس والجزئي لا يتحول الى مكان واسع شامل ٠ ان حل هذه المسألة في الأدب ، يرتبط الى حد كبير ، بضرورة استيعاب العلاقة الجدلية القائمة بين الخاص والعام، بين المكان المحدد الملموس والمكان الروائي بطابعه الشمولي العام ، وذلك ليس بتجريد الأمكنة الجزئية من خواصها الحسية برمتها ، ولا بالايغال في تجسيد تعددية تلك الأمكنة ، انما بالاصطفاء الدقيق للمكان ذي الايحاءات الدلالية والاشارات الرمزية التي تكشف عن الصفات



والخواص المشتركة بين الأمكنة المتعددة وبما يتسق مع طبيعة الحدث الروائي • ومن الواضح ان انجاز هذه المهمة المعقدة ، يستلزم معرفة فلسفية عميقة للمكان على المستوى النظري بشكل عام وقدرة فنية في تجسيد المكان الروائي بشكل فني جمالي على المستوى التطبيقي بشكل خاص •

رواية « الجذوة » وبعض قضايا التكنيك الفني في الابداع الروائي :

١ ـ تجليات بؤرة السرد الروائي :

لا تعتمد الجذوة في أسلوب سردها الروائي على المؤلف كضمير للمتكلم ، انما على الراوي كضمير للمتكلم ، والراوي بالنسبة للمؤلف هنا هو ضمير الغائب « هو » أي شاهين فرج ••• بحيث أن السرد الروائي يعول على أسلوب ما يسمى ب « المؤلف المحيط علماً بالشخصية » ، فالكاتب المؤلف أخذ على عاتقه ، عرض ما يعتمل في ذاكرة الشخصية (شاهين فرج) مع الكشف عن بعض ملامحها وذبذباتها النفسية وكذلك بعض الشخوص الأخرى (كالمدير العام والحارس مشعل الياس) ، ولكن دون أن يتمكن من تقصي الدوافع أو البواعث النفسية المحركة لأفعالها وسلوكها • وهذه الطريقة (أي طريقة المؤلف المحيط علماً بالشخصية) يقتصر فيها عمل المؤلف على النفاذ والتغلغل في معرفة ما يدور في ذاكرة احدى الشخصيات الرئيسية ، بينما يجري عرض وتقديم المظاهر السلوكية الخارجية للشخصيات الأخرى وهي هنا على سبيل المثال لا الحصر (زوجة المقاول ، ميرزا عجيب ، أبو محمد ••• الخ) ، بشكل موضوعي أي بطريقة المؤلف ـ المراقب ، وقد عرقلت هذه الطريقة امكانية التوغل الداخلي لمعرفة الملامح النفسية لدى الشخصية ، ومن هنا فان مؤلف رواية الجذوة اعتمد على محاولة المزج بين طريقتين في السرد الروائي ، أي أسلوب المؤلف ـ المحيط علماً بالشخصية وطريقة المؤلف ـ المراقب •

وعلى ذلك ، فان « الأنا » المحورية المتكررة في الرواية تفصح على نحو جلي عن ضمير الغائب « هو » أي شاهين فرج ، هذا « الهو » الذي استحال على يد المؤلف الى « أنا » معبرة عن الآخر وليس عن شخصية المؤلف • فالراوي هنا هو ليس المؤلف ، انما الشخصية الرئيسية الراوية التي تستحضر الماضي عن طريق التداعيات وومضات الفلاش باك الموزعة على المقاطع المختلفة للرواية مستهدفة في ذلك بناء الاطار الكلي والموقف الدرامي العام • ان الخبرة الحياتية هنا ، تتكشف لنا على انها خبرة الراوي معبر عنها بلسان المؤلف •

وفي رأينا فان المؤلف اعتمد الطريقتين المذكورتين لاعتبارات محددة • فهو من جهة يبدو عليماً ، مدركاً لجوانب شخصية الراوي (شاهين فرج) ، الأمر الذي هيأ له أن يترك هذه الشخصية تتصرف ، تفعل وتنفعل ، تتحرك •• تصارع وتشارك في احداث الرواية ، بل أن المظاهر والتسمات البيولوجية والجسدية للشخصية الراوية تراجعت تماماً الى الظل ، الى درجة أنك لن تجد أية وصفة أو كلمة أو عبارة تومىء الى القسمات الجسدية الخارجية لهذه الشخصية • هنا يتحول المؤلف الى كاتب يحيط علماً بالشخصية ويتعرف على عالمها الداخلي ويكشف ذبذباتها وتحولاتها النفسية • وهنا أيضاً تتكشف لنا قدرة المؤلف على تصوير الشخصية وهي تعمل ، فهو لم يخبرنا بشكل تقريري عن شخصية فرج شاهين ، بل بدت لنا هذه الشخصية من خلال أفعالها وتوجهها السلوكي • وهنا بالضبط تكمن القيمة الفنية في اللجوء الى طريقة المؤلف المحيط علماً بالشخصية • هذا من جهة، أما الوجه الآخر للعملة •• فيتجلى لنا في اضطرار المؤلف الى استخدام أسلوب « المؤلف المراقب » بالنسبة لشخصية فرج الشماس ، فالمؤلف هنا ـ وعندما يكون غير محيط بالشخصية يتحول الى مؤلف ـ مراقب يخبرنا اخباراً تقريرياً تسجيلياً عن الشخصية ويصف لنا ملامحها الجسدية ، ولا تتحقق له امكانية التوغل والنفاذ الى العالم الداخلي لهذه الشخصية ، الا في المقطع العشرين من الرواية • لقد ظهرت شخصية فرج الشماس في أغلب مقاطع الرواية الأخرى بشكل استاتيكي ، يجري تطويع وصفها عن طريق الأخبار والتقرير وذلك بعكس شخصية الابن شاهين فرج • ان قدرة المؤلف في السرد الروائي تتجلى لنا ، ليس عندما يتحول الى مؤلف ـ مراقب للأحداث والشخوص ، انما عندما يترك الشخصية تتحرك في اطار حدث معين ويفسح لها المجال لأن تفعل وتنفعل من خلال تنامي ذلك الحدث وبلوغه الذروة • لناخذ على سبيل المثال طريقة المؤلف عندما وضع نفس شخصية فرج الشماس في حدث محدد ، حيث تجلت لنا شخصيته الملموسة



والمتفردة من جهة ، وتكشفت ملامحها النفسية العامة ٠٠ هذه الملامح ، في المقطع المشار اليه ، لم تعبر عن شخصية فرج الشماس وحده فحسب ، انما تخطت ذلك الى الافصاح عن ملامح وقسمات فئة واسعة من الناس ، عن طبقة ، بل أكاد أقول عن شعب بأسره ، من جهة أخرى ٠ وهنا أيضاً تتجلى لنا قدرة المؤلف على ربط الخاص بالعام وكشف الصلة بين ما هو عادي عرضي وبين ما هو هام نموذجي ٠ وليت المؤلف دأب على تصوير شخصية فرج الشماس في أغلب مقاطع الرواية على ذلك النحو الذي تجلت فيه هذه الشخصية في المقطع العشرين من الرواية (من ص ١٠١ ـ ١٠٥) وسنأتي في مكان آخر على دراسة ذلك لدى التعرض لملامح الشخصية في الجذوة ٠

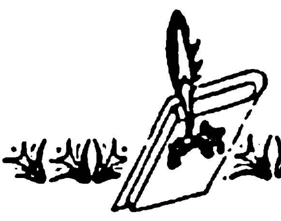
وهكذا ، تتضح لنا قدرة محمد عبد الملك في السرد الروائي، عندما يكون مؤلفا عليما بالشخصية، محيطاً بأبرز خصائصها وبواعثها ودوافعها النفسية، وليس عندما يكون مؤلفاً مراقباً ٠ ويمكننا أن نعثر على جذور هذه المسالة في المجموعات القصصية السابقة ٠

فمن أمثلة تطبيق المؤلف لأسلوب (المؤلف ـ المراقب) ، قصة « الرحلة » من مجموعة « ثقوب في رئة المدينة » ، حيث ينيط المؤلف ـ المراقب شخص بدران الحسيني بمهمة السرد القصصي حول الشخصية الرئيسية (مرجان السعيد) فتبرز الشخصية والحال هذه ، على نحو ساكن ، فهي لا تنطق ولا تتحاور ، فلا نكاد نتعرف الا على مظاهرها الخارجية الجسمانية ، دون أن يتيح لنا المؤلف امكانية التوغل والنفاذ في الشخصية وسبر أغوارها ٠ وربما كان سبب ذلك أن المؤلف لم يتعرف عن كثب وبنفسه على الشخصية ، انما قام بعملية تجميع معلومات عامة حول الشخصية من خلال راو آخر ٠ ومن هنا أيضاً يظهر لنا أن استخدام المؤلف لتلك الطريقة في السرد القصصي ، شكل عاملا معوقاً أضعف البناء الفني للشخصية ، أما من أمثلة تطبيق الكاتب لأسلوب «المؤلف المحيط علماً بالشخصية» فيمكن أن نعثر عليه في مجموعة «نحن نحب الشمس»٠ لنقرأ مثلا قصة « في القرن العشرين » فالمؤلف هنا يعرف جيداً شخصية « عثمان أحمد ثاني » ٠ وفي حديث شخصي مع الكاتب ، أوضح من خلاله أنه كان على معرفة وثيقة بالشخصية المذكورة ، امتدت قرابة ثلاثة عشر سنة ٠ هكذا فان معرفة الكاتب الضاربة الجذور للشخصية الحقيقية في الحياة اليومية ، هي أولى الخطوات وهي المنطلق الرئيسي الذين يمكن الكاتب من تجسيد وتصوير تلك الشخصية وبنائها على نحو فني في العمل الأدبي ، وربما كان هذا هو السبب الجوهري الذي أتاح للقصة المذكورة من بين الكثير من قصص المؤلف ، أن تحقق درجة محددة من النضج الفني والقصصي في الشكل والمضمون ٠ لقد وجد الكاتب نفسه ـ بوعي منه أو بدون وعي ـ أمام أسلوب فني في السرد القصصي مثل عنصراً حيوياً في تعزيز وتقوية واغناء البناء الفني للشخصية في القصة المذكورة ٠

وهكذا ، وبناءً على ما تقدم ، يمكننا أن نصل الى خلاصة عامة تتمثل في أن الجذوة مثلت في سردها الروائي مزيجاً من طريقتين (أي أسلوب المؤلف ـ المراقب والمؤلف المحيط علماً بالشخصية) بحيث شكل الأسلوب الأول نقطة ضعف وأعاق البناء الفني للشخصية ، بينما مثل الأسلوب الثاني عنصراً فعالا في طريقة السرد الروائي وفي البناء الفني للشخصية بشكل عام ٠

٢ ـ انعكاس بؤرة الاهتمام :

المقصود هنا بهذه البؤرة هي الكيفية التي يتجلى فيها عنصر الاهتمام كعنصر رئيسي من عناصر العمل الروائي ، والذي يعمل على شد وجذب انتباه القارىء ، اذ أن فضول القارىء وحبه للاستطلاع يعد أمراً مركباً معقداً ، فهو يضع دائماً في مخيلته مجموعة من التساؤلات ٠٠ ويطمح لأن تجيب الرواية على مجموعة الأسئلة المطروحة فيها ، بحيث تأتي الاجابة على تلك الأسئلة على نحو مباشر وتشكل الرواية بأسرها الاجابة الاجمالية العامة من خلال حركة الشخوص وفعلها عبر تنامي الحدث الروائي وبلوغه الأوج أو الذروة ٠ ان الاجابات لا يمكن أن تفصح عن نفسها دفعة واحدة ، ودون مقدمات، انما في لحظات معينة في مجرى تطور الحدث الروائي ٠ وهناك مستويات مختلفة متباينة لمختلف الأسئلة المطروحة في الرواية ٠ فليست جميع الأسئلة ذات أهمية واحدة متساوية ٠ فثمة أسئلة جوهرية تتصل بالحدث الرئيسي ، وهناك أسئلة هامشية ومكملة للنوع الأول من الأسئلة ٠ ان الجذوة وبوصفها رواية قصيرة لا تحتمل ذلك التزاحم



والتعدد والتلون في الأسئلة • اذ أن ثمة فرق شاسع بين الطموح النظري للاجابة على الأسئلة الفلسفية الكبرى وبين التجسيد الفني للاجابات في العمل الروائي وعلى المستوى التطبيقي • فرواية « الجذوة » ـ أساساً ـ ومستوى وعي الشخوص ومجرى الحدث فيها ليس من المفترض لها أن تتجاوز الاجابة على أكثر من الأسئلة التالية : من قتل فرج الشماس ؟ ولماذا المقاول بالذات قتل فرج الشماس بالذات ؟ ولماذا اضطر الحارس القروي (مشعل الياس) على ارتداء البزة العسكرية ، وكذلك لماذا لم يواصل المدير العام المسيرة الطويلة ولم انطفأ في قلبه لهيب الجذوة ؟ • هذه هي الأسئلة المحورية في رواية الجذوة ونبضها الجوهري • ويمكن ملاحظة أن الرواية تقدم اجابات محددة واضحة على تلك الأسئلة وفي لحظات معينة من تطور الحدث الروائي وعلى لسان شخصيات الرواية • بيد أن ثمة أسئلة أخرى قام المؤلف باقحامها على شخصيات عمله ، دون مراعاة درجة الوعي الاجتماعي الذي تتمتع به تلك الشخوص • لنأخذ على سبيل المثال بروز التساؤل : ما هي الحقيقة ؟ بين الحين والآخر في الرواية • نحن نعرف جيداً ان المؤلف يشير بسؤاله هذا الى حقيقة جزئية هي : من قتل فرج الشماس ؟ الا أن تكرار السؤال بصيغة : ما هي الحقيقة ؟ وعلى هذا النحو ، يفيد بحقيقة أخرى كلية جوهرية، تتعلق بماهية الوجود البشري • ان بروز السؤال على هذا النحو الفلسفي ، انما يشكل قفزة على حجم العمل الروائي المعني وطبيعة الحدث المعطي في الرواية المعنية •

هناك أيضاً أسئلة فلسفية أخرى تظهر لنا في الرواية بين الفينة والأخرى مثل : من ينادي ومن يلبي النداء ؟ من يملك هذه الدنيا ، ومن يخلق هذه الدنيا ؟ ما الفرق بين العادي والخارق ؟ ما هو الثابت وما هو المتحول ؟ ان الرواية تجيب على التساؤل الأول والى حد ما على التساؤل الأخير ، بيد أنها لم ترق للاجابة على الأسئلةذات الطابع الفلسفي : فمثلاعندمايبرز السؤال : ما الفرق بين العادي والخارق ؟ • يشير لنا المؤلف بأنه « بوسع الانسان أن يكون خارقاً في لحظة من حياته» ويقدم لنا مثالاعلى ذلك عندما يدور الحديث عن رجاء السكرتيرة حيث يطلب منها رحيم غزوان الاتصال بالشرطة فترفض طلبه هذا قائلة له أن ذلك خارج اختصاصها ، فيصفعها على وجهها فيصف لنا الراوي شعوره تجاه موقف رجاء (كانت رائعة ، لم أر في حياتي أثمن من هذه الدموع ، تبذلها المرأة دفاعاً عن كرامتها ومن أجل الناس) • هل هذا هو الفرق بين العادي والخارق في الظواهر الاجتماعية الكبرى ؟ أليس في ذلك تبسيطاً لمعنى ما هو خارق واستثنائي في ظواهر المجتمع ؟ اذ ان ما قامت به هذه الفتاة يعبر عن ظاهرة الشموخ ، الكبرياء والاباء بوصفها ظاهرة عامة يتميز بها هذا الشعب ، ولا يفصح ذلك عن حالة خارقة استثنائية في تاريخ تطور مجتمعنا • ان بؤرة الاهتمام في العمل الروائي تستلزم الانتقاء الواضح للأسئلة الرئيسية والتريث في صياغة الأسئلة وخلق شكل من الانسجام والتوافق بين حجم السؤال المطروح وطبيعة الاجابة عليه •

تعبر كثرة الأسئلة وتراكمها الكمي في رواية الجذوة عن عدم عناية الكاتب بالبناء الفني لبؤرة الاهتمام في الكتابة الروائية • اذ يشترط أن تتميز بؤرة الاهتمام وبناؤها العام بالقدرة على تركيز انتباهنا وشد أذهاننا الى أسئلة محددة دون سواها بحيث تكون الرواية بأسرها هي الاجابة الاجمالية على تلك الأسئلة • لقد بلغ حاصل مجموع الأسئلة الرئيسية والثانوية الموزعة على المقاطع المختلفة في الرواية ما يربو على الثلاثمائة وخمسين سؤالا ، الأمر الذي يوحي لنا بأن الكاتب لم يول أدنى أهمية لضرورة تقليص عدد الأسئلة وحصرها بما يتسق مع الحدث الروائي ومستوى تصرف الشخوص ووعيها الاجتماعي •

تعكس بؤرة الاهتمام في رواية الجذوة ـ على مستوى بناء الشكل الفني ـ حداثة الخبرة بالكتابة الروائية وعدم استكمال المقومات الفنية الرئيسية •

٣ ـ تجليات بؤرة الشخصية :

المقصود هنا ببؤرة الشخصية هي مجموعة الوشائج والعلاقات التي تربط بين شخوص العمل الروائي من جهة ، وصلة تلك الشخوص وعلاقتها بالحدث الروائي من جهة أخرى ، وكذلك جدلية النظر لتعالق وارتباط أو تباعد وانفصام الشخوص عن الحدث الرئيسي في الرواية • من هنا فانه يصعب النظر الى الشخوص بمعزل عن الحدث الروائي ، وبؤرة الشخصية تعني أيضاً رواية من هذه ؟ فالرواية ليست مجرد أحداث



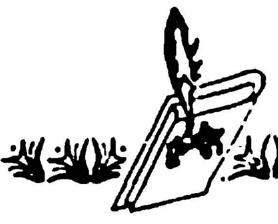
محددة أو حدث معين • فالحدث ينطوي على أهمية محددة بالنسبة لبعض الشخوص أو مجموعة منها ، بيد أن أهمية الحدث ومدلوله ليس متساويا بالنسبة لجميع الشخوص الروائية وذلك على الرغم من ارتباطه بمجموعة معينة منها ، كما أن انفصام آية شخصية في الرواية عن الحدث الرئيسي وانعدام دورها التشييدي والوظائفي في بناء الحدث يعني من الناحية الفنية الاخلال بالأساس البنائي للعمل الابداعي • ومع التأكيد على ضرورة أهمية الشخوص المختلفة بالنسبة للحدث الروائي ، فان هذه الأهمية تبرز في العمل الروائي بنسب متفاوتة فيما بين الشخوص وتنفرز شخصية واحدة يكون الحدث الروائي بالنسبة لها أهم ، وعلى صلة أوثق بها من صلة الحدث في مدلوله وأهميته بالنسبة للشخوص الأخرى ، ولكن ليس معنى ذلك ، أن الحدث أو الأحداث الرئيسية ينظر اليها بعين الشخصية الرئيسية وحدها • هكذا ، فيما نعتقد ، ينبغي أن تتجلى العلاقة الجدلية بين الشخصية والحدث الروائيين • وهذا هو المقصود ببؤرة الشخصية •

كيف تجلت بؤرة الشخصية تلك وعلاقة الشخوص بالحدث الروائي في الجذوة ؟

نلتقي في « الجذوة » بحدث رئيسي هو تآمر المقاول واغتياله للعامل فرج الشماس ، كما نتعرف على حدث آخر مماثل للحدث الرئيسي وهو سقوط أحد العمال من احدى طوابق عمارة •• حيث يتماثل هذا الحدث مع الحدث الرئيسي في الجوهر •• فسقوط هذا العامل وموته جاء بنفس طريقة موت فرج الشماس •• أي بالغدر والتآمر • بيد أن الذي يعنينا هنا هو الحدث الرئيسي • فهذا الحدث ، تنعكس أهميته بالنسبة لشخصية الراوي (شاهين فرج أي الابن) بدرجة كبيرة ، رغم آن محور هذه الأهمية يشمل المدير العام والحارس مشعل الياس • اذن فالحدث الرئيسي مهم أيضا بالنسبة لتلك الشخصيتين ، وكذلك للشخصيات التي اشتركت في الحدث أو أدت بشكل أو بآخر وظيفة في بناء الحدث • فاذا كان الحدث هو مقتل فرج الشماس ، فان المخطط لجريمة القتل (أي المقاول) ومنفذ الجريمة (أي المرأة التي تقود السيارة البيضاء) ، وكذلك أسباب ودوافع الجريمة وبواعثها الأساسية ، التي تمثلت في أن فرج الشماس وهو عشيق زوجة المقاول يفضح المقاول أمام العمال بالكشف عن ذلك السر ، بعد أن يهدده المقاول بالطرد من العمل ، بسبب أن فرج الشماس يحرض العمال ويقرأ عليهم قصائد تحريضية ضد الوضع القائم في المصنع • اذن جميع الشخصيات المذكورة لها صلة وثيقة بالحدث الرئيسي ، تنجذب نحوه وتعمل على تشكيله وتشييده ، واذا ما أمعنا النظر في حقيقة أن الراوي (شاهين فرج) ، هو ابن فرج الشماس ، ضحية جريمة القتل وهو في الوقت نفسه عامل في مصنع ، يدأب هذا الراوي على تشكيل الخيط الرئيسي الذي يوحد الحدث الروائي بحدث آخر هو الاضراب بعد وقوع الجريمة وكشف لنا عن العلاقات العلية والسببية القائمة بين الحدثين •• أحدهما سبب والآخر نتيجة • وفي المصنع نتعرف على شخصيات محددة مثل المدير العام والسكرتيرة رجاء وميرزا عجب ورحيم غزوان • ونعرف أيضاً أن أغلب هؤلاء من حارة واحدة ولا بد أنهم يعرفون بشكل أو بآخر عن حادثة الاغتيال ، وبعضهم يعرف فرج الشماس والبعض الآخر يعرف الابن شاهين فرج • هكذا يمكننا هنا أيضاً أن نؤسس صلة أو علاقة بين الحدث الرئيسي والشخوص المذكورة • وفي السجن نلتقي بالراوي ورحيم غزوان ومشعل الياس ونعرف من خلال زيارة أم شاهين لابنها •• ان هناك علاقة بين الراوي وبين عشيقة ما ، لم تأت لمقابلته • وفي مقطع آخر نعرف أيضاً أن هذه العشيقة كانت تشترط على شاهين فرج بأن حبها له مرهون بتخليه عن العمال ، فيرفض شاهين فرج ذلك الشرط • وهكذا تقع هذه العشيقة فريسة لحب المال والخيانة عندما تتعرف على رحيم غزوان وتشي بفرح شاهين ، وعلى ذلك يتمكن المؤلف من تشييد علاقة بين الشخوص وبين الحدث الرئيسي • وهنا يمكننا ان نعثر على الخيوط الموحدة ، وبنسب متفاوتة بين الشخصيات وعلاقتها بالحدث الروائي وحياكة النسيج العام للرواية ، كما تتضح قدرة المؤلف على خلق وحدة عضوية وتعالق متماسك لبناء الحدث في صلته بالشخوص •• هذا من جهة •

بيد أننا نلحظ من جهة أخرى ، تجلي خرق ذلك المبدأ في تشييد البناء المعماري للحدث الروائي في علاقته بالشخصيات وصلتها به •

ويظهر لنا ذلك من خلال بروز انفصام بعض الشخصيات ووجودها المستقل عن الحدث الروائي



وذلك على الرغم من أن صلة ما أو علاقة ما ، تربط بينها وبين الراوي ، الا أن جسور تلك الصلة أو العلاقة لا تمتد لتتعالق وتتحابك بالحدث الروائي ٠ وهذه الشخصيات على وجه التحديد والترتيب هي : سعد مختار والشيخ عنتر السجان وأبو محمد ٠ يتعرف فرج شاهين على سعد مختار والشيخ عنتر السجان في السجن ، بينما يتعرف على أبي محمد في الغربة ، في احدى دول الخليج ٠ اننا هنا نريد ان نكشف عن صلة هذه الشخصيات بالحدث الروائي أو بعدها وانفصالها عنه ٠ سعد مختار هو « قلب الأسد ، عنيف مكابر ، يقفز صخور الجبل بأكياس الاسمنت الثقيلة ٠٠ يتألم ، وعندما يأتيه السجناء يرحل طائر آلامه » ٠ انظر الرواية ص ٦٣ ، وهو الذي يكور القماشة المربوطة بخيط طويل ويرميها في برميل ، فتسقط في الخمر ويسحب القماشة الى الزنزانة ليشرب من عصيرها السجناء وينتشون ص ٩٤ ٠ وسعد مختار هو صانع العود الخشبي من خيوط النايلون وهو الذي يقود حملة الطرب في السجن ويعربد صوته ثم يسكن على أصوات أحذية الحراس » ص ٩٥ ٠ هنا لا نلمس سوى الولع بالتفاصيل والتسجيل الدقيق للوقائع ، بينما لا نعثر على الصلة المفترضة بين شخصية سعد مختار وبين الحدث الرئيسي أو الأحداث الأخرى في الرواية ، صحيح أن ثمة صلة ما تنعقد بين سعد مختار وبين الراوي ، فقد يكون دور سعد مختار هنا هو تعريف شاهين فرج على الخمرة ولكن هذه الصلة لا تكفي وحدها لتقيم علاقة وظائفية بين الشخصية والحدث الروائي ٠ وتنسحب نفس المسألة على شخصية عنتر السجان اذ أن كل ما نعرفه عن عنتر السجان هو أنه « عشق امرأة تزوجت غيره ثم ماتت في حادث ٠ لم ينقطع عن زيارة قبرها عدة ليال ، ثم رآه حارس المقبرة يحفر القبر ، ويمزق الكفن ، ويقبل الجثة ٠ ثم أغمي عليه واقتضب حديثه بعد ذلك وعاش أعزباً يكره النساء ولا يخرج الى الشارع » (انظر الرواية ص ٦٣) ، و « الشيخ عنتر يضرب القيد بنشوة أو حزن ولكنه يستمتع بالرنين ويفتح فمه الذي يشبه قفل الزنزانة ٠ المطرقة أمضى في يده ، لكنه الأقوى » (نفس الصفحة) ، وانه هو « الذي يشعل النار والجمر ويقلبه بمطواة من حديد ٠٠ وهو من يعطي اشارة البدء للحياة » (ص ٧٢) ، ويرى الراوي أن عروق يديه وارتفاع الرقبة والعينين المليئتين بماء السنين والعجز دامعتين بلا سبب » (ص ٧٣) ، وفي عينيه الدامعتين شرارة غضب مجهولة (ص ٧٤) ، ويكتشف « ان قدرة الشيخ عنتر على الحديث رائعة وشعر بالطلاقة والحياة تتجسد بين فتحة شفتيه ، وينزاح عبء القيد والظلام والأسوار حين تتناهى اليه نبرات صوت الشيخ عنتر » (ص ٧٥) ، هذا الذي ينشغل « بالقيد والذي اذا ما توقفت تحت أنظاره أقدام طليقة يحكم القيد واذا شاهد القيد في الأقدام فلن يستريح الا بقتله » (ص ٧٥) ، والشيخ عنتر هو السجان وهو أيضاً من يطلق سراح شاهين فرج بعد أن تأتيه الأوامر ٠ وعلى ذلك ، فاننا هنا لا نرى أية صلة تربط بين عنتر السجان وبين الحدث الروائي الأساسي ٠ ان تصوير شخصيتي كل من سعد مختار وعنتر السجان جاء كنتيجة للحالة النفسية التي اعترت الراوي وهو في السجن ٠ وهذا التصوير جاء كانعكاس مباشر بسيط يعبر عن شدة انفعال الراوي وتأثره بالمرئيات الحسية الظاهرية ، وشدة تعلق المؤلف بوصف الظواهر الجزئية وتعقبها ٠ وربما كان المقطع الخامس عشر ، والذي يظهر فيه الشيخ عنتر السجان كشخصية رئيسية في اطار المقطع نفسه ، يصلح لأن يكون قصة قصيرة حول النموذج المذكور ٠ وكذلك فان المقطع التاسع عشر والذي تبرز فيه شخصية سعد مختار ، كشخصية متفردة ، يمكن أن يشكل بدوره قصة قصيرة أخرى ، بيد أن الشخصيتين المذكورتين لم يجر توظيفهما لخدمة بناء الحدث الروائي ، فهما لا تتشكلان عن طريق الحدث الرئيسي ولا تعملان على تشييده وتأسيسه ، بحيث أن صلتهما بالحدث الروائي بدت مقطوعة مبتورة ، عدا أن هذه الصلة انعقدت بينهما وبين الراوي نفسه ٠ وكما نوهنا من قبل بأن هذه الصلة لا تكفي وحدها لأن تقيم وتؤسس علاقة وظائفية بينها وبين الحدث الروائي ، ولعل ذلك هو ما يفسر لنا أيضاً جنينية العمل الروائي الذي نحن بصدده والذي لم يتخلص بعد من آثار وبصمات القصة القصيرة ٠ وهذا هو الأمر الذي يؤكد الميل للجمع بين خصائص شكلين من أشكال القصة (أي القصة القصيرة والقصة الطويلة) ، كما ذكرنا في البحث الأول من هذه الدراسة ٠

ان الخلاصة ذاتها تنطبق بنفس الدرجة على شخصية أبي محمد :

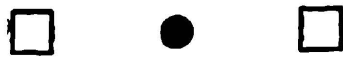


يسعى الراوي الى تجسيد فكرة وحدة وتناقض الأضداد متمثلا في ذلك بشخصيتي كل من عنتر السجان وأبي محمد · فقد عرفنا أن عنتر السجان يحب القيود ، أما أبا محمد صاحب المقهى ، فهو يبحث عن الزبائن وعن النقود · نكتشف محاولة الراوي في تجسيد وحدة وتناقض الأضداد في المقطع العشرين ، حيث ينثال تداع محدد في ذاكرة الراوي: « الشيخ عنتر يطرق ساعد القيد » (ص ٩٩) ، ويجري تشبيه أبي محمد بالشيخ عنتر ، « فشبههما قريب ، هذا أبو محمد · كيس النقود المربوط في وسطه بخيط » (ص ٤٨) · اذن ، عرفنا أن القيد يشير الى عنتر السجان والنقود تومىء الى أبي محمد · يقول الراوي : « نفس رنين القيد ، النقود، يفعل الشيخ عنتر هذا بطريقة أخرى ، النقود قيد والقيد نقود ، الأصل واحد ، حديد يصهر ويعشقه البشر، هناك من يحب القيد وهناك من يحب النقود، الكل يسعون الى شيئين مختلفين ومتحدين ، نقيضين تماماً لكن أصلهما واحد ، كل يرى سعادته في أن يودع جسده وقلبهأمانة للمال أو القيد» (ص ٤٨) ·

واذا كان الأمر يتعلق بتجسيده فكرة وحدة وتناقض الأضداد على هذا النحو ، فان هذا الأمر قد يخدم توظيفه ــ والى حد ما ــ التجسيد الفني للفكرة ، أما اذا كان الأمر مرتبطاً ببؤرة الشخصية وعلاقة شخصية أبي محمد بالحدث الروائي فهذه قضية أخرى ، لم تجد لنفسها تعبيراً واضحاً في الرواية · فعندما يجري الحديث عن شخصية أبي محمد في المقطع العشرين ص ٩٩ ، لا نعثر الا على جملة واحدة جاءت في شكل تداع في ذاكرة الراوي لتذكرنا بشخصية فرج الشماس ، توحي صيغتها الدلالية بأن هناك خاصية مشتركة بين فرج الشماس وأبي محمد وهذه الخاصية هي عنصر الكبرياء والشموخ عند كلا الشخصيتين ·

يقول الراوي « فرج الشماس لم يمت في مفكرتي ، أراه يتحرك في نظرات أبي محمد داخل المقهى وهو يتغنى بصمت بلغة كبرياء عنيدة » · ان هذه العبارة الأخيرة ·· أي « بلغة كبرياء عنيدة » هي التي توحد بين أبي محمد وشخصية فرج الشماس ذلك العامل الصلب المكابر والعنيد ، ومن الواضح أن ابراز صفة محددة عند شخصيتين وتجسيدها ، قد يخدم مبدأ النمذجة شريطة أن توضع الشخصية في مواقف نموذجية · وهذا أمر آخر يختلف كلية عن موضوع بؤرة الشخصية · أن شخصية أبي محمد لم تندغم في الحدث الرئيسي بأي شكل من الأشكال بل أن صلتها بالحدث لا قيمة لها من وجهة النظر التكنيكية ·

وخلاصة القول أن بؤرة الشخصية في رواية « الجذوة » ظهرت لنا على مستويين وانطوت على طابع مزدوج فيما يتعلق بالمهارة الفنية ووظائفها الجمالية ، فهناك شخوص اندغمت بالحدث الروائي ولعبت دوراًرئيسياً في تشكله ونموه ، الأمر الذي أفصح عن قدرة المؤلف ومهارته الفنية في خلق وشائج وعلاقات تربط شخوص عمله الروائي فيما بينها وفي علاقتها بالحدث الرئيسي ، وثمة شخوص أخرى ظهرت بشكل مستقل ، منفصل ·· فلم يوجد بينها وبين الحدث صلات وعلاقات مجسدة ملموسة، وهذا الأمر يشير الى حداثة الخبرة الفنية وجنينيتها في كتابة العمل الروائي المعني ·



الطين

شعر : علي الشرقاوي

وهجٌ يطيرُ على حريرِ النارِ
أسرارٌ تلقّحُ صوتَها
والهجسُ يطفرُ بين كفيهِ وأغنيةً تفصّلُ ثوبها
من شقهةٍ في الجمرِ
يا عبدَ الضحى
من أي زاويةٍ ستدخلُ في النقوشِ الحمرِ ؟ ·
لازبةٌ يدي
واللونُ مكتهلٌ وجمراتي عجوز
اصغي إلى عرق المواقدِ وهي تصهلُ بالرموز
عن مهرةٍ أخذوا فضاءتها
ولا يدري أحدْ
عَقَروا اضاءتها
ولا يدري أحدْ
قَبَروا براءتها
ولا يدري أحدْ ·
عبدَ الضحى ·
وهجٌ وأحجارٌ تظفّرُ اسمهُ
ألَقاً على ورق الصباح
والريحُ تبحث في أصابعِهِ الفتيةِ عن مواقعِها
الجديدة
والبحرُ كان دمَ القصيدة ·

من أي زاويةٍ سأدخلُ في يدي ؟ ·
نهرٌ الى مجراهُ يغويني ··· ليصرفني
نهرٌ يواسيني ليغرقني
نهر يفتتّني
نهرٌ ·
هي الأنهارُ ما بين المحيطين الهلاميين تأخذُ اسمهُ
وتبيعُ للصفصافِ والصرافِ ضحكتهُ
وتطعمهُ الرحى
عبدَ الضحى ·
في صمته يصحو يراقبُ جمرةً
أهدابها الميناء ضحكتها طراوة همسة الليمون
تمشي كالهلال الأنعل الفودين في خصر المساء
عبدُ الضحى المستاء كان مراقباً
قفي
قفي
قالتْ صديقتُها الندية أزرقاً
فَمَضتْ تحرّضُ ساقها الوحشي نحو فضاءة
في الطين
كالمنقوع في اليقطين هسهس بالرؤى ·
نارٌ أنا



والطــيـنُ مملكتـي
أسيرُ على رصيف الوقت ممتلئاً بأنغامي
فكـل مواقـدِ الأحـلامِ أقـدامـي
نقشـتْ عصـارةَ الأيام سكرةً
أذبتُ رحيقهـا في النـــورَ
يا نغمـاً يغمغـمُ بالطفولـةِ

كيــف تتـركنـي
وحيــداً
داخـل التنـور ؟!

يسحـبُ جـذوةً ممشـوقـةً كالرعشِ
للتعب الصباحي المغامر في المجامر أسَّس الأمواجَ
هنـدسَ خطـوةً لهيبـةً في اللـونِ •
قـوَّسهـا •

أنـا جمـرٌ يخصّ الكـونَ
يا وتـرٌ يـلازم لثغـة الأطفـالِ
سهَّمنـي •

صحا ياهو بجذوته فتركضُ في فضاءِ عاقـرِ
من أي عاصمةٍ ستبدأ مهرتي بالركضِ ؟! •
يسعلُ آهةً تخضرُ في الأشياءِ حتى الومض ،
يلبسُهـــا ،

يرافـقُ حولقات البحر وقت الجزرِ ،
هل أحـدٌ رأى خطواتـه تهذي ؟! •
وما بين المحيطين الرماديين يسكنُ برزخاً
ويعـاقـرُ الصحراءَ كـأسَ الرمـلِ
طـينٌ طـازجٌ

يمتـدُّ في سَعَـف الصـدى
بـين المـدى المتكسّر الأظـلافِ
يختـزنُ البراكـينَ الصغيرة في الشـذى
والنهـــرُ
هذا النهرُ كيفَ يواصلُ التطوافَ دون يدي
تقمّصَ ضحكتـي

وتسلـق الأكتـافَ يصعـدُ للدراهـمْ
يـا طـينُ
يا وطنـاً أرى فيـه الطفولةَ غيمـةً
تتوسّدُ الألعابَ في أهـداب ضحكِ الريـحِ
في تسبيـحِ نجـمِ الصبـحِ
في رسـح الأماني البكر جالسةً كأن الحبُّ •
تنهضُ من أصابعـه الطريـة شهوة الألـوانِ
تشـربُ قهـوةً بـدويـةً
والعشـبُ يعلـكُ سنَّهُ الطفلي
والجمـرات في الطمي المؤرّخِ
مهـــرةٌ
شكّلتُ نُطفتهـا بـدمٍّ الهم
هـل أحـدٌ سواها يذكـرُ التنورَ
والوقتَ الضبابيَّ المهدهـدَ في سرير النقشِ
قلنــــا
حلمُنـا جســرٌ
لزحفكِ يا طيور النورْ •

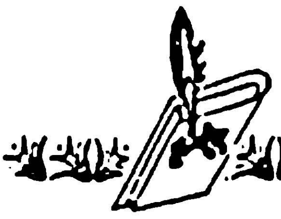
طيرٌ طريٌ مارجٌ عيناهُ باحثتان عن وطـنِ
كشهق الوجـدْ

طينٌ صبيٌ جائعٌ للنار سائرةٌ ولا قبلٌ لهـا
أو بعـدْ

طينٌ وينقشُ في الفضـاء مواقداً جمراتهـا
مجدولـةً بالوردْ

يا عبـدَ الضحـى •
لا السـيف غـير النقشِ

لا ريحٌ سوى عصف الأغاني صافنات المـدْ •
بالخنصـرِ المجبـولِ من نسـغِ المجاعـةِ
مـن يراعـهِ دمعـةِ الأطمـارِ
مـن بحّـارةٍ مـروا وقالوا :
انها محـارة الأشجارِ



يرفــعُ جمــرةً
ويعلـّـمُ الأخــرى صيانــةَ حلمهــا
فتنــطُ في الأســرارِ

علـّمنــي دمــي
كــنْ في فمي
يا دمنــةَ الأنــوارْ ٠

كفـّــاهُ شارعتان بين الغيبِ
شمسُ الرّيب تأخذهُ بعيداً نحو بدء الطــين
للمتحرك المأهولِ بالخطواتِ
للــذات الجميلــةِ
للجمـــال الطلـــقِ
أطلــقُ أصبعي في الكــونِ
أرسمُ كوكباً فيدورُ حولي في قميص النومِ
يجلسُ في الصــدى
هذا هو الناريُ مشغول" برج الريح في الريحانِ
ينقشُ للجنــونِ قصائــداً
تمشــي على قدمــين مــن لــوزٍ
تجــادلُ شكلهـــا
وتــواعــدُ الأيـــامَ

عمــالَ الزمانِ البكــرِ
لعـــبَ الطفـــلِ
قافلـــةَ الســـلامِ
العـــاشـقين
العاطلـــين
حصــى ضفــافِ الجمرِ ٠

هـــذي مهـــر"
أقدامهـا البــدو النهاريــون
تسكنُ في بياض الليلِ حالمــةً
تسافــرُ في انتفــاضِ الشــكِ
تبــدأ خطـــوةً
أدري
بأن النهــر يخشى خطوتي ٠

طـين" أصابعــه طريق" مشمس"
يتجــاوزُ الأعــرافَ في تطوافِ هذا الفُلكِ
يا عبــدَ الضحــى ٠
نهــر" طفوتَ لا غزلَ الأيامَ عاصمةً فأنزلني
نهــر" جمعتُ له يدي فرحــاً فناثريني

نهـــــر"

فــأي الضفتــين أحــلُ
والأطــراف تأكــلُ بعضهــا
واذا سموتُ عملاً بالوجــدِ ٠٠٠٠ تأكلني ٠

طـــين"
ويعــرجُ في براقِ النقشِ ،
يتبــعُ خطوةَ النعنــاعِ بين الطمي ،
تتبعـــهُ ،
يهاجــرُ في غنــاء الحجرِ الصمّي ،
يمــرقُ في جــذور الكــونِ
يا عبدَ الضحــى ٠
إدخــلْ ميــاه اللــون

غامــرْ في الهــلامــي وفي الوهمــي ٠
لازبـــةٌ يـــدي
والنـــارُ بين مواقدي تهذي
فمَــنْ أعطى القنافــذَ شكلهــا
يــا مهــرةً
شكّلتُ لحظتهــا فساحتْ في دمي
زغرودة" سَحَبتْ ثياب الماءِ فارتعش الغديرُ

زنــابقـــاً
وبيــارقـــاً

أهــذي ، أطيرُ على كــلامِ الضوءِ
يحملني شراعُ الطقسِ في همس الكناريينِ
صــرتُ خمــيرةَ للخمــرِ
صـــرتُ الكــأسَ
مَــنْ يشــربْ ؟! ٠



شفتاه ذائبتان من تقبيل قافلة الجُميرات الطرية وهي تحترف الرسوم

ويداه مرهقتان من تشكيل أزمنة كأغنية النجوم

عبد الضحى الملفوف بالأفراح لغَمّ سُورة جدْولْ خطوطك في شطوط النار .

في الأنهار أقتل
كل الزوايا فتّشت اسمي

تصدّع خاطري الطفلي والأوتار في الشفتين.
لا تتبادلوا لحمي طرياً في موائدكم
أراكم من شقوق الطين

من تكوين خط الرفض
من نبض المرايا في فضاء الشكل
من ظل النوى النخلي
من .

هل كنت في التنور هسهسة تقول الطلع ؟!
مشتعل ويرسم شارة
بالخنصر الحجري لوح للغرابة

إنهضي
يا طفلة النارج

بالابهام طوّح بالكتابة

★ ★ ★

أين فعل الرج ؟!

لازبة يداه بخط أفق ينحني للرقص في قصص الجدائل

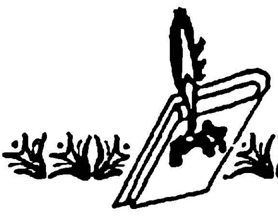
إنفضي يا مهرة النيران عن كتفيك ظل النوم
هذا النقش أنساغ ستدخل في المفاصل
إنهضي

هل يستقيم الخط بين المنحنى والمد ؟! .
طين له شهوات حرف في رغيف الرمل
طين له طبع النحيلات الرهيفة وهي تكشف للصدى عري الزمان الكهل

طين له ركض الغزال البرتقال يهيم فوق الفصل
طين له همس الصبايا اليافعات الداخلات على السؤال الفصل

طين له هجس الخيال مؤصل في الأصل

طين
من التنور أبتكر الطريق
أريق أعضائي
أعاضد كلمةً وأكلّم الأحجار
أحجر ما تساقط من لهيبي
ألهب الأسرار
أسرى في المحيطين الظلاميين
أضرم فرحتي بالنار
والأنهار سائرة على كتفي
متى أرتج أسقطها وابني الطيف ؟! .
يجلس مثل سيف اللون بين الطين
يضحك وردةً
فيزخ عطر الجمر أغنيةَ الصباح
يوجّف الطبقات ، ينزلُها
ويرفع هجرة الأحماض في الليمون
يا المسكون بالمشكاة والمرآة والثاءات والزيتون
يا المجنون بالأفراح والأقداح والحسون
هذا الطين أسرار وأشجار وأحجار
أكلّمُها
فتكشف ساقها قمراً
أغوص بلحمة الأعماق
أشرب شهقة العشاق
ترسمُني يدي طيراً يجادل عشه عن رحلة في الضوء



يا عبدَ الضحى .
ماذا تحدّثكَ الرحى .
رئتاه دالية" تمدّ حبالها بين الرصاصة والمضيق"
ويداه' ما بين المحيطين الغباريين تبحث عن رفيق"

نهر" يرّمضني
نهر .. يروّضني
نهر" .. الى الحفلات يدعوني

وقبل البدء يرفضني .

في ظلمةِ التنور يقضي يومَه'
ويغيّر' الأشكالَ

يجمعها
ويسكبُها

ويمحو . ثم ينقش' . ثم يمحو . ثم
للحظاتِ لون زنزان التوقيف
للأيام لون سفائنِ تعبَت" من التجديفِ
للسنوات ساقِ الجمرِ
لي
عبد الضحى .
هذي الرموز' السمر جالسة" على كفيكَ
فابدع" مهرةً لعيونها طرف" كجذر الايكِ

لازبة" يدي
والجزَر' يشرب' خطوتي

والمهرة' الشهلاء' مجفلة" تحاصرها البنادق
في جنوب الوقتِ

هل أمشي على قدمين من صدفِ
ومن سعفِ تقصّفَ في وعاءِ الصمتِ
في التنور كلّمني الصدى
فعرفت'

يا عبد الضحى
ماذا وراءَ الهزم ؟!

نهر" أعلمه' الرماية' خطوةً خضراً ..
فيرميني
نهر" أغذيه بعاطفتي . أغنيه .. فينفيني
هي الأنهار' جاثمة" على صدري
فكيف أقول جمري ؟
كيف والأطراف للصرافِ
ما بين المحيطين الرصاصيين . تُهديني
عبد الضحى في الطين نار"
مَن" يحدّثُها

ويكتشفَ الرموزَ وسر هذا الأسمر المكنون
بالأنغامِ

يعرف' أيّ أحلامِ ترود' الآن قيعان المحيطيين
الضبابيين

أيّ الهجس
يا عبدَ الضحى
ماذا وراء الهزمِ ؟
حدّق مثل قمحِ طاعنِ في الدرسِ
أدخلَ جذعه' الجمريّ بين الحدسِ

لا تتبادلوا اسمي
دعوني أنقش' الهالاتَ
أمحوها وأرسمُها أشكّل قامة اللحظات

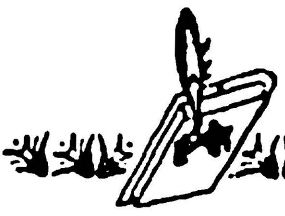
لي آه' الشجيراتِ الطليعةَ وهي تغسل' اسمها
في جذر ماءِ الطين

لي العصفور' منتظر" على شفتي غناء العشبِ
لي مطر' الأماني في وميض الصعبِ
لي المهرة

لي تكوين' لب اللون للقشرة" .
بأصابع الجمرات ينقش' فرحةً
يصطاد' من زبد الأساطيرِ الندية طفلة المحار
يطلقها ويقتاد' النجومَ الى الحجر"
بدويةً لغتي



أحاصرُ عصركم بالحبِ
أعصركم فتنفجرَ الطفولةُ بالمطرْ
جمرٌ يموجُ
يحدّثُ الأطمارَ بالأنوارِ
يمزجها بعطر التوت والملكوت
يمنحُها الاضاءاتَ الطليقاتَ كآهات الزهرْ
طينٌ يؤكسدُ ما عداه
طينٌ ويحترف السفرْ
بين البحيرةِ والقمرْ ٠
عبد الضحى
محشورٌ يديك بخط ماء الجمر
انقش بالخطوط الحمر أسماء التي
لا تمنحوا الخطواتَ أسماءً
هي الممكنُ ممتدٌ على اللحظاتِ
هل يمكنْ ؟!
طينٌ يطيرُ على صرير اللونِ
يكشفُ للظلالِ مدائناً تمشي على قدم الظهيرةِ
والأماني وردةٌ لضفافها عسلُ الهواء
والريحُ تشربُ في الشوارعِ كأس ماءْ
والبحرُ يجلسُ في القصيدة ٠
عبدَ الضحى
إدخلْ الى الهذيان
هزَّ النهرَ بالطمي المكوّنِ ضفة الآتين
حرّك جذعهُ بين المحيطين
سقاً جمراً تآكلَ
أطعمَ اليقطين في الشفتين مراً
هل رمادٌ وبه ومضٌ ؟
توسّدَ أزرقاً
يا مهرةً شكّلتُ خطوتها بهم الطفلِ
عائدةٌ يدي للفعلِ
لا أفقٌ سوى عينيك تحملُ هودج الأعراسِ
لا غسقٌ سوى شفتيك تهمي خمرةً للناس ٠
بالأسرارِ
والنارِ التي خرجتْ من المحّارِ غذيني
وكوني في دمي أحلى طيوب الشرقِ
كوني البرقَ
أو
مَنْ كلّسَ الألوانَ فوق الجمرِ ؟
من أعطى الحمامةَ شكلَ فعلِ الجرِ ؟
يا عبدَ الضحى المحتار
هذي ضفةُ الأنهارِ جالسةٌ على كتفيك
هل تختارْ ؟!
نهرٌ بحرف الثاء يسحبني على مهلٍ
ويشعلني ويطفيني
نهرٌ بحرف الثاءِ في مستنقعٍ مزكومةٍ كفيهِ
صقّعني وكلّمني وفقّعني ٠٠ ليبقيني
نهرٌ بحرف الثاءِ عمّدني ووسّدني ليشويني
نهرٌ ٠
وما الجدوى ؟
تَحَرّكَ في زوايا الوقتِ ٠
إصهلْ باليدين شوارعاً حبلى
بأطفال يطيفون المحيطين السماويين
ما الجدوى ؟
تجوّلْ في رمادِ الجمرِ
جمّرْ ضحكةً
ريحاً
أراجيحا
ورج الهم
ينمو الصمتُ أسئلةً
تسيلُ ٠ تسلسلُ الصلصالَ
تصهلُ مهرةٌ بدويةٌ
تدعوكَ للعشق الربيعيَّ
جواداً جامحاً إنهضْ
يراقبُ جمرةً



أهدابهـــا الأمطـــار

تركضُ في فضـــاء غامـــرٍ بالصحو

يحملها يجسُ الحرقَ • يُدخلها قُليبَ الطمي

يـــرقـــصُ أصبعـــاً

يتحـــرّك الابهامُ نحو كلام رعش النقشِ

هـــا •

بالنـــار أمحـــو ما رسمتْ

بالنـــار أرسمُ ما نسيتْ

وأعيـــدُ تشـــكيلَ الخطى

أخطـــو

أخطّـطُ شـــوقهـــا

يا مهـــرةً قطعـــوا ظفائرهـــا

خـــذي جمـــري ظفـــائـــرْ

وفمي المبقّـــع بالسجـــون حوافـــراً

ودمـــى فضاءتـــك الجـــديدةِ

إخـــرجـــي

للشـــــارع البـــدوّي

للتنور يصنعُ للمواقدِ شكلها المرويَّ بالأطفال.

أنقـــشُ نبضـــةً •

يا مهـــرةً فصّلتُ بالجمـــرات لحظتها

إنهضـــي

لا ماء غـــير النـــارِ

للأســـرار خطـــوتهـــا

وهذا النقشُ يخطو بالطلاسمِ شهوة الألوانِ

يصعـــدُ بالهـــزائـــمِ نحـــو باب القبـــرِ •

مـــرتعش"

ويرســـمُ ضحكةَ الأجيالِ واقفةً على الموال

ينقشُ خطوةَ العصفورِ نحو النور

يحفـــرُ ذكريـــاتَ النخـــلِ •

حافظـــةُ الحجـــرْ

ويســـيلُ في صـــدر المطـــرْ

ويغـــوصُ في التنـــورِ

يصهـــلُ مهـــرةَ النـــيرانِ

تســـألُ •

تخلـــعُ الأنهـــارُ ضفتهـــا

وتتبعهـــا وراء الهجسِ

تصهـــلُ مهـــرةً

تمتـــدُ في رمـــل المحيطـــين أساطير

يقـــودُ فضاءها سرب الحمـــام ،

كـــأن ضـــوءُ الشمسِ

تصهـــلُ

والطريـــق ترابـــه ورد الكـــلام

عبـــد الضحـــى

كـــون" صحـــا في اللـــونِ

يعـــرجُ في براق الاضطرام •

علي الشرقاوي

١٩٨٠/١١/٢٠

* * *

ملاحظات حول مجموعة :

انفراقات

لأمين صالح

بقلم : عبدالله خليفة

هذه هي المجموعة الثانية للقاص أمين صالح الصادرة عن دار الغد بالبحرين، والتي تعتبر امتداداً وتعميقاً للخط الذي شقه لنفسه في ميدان القصة • اننا لن نعتبر هذا الامتداد تطوراً وقفزة الى الأمام ، بل سنجد فيه استمراراً لأزمة هذا العالم الأدبي الفكرية والفنية •

ان اطلاق النعوت الفضفاضة والتعبيرات الشعرية والمصطلحات الغريبة غير المفهومة ، لن تؤدي الا الى عزلة أكثر لهذا الأدب وتفاقم أكبر لموقفه الصعب ، وعرقلة تطور الكاتب • علينا أن نتحاور كأصدقاء، لنكتشف مواقع ضعفنا ونساعد بعضنا البعض ، في غيبة النقد العلمي • وهذا النقد ليس منافسة وصراعاً لتدمير الوحدة الأدبية ، بل هو لتعميقها ، واكتشاف مواقعنا على نحو أفضل وتوجيه كلماتنا للتأثير المشترك في الواقع •

سوف نناقش هذه المجموعة من زاويتين ، الزاوية الأولى هي زاوية البناء ومدى قدرة الكاتب على خلق بناء قصصي متماسك • ولا يعني هنا أن الرؤية المتجسدة في هذه الأعمال ـ سواء المتماسكة أم الضعيفة ـ ايجابية ، فقط اننا بتركيزنا على هذا الجانب نستطلع جوانب التشكيل المختلفة حتى نعثر على جوانب الخلل التي تقودنا الى خلفية هذا التشكيل وأسباب جفافه وضعفه • الزاوية الثانية هي زاوية الرؤية وتناقضها ، هذه الرؤية التي تؤدي الى التشكيل بهذه الصورة • أي اننا ننتقل من الشكل الى المضمون ونرى علاقة التأثير بينهما •

بين التداعيات والقصة القصيرة :

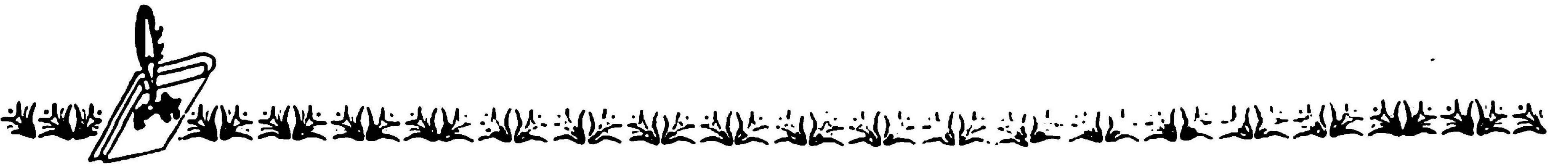
العديد من قصص المجموعة عبارة عن صور متناثرة لم يستطع الكاتب أن يخلق المعيار الفني الذي يوحدها ويعطيها الدلالات المبتغاة • انها تداعيات ربما وحدتها أحاسيس ما ، لكن لم تأخذ فرصة النضوج الكافية للتبلور في هيكل حدثي متناسق ، فانطلقت الصور المقطوعة ، والتعبيرات المباشرة في كل اتجاه •

ان التداعي والانطباعات حينما تتحول الى انطلاق عفوي ، لا تضبطها الهندسة الفكرية يتبعثر المحور الذي يربط كل الجزئيات ويوحدها • ليست المسألة مسألة التخطيط والمنطق الحسابي ، ولكن ذاك التفاعل الخلاق بين الوعي والعفوية ، بين المنطق والتدفق •

سوف ننتقل مباشرة من النظرية الى التطبيق •

في (انفعالات طفل معاصر) نجد عشرات الصور المبعثرة والتداعيات لكن لا نجد هيكلا حدثياً نامياً •

في البدء تطالعنا صورة الراوي والفتاة التي تجلس قربه • ليس بينهما وبين البحر سوى جدار سميك • بينهما حب ولكنه حب خارج على القانون،



وهو حب سخي ، تلاحقه معاطف المخبرين و ٠٠٠ و ٠٠٠ يخرجان من المقهى ، يستلهمان الماضي والمستقبل ، وكانا مأخوذين بسحر العرائس ،ولكن يعود الحصار فجأة ويعود الجدار السميك ٠

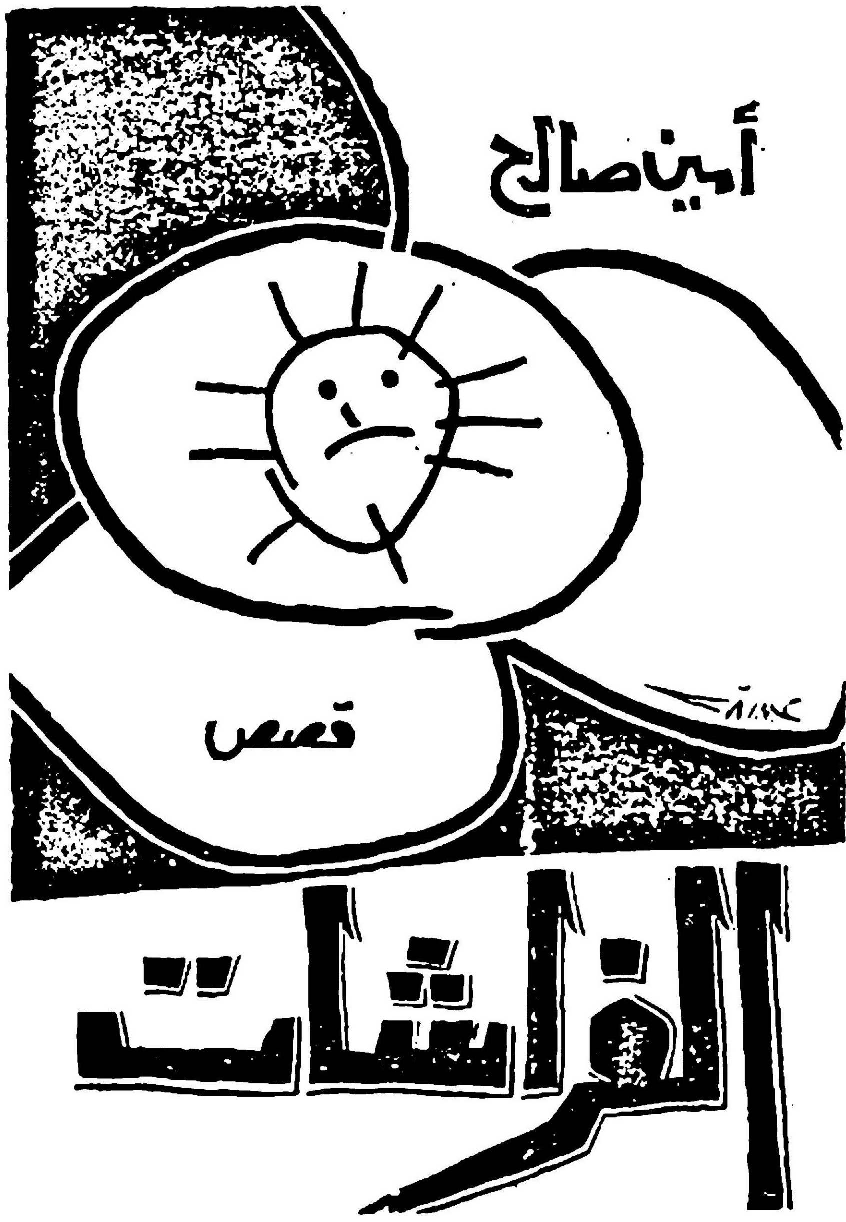
ثم ننتقل الى صورة أخرى ، لا تأتي كتوليفة وتركيب ، بل كقطع في البناء ٠ فثمة غرفة موصدة وخالية الا من طائرات تقذف قنابلها في لحظات خاطفة ، نجد عيناً في الأرض وأخرى في الرأس ٠ الطفل المحاصر يحصي أصابعه فيجدها سبعة ٠

الصورة الثانية جاءت ولم تحدث تركيباً بنيوياً، انفصلت عن الصورة الأخرى ، وتأتي الصورة الثالثة أولا كأقوال تقريرية (أعشق الريح والخليج والوقت الآتي والرمل والبحر والمراكب) ، تقريرية لأنها لم تتجسد تصويريا، فنحن نبغي الخليج ولكن أين هو؟ وهذه الانفلاتات التقريرية تأتي لتزيد الفصل بين الصور ، وليس لها من قيمة بنائية ٠ والكاتب مولع بهذه الجمل غير القصصية وهي جزء من حالة عدم النضوج الفني للقصة ٠

ثم نرى امرأة أيضاً ٠ تبقى بذات الحالة التجريدية الأولى ٠ (ساعدها ثمرة شهية لها طلعة بهية يعشقها كل الأطفال) ، الكاتب لا يبني ،يبقى بحالة التداعي الأولى ، لا يطور من هذه المرأة ، لا يجسدها بشكل خاص وحميمي ، لكي يحولها من أوصاف عامة تنطبق على أشياء كثيرة الى انسان ذي ملامح ٠ اللغة الناعمة الملمس المنتقاة ، تقيده ٠ لا ينتقل الى الانسان ، الى تركيب صورة تكشف أعماقه ٠

يقفز الى الملهى الليلي ويدع تقريريته تتحدث ٠ فهو يمقت الرقص الشرقي في العلب الليلية وامتهان الأجساد ويكره مدير الملهى واللوطيين والمخصيين وأصحاب المصارف ٠ لقد جاءت هذه الصورة أيضاً بلا توليف ، فلا تطور جانباً حدثياً سابقاً ٠ بل تنقلنا الى أشخاص جدد وموقع جديد مضيعة الفرصة للتركيز على الأشخاص السابقين ٠ ان هذا الانتقال لا يضيف فنياً أي شيء ٠ ويمكن الانتقال أيضاً الى أصحاب المزارع والقصور والقضاة وغيرهم ولكن ما فائدة ذلك بنائياً ؟

النقلة الأخرى الى شخصية (أبي ذر) ٠ ودائماً تكون الأوصاف العامة ذات الرنين الشعري ،كدقات الطبل ، هي المدخل الى الشخصية أو الحدث ٠ انه



لا يدخل لها ببساطة، لأنه يكره أن ينزل الى الملموس والعادي ، فلغته يجب أن تكون محلقة ، مجردة ، فهي عبء يعانيه ، وليست أداة تساعده لخلق الشخصيات والأفكار ٠

أبو ذر يرسم وطناً دامعاً ، ويكاتب عالماً مجرداً هو الوطن والأمهات ٠ ان هذه المكاتبة لا قيمة لها ، تبقى شعاراً ، لأنه لا بد من أم ما ،خاصة ، تتم اليها المكاتبة ٠ عندئذ مع وجه ذي قسمات معينة تتشكل علاقة حدثية قصصية ، والعلاقة لها شروط أيضاً ٠ أهم هذه الشروط صلتها بالصور السابقة وتناميها في الصور اللاحقة ٠ فالمسألة ليست اعتباطية فثمة قوانين للابداع ٠

وأبو ذر يطبع قبلة على جبين فتاة كانت تزوره خلسة ٠ ولكنها تختفي ٠ انه يصورها كعادته مركزاً على تعبير (المطر المالح) لا الانسان الرائع ٠

أبو ذر يدخل هكذا بلا مقدمات ، الصور الأولى لم تشيده ، عبارة عن كلمات لم تتآزر وتتشكل في بناء عضوي ٠ والاحساس بالاضطهاد أو الحصار



لا يشكل هيكلا • فكل صورة لها قيمة في ذاتها ، وليس في العلاقة بينها • والعيب هو في هذه الصورة لأنها مبنية بشكل « ميتافيزيقي » ، أعني انها منفصلة وساكنة ، وليست جدلية ، مرتبطة ببعضها البعض ، مؤثرة ومتاثرة ، خالقة بذلك لوحة عامة •

وفي المقطع الخامس نقرأ مانشيتات اخبارية لا علاقة لها بالصور والبناء السابق • ان الحديث عن الشهداء والاعتقال لايكفي ليشكل قصة فمابالك بقصة ثورية ، في ضوء عدم الاهتمام بالتكنيك القصصي أولا ؟

وتكملة لهذا المقطع نعثر على صورة • يصادف الراوي قاطع طريق • القاطع يقدم أكلا قليلا ، وكان كلاهما جائعين ، فلم يشبعا • تحدث عن نفسه فاوضح أنه يحارب عصابة احتكرت مياه الشرب عن الأهالي ، فيسلب مواشيها وعربات المياه ، ثم يوزعها على الناس • وهو منكر لذاته أيضاً ، فيراوغ عن قول اسمه •

هذه صورة لا علاقة لها بالحدث أيضاً • وسندرس في جانب آخر دلالة قاطع الطريق هذا •

أما في المقطع السادس فيخرج الكاتب عن الموضوع تماماً • يصور لنا حكاية رجل يبيع ذراعه الوحيدة بعشرة فروش • ان من الممكن كتابة عشرات المقاطع مثل هذه ولكن ما وظيفتها ؟ ما الاضافات التي تقدمها للبناء ؟

وفي المقطع السابع نقرأ نداءات متكررة الى المرأة الملهمة بالنار والماء • وهي بلا قيمة فنية ، وتبدأ الصورة حين تزمجر الذئاب في وجه أبي ذر ، وهو ممدد ومقيد على الأرض • الدماء تغادر جسمه والذئاب تلحس ما تبقى •

ولا يطور هذه الصورة بل ينطلق في تداعياته وانثيالاته ، يرتفع ويتوغل في الوقت ، ويمضي معه •

وفي المقطع الثامن استمرار لهذه التداعيات • الجمل الناعمة ، الشاعرية ، لكن قصصيا ، الفارغة •

وفي المقطع الثامن يصل أبو ذر الى موقع لا ماء فيه ولا شجر • ولكن قبل أن يكمل أو ينشىء الصورة يزوغ الى التداعيات والاقتباسات ثانية • يكتب عن سفر الرؤيا • ولا يتم مسيرة « بطله » •

نرى أن الكاتب لا يتحول الى قصاص ، يمتلك كيفية البناء القصصي ، فهو لم يقم بانضاج الفكرة / الصورة لكي تصل الى معمار محدد المعالم ، فقبل أن تتشكل وتكون بناءها ، أجهضها وأخرجها الى « النور » •

ولأن البناء غير مكتمل تنهمر العبارات المباشرة وترفع اللافتات ، فلم تنصهر هذه الشعارات في لحمة الحدث ، بل بقيت كدليل على التسرع وعدم اتقان التكنيك •

وجانب آخر من عدم الاكتمال هذا نجده كما قلنا في عزل الصور عن بعضها البعض ، فالنظرة التركيبية هي وحدها التي ستحيل هذه الشظايا الى منظومة • ان (شخصية) أبي ذر كان يمكن أن تتحول الى محور ، فتتجمع حولها كل الجزئيات غير المنجذبة الى مركز •

ان الكاتب أضاع الشخصية من التاريخ والواقع المعاصر • لأنه بكل بساطة لم يرسم شخصية • فهو لم يجهد نفسه تكنيكياً من أجل خلق هذه الشخصية ، واستساغ لعبة التداعيات والأجزاء المبعثرة والجمل الشاعرية ، ونسي واجبه كخالق للشخصية ، فتلاشت الشخصية والقصة والشعر معاً •

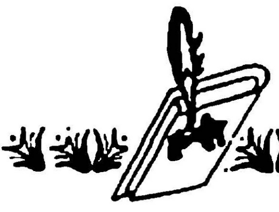
اللغة الجميلة البعيدة عن اليومي لها دور في الاتجاه الى التجريد ، فالكلمات تتدافع بقانونها المستقل غير موظفة لبناء الحدث ، وحينئذ تفرض شروطها عليه • هي تبقى كغاية ، بدلا من أن يكون الحفاظ على جمالها يأتي بالدرجة الأولى من خلال دورها ووظيفتها في البناء •

✡ (العواء) أيضاً عجزت عن التشكل كقصة • ثمة بطل يوحد الصور المبعثرة ، وهو الراوي ، وهذا التوحيد ليس المعمار المطلوب ، فهذا الراوي لايختلف عن صوت المؤلف • فكأن الكاتب يفكر ويحلم ويمشي •

نرى أولا صورة المقهى ، يبدأ الكاتب كالعادة بعبارات كبيرة ، فلا يخلق حدثاً منذ أول كلمة ، بل يفتتح المشهد بأبهة الكلمات الفخمة (توقفنا عند حدود الكلمات المنطوقة والمهربة) • (لنكتشف لغة أخرى بلون أحداق الشمس) •

رواد المقهى أجادوا لغة الكلام فصمتوا • لذا يقرأ أحدهم ملصقاً سرياً • ثم يقفز كهل ويقوم برقصة عنيفة تمثل بدوياً أنهكه البحث عن خيمة وعشب •

خيبة الراوي تتجلى في الشارع البارد أيضاً • يطارده عواء فيفزع ويجري • تحتويه الغرفة الخالية •



ليس فيها سوى ذكرى حبيبة ، وهي ليست حبيبة حقيقية بل مجرد نداءات تطلق الى شيء غير محدد بالمرة • فالمرأة لدى الكاتب ـ عبارة جميلة وليست انسانا • عنصر المرأة لايتضافر مع الصورة السابقة لكي تنمو حدثياً ، بل هي تداعيات يجمعها احساس بالضجر والخواء •

الصورة الأخرى التالية تشكل نمواً ، وهي صورة الصديق الذي قرأ الملصق وهو ملقى في سرداب قذر تسزقه الطعنات • وهذا النمو تجسيد لبشاعة الواقع المحيط بالبطل وليس أكثر من ذلك • بمعنى أنه لا يتشكل مع المرأة والبطل ليشكل علاقة قصصية • وبدلا من هذا التشكيل ينطلق في حديث مباشر لغيمة « ثورية » • حديث غير عضوي ، مجرد استطراد للملصق •

وبشكل مفاجيء يدخل الجنود أيضاً مسرح التداعي • تحدث مجزرة فيأتي صوت من بعيد هو العواء • لم يكن تردده سابقاً الا ايذاناً بمجيئه هذه المرة ولكن بشكله المجسم في هيئة جنود وعلى شكل أسلحة • وهذا الصوت ليس وحده ، فثمة صوت آخر ، هو الأغنية • اللغة المضادة للعنف •

يرقد الراوي ، هناك أصابع خشنة تتجول في جسده وجروحه •

مقطع الحوار التالي يدل على تغير موقف الراوي ، على انتقاله الى الفناء ، ولكن بغموض ، فليس ثمة تغلغل في نفسه ، أو كشف للابن الذي يخاطبه ، عبارات مبهمة لا تروي شيئاً •

أما النداء الأخير الى المرأة/العبارة فيكشف موت الراوية أو استشهاده ، وذلك سيان •

ان هذه الصورة الباهتة ، التي تفتقد الى الحرارة العاطفية والتشكيل المتفجر حيوية ،لاتشكل قصة • ان الصراع بين هؤلاء الأشباح والمضطهدين نراه في قصص عديدة ، ولكنه ليس مشجباً يعلق عليه الكاتب كسله الفني ، لا بد من تشكيل بنية ذات علاقة عميقة ، تميز هذه القصة عن تلك ، تخلق أبطالا لهم شيء محدد خصوصي ، يعطيهم نكهة ، ويعطي علاقتهم مناخاً متميزاً •

لكن الكاتب ينثر تداعياته ، مقهى ، امرأة ، غيمة ، جنود ، منزل ، غير قادر على خلق علاقة حدثية بين هذه العناصر • مضيفاً الى هذا التبعثر جواً مجرداً يعمق هذا التبعثر •

✡ قصة (ولم ينته هذا الحلم البلوري) تختلف بعض الشيء عن المحاولتين السابقتين ، فالمجموعة المتناثرة من الصور نجد انها تتآلف وتتضافر حول البطل وهو الرجل البرجوازي وخادمته • هذا الرجل وهذه المرأة يؤلفان نقيضين ، أي قطبين متنافرين في الصراع الاجتماعي • ومن خلال « شخصيتيهما » ومن خلال الصراع بينهما ينمو المحور ويتشكل •

هو رجل مذعور ووحيد في منزله • وهي امرأة تعمل وتقرأ • في انطلاقه المذعور من البيت يقابل (صديقه) وزوجته • وحين يشتهي المرأة لا يتردد بينما يقف الصديق مغطياً عينيه المفتوحتين • ولكن حين يشتهي الخادمة ترفض وتقاوم •

هذه هي العلاقة المحورية لدينا ، الرجل رغم كثرة المقاطع عنه ظل غريباً ، بعيداً ، مجرد رمز ك/س/مثلا ، وهو رجل بملامح غربية • فهو لم يتشكل بمناخنا وتربتنا الوطنية ، تشكل من قراءات القاص ، وليس كنتاج للواقع المحلي ، والخادمة أيضاً هي رمز آخر ، لا شك انها تتمتع بمزية المقاومة ، ولكن لم تخرج عن كونها شيئاً مجرداً ، وليست انسانة ، فنبع البطلين واحد •

لن نناقش الأسباب الفكرية وراء هذه الظاهرة الآن ، بل سنقتصر على رؤية التشكيل • وبهذا الصدد نقول :ان العلاقة الرئيسية لم يعمقها الكاتب نفسيا واجتماعيا • لم يركز على ذات البطل لينتزع ملامحها وخصائصها الجوهرية ، وليكشف من ثم أساسها الاجتماعي ، ليتشكل البطل كشخصية حية ـ وكذلك البطلة • ان الكاتب لا يزال يبعثر أجزاء القصة ، غير قادر على لحم الأجزاء بمهارة • وبدلا من اتقان التكنيك يلخص بعض قراءاته وينثرها في القصة • فهنا مقطع من سيناريو وهناك مقطع من قصيدة لشاعر فرنسي وأيضاً مشهد من فيلم ! وهذه « التوظيفات » لا قيمة لها على الاطلاق • لأنها لا تضيف شيئاً لتعميق رؤيتنا للشخصية أو لتطور الحدث بالاضافة الى أن ثمة صوراً أخرى لا تقوم بهذه الوظيفة أيضاً ، رغم صلتها بالحدث • كأمثلة : منظر المصنع ، المحكمة ، الجنود • هذه كلها تدلل على أن الكاتب لا يختار الزوايا الهامة والدقيقة

لاكتشاف شخصياته ، لأن رؤيتـه لا تتركز علـى (الانسان) بالدرجة الأولى ٠

☆ (ايزادورا ٠٠ دعوة للمشاركة) ، هذهليست قصة ، ثمة امرأة راقصة ذات اسم معروف ، لكننـا نجهلها في الحقيقة ٠ لم يصهرهـا القاص في حدث ساخن، فنرى أعماقها وطبقتهاالاجتماعية وصراعها٠ الصورة عبارة عن منظرين صغيرين لا أبعاد لهما ٠ الرجل الغربي البرجوازي في القصة السابقة تحل مكانه امرأة غربية ٠ وليس ثمـة صدى لواقعنـا ، فنحن ضيوف غرباء على المنظر ٠

المرأة لا تفعل شيئاً سوى أن تتعرى وترقص تحت رذاذ المطر ، ثم يلقى القبض عليهـا قبل أن يحضنها حبيبها ٠

هذه الصورة قطعت الى ثلاثة مشاهد ، وهناك أيضاً استشهاد بأحد أقوال راقصة عاصرت ايزادورا ولحسن الحظ وضع الاستشهاد خارج القصة هـذه المرة ٠ تقطيع الصورة الصغيرة الى ثلاثة مشاهـد ترينا سيطرة الشكل على وعي الكاتب ٠ الفكـرة ظلت باهتة ، لكن الشكل ظل يتمتع بالاهتمام الأول٠

☆ يصل الكاتب في العديدمن القصص الى التماسك الشكلي ، فتتشكل عضوية موحدة ، وتتآزر العناصر المختلفة لتبلور فكرة ٠

في (النافذة) تبقى ملامح الصراع ذاتهـا٠ الخادمة هي المرأة المضطهدة التي تعاني يومياًشراسة السيد ووقاحته ٠ تفتح النافذة فيستقبلها الهـواء ويدعوها للطيران ٠ والطفل يضحك أمامها فتحاول أن تقلده فلاتستطيع ، والنهر يدعوها لتتعلم الكفاح فلا تقدر أن تفعل شيئاً ، ويبقى السيد سيداً وتبقـى الخادمة عبدة ٠٠ وتغلق النافذة ٠

هنـا ليس ثمة شيء زائد ، كافـة العنـاصر البشرية والطبيعية تؤدي دورها في انسجام عضوي ، ولكن هناك أشياء ناقصة ٠ يتضح في القصـة دور العوامل الطبيعية كالهواء والنهر في اعطـاء المرأة صورة أخرى لوضعهـا مـن أجـل أن تغيره ٠ أيضاً (الطفـل) وهو عنصر رومانسي في أدب أمـين ، يومىء لها نحو الطريق ولكنها عاجزة عن الضحك والسير ٠ ان هذه العوامل تتشكل كرموز ، وليس كعلاقات بشرية مع المرأة ٠ القاص يقطع صلتهـا بالناس ، بالحياة الاجتماعية الفنية ، ويترك لهـا علاقة شاحبة مجردة ، وعليها أن تثور من خلالها ٠ ان اضاءة تاريخها بشكل ومضات سريعة ، ووضعها في اطارها الاجتماعي ، قد يكشف محدودية قدراتها للتطور ، وقد يفتح لها آفاقاً جديدة ٠

القاص بوضعه « البشر » في ثلاجات يريدهم أن يزخروا بالنار ٠ فقط في حالة ذوبان الجليـد واكتشاف الكاتب للمناطق الحارة في منطقتنا ،سوف تتشكل نفسية حية لهؤلاء الشخصيات المطمورة بذاك التشكيل المدمر لقدراتهم وامكاناتهم ٠

☐ ملاحظات صغـيرة :

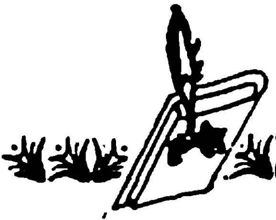
نستطيع أن نحدد ملاحظات أخرى على التشكيل نكمل بها الصورة :

أولا : هناك تباين بين عنصرين مختلفين وهما عنصرا التجريد والمباشرة ٠ فبقطع جذور الشخصيات عـن واقعهـا الملموس ، وافراغهـا مـن محتواهـا الاجتماعي ، يتضاءل التوجه الثوري للعمل الأدبي وتضعف مهمته التحريضية ، فتظهر العبارات المباشرة تعويضاً عن نقص في البناء والتوصيل ٠

ثانياً : الاهتمام بالشعر والسينما يأتي ضد القصـة ، فهـذان الفنان لا يندغمان في التكنيـك القصصي ، بل يظلان طافحين فوق السطح ، ولهذا يكون لهما أثر مدمر على التشكيل القصصي ٠ ان أي وسائل تستخدم يجب أن تساعد الشخصية والحدث في التكون والتطور وأن تذوب في الهيكل العام للقصة لا أن تكون مفردات طافية على وجه القصة ٠

ثالثاً : ثمة تناقض في هذه القصص ، وهـو التناقض بين « الحالة الشعرية » والوعي « الموضوعي » الذي تتطلبه الكتابة القصصية ٠ فتلك الحالة تعطي غنائية وانطلاقاً غير مخطط الصور ، وهـذا الوعي يتطلب تخطيطاً وبناء فكرياً لخلق شخصيات في حركة وفعل ٠ والقاص حينما يثبت قدماً في القصة وقدماً أخرى في الشعر تختلط الحالتين في عمله ، فلا يكون قصة أو قصيدة ٠

رابعاً : الكاتب في محاولته للوصول الى العام



والجوهري يخفق تماماً ، لأنه يضع طريق الوصول اليه دون المرور بالملموس والثانوي ·

ان تصوير الحدث والشخصية بعمومية واطلاق يؤدي الى عدم واقعيتها ، ان الواقعية تتطلب مزجاً بين الملموس والمجرد ، بين الثانوي والجوهري ، وبدون هذا المزج نتحول الى مدرسة أخرى ·

☐ المنـــاخ الغربـي :

قاد تجريد الشخصيات والأحداث من واقعهـا المحلي والعربي ، الكاتب الى سيطرة أجواء قراءاته ومشاهداته لنتاج الثقافة الغربيـة · كان التصور السابق أن القاص بقطع الجذور الاجتماعية والوطنية لكائناته الفنية انه يجعلها مطلقـة ، مجردة ، غير محددة الجهات، ولكن اتضح أن ثمة واقعاً آخر يجذبها ويجعلها تدور في فلكه ، ففدت هذه الكائنات تعيش في أجواء غربية ، فانقطعت عن واقعها الذي تستمد منه الماء والضوء ·

سنتناول عناصر مختلفة لرؤية هذا المناخ ·

✫ (هنالك امرأة تطل من الشرفة وترمق البحارة الذين يتزاحمون داخل وخارج الحانة ·· ص ٥)

✫ (·· ومدير الملهى يفتح زجاجة الشمبانيا في نخب زوجته التي تعاقر اللوطيين والمخصيين وأصحاب المصارف جهراً · ص ١٣ ·)

✫ (كان بضعة رجال يرتدون ملابس عسكرية غريبة ، منهمكين في صنع صليب خشبي ص ٣٣)

✫ (الغرفة خالية ، بدون أثاث أو لوحات عصرية أو تماثيل افريقية ص ٤٢) ·

✫ (عارية ورذاذ المطر يداعبها ويعانقها)

✫ (ضباب شفـاف يدور حولي · امرأة بيضاء قادمة نحوي · ص ٥٠) ·

ليست المسألة مسألة كلمات مثل « الحانـة » ، « الصليب » ، « التماثيـل الافريقيـة » فحسب ، ولكنه جو شامل يغطي معظم مساحـة المجموعـة · المرأة في قصة « الفراشات » تظل بلا نكهة شعبية ، فهي ترمق بحارة في حانة ذات مواصفات غربيـة · تظل المرأة باهتة وغريبة ، ليس لأنه مسخ شخصيتها فحسب ، بل لأنه وضعها في مناخ غير مناخهـا · لم تلتهب بنار أرضنا ، رغم أن زوجها سجين ، ظلت في غرفتها الباردة وشرفتها البعيدة ولم تر حاراتنـا وحاناتنا· هذا الجو الناعم الغربي جعلها غير واقعية فماتت ·

البطل البرجوازي في (ولم ينتـه هـذا الحلم البلوري) هو من قراءات القاص وتأثراته بالثقافة الغربية ، فهذه الشخصية لا يجمعها جامع بناسنا ، حيث أن الكاتب شكلها في جو غربي صرف · علاقته بالخادمة ، واقع السهرة ، لقطة الفيلم الفرنسي ، مضاجعته للزوجة أمام زوجها، منظر المحكمة ووجود عنصر المحلفين ، مقطع من قصيدة لشاعر فرنسي · هذه العناصر المتعددة « تغرب » الموضوع والحدث · اضافة الى عنصر التجريد المتفاعل معها ، فهذا كله يساهم في اخراج القصة من التربة المحلية ·

مناخ القصص يميل عادة الى البرودة ،والمطر ليس قليلا ، أما الصيف والحرارة الشديدة ـ وهي السمة الغالبة في مناخنا ـ فقلما نعثر لها على أثر ·

والشخصيات هي مثل «نجنسكي» و «ايزادورا» حيث البروز الأكثر وضوحاً لسيطرة القراءة لا الواقع، وسيطرة موضوعـات لا تمثل هاجسـاً لانساننـا · تتلاشى ملامح الخليج بتراثه ورجاله ونسائه ونضاله وأجوائه، لا أثر للزنج والغواصين وعمال البترول· بل هي وجوه شاحبة وخطوط مجردة وأجواء غربية·

☐ الموقف المأزوم :

ان تأثر الكاتب بالثقافة الغربية ليس الا تأثراً بمواقف معينة في هذه الثقافة ، وهي تلك المواقـف المأزومة ذات التوجه البرجوازي والبرجوازي الصغير·

في (نجنسكي ·· حنجرة الرعد) نكتشف بعض جوانب هذا الموقف ·

نجنسكي يرقص رقصة الحرب · يمثلها بحركة جسده· اللغة الشفافة تمثل الحركة الخارجية وسطح الموقـف · نجنسكي يركض وينزف ملحاً · يغادر نجنسكي خندقاً ـ قبراً الى خندق ـ قبر آخر · ثمة جنود وضباط يخطبون بحماس وقتلى ·



القاص صور ساحة حرب ، ولكن لم يتغلغل الى أية أبعاد اجتماعية وراءها • فبالنسبة اليه يقف المعتدي والمعتدى عليه على صعيد واحد • المناضل كالفاشي ، لا فرق ، هي مجرد حرب لا أبعاد لها • الراقص ، والكاتب ، ضد هذه المجزرة ولكن من سببها ؟ وما هي أسبابها ؟ انه لا يجيب ، فقط يتعرى ، متخلياً عن توجيه الاتهام الى عدو محدد ، متجهاً الى لعن الزيف ومن أجل البراءة • هذا الموقف الهروبي يتستر بالمجردات ، فيبدأ درجة درجة صاعداً نحو الجنون والانفصال عن الواقع والبشر •

تجاه الحرب يرقص عارياً ، وتجاه متعهد حفلاته ينغمم في ذاته • ليس لديه موقف حقيقي تجاه الاثنين ، وفي هذا الفراغ المرعب وانعدام الوعي للنضال ضد الشرور الاجتماعية وخالقيها يفتح له الكاتب باباً عريضاً وهو باب الصوفية تجليه الأول من خلال الرعد الذي يبحث عن حنجرة له • انه لا يصل الى حالة فقدان العقل حتى يتحد في هذه اللحظة ، بل يستمر في تحديه للناس • الصالة غاصة بالجمهور وهو واقف كالتمثال لمدة نصف ساعة • ثم أخذ ينزع ملابسه قطعة قطعة • الجمهور ينسحب • زوجته تبكي ، فلا يجد الا الطفلة يراقصها • يتمنى أن يظل الأطفال أطفالا حتى الممات ، معبرا بهذا عن فشله وأزمة طريقه •

ويتعمق بهذا طريق الصوفية والجنون • ولا يصور القاص هذا الطريق كازمة بل كتطور خطير وعملقة للبطل • ان الله نار في رأسه !!

نبذه الناس فانطلق في الهواء والفراغ فاحترق والتقى بالرعد حنجرته • الكاتب حول الأزمة الى موقف عظيم والانهيار الى تألق ، والهروب الى بطولة •

وعوضاً عن كشف موقف نجنسكي وجذوره الاجتماعية الضاربة في تربة طبقية قلقة ، يقوم بوضع أكاليل الغار على هذا الانحدار •

لغة الشعر المستخدمة والتمثيل الصامت والعناوين الجانبية والأقواس كلها عجزت أن تحول هذه الصور الى عمل حي رائع • لأنها ارتكزت على موقف يطمس القضايا الحقيقية لتمجيد بطل فردي لا يمتلك أياً من مميزات البطولة •

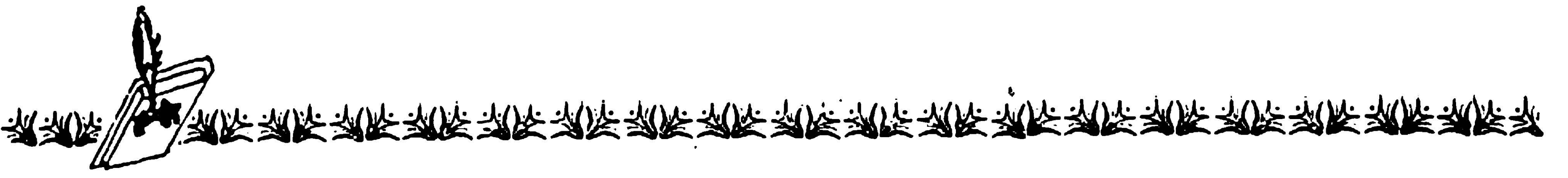
ولكن ليس هذا وحده مما يشكل موقف الكاتب • فهناك جوانب أخرى فيه • في قصة (انفعالات طفل محاصر) رأينا وجود قاطع طريق • انه ليس قاطع طريق حقيقة ، بل هو شخص متمرد على امتيازات الأغنياء واستغلالهم • يعطي البطل جزءاً من طعامه القليل ويكشف له عن مهنته • وهي انه يحارب عصابات من الأغنياء احتكرت مياه الشرب عن الأهالي فيسلب مواشيها وعرباتها المحملة بالماء ثم يقوم بتوزيعها على الأهالي • وحين سأله عن اسمه راوغ وتحدث عن الحصاد وأغاني الراعيات ورؤيا الأنبياء •

هذه « الشخصية » تمثل اضافات أخرى الى نجنسكي ، فاذا كان ذاك في موقف غائم ضد المعسكرين المتصارعين دون وعي عميق ، فان هذا يقف بشكل أكثر وضوحاً وتطوراً ولكن بطريقة تمردية وفردية • وتختلط في وعيه الاحلام الجميلة والمشاعر الدينية • وهو بهذا نموذج آخر لذات التركيبة الاجتماعية •

في (هذا فرحي •• اغتالوه وهو طائر) نجد صوراً عديدة وكلاماً انشائياً ولكن لانعثر على قصة ، البطل يحلم وهو في المهد بأنه طائر يقطف نهود جنيات البحر ، ولكن الواقع يؤكد لغة أخرى ، فبين المقهى والمقهى قتيل جائع ، ومقصلة تمضغ رأس طفلة • انه شخص مأزوم ، نفسيته تضطرب بين الرفض والاستسلام • والكاتب لا يصور هذه الأزمة ويبينها في حدث متكامل بل هو كالبطل لا يستطيع أن ينضج أزمة بطله ، ويعرضها من خلال معادل ما ، بل يلقيها وهي في حالة الاجهاض هذه •

وتتحول هذه الأزمة في كلمات خاطفة الى صرخات ومحاولات للقضاء على الصحراء المحتضنة للاعداء والسجون والكلاب ومؤسسات الابادة • الآن يعود حاملا بندقيته مع رفاقه ليعلن الغزو • في لحظة أخرى نراه يبحث عن لبن الأم • لم يجد سوى ملصقات واعلانات • الأم ، المرأة ، كانت مسجونة في قفص وأحياناً يعرضونها في السيرك وفي البرلمانات • قال الصديق : العنف باب الأبجدية • تبقى المسافة بينه وبين الصحراء وتغدو الأم قتيلة •

اذا كان نجنسكي ضد الحروب بشكل مطلق ، فهذا البطل في قصتنا هذه مع العنف بشكل مطلق ، انه ينزل الى المدينة مع رفاقه معلنين بدء الغزو ولكن



لا يتم من ذلك شيء • ليس ثمة عمل صغير يعمله، في ضوء هذا الحصار الشكلي الذي قيد فيه •

ان هذا التناقض في الموقف بسبب اضطراب الرؤية وانعدام الانسجام في أساسها الاجتماعي • وهذا الاضطراب لا نلاحظه فقط في الرؤية الفكرية بل وفي التشكيل الفني أيضاً • حيث الاضطراب في البناء وبروز الخلفية السينمائية والشكلية •

الاضطراب في المضمون يقود الى الاضطراب في الشكل • فالقاص بملاحقته البعيدة لواقع غيرواقعه يشحب المضمون الفكري لعمله ، فيصاب بالجفاف ، فلا يبقى سوى ملاحقة الأشكال الجديدة ، مع الرغبة الدائمةغير المجديةلتحطيم استقلالية الأنواع الأدبية، هذا كله يؤدي الى أزمة العمل ككل •

الرجوع الى الينابيع ، الى الوطن والناس ، برؤية تبحث عن علاقاته وبشره ، مع الاستفادة من التكنيك الجديد للتغلغل أكثر في الحياة والارتباط أكثر بصناع الحياة الحقيقيين لا الوهميين ، هذه فحسب تضع الشروط الأساسية لحل التناقض بين الشكل والمضمون في أدب القاص •

✡ نلاحظ الأثرالسيء للاسلوبفي قصة (ارتجافات عناقيد الماء في الهواء) ، القصة متماسكة ، صورها تخلق أثراً عاماً موحداً ، والكاتب يوظف حادثة أسماء وابنها عبدالله بن الزبير التاريخية ليعطيها دلالات جديدة معاصرة ومضيئة •

يقترب من خلق « أسماء » كشخصية حية ولكنه يتوقف في منتصف الطريق ، فالأسلوب ببلاغته الشعرية يجعله على سطح الشخصية والموقف ،تجذبه الصور الجميلة فتتولد من البحر الجنيات والزنابق بينما لا تلد الشخصية شيئاً • الصورة لم تساهم في التغلغل في الذات ، وهنا يقيد الشكل المضمون ويكبحه •

الكاتب يبتعد في أحيان عديدة عن التجريدات فيصور أسماء كامرأة عادية تنشر الغسيل وتشتري الخبز وعبدالله كعامل يضرب مع المضربين • وللأسف فهذا الصعود الحقيقي الى الشخصية يضيع في غمرة عبادة الجملة ذات الرنين الموسيقي ، وبسبب التوجه المباشر أيضاً • أخذنا مونولوج عبدالله تحت سقف الحانة كمثال ، فماذا سنجد ؟

(نخب الانتفاضة المطعونة في الظهر ، نخب النتائج ، نخب الشواطىء ، التي استهلكت بكارتها فعربدت ثم نامت مفتوحة الساقين ، أضحت البنادق خنادق وفنادق نعاقر فيها خيبتنا ونضحك ملء أفواهنا رمل •••)

ان هذا ليس بمونولوج فهو تعبيرات عامة واضحة ليسفيها من صور البطل الشخصيةوذكرياته وتداعياته شيئاً ، فيها الصدى الجميل وفيهاالطرح المباشر رغم انه لا علاقة له بالحدث • فالقضية قضية اضراب فاشل وليست انتفاضة مطعونة في الظهر • فأين هذه الانتفاضة في القصة ؟ ومن طعنها ؟

بدلامن مسك الخيوط الفنية وتنمية الشخصية باعطاء لمحات نفسية تحولها الى لحم ودم ينجرف الكاتب مع شلال الخطابة فيأسره التدفق اللغوي فيضعف التغلغل في الشخصية والواقع بالتالي •

بأخذنا للتفاعل المتبادل بين الشكل والمضمون ، نرى شحوب هدف العمل الأدبي ، نتيجة التجريد و « التغريب » ، ولهذا تتركز اهتمامات الكاتب في تطوير الشكل، وهذا التطويرنتاج الثقافة الغربية وفنونها ، وبالأخص الفرنسية ، ولكن القاص في محاولاته للوصول الى مضمون أعمق ، وفي لحظات اقترابه من واقعنا ، يكبح الشكل الذي اعتاد عليه هذا التطور •

وهنا ضرورة وجود حلقة « كسر » لهذا الشكل • ولكن ذلك يتطلب تعميقاً للنظرة وتغييراً لاهتمامات عديدة• يتطلبعناية بالتكنيك القصصي، وكسر الجو الغربي • هذا يعني تغلغلا في الواقع المحلي ، والدخول الى تاريخ المنطقة وتراثها وحكاياتها الخ ••

ان مشاكل القصة عند أمين هي ذاتها مشاكل القصة العراقية في الستينات• يقول برهان الخطيب في مقالته (الاتجاه الواقعي في القصة العراقية القصيرة) « كثير من قصاصي الستينات كان يكتب بهذه الطريقة الحرة ، وهذا الأسلوب كما نرى نموذج لخضوع الكاتب لمؤثرات خارجة عن عمله ، فان مسايرة الايقاع اللفظي هنا لا تقود الا الى الابتعاد عن خط الموضوعة • » ـ راجع الأقلام ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ •

ليس هذا فحسب بل غلبة الفكرة المنتشرة في الأدب الفرنسي المعاصر وهي فكرة اتحـــاد النثر بالشعر ، والاتجاه نحو صهر كافة الأنواع الأدبيـة في كل واحد ، نجد صداها لدى أمين ٠

ان االأنواع الأدبية من الممكن أن تستفيد من بعضها البعض أما الصهر فغير ممكن ومدمر لكـل الأنواع الأدبية ٠

□ **الحصيلة :**

بعد جولتنا في هذه المجموعة ما هي خلاصـة الموضوع ؟

أولا ــ نرى أن العديد من القصص ما هي الا محاولات لم تتشكل في هيكل ما ٠ وهـذا التبعثر في الصور نجده لسببين ٠ الأول : الكاتب لم يقم بانضاج فكرته الأولية بحيث ترسم من خلال تقنيـة القصة فحدثت لها عملية اجهاض ٠ الثاني : وقوف هـذه المحاولات بين الغنائية والتشكيل الموضوعي القصصي، بسبب أفكار الكاتب المتأثرة بتيارات معينة في الأدب الفرنسي ٠

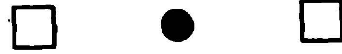
ثانياً ــ في حالة تشكيل القصة فنياً نجد تحول شخصياتها الى خطوط مجردة تعيش في بيئة غير بيئتنا وتتنفس هواء غير هوائنا ٠ الكاتب لا تملكه رغبـة ملحة في تجسيد تجربة شعبه وأرضه ٠

ثالثاً ــ بهذا يقف الكاتب علـى العكس مـن المدارس الواقعية بمختلف تشكيلاتها ، فهو لا يقوم باكتشاف واقعه وقوانين تطور هـذا الواقع ، بـل ينفصل عنه ، فلا نجد « الانسان » في قصصه لأنـه ينطلق من التعالي على الواقع الذي يشكله ٠

رابعـاً ــ تعويضاً عن افتقار المضمون الى حرارة الواقع والحياة تتركز ابداعات القاص في استخدام وسائل تكنيكية عديدة ، ومعظم هذه الاستخدامات تأتي غير مصهورة في البنية القصصية ٠

خامساً ــ ان ثمة تبعية في الموقف من الثقافة الغربية وعالم الكاتب الفني يحتاج الى موقف نقدي تجاه هذه الثقافة كشرط أساسي لتطوره ٠ ومـا دامت هذه التبعية ملازمة له فسيكون بعيداً عـن الواقعية ، سواء كانت نقدية أم اشتراكية ، قديمة أم حديثة ، لأن الواقعية تعني اكتشاف القوانـين الموضوعية لتطور بلده وشعبه ، وليس في نقل النتاج الثقافي الغربي وشكليته المتغيرة دوماً تعبيرا عـن أزمة مغايرة لواقعنا وتطورنا وثقافتنا ٠

البحرين ــ **عبدالله خليفة**



قصة قصيرة

الصفعة

بقلم : فريد رمضان

\- ١ -

كان كليم الأرض وحيداً ، لم يصادق يوماً غير الوحدة والغربة واللحظة الحزينة منزوياً في ركن المكان يمارس السكر والصمت ، عين تحملق في الكتل المتمردة وعين تغازل السكر • زخارف المكان ترقص منتشية • كان كليم يغازلها من خلال زجاج الكأس • نظر الى ساعته •• كان الوقت نهاراً •

« ماذا أفعل هذا اليوم ؟ »

تلفت حوله، وحين أحس بأن لاأحد ينظر اليه دخل متخفياً فتحة الزجاجة •

« هذا اليوم لن أمارس يومياتي » •

تثاءب ونام، وحين ينام كليم فانه لايقوى على التفكير في كتابة قصيدة عاطفية أو كتابة منشور ، ولن تتلقفه هذا اليوم الزنازن • أفرغ كل ما تحتويه الزجاجة ، شعر بأن هذه الزجاجة ولأول مرة لا تسعه فقرر الخروج •

« متى يكون شكل الوطن - شكل امرأتي واقع لا زجاجة عجوز تعجز عن مضاجعتي ؟ » •

جلس مرة أخرى على المقعد، تلفت حوله، كان المكان يضج بالزبائن ، أخرج ما يحتويه الجيب الخاوي •

« هذه النقود القليلة وهذا القلب الضعيف ، الزجاجة يرتفع سعرها ، المرأة يرتفع •••• »

صدم الباب ، داخله الشك بتأثير الخمرة •

« أهذه الزجاجة تهزمني ؟ »

تنفس الخارج •• كان قذراً كما الداخل، مشى يعد خطواته الى حيث لا يدري ، الشارع الذي أمامه طويل والمحلات التجارية تمتد على جانبيه • لفت انتباه كليم احدى البدلات الحديثة، وقف أمام واجهة المحل يحملق فيها وفي سعرها المرتفع •• تمتم :

\- البس زجاجة خمر أنيقة ، البس كتاباً ولا أشتريها بهذا السعر الباهظ • يصدمه أحد المارة ، يرفع كليم رأسه ناظراً ، يحاول أن ••• كانت امرأة أنيقة نظرت اليه ••• أهدته ابتسامة وكلمة ••

\- أسف •

تمعن كليم في المخلوق الذي أمامه ،أراد أن يقول لها ••

« انك لا تنتمين الى هذه الجحافل »

نسى كل شيء عدا ••

« أتكون امرأة الحلم ؟ »

أحس بأنها بحثه المستمر ، حين انتبه



لنفسه كانت قد ابتعدت عنه ، امتدت خطواته تسبقه اليها ·· أحست بمتابعته لهافأسرعت ، تخيل ··

« انها تدعوني للرقص ، يا لؤلؤة تعالي فاني أقبل الدعوة »

تصل يده اليهـا ، يمسكها مـن المعصم فتصاب بالخوف ·· يطمئنها ·

ـ أنت امرأة الحلم ، كل الحلم ·

ـ ماذا تقول ؟··

كانت ممتلئة بالغضب ·· الخوف ··· الخجل ·

ـ أنت كل تواريخي المنسيـة ، أنتِ سواعد الأطفال ، أنتِ ·· لنغني ·· أو ·· أو لنرقص ·· أو ·· أو ··

ـ أنت مجنون

كانت صرخة انتبه المارة اليها ، رجال المقهى القريب يحملقـون بانتبـاه · البعض يضحك وكليم الأرض لا يعير هذا التجمع أي اهتمام، بل يتقدم نحوها أكثر·· تتراجع ·· يمسكها ·

ـ أنا مجنونكِ ·

تحاول أن تتخلص من قبضته ، يحاول أن يقول لها شعراً ·· تتخلص مـن قبضتـه ·· لا تقدر ·· لا تملك الا ··

تمتد يدهـا وبكـل قوة نحوه ، تصفعـه فيصاب بالدهشة والصمت ، ينظر اليها ··· تتابع سيرها ، يحس بالصفعـة تملأ جسده ، تصله قهقهات المارة ·· تخنقـه ابتسامـات الاستهزاء ·· وجهه يصاب بالانتفاخ ·· حبات صغيرة تبدأ بالوضوح على خارطة الوجـه ·· ندوب كثيرة تنتشر تأخذ مكانها واضحاً في الوجه، شكل صدأ يملأ الحواجب ·· وجه كليم الأرض يتخذ تضاريس جديدة · ينشد المارة الى تحول هذا الوجه ، بعضهم يصدمـه هـذا القبح ·· بعضهم يشده ·· دائرة كبيرة مـن المارة تضيق عليـه وتضيق ، تصبح بحجم الكرة الأرضية ، ينتفض كليم وينتفض،وجهه ما زال ينتفخ ، الأنف يتمدد يأخذ شكلا أخر كشكل نخلة مبتورة من الرأس ، لهيب يحرقه من الداخل ، فيصرخ ··

ـ ماذا يحدث ؟··

لا أحد يتكلم ، جسده يهتز ، الزبد يخرج من فمه وأنفه وأذنيه · هم يحملقون بتعجب ، أحدهم يخاطب صديقه :

ـ مـا هـذا ؟

يرد عليه الآخر مبتسماً :

ـ قد يكون من كوكب آخر ·

ـ البعض يرسم بسمة ·

ـ البعض الآخر يرسم لوحة اشفاق ·

ـ البعض الثالث لا يعرف كيف يتفاعل ·

ينظـر كليم الى العيون المحملقة ، هـذه العيون تخنقه فيدفعهم بكلتا يديه · يندفع ، يمرق بينهم ، يتوجه الى البيت فيقابله البواب ، يمنعه من الدخول ، يخاطبه كشرطي حذق :

ـ من أنت لتدخل ؟··

بصـق كليم في وجـه البـواب واندس في الداخل ، أغلق باب حجرته ، توجه الى المرآة·· صرخ غير مصدق :

ـ لا ·· لا ·· لا ···

وسقط ·

- ٢ -

حين فتح كليم الأرض عينيه كان خائفاً

« أيكون حلماً مزعجاً ؟ »

امتدت يده ، تحسس الوجـه فصدمتـه الندوب مرة أخرى ، إلتحف خائفاً ·· خبـأ وجهه بين فخذيه ·

ـ لا ·· لا ·· هذا لا يمكن ·· لا يمكن ·· لا ···

تمنى اللحظة التي يزول فيها هذا الحلم الثقيل ٠٠ تمنى أن ينتهي أو أن يحدث الآخرين عن هذا الألم ٠ حاول أن يسترجع نبرات بعض الأصوات ، أعز الأصوات اليه ، كانت حيطان حجرته تمارس معه الألم ٠

الحائط الأول : عواطفك الزائدة تغيرك يا صديقي ، لن تقوى على تغيير العالم٠٠كان الصوت صديقاً هاجر الى البعيد ٠

الحائط الثاني : أما زلت تبحث في هذا الوطن عن امرأة حلمك ، هناك فتاة جميلة هل أخطبها لك ؟٠ كان الصوت أماً فقدحنانها٠

الحائط الثالث : أنصحك أن تنتحر يا كليم أو أن تضاجع الخمرة أكثر وأكثر ٠٠ كان الصوت زمناً شاخ ٠

الحائط الرابع : لم يقو على الكلام ، فسكت حزيناً ٠

توجه الى المرآة، تمعن في الوجه، نظر اليه بجرأة ٠٠ تحسس تعاريجه الجديدة ٠

« أيكون العالم المهزوم يخنقني ، يغير شكل الوجه ٠٠ شكل القلب ٠٠ شكل ٠٠٠ »

بين الندوب تفاجأ كليم ٠٠

« ما هذا ؟٠٠ اسم امرأة مخطوط بالندوبات على وجهي ، أيكون اسمها ؟ » ابتعد عن المرآة ، تذكر العالم الذي يقبع خلف الباب ، احتار كثيراً ٠٠ ماذا يقول لأمه لو جاءته الآن من قبرها ٠٠

« أمي ٠٠ حين وجدت امرأة الحلم كنت سكران ، أشرب البيرة ساخنة بنار القلب ، دعوتها لمشاركتي ، فغضب وجهي مني وفر هارباً » ٠

ماقته قدماه الى النافذة ، حدق في المارة، أحس بنظراتهم السابقة تخترق الزجاج البللوري وتدخل حجرته لتمارس الاستهزاء ، انتفض حين سمع دقات على باب حجرته ، أنصت قليلا، الدقات تشتد وتشتد ، يسمع صوتاً يناديه الصوت يأتي بالأسماء، ينزوي في ركن الحجرة، ينصت الى أن تختفي الدقات وتعود الأسماء الى حيث الصوت ٠ يدور في مساحة الحجرة ، تتعبه المسافة التي بين وجهه وبين المرآة ٠

ـ ما هذا ؟٠٠ ما ٠٠ هـ ٠٠ ما ٠٠ ذا ؟

يمتلىء بالغضب والحزن ، يتطاول زجاجة العطر ويقذفها، أدوات الحلاقة، المشط، يمزق الكتب الكثيرة، يبعثر كل ما حوله ،تمتد يده بقوة على المرآة ، يكسرها ٠٠ يتدفق الدم من يديه ٠ يصرخ :

ـ هل أنا أغرق ؟

قد يحتضر الموت أو يخنق قبح العالم الممتد من الوجه أو ينادي بالأسماء العزيزة ٠

ـ ٣ ـ

الظلام في هذه المدينة الخرساء يتوه كدخان ، يضاجع اللاشيء ، يكون الشيء الباهت ٠ أو الشيء المستحيل ٠ تمتد يد كليم الى قطعة كبيرة من زجاج المرآة المتهشم ٠

« سأمزق كل القبح »

يحملها معه ويقفز من النافذة ، يختار الأزقة الضيقة والخالية من الأنوار ٠ واجهته هذه المدينة بسواحلها فاختلفت عليه الأزمنة٠

« أين أهرب ٠٠

بحرٌ ممتدٌ ممتد ٠٠ قبح

نخيلٌ عجاف تموت ٠٠ قبح

بيوت السعف المندثرة ٠٠ قبح

جمال يموت ٠٠ قبح ، قبح ، قبح ٠

سقط على الأرض ، سقطت من يده قطعة المرآة ٠ ناجته النجوم فانطلقت من جوفه صرخة لم يستطع كبحها ٠٠ خرجت ترج السماء ٠

ـ يا من أعطاني هذا الوجه ، ها أنذا أعيده اليك ٠٠ أعيده اليك ٠ غرس أصابع يديه في التراب الساحلي ، لو يكون حانة مليئة بالشراب أو مصنعاً مليئاً بالعمال البسطاء ، تمنى امرأة تشاركه :



ـ **حزن الأيام ·· فرح السنين**

ـ **ألم التربة ·· بسمة أطفال**

تدفقت من حنجرته صرخات كثيرة ··· تبعتها أخرى وأخرى ··

ـ أعيده اليك ·· أعيده اليك ·

يتطاول بعض الأحجار ، يقذفها في وجه القبح

في وجـــه البحر الممتد

في وجـــه النخـــل

في وجـــه البيـــوت

في وجـــه الصمـــت

بعض أصحاب البيوت القريبة توقظهم الصرخات وتلاطم الحجارة فيتوافدون نحو المصدر ·· يتدفقون ·· يندهشون · لم يكن أحد على الساحل ·

تساءلوا كثيراً :

رجل : هنا رأيت كليم الأرض بوجهه القبيح يصرخ ·

شاب : لم يكن كليم يصرخ ، كان يغني ·

رجل آخر : أنا سمعت الأرض تكلمه ، تعطيه سر الكون ، لا بد انه رحل اليها ·

امرأة عجوز : لقد كانت الأرض عطشى فشربته ·

تساءلوا كثيراً ، بحثوا طويلا ، لم يجدوا غير قطعة زجاج المرآة مغروسة حتى النصف في التراب ، فانسحبوا ·

فريد رمضان

البحرين





قصة قصيرة

الدّيكة

بقلم : محمد عبد الملك

– ١ –

من منا يجهل منصور الياس ؟ منصور الياس الذي يتسلى الأطفال باقتفاء اثره وقت الظهيرة حين تخلو الأزقة من الرجال ؟ منصور الياس الذي يتسلى السكارى في الليل باسماره حين يهجع الجميع الى بيوتهم وأولادهم وزوجاتهم ؟ ٠٠ وفي الليل ، كل الليل يحمل منصور الياس لمبة صغيرة يشعلها عند آذان المغرب ويطفئها عند الفجر ٠٠ منصور نقطة الجذب الوحيدة في الحارة فهو ملتقى بسمات الرجال ، وضحك الأولاد ، ولغط النساء ٠ الجميع يحيون منصور الياس الحكيم والمجنون ويهابونه ٠ ومنصور الياس لا يعمل بشكل منتظم فهو نزيل مستشفى الأمراض العقلية شهوراً ونزيل الحارة شهوراً ٠ وفي الصيف عند البحر يشعل منصور ناراً كبيرة ويصب عليها الزيت ويقفز من حولها وعليها فيتبعه الصغار ثم يصاب بسعار فيصرخ ويأكل من لحمه حتى يأتي رجال الصحة ويدورون من خلفه حول النار ، ويأتي رجال المطافيء ، والشرطة ، ويخرخ النسوة ، والرجال ، وتتحول الحارة الى شعلة كبيرة من نار ٠

وهكذا يختفي منصور الياس شهوراً أخرى طويلة فتنقطع الحكايات والنوادر والحكم من حارتنا ونكون كلنا في انتظاره ، فالسكارى على الشواطيء يذكرونه في خلواتهم ، والأطفال في الظهيرة عند تجوالهم ، والنساء حين يجتمعون عند سوق الغضار ٠

ولكن لماذا يتعذب منصور الياس أكثر من الآخرين ؟ ٠٠ وأحياناً بدلا عنهم ؟ فمنصور الياس عامل بناء وصبّاغ وبحّار وكنّاس ونادل في المطاعم ، وأحياناً حين يحصد من عمله بعض الدنانير يشتري لعباً وملابس أطفال ويضعها في قفة كبيرة أمام الأبواب لكنه لا يبيعها ٠ يوزع منصور الياس بضاعته على الأطفال والمنازل ثم يبحث في اليوم الثاني عن عمل جديد ٠

– ٢ –

أحد المحسنين في الحارة أخذ منصور الياس من يده فعمل في اليوم الثاني فراشاً في وزارة يحمل الورق بين المكاتب ٠ وخلال أيام كسب منصور الياس شهرة في الوزارة بتصرفاته



الغريبة · جاء الى الوزارة في يوم ٦ يونيو وهو يرتدي قبعة عسكرية وقدماه حافيتان فأثار الضحك من حوله · تجمع الموظفون عند بوابة الدخول يذكرون بعضهم بعضاً بالحكاية وآخرون تركوا مكاتبهم بالداخل وتوقفوا في الشارع العمومي المحاذي للوزارة وفئة ثالثة جلست داخل سياراتها، فمنصور الياس يرتدي اليوم حلة الفراشين وفوق رأسه قبعة عسكرية، وفوق كتفه نجوم ، وكان منصور الياس يبتسم للموظفين ويقدم لهم التحية العسكرية ضارباً بطن الأرض بقدمه اليمنى تماماً كما يفعل العسكر بعضهم لبعض :

ـ أهلا ··· أهلا بالعرب !

عمت الفوضى الوزارة ، وتأخر الموظفون عن الدوام خاصة النساء منهم فخرج المدير العام للادارة التي يتبعها منصور الياس ومن خلفه مراقب شئون الموظفين وطلبوا مقابلته على الفور ·

دخل منصور الياس المكتب وطلب المدير من السكرتيرة والمراقب الخروج فامتثلا لأمره في الحال · وبعد أن ضرب منصور بطن الأرض بقدمه اليمنى أدى التحية العسكرية وقال :

ـ أهلا ··· أهلا بالعرب !

لم يبتسم المدير كما فعل الموظفون في الخارج قبل قليل وظل وجهه العبوس يثير الريبة ثم قال في لهجة آمرة :

ـ انزع القبعة يا منصور !

ـ ولماذا أنزعها ؟

ـ لأنها لا تناسب العمل ··

ـ لكنها تناسب الوقت ···

ـ أي وقت يا منصور ·· ؟

ـ يوم ٦ يونيو ··

ـ وهل يلبسون قبعات في هذا اليوم ؟

فقال منصور وهو يؤدي التحية العسكرية من جديد :

ـ أهلا بالعرب !

ـ ماذا تعني يا منصور ؟

ـ اليوم انهزمت الجيوش العربية ··

ـ لكنها تدخل الحرب ؟

ـ انهزمت بدون أن تدخل الحرب ··

ـ وأين نعليك ؟

ـ أنا من اللاجئين ··

ـ تصرفك هذا أثار الفوضى في الوزارة ··

ـ وأنتم آثرتم الهزيمة ··

ـ الغضب يا منصور ألا تخشى الغضب ؟

ـ أريدكم أن تغضبوا ··

ـ الكبار غضبوا بالفعل ··

ـ الذئاب لا تخاف الحملان ··

ـ أوقف هذا التصرف في الحال !

ـ لا أظن أنني مخطىء ··

ـ أنت مخطىء في حق العمل ··

ـ في هذا اليوم كلنا مخطئين ··

صمت منصور الياس · وصمت المدير ثم قال :

ـ أنصحك أن تعقل !

ـ وكيف لمجنون أن يعقل ؟

ـ كلامك لا يدل على الجنون ؟

ـ ارتدوا القبعات العسكرية ··

ـ ولماذا يا منصور ؟

ـ لنذهب الى الحرب ··

ـ لكن بتصرفك هذا لن تدفعهم الى الحرب ··

ـ أريد أن أذكرهم ··

ـ لكنهم يبتسمون ··

ـ ابتسامة الخجل ··

ـ يا منصور حافظ على الوظيفة ؟

ـ ماذا تريدني أن أفعل ؟



ـ اخلع هذه القبعة وارتدي النعال ٠٠

ـ هذا يوم المعارك !

ـ اذهب الى البيت اذن ٠٠ أنت مجاز هذا اليوم ٠٠

ـ خيانة جديدة !

ـ اذهب !

قالها المدير بغضب هذه المرة فادى منصور التحية العسكرية وقال :

ـ حاضر سيدي !

واندفع نحو الباب ٠ كان حشد كبير في انتظاره ، ومن لم يخرج من الغرف تلصص من وراء النوافذ ، وكان سؤال واحد يستحوذ على عقولهم : من يقنع الآخر ٠٠ منصور الياس أم المدير ؟٠٠ من يفرض ارادته في هذا اليوم الذي أعلن فيه ساعة توقف عن العمل تضامناً مع فلسطين ؟

كان الموظفون ينتظرون خروج منصور الياس والقبعة في يده ولكنهم فوجئوا به يخرج والقبعة فوق رأسه ! وفجأة أخرج بوقاً صغيراً من جيبه ونفخ فيه وهو يدور في ممر الوزارة المستطيل الطويل فخرجت البقية الباقية من الموظفين ٠ وعمت الفوضى كل المكاتب ثم لم يعد منصور الياس الى الوزارة ٠

ـ ٣ ـ

كنا قبل سنوات نضحك من منصور الياس، ثم علمنا أن نفكر فصرنا نضحك ونفكر ، ثم علمنا أن نحزن فجمعنا ثلاثة أشياء في حياتنا، ثم أضاف دات يوم كلمته الشهيرة :

ـ الحركة ٠٠ عليكم بالحركة ٠٠

وكنا نعلم عن حبه للسير ، وعدم توقفه عن المسير فمنصور الياس أحياناً يسير طوال الليل واللمبة في يده وعند الفجر حين يتعب ينام عند رصيف أو شاطىء ، وفوق كرسي مقهى في شارع عمومي واللمبة عند رأسه مطفأة ٠

قال لنا منصور الياس :

ـ انـي أرى أعرافاً كالرايات فوق رؤوسكم ٠٠

ـ أعراف يا منصور ؟

ـ نعم أعراف حمراء ٠٠

ـ هل تراها يا منصور ؟

ـ أراها تهتز مثل ٠٠

ـ مثل ماذا يا منصور ؟

ـ صدقوني أولا ٠٠

ـ نحن لا نرى شيئاً ٠٠

ـ ستصدقون متأخرين ٠٠

ـ متى يا منصور ؟

ـ حين تضع الديكة البيض في الغرب ٠٠

ـ البيض يا منصور ؟

ـ نعم ٠٠ الذي تأكلونه ٠٠

ـ الديكة لا تبيض يا منصور ٠٠

ـ في زماننا تبيض الديكة وتلد الفراخ ٠٠

وذكرنا بحوادث غريبة حدثت كما رواها لنا وكنا لم نصدقه فقلنا :

ـ صدقنا يا منصور !

ـ صدقتم ماذا ؟

ـ اننا ديكة !

ـ ولماذا تصدقون ؟!

ـ الا تريدنا أن نصدق ؟

ـ أريدكم أن تفكروا ٠٠

ـ هذا ما تقوله وعلينا أن نصدق ٠٠

ـ وهل ما أقوله هو الصحيح ؟
ـ أغلب الأحيان ··
ـ وهل تصدقون مجنوناً ؟
ـ أنت أجن العقلاء يا منصور ··
ـ اذن ·· لكم أعراف !
ـ لنا أعراف ·· أعراف ··

كان طحنون شنكر حمال الناحية كما يطلقون عليه في نوبة سكر عارم بعد عودته من الميناء فقال لمنصور :
ـ انظر ! ·· أنا عرفي أطول !
وحمل قنينة الخمر ودار حول منصور والشباب وراح يكاكي ·· ويضحك ·· ويقول :
ـ كاكو يا شباب ·· كاكو ·· يا دجاج ··
فقال منصور الياس :
ـ هل صدقتم ؟

وفجأة قفز رجب اللقمة الأعرج، وقفزاته بدون عصي تبدو كنطات العصفور المصاب في قدمه · تبع رجب اللقمة طحنون شنكر ، وأمر منصور الياس الجميع أن يدوروا من حوله · السكارى والأصحاء ظلوا يكاكون · ومنصور الياس يقول :

ـ هذا يوم العرب ·· الأوائل والأواخر ·· هذا يلعب وهذا يتبع ·· هذا يوم النوم ويوم اليقظة ·· يوم النجم والحجرة ·· يوم الحشر ·· سنذهب الى فلسطين ·· النقل العام وصل ·· ! ·· والمجنزرات وصلت ! والطائرات والصواريخ ·· كاكو ·· كاكو ·· هذا الفجر ·· وهذه الديكة ·· عجلات الباصات مثقوبة ·· العاقل مجنون ·· النكتة مأتم ·· العيد صيام ·· الكلام حرام ··

قال طحنون شنكر :
ـ فلسطين في الدائرة ··
فقال رجب اللقمة :
ـ دوروا حولها ··
فقال منصور الياس :
ـ لن نصل ·· ادخلوها ··

وتوجه الجميع الى قطر الدائرة · صار منصور الياس قطر الدائرة هدفهم · التحمت أجسادهم فشعروا بسعادة غامرة وضحكوا بعمق وشدة واطمئنان ··
وقال شنكر :
ـ صدقنا يا منصور !

وقدمت جماعة من الشبان يحملون أشرطة فيديو وأوراق أسهم وعلب «هنيكن» وانضموا الى الدائرة التي راحت تتسع من جديد وتلتحم في قطر واحد صار هو هدف الجميع · وكانت الدائرة تكبر وتكبر حتى أصبحت بحجم الوطن ··

ـ ٤ ـ

بعد أيام جاء رجال الصحة · حملوا منصور الياس في سيارة بيضاء مغلقة ذات حواجز حديدية · قال كبيرهم للجمع الذي احتشد دون أن يحميه ·
ـ منصور الياس مصاب بمرض عقلي خطير !
واجه منصور الجمع وقال :
ـ عاشت الديكة !
واستدار مرة أخرى الى رجال الصحة وأدى التحية العسكرية :
ـ أهلا بالعرب ··!
هذه المرة لم تكن القبعة العسكرية فوق رأسه ··

قصة للأطفال :

مَدينة شجَاعَة

بقلم : ابراهيم بشمي

استرخى الاسكندر المقدوني في شرفة قصره ، المطل على البحر الأبيض المتوسط يدخن نارجيلة من التبغ التركي الفاخر ، ويشرب قدحاً من عصير العنب الافريقي .

تطلع الاسكندر بشهوة الى البضائع التي أحضرها رسله من بلدان العالم المختلفة . الكتان الجميل الذي نسجه فلاحو مصر ، تحف خشب الأرز المتين من غابات جبل لبنان ، البخور واللبان اللذين جلبا من شبه الجزيرة العربية ، والحرير الذي طرزته أيدي الفارسيات الجميلات بالنقوش الرائعة .

أحس الامبراطور الاسكندر بالغرور . كل هذه الثروات تحضر الى عرشه ، هو الحاكم المسيطر على شعوب مختلفة ، يأمر وينهي في مصائر البشر باشارة من اصبعه .

التفت الاسكندر الى الحكيم أسينياس وقال له :

– سأغزو أراضي مصر .

فرد أسينياس : وماذا بعد ؟

قال الاسكندر : سأغزو بلاد الفينيقيين .

فرد الحكيم أسينياس : وماذا بعد ؟

قال الاسكندر : سأغزو بلاد العرب .

فرد الحكيم : وماذا بعد ؟

قال الاسكندر : سأغزو بلاد فارس .

فرد الحكيم : وماذا بعد ؟

قال الاسكندر : أغزو بلاد الهند ، وأستريح قليلا .

فرد الحكيم أسينياس : ولماذا لا تستريح منذ الآن .

قال الامبراطور الشاب بغرور : يجب أن تخضع هذه البلدان لامبراطوريتنا حتى نتمتع بخيراتها ، ويتمتعون هم بحماية النظام الامبراطوري .

أطرق الحكيم أسينياس برأسه الى

الأرض ، بينما ارتفعت همهة الاستحسان من حاشية الاسكندر المحبة للحرب والنهب والسلب .

رفع أسينياس رأسه الذي خطه الشيب بالحكمة والشجاعة وقال :

أيها الامبراطور ، بدلا من أن تغزو العالم ، وتدمر الناس والأرض ، انشر العدل في بلادك وارفع الاستغلال عن شعبك ، وكن قدوة حسنة للمدن الأخرى .

ثم واصل الحكيم حديثه : سيحبك الناس ، وسينضمون الى نظامك بطوعهم ورضاهم ، واعلم أيها الامبراطور أن الشعوب لا تحب أن تحكم رغم ارادتها ، فانها مهما صبرت فستثور في النهاية ، وستناضل ضد الغزاة الذين يحتلون أراضيها .

ارتفعت أصوات الاستنكار من قادة الاسكندر العسكريين ، الذين يريدون سبي النساء الجميلات ، وضم الأراضي والذهب الى أملاكهم ، فقالوا جميعهم بصوت واحد للامبراطور الشاب :

أيها الاسكندر العظيم . لا تستمع الى أقوال هذا المخرف العجوز ! يجب أن تسود العالم ، ويجب أن تأتي ثروات الشعوب البربرية الى بلادنا !

لم يسكت العجوز أسينياس ، وقال بصوت متحشرج وسط صليل السيوف : لا تغرك ظواهر الأمور أيها الامبراطور ، فانك مهما انتصرت في البداية فستلقى من يهزمك في نهاية الأمر .

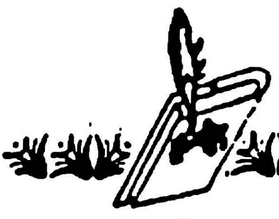
وكعادة الأباطرة ، تغلبت شهوة التملك والغزو على الاسكندر ، فأعد عدته وجيوشه وأدوات حربه المدمرة ، وركبوا السفن ، وهاجموا في البداية أرض مصر ، واحتلوها دون مقاومة تذكر ، بسبب المفاجأة ، وانغماس حكامها في ملذاتهم .

وواصل الاسكندر غزوه لأراضي الفينيقيين ، وبلاد العرب التي كانت مدنا صغيرة متفرقة وضعيفة ، واستولى على بلاد فارس ، وسقطت كل هذه البلدان في يد جيشه ، بسبب خوف الحكام على عروشهم ، والأغنياء على ثرواتهم ، أما الفقراء فكانوا لا يتشجعون للتضحية بحياتهم في سبيل مدن لا يجدون فيها سوى الفقر والظلم .

كان الاسكندر في غزوه للعالم ، يستبي هو وقواده أجمل النساء ، ويقتل الشباب ، ويحرق الأخضر واليابس ، ويرسل بثروات الشعوب الى بلاده . أما شعوب الدياز المحتلة فهي في دهشة وذهول من صدمة الغزو ، حتى وصل جيش الاسكندر المنتصر الى مشارف بلاد الهند .

كانت توجد على حدود بلاد الهند، مدينة صغيرة تسمى ساندوراس ، يحكمها مجلس ينتخبه سكان المدينة ، ليدير شئون الحكم ، ويوزع الثروات بالتساوي على الناس ، لا فرق بين رجل وامرأة ، ولا غني أو فقير .

كانت هذه المدينة تربي أطفالها على



حب الدراسة ، وتعلم فنون القتال ، شعارها « لا يحمي المدينة سوى صدور أهلها » ، ومن أراد أن يغزوها فعليه اختراق صدور الأهالي الشجعان ، فهابتها المدن المجاورة لقوتها واحترامها للجيرة والسلام ·

وصل الاسكندر بجيوشه الى حدود هذه المدينة ، وعسكر بجنوده حولها ، وأرسل الى أهلها يطلب منهم الاستسلام ودفع الجزية ، والا دمر المدينة على رأس سكانها ، فطلب الأهالي منه مهلة ثلاثة أيام ·

في اليوم الأول أرسل إليه الأهالي أحد حكماء المدينة ، الذي تقدم دون وجل ولا خوف من الاسكندر وقواده · جمع العجوز كومة من الخشب وجلس فوقها ، ثم أشعل النار في نفسه وهو يقول : «نحن أناس نحب السلام ونكره الحرب» · وواصل كلامه دون ن يتأوه من الألم : « اننا نستطيع التضحية بأجسادنا ، لكن الغزو لا يستطيع تحطيم أرواحنا · »

ذهل الاسكندر وقواده وجنوده من منظر الرجل المحترق دون أن ينبس بصرخة ألم ، حتى احترق جسده كله ، وأصبح جمراً ملتهباً ، وبعد أن أفاق القواد ، من ذهول المفاجأة ، وحتى يرفعوا معنويات جنودهم ، خطبوا قائلين :

« ضحى سكان المدينة بهذا الرجل لأنه عجوز وسيموت قريباً ، فلا عليكم منه فهو مجرد عجوز أحمق · لنرسل الانذار الثاني للمدينة : اما الاستسلام أو الدمار · »

وفي اليوم الثاني أتت أجمل بنات المدينة ، بشعرها الأسود الطويل ، وقالت للاسكندر وقادته ، وهي تجلس على نفس مكان رماد الرجل العجوز : « نحن نكره الحروب ولا نحب الموت ، لكن في سبيل الوطن نضحي بأرواحنا ، فارحل أيها الاسكندر عن أرضنا · والا لن تعبر المدينة الا على جثثنا · »

وعندما انتهت من عبارتها ، أشعلت النار في ثيابها ، فضج معسكر الاسكندر بصيحات الجنود وتحسرهم على هذه الفتاة الجميلة ، التي أحرقت نفسها في سبيل وطنها ، دون أن تنطق بصرخة ألم ·

وقف أحد قواد الاسكندر يحرض الجنود المذهولين حزناً وخوفاً : ان سكان المدينة ضحوا بهذه المرأة ، لأن النساء لا قيمة لهن عندنا ، فنحن نملك الكثير من السبايا الجميلات ، فلنرسل لهم آخر انذار ·· الاستسلام أو الموت » ·

في اليوم الثالث أتى رد سكان المدينة على لسان طفل صغير جاء بشجاعة وثقة ، وجلس على نفس كومة الرماد ، وقال بصوته الطفولي : أيها الاسكندر في اليوم الأول أرسلت لك مدينتنا الرجل العجوز علامة الحكمة ، وفي اليوم الثاني أرسلت لك مدينتنا الفتاة علامة الخصب ، والآن ها هي الطفولة العلامة الثالثة رمز المستقبل ، لنريك أن جيشك سيتحطم على أيدي شعبنا ، لأنه لا يوجد شيء أغلى

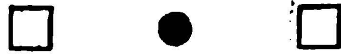


ولا أحلى من حرية الوطن «ثم غرز الطفل السيف في الأرض وقــال : ان مدينتنــا ستصمد أمام الغزو ، لأن الشعوب تكره الغزاة ، وهذا آخر انذار لكم : ارحلوا عن أراضينا أو الموت لكم » •

ثم أشعل الطفل النار في جسده دون أن يصرخ ، أو يطلق آهة ألم ، فدب الذعر في قلوب جنود الاسكندر ، وحتى الاسكندر نفسه الذي غزا نصف العالم داخله الخوف من شجاعة سكان هذه المدينة •

فكر الاسكنــدر طويلا ، وقــرر أن يتراجع بجيوشه عن هذه المدينة الشجاعة، قبل أن يتمرد عليه جنوده ، ويجبنوا عن القتال ويفروا بحياتهـم وغنائمهم مــن أرض المعركة ، ويخسر الحرب ويفقـد هيبتـه الامبراطورية •

وفي طريق العودة الى بلاده اليونان، مات الاسكندر الغازي بلدغة بعوضــة ، وبعد أن أفــاقت الشــعوب من صدمـة الغزو قاومت جيش الاسكندر ، وبقـي اسم المدينة الصامــدة حتى اليوم رمـز الشجاعة ، ولا يزال أهلها يحافظون على تقاليدهم القديمة بتعليم أطفالهم فنون الحرب منذ الصغــر ، ولكنهم يعلمونهـم أيضاً حب السلام وكراهية الغزاة •



قصة للأطفال :

جزيرة الطّيور

بقلم : ابراهيم بشمي

عاشت أنواع مختلفة من الطيور ،
في جزيرة جميلة تقع وسط البحر الكبير ·

وفي كل صباح ،
عندما تشرق الشمس على الجزيرة،
يرتفع تغريد الطيور ،

وتصحو الفراخ الصغيرة على أصوات البلابل الجميلة ،

يدعوها للذهاب الى المدرسة ،
وتنطلق الشحارير مسرعة الى السهل ،

تبحث عن الحبوب قبل أن يصل اليها النمل النشيط ،

وترفرف عصافير الكناري في أنحاء الجبل ،

تجمع القش والتبن لبناء الأعشاش،

والعصافير الجائعة تبحث عن الدود،
والبجعات البيضاوات تسير وهي تهز رقباتها الطويلة ،

متجهة الى النهر ،

وطائر الحسون يلتقط الحشرات الهائمة ،

والنوارس تتجه الى البحر لاصطياد السمك ·

في يوم من الأيام ،

فوجيء سكان الجزيرة بغمامة سوداء تغطي وجه الشمس ،

وهبط مخلوق يضرب بجناحيه الهواء ،

فاهتزت أوراق الأشجار ، وسكتت الطيور مذعورة من هذا المخلوق ·

هبط النسر ذو الجناحين الكبيرين على الجبل ،

ووقف بمخالبه الحادة على الصخور وقال :

« أنا النسر العظيم ، أنا ملك الطيور ،

وهذا المكان الجميل أعجبني ، وأنتم الآن رعيتي ، وعليكم اطاعتي ، وتقديم الطعام اليّ لأحميكم وأدافع عنكم • »

تطلعت الطيور الى بعضها بعضاً ،

وقال الحسون الصغير بشجاعة :

« من أعطاك الحق في أن تنصب نفسك ملكاً علينا ؟

ان هذه جزيرتنا ، ونحن مرتاحون في حياتنا • »

وقبل أن يواصل الحسون الشجاع حديثه ،

هجم عليه النسر ، فتطاير الغبار ، واهتزت الأشجار ،

وقبض النسر على الحسون الصغير بمخالبه الحادة ،

واقتطع من جسده قطعة لحم وأكلها ،

ثم قال والدم يسيل من منقاره : « انظروا » !

وأشار الى الحسون الملقى تحت رجليه : « هذا مصير كل من يعارضني » •

ومرة أخرى ، تطلعت الطيور الى بعضها ، خائفة من قوة النسر ، ومن المصير الذي وصل اليه الحسون الشجاع •

وتقدم الغراب الى النسر مرتجفاً ،

وانحنى أمامه وقال : « أحسنت أيها النسر العظيم صنيعاً بتأديب هذا الحسون الطائش •

نحن تحت أمرك ، وسنحضر لك كل ما تريده يا ملك الطيور • »

قال النسر وقد وقف ريش رأسه غروراً :

« عليكم توفير الطعام ، واحضاره كل يوم الى قمة الجبل واياكم أن تتأخروا والا سترون العاقبة • »

طار النسر الى قمة الجبل •

وضجت الطيور بعد الصمت الذي عقد ألسنتها عن الكلام ،

وارتفعت الأصوات ،

الكل يريد أن يتكلم ، يشتكي ، يحتج ، يشتم النسر •

قال البلبل من مخبئه بين أوراق الشجرة :

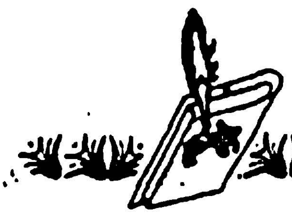
« أوه ! لم أعد قادراً على التغريد ، بعد رؤيتي ما حل بالحسون المسكين • »

قال الشحرور بعد أن خرج من بين الصخور ، وتطلع الى قمة الجبل :

« ماذا نفعل حتى نكف شر هذا النسر الذي حل على جزيرتنا • »

علق السنونو : « لا توجد طريقة أخرى لتلافي شره ، الا بتوفير الطعام له ، والا حل بنا ما حل بالحسون !

قالت البطة الرمادية ، وهي تنفض مياه النهر عن جناحيها :



« أنا لن أبقى ما دام هذا النسر موجود ، سأغادر الجزيرة حالا • »

رد أحد العصافير : « أيتها البطة الرمادية ، أنت تملكين جناحين قويين ، يساعدانك على الطيران لمسافات بعيدة ، وانك متعودة على الهجرة من مكان الى مكان آخر أما أنا فأقول :

اننا لا نريد مغادرة جزيرتنا • »

علق الغراب الجبان وهو يصفق بجناحيه طائراً الى قمة الجبل :

« أما أنا فليس لدي القدرة على مصارعة هذا النسر القوي وسأرضخ لطلباته • »

قال النورس وهو ينظر باحتقار الى الغراب : « مهلا أيتها الطيور !

اذا رضخنا لطلبات النسر الآن ، فان هذه الطلبات ستزداد • يجب علينا مقاومته منذ الآن • »

الا أن أحداً من الطيور لم يستمع للنورس خوفاً من النسر فرضخوا لطلباته وأوامره •

وذات مرة ،

أعلن النسر عن وصول أنثاه وفرخه ، وطلب من كافة الطيور الطاعة لهما ، وزيادة كمية الطعام له ولعائلته •

ضاق الحال بالطيور ،

فهاجر بعضها عن الجزيرة ،

وظلت الكثرة باقية في وطنها حزينة •

وذات مرة قالت البجعة ذات الرقبة الطويلة لصاحباتها :

« الى متى نشتغل لهذا النسر الطاغية ؟ »

علقت بجعة ثانية وهي تتلفت بحذر : « صه ! لا ترفعي صوتك يا عزيزتي ! ان بعض الحذر واجب • »

ردت البجعة الأولى بصوت عال : لن أخاف النسر ، وأقول بأعلى صوتي ، بأنني لن أصطاد سمكة واحدة له ، واذا أراد أن يأكل فليصطاد السمك بنفسه • »

علقت بطة مذعورة : لا ترفعي صوتك هكذا ! اعملي ما تريدينه لوحدك ، فأنا أخاف من النسر • »

انتشر حديث البجعة الجريئة بين الطيور ،

وفي اليوم الثاني ،

غطت النهر غمامة سوداء ،

واهتزت أوراق الشجر ،

وتوقفت البجعات عن الصيد •

نزل النسر القوي على ضفة النهر ،

وشرر الغضب يتطاير من عينيه ،

ثم اتجه الى البجعة الجريئة ، ورفع جناحه وضربها بقوة •

تفادت البجعة الضربة الأولى ،

ومدت رقبتها الطويلة ونقرته في رأسه ،



ازداد غضب النسر ، فهجم على البجعة ، وقبض على رقبتها بمخالبه الحادة وكسرها نصفين .

نظرت الطيور بخوف الى ما يجري دون أن تتدخل .

أكل النسر جزءاً من لحم البجعة ، وترك باقي الجثة لأعوانه الغربان ، وطار الى قمة الجبل .

ازداد التذمر ،

وشعرت الطيور بالاعجاب بعمل البجعة الجريئة ،

وظل النسر يفكر طويلا ،

حتى سأله الغراب :

« فيم تفكر يا ملك الطيور ؟ »

قال النسر وهو يحك مكان ضربة البجعة :

« يجب تأديب هذه الطيور ، فانها لم تخش مصير البجعة . »

قال الغراب : يا ملك الطيور ، ، لماذا تقاتل بنفسك ؟

ان هذا العمل أصبح لا يليق بك . لماذا لا تستعين بأصدقائك الصقور لتأديب هذه الطيور ؟ »

أجاب النسر وهو يهز رأسه استحساناً : « أحسنت أيها الغراب على هذه النصيحة . »

أرسل النسر يستدعي الصقور والشواهين ، تلك الطيور الجارحة ذات المخالب القوية للدفاع عنه ، ولتأديب الطيور المتمردة .

كان النورس حزيناً ،

وفكر طويلا في حالة جزيرة الطيور ،

على صخور البحر الأزرق ،

حتى أنه لم يسمع صديقه الدلفين يناديه قائلا « ماذا جرى يا صديقي النورس ؟ يبدو عليك الحزن والهم . »

وواصل الدلفين حديثه بعد أن غاص في الماء :

« ماذا بك ؟ أنا صديقك ، والصديق يحكي همومه لصديقه . »

قال النورس وهو يتنهد : « ان نسراً طاغية حلّ على جزيرتنا ، وقتل من قتل من الطيور ، وهاجر من هاجر . »

توقف الدلفين عن حركاته المرحة ، واقترب من النورس وسأله : ماذا صنعت الطيور ؟

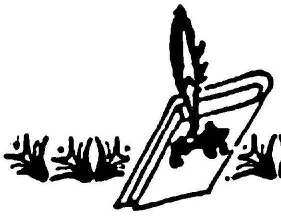
رد النورس : وقفت بعض الطيور الجريئة تتحدى النسر بمفردها ،

لكن قتلها ، ورضخت باقي الطيور .

حرك الدلفين ذيله في الماء ليحفظ توازنه ، وقال النورس : أيها الدلفين الحكيم ، لقد رحلت الى أماكن كثيرة ، وعرفت العالم جيداً فما هي نصيحتك لنا؟

صمت الدلفين طويلا ، وتطلع الى أعماق البحر ، ثم قال :

« بنفسك قلت الاجابة أيها النورس!



قال النورس : أنا أعرف الاجابة ؟ »

رد الدلفين : نعم • ألم تقل ان الطيور بمفردها عجزت عن مقاومة النسر •

قال النورس : نعم •

رد الدلفين : يجب على الطيور أن توحد قوتها •

ثم غاص الدلفين الى أعماق البحر، وخرج يحمل في فمه فرعاً من أغصان الشعب المرجانية الحادة ، وقدم الغصن للنورس وهو يقول : « لتسن الطيور مناقيرها ومخالبها • »

وسبح الدلفين مبتعداً الى داخل البحر ،

بينما سن النورس منقاره ومخالبه ،

وهو يفكر في طريقة مناسبة للقضاء على النسر الطاغية •

تجمعت بعض الطيور قرب النهر ،

وقالت الأوزة : الى متى سنظل تحت رحمة النسر ؟

تطلع اليها النورس طويلا ثم قال : منذ البداية حذرت الطيور ، وقلت يجب علينا مقاومة شر النسر قبل أن يزيد ، لكن الخوف منعها •

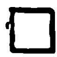
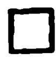
قالت بجعة : نحن البجعات قدمن الكثير من الضحايا ، ونحن مستعدات لمقاومة هذا الطاغية •

قال حسون صغير : احذروا !

علق النورس وهو يتلفت بحذر : علينا أيها الأصدقاء أن نوحد أنفسنا ضد هذا النسر ••

اقتربوا مني حتى أخبركم •

اقتربت الطيور من بعضها بعضاً ، تستمع الى حديث النورس ، ثم أخذت تسن مخالبها ومناقيرها في غصن المرجان الحاد ، ثم طارت متجهة جميعها نحو قمة الجبل والشرر يتطاير من عيونها •

قصة قصيرة :

الجذور المستحيلة

بقلم : فوزية رشيد

البداية كانت هناك .. في تلك البقعة الداكنة من ذاكرته ، الجبل والهاوية ، شجرة سرو وقبر كئيب .

السكون يلفه ويصيبه بذاك الخوف الدائم من المجهول . أليس من الممكن أن تضمحل تلك الرؤى السوداء ليبدأ التفكير فيما هو أجدى به أن يفعله ؟!

ينتعش توقه للخروج من ضيق الدائرة الى مساحة الأمطار والضياء .

البحر يشعره أن لغز الفرح في عروقه سينتهي يوماً ما !

السماء تفعل ذلك كلما صعد بناظريه اليها ، الأرض أيضاً ، والاخضرار الرائع يولّد فيه احساساً مبهماً أن كل شيء مآله الاندثار !

السمفونية الخامسة لبيتهوفن تفعل ذلك !

ان ذاك الاحساس بالهدوء والفرح الذي يعتمل في نفسه حين يتلقى نظرة حب أو ألفة رائعة تصيبه بالحزن سريعاً لأنه ومنذ أن خرج من البقعة الداكنة تلك أصبح يفكر أن مثل تلك اللحظة ترحل سريعاً والى الأبد !

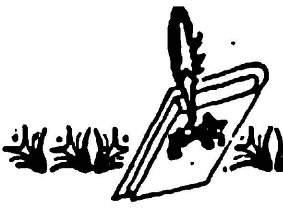
كم سرح بعيداً وهو يتأمل فيما حوله ، تساءل : لماذا هم هكذا صاخبون؟!

والعتمة ! لماذا تحفر كل شيء حوله ؟!

وتلك العناوين البارزة لمجموعة من المهدئات ، فاليوم بكل درجاته ، ليكسونتيل .. واحد ونصف ملجرام ، لاربوس ، امسدايل الى آخر تلك القائمة الرهيبة من الخدر البطيء وبعدها كل شيء ساكن كشريط سينمائي صوّر بالحركة البطيئة ، ثم جرعة أخرى ، وأخرى ، وحتماً هذا ليس كل شيء !

في تلك العتمة الداكنة كان يرحل في عوالم جديدة من الاشراق والبلّور والبنفسج ، أما الآن !

يشعل لفافته ، يسحب نفساً عميقاً ..



كيف مرت تلك السنوات الطويلة ، وأين أودعته ؟!

الخيال يجنح به، تلك الهدأة الرائعة تدخل في عمق الأشياء وتفاصيلها ، ويمر الوقت سريعاً ، يكبر غطشة ، شيء ما أكثر من ذلك يريده !

يعاوده الحزن والظلام الذي يخشاه كثيراً ، جميع الأشياء تتساوى في ستره ، تصبح لوناً واحداً ، أسود ، رديف الشيء الآخر البغيض ٠٠ الموت !

عناوين الجرائد البارزة ونشرات الأخبار والوفيات ٠ تلك التحليلات والشروح الغريبة حول الدول النامية والسيقان الذابلة أو العارية ، كل شيء يجد انتحاره الأمثل بطريقة ما !

أهذا ما كان يموت شوقاً لرؤيته !؟

حتماً ليس هذا كل شيء ! الزنزانة أرحم بكثير !

لبرهة يقف مشدوهاً ، الجنون يبلغ مداه في الذاكرة :

هي ضجرة لسبب ما ، تطلب أن يخرج معها ، يفعل ٠

تتمعن في وجهه ، تسأله :

ـ كيف غدت سحنتك هكذا تفتقد رونقها المعتاد ؟!

ـ أليس من الأجدى أن تسألي كيف أصبحت أفتقد رونق ذاتي ؟!

تتطلع ببلاهة ، لا تضيف شيئاً !

يوم آخر من أيام الأسبوع القصيرة ، لا فرق ! تتنازعك تلك الرغبة الجامحة للبكاء ، تنطلق موسيقى ما ، رأسك خارج النافذة ، الفضاء الشاسع يحتوي كل شيء بشموخه ، ينتابه شعور خاص ، أنك شيء بسيط جداً في هذا الكون ! وانه لا داع لكل هذا التفكير والحزن ، تتنشق الهواء ملء صدرك ، وتفترش مكاناً في أحد الزوايا الخجلة منك ومن بكائك الذي ينتابك من جديد !

أخبرتك مرة والوحدةتفترش أجواء عريضة في المساحة المتوزعة في الذاكرة ٠

ـ لا أملك سوى أن أحبك ٠

كيف بامكاني أن أفسر هذا الشعور الغريب ٠ قلت لها :

ـ أليس من الأجدى أن نفعل شيئاً تجاه الموت المحيط بنا ، ظننت ساعة أن خرجت أن الأضواء تغطي مساحة الحلم في رأسي ، وأن السنوات غيرت شيئاً ولم يضع عمري هنا هدراً !

يبدو أنها سمعت جملتي الأولى ، قالت يائسة :

ـ أنا أحدثك عن الحب ، وأنت تفكر في الموت !

ثم تلوك تلك الفكرة الغريبة ، واجابتك غير المتوقعة ٠ تضيف اليها :

ـ لا فرق ، أن نحب ، أو أن نفكر في طريقة ما للخلاص ، كلاهما تعويذة من أجل الحياة ، لم أخطيء اذا !!

ـ ٢ ـ

كفرس جامحة فك رتاجها يهرول بعيداً عن أضواء الصخب في المدينة ،

وجهته كانت البحر ، هناك سجد العالم الذي يريده ، بعيداً عن الضجيج وأنوار النيون المتلألئة والسيقان العارية !

ذهنه متوقد ببراعم الحلم ، يحاول أن يقرب المسافة بينه وبين مهجعه الأخير وكأنه يلوذ بالفرار من وحش فغر فمه قريباً منه يحاصر يقظته في كل مكان ، يود الآن أن يعيش وحيداً رغم أن الوحشة تنخر عظامه فؤوساً لا ترحم ٠

السماء قاحلة من النجوم والقمر في آخر مدار له ٠

العرق يتصبب غزيراً من أطرافه ومن شحوب وجهه المتغضن في حلكة الظلام ٠ ودلو يتدثر بدفء الهدوء الذي اعتاده هناك رغم مخالب جلاديه في تلك الزنزانة الكريهة ٠ هناك لم يكن يشعر بأية مطاردة أو قلق أو انتظار ما سيحدث له بعد كل دقيقة ٠

وكالتماع البرق في السحب راودته صورتها ٠ ما بالها تطلق عنفوان الرياح في وجهي ؟! لم أعد أحتملها أو أحتمل أي مخلوق يشعرني بعجزي ٠

الشهور تمر دون وظيفة، دون ورقة سفر ! ودون مشاعر متوازنة ٠

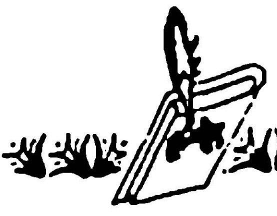
خطواته تقترب رويداً من الشاطيء المهجور والسفن العارية تستكين كهياكل أسماك خرافية جافة هجرها البحر ٠ ينظر اليها بيأس ، فكر أنها تدعوه للهجرة في اللجة البعيدة ، هناك حيث أعماق الأسرار وغموضها الخالد ٠

يتأملها بحزن ، هو لا يملك الآن قدرة الولوج في مغامرة جديدة ٠ البحر حوله نائم متسع يدغدغ شيئاً ما ينساب في داخله ، يعلو وجيب قلبه بدقات متلاحقة ويشعره نشازاً يربك اندغام الشاطيء بالرمل تحت قدمه ٠

تلك السنوات الطويلة هناك هرست كل الأحلام وأزاحت رونق الأشياء وملامحها لتبدو في قتامة العتمة التي هو فيها ٠ الحياة لا تتكشف تلك اللحظة الا عن بؤرة سقم كريه ٠ الموج يتلألأ منساباً على شاطئه الممتد فسيحاً في الجهات الثلاث ما عدا الجهة الرابعة المؤطرة لتلك النقطة الأفقية والنائمة في السماء وضبابها القائم كخط من الأزرق ٠

« أيها الرائع ، أيها البحر ، انك لا تشبه أحداً فأنت الشيء الوحيد الذي لم يستطع الرعب أن يدخله ، دون بشر قساة أو سلاسل صدئة ! حر كالهواء ، جميل ٠٠ كأنت ! » ٠

سرب طيور يحلق في سحب الفضاء ، في الجهة الأخرى تطالعه كتيبة البيوت الهرمة واللون الأصفر يغطي الحي بأكمله ٠ يرمق عجوزاً مستكيناً في الزاوية يحدق هو الآخر في البعيد وأسى السنين يطل من عينيه المغبرتين ، يسترجع الوحشة التي كانت تقطنه هناك ، يتساءل كيف كانت تشمخ عبراته وتندثر الأحزان بانتظار الحلم ويشع المكان الضيق رغم كل شيء ببريق أمل يجيء ولا يجيء !



رأسه يستدير صوب المدينة الناعسة في الليل ، هيكـل شبح ما يخطـو ببطء مقترباً منه ، تغيب دهشته ، الشبح يكشف عن وجه امرأة يتفصّد عرقاً ، لم يستطع أن يرى دموعها الممتزجـة بحبات المـاء المنسابة فوق وجهها ٠

بذهول يسألها :

ــ فاطمة ! كيف عرفـت مكاني ؟!
لم تعر سؤاله أي انتباه ٠

ــ هل لك أن تدعوني للجلوس ؟
تعقب دون مقدمات :

ــ أنا حزينة مثلك !
يرد بضيق :

ــ لم أقل بأني حزين !

وكالاعصار الذي يكتسح ملامح المدن الرابضة قرب البحر اكتسحه ألـم مجنون ٠ يسـند رأسـه فوق ركبتـه ، لا يبدي أي حراك ٠

تقترب منه وتقول :

ــ ألهذا الحد فقدت ايمانك بحبنا؟!
لـم يـرد ٠ طفـل يـركض قـرب الشـاطىء ، يقتـرب منهما ثم يبتعـد مسرعاً ، ود لو يحضنه ويدثره بالقبل ٠

ثم بعد صمت طويل :

ــ لا أريد تكرار ما قلناه طويلا٠٠
أنا فقط لا أستطيع فعل شيء من أجلك٠

ردت بغضب :

ــ تريد اذاً أن تثبت العجز الـذي أرادوه لك ، حتى الحب ٠٠

يقاطعها :

ــ بامكانك أن تبدأي دوني ٠

ــ البداية جميعهـا كانت تنتهـي اليـك !

كزوبعة فجائيـة يركض الحـزن في دروبه الضيقة ، يحـدق فيها ويقتحم بصمته كل الأجـواء المترامية على بعـد مساحة الأرض ٠

« أبـدأ من جديد ، أبـدأ خـذلاناً آخر ، أبعد كل الذي كان بيننا ، الحنين ٠ الشوق المدمر لآخر وريد ، أيها اليائس المجنون ، ألا تصدق أنني أحبك ! » ٠

لم ينبس بكلمة وانما تركته وحيداً دون وداع ٠

ــ ٣ ــ

كان متعباً عندما وزع أطرافه على المقعد المتهالك بالغرفة ، رسم شيئاً فـوق الورق ، مجزرة ضبابية يبرق فيها ضوء ساطع يشق السحب من منتصفها ٠

صوت يناديه ٠
ــ أبي ؟!

تدارك أن أباه قـد مات منذ زمـن بعيد ، رحل فجـأة كرحيل البرق لحظـة التماعه ، وكبفتة انفصال العشب عـن ترابه في موسم الحصاد ، تركه وحيداً ، وحيـداً ٠

يخرج من لون غرفته ، يدخل ألوان الشارع ، البحث المضني دون جـدوى ! يدلف في المبنى القريب من شارع النيون واللافتات العريضة ٠

- نأسف ،لدينا نادل لا نحتاج غيره ٠

صورة أمه تطارده هذه المرة !

تذكر مرة دخل وجه أمه في الحلم ، نتوءات عظامها تمزقه أشلاء ، ظلت تلح في طلب السماد وبضع حبات قمح بيديها، لم يدرك وجعها ٠ غاب برهة في الغياب ، بعدها كانت الحبات قد تناثرت ووجها دخل غيبوبة الفناء ٠

يقرأ لافتة أخرى ، يذهب وراءها ، يكتشف أن كثيرين غيره سبقوه اليها ، لم ينس أيضاً صورته المطاردة في الأوراق الرسمية !

الزقاق الترابي يتمدد متعرجاً أمامه ، خطواته تتثاقل ، يطوف قرب روث بقر يزكم أنفه ، أخيراً ينجح في الوصول الى غرفته ويتمدد على كرسيه المتهالك ٠ تعبه لم يسعفه أن يرى الوجه المقترب منه ٠

- فاطمة !

يدفن رأسه في صدرها ٠ يهمس :

- أحبك ٠

تفرست فيه بحنو وقالت :

- بامكاننا معاً أن نبني الغد بالعرق والياسمين !

- ٤ -

كل ما حوله دون اضافة تذكر أو تغيير ٠ البحر ، الأزقة ٠ السيقان العارية وأقدامه الملتوية في البحث ٠

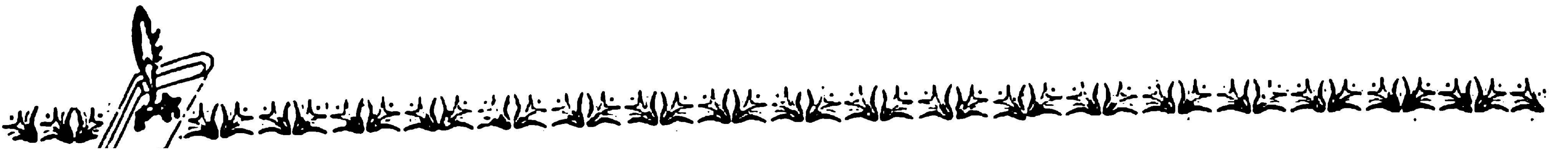
شيء واحد كان قد تغير بالنسبة اليه ٠ لم يعد قلبه يخفق أو ينتفض كعصفور جريح ، وحيث اعتاد أن يجلس وحيداً يفكر ، جلست هي بقربه تتأمل معه هدوء المكان والرمل المتناثر حبات روعة وألفة ٠ التمعت في عينها أنوار السماء الذائبة في ضياء البحر المشع في أمسية قمرية رائعة ٠ ضحكت ، خال ضحكتها منسوجة من الأنوار ، احتضنها ودثرها بالقبل ٠ تعلو وجهها ابتسامة خضراء ، يبتسم هو الآخر ٠ عيناه ثابتتان على وجهها وشعور بالانتصار يزهر في قلبه ٠

قال لها :

- سأحاول مرة أخرى وأخرى !

غزتها حدائق الفرح ، اصرار عميق الجذور يشرئب في وجهه و ٠٠ تبزغ في رأسه شجرة ميلاد خضراء ، ويلتحم الحب بالموت في الذاكرة ، فلم يعد هناك ما يخيف ، انما عيناه تشعان بوهج جديد ٠

فوزية رشيد
أغسطس ٨١ م ٠



شهادات لزمن الرواية

جدلية الإبداع الروائي

حوار: حمده خميس

تجربة الرواية في البحرين وليدة سنوات قليلة جداً ، والتطلع الى الابداع الروائي يصبح هاجساً لكتاب القصة القصيرة ٠٠ فيبدأون مرحلة التجريب كل بحسب رؤيته وامكانياته الفنية الخاصة ٠

ان رصد هذه الظاهرة تكشف رؤية الكتاب لفن الابداع الروائي ، وقد تؤشر لطور النضج في التجارب المقبلة ٠

فوزية رشيد تكتب القصة القصيرة منذ عام ١٩٧٦ ، وها هي الآن تنتهي من روايتها الأولى ، فكيف جاءت الى هذه التجربة ، وما مدى ادراكها لهذه الخطوة العريضة ؟

في هذا الحوار نمسك معها حميمية العلاقة بالفن الروائي ، وخطورة دخولها طور التأسيس للرواية في البحرين ٠

* * *

□ متى بدأت كتابة القصة القصيرة وكيف تم تحولك الى الرواية ؟

● بدأت كتابة القصة القصيرة عام ١٩٧٦ ، كنت أكتب بتردد ولكن بكثرة ونشرت معظم قصصي في الصحف المحلية والعربية ٠ وكانت القصة القصيرة التعبير الأنسب كما بدا لي عن حالة معينة وفكرة معينة، لما فيها من كثافة ولحظة زمن مشحونة متوترة تمر عبر وهج خاص ، ولكن كان هناك قلق مبهم يعتصرني ، لم أعد كما كنت سابقاً ، بمجرد ضغط فكرة معينة أشرع في صياغة اللحظة المتأزمة في قصة قصيرة ، صارت هناك مسافة بين الأفكار التي تراودني والأحاسيس التي تضغط علي وبين أن أجسدها في قصة ٠ وهذا عكس ما يحدث عادة ، اذ أن الكاتب بقدر ما يكتب من نماذج أدبية يصبح التعبير عنده أكثر سهولة، عندي حدث العكس ، حاصرني احساس أكبر تجاه ما أراه ويعتمل في داخلي ، لذا مرت فترة طويلة دون أن أتمكن من كتابة أي شيء ٠ في هذه الفترة كنت أشعر بضغط كبير ، وأفكاري تنمو باتجاه البحث عن شكل أكثر استيعاباً ورحابة عما يرهصني ٠



مرة شعرت أنني بحاجة للتعبير عن حدث معين، عن شخصيات معينة ، عن سمات نفسية لدى بعض الأشخاص ، كنت أريد أن أعبر دفعة واحدة عــن جميع هذا (القلق) ، وكانت القصة القصيرة وعاء ضيقاً بالنسبة لاتساع الفكرة وعدد الشخوص الذين صاروا يلحون على وجداني ، أعتقد أن هذا سبب جيد للتحول الى الرواية •

☐ اذن كيف تحددين فهمك للابداع الروائي ؟

● لقد تكوّن لدي مــن خلال قراءاتي لأبحاث في الرواية ولروايات متعددة ، أن الرواية تعبر عـن رؤية الفنان بشكل عام ، فأمام كاتب الرواية طريقان لا بد أن يسلكهما في الابداع الروائي : أولا : أن تكون لديه رؤية للصراع الدائر في الحياة وموقــف من هذا الصراع • ثانيــاً ، أن تكون لديـه القدرة الفنية على تجسيد هذه الرؤية • في الرواية رحابة أكبر لنمو الفكرة حيث تمنح الكاتب حريـة ادارة الصراع ورسم الشخوص والحدث والمؤشر الزمني• أن زمــن الحدث ونفسه في الروايــة أطول • وكل شخصية في الرواية لها عالمهـا الخاص وهي بذلــك تجميع لعوالم مختلفة • ومن أجل أن ينقــل نبض الحيــاة يجب أن يعبر عن كل شخصيــة بطريقتهــا وافكارها ، وهذا يتطلب منه أن يمسك كل الخيوط بشكل محكم بحيث لا تفلت شخصية وتطغى علــى شخصية أخرى ، أو تطغى فكرة على فكرة أخرى ، وعليه يجب أن تكون لدى الكاتب قدرة على تنويع الأسلوب بحيث لا تتكلم الشخوص بنفس الطريقة او تتفاعل مع الأحداث بنفس الدرجة • ان زحمة العوالم المختلفــة تخلق صعوبة الروايــة • كما أن الرواية تجسيد لفكرة ولمعاناة معينة يجب أن يوصلها الكاتب، وشخوصها على تعدد ألوانها وأفكارها يجب أن تصب ضمن فكرة معينة عند الكاتب • ان ادراكي لهذا المعنى في العمل الروائي حدث من خلال ممارستي القصة القصيرة أيضاً •

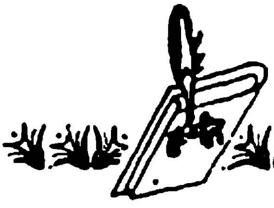
والرواية صيغة أكثر صعوبة لذا فهي عمل فيه التزام أكبر وفيه دقة في التجسيد ويتطلب وعياً أكثر نضجاً •

☐ نلاحظ ان كتّاب الرواية في البحرين هم كتّاب قصة قصيرة أولا ، فهل هي مسلمة البدء بكتابـة القصة القصيرة ومن ثم الرواية ؟

● لا ، هي ليست مسلمة أبداً ، انها موضوعة مرتبطة بالزخم الثقافي وحضور القصة والقصيدة ، كما انها مرحلة موضوعية ولدت هذين النوعــين ولم تعط الرواية مقوماتها ، وكل ما زاد تطور المجتمع وزادت حدة صراعاتــه كانت الرواية هي النــوع الأكثر قدرة على استيعاب هذا التطور •

☐ هل يمكن استعادة قلق العمل الابداعي قبل وأثناء ممارستك كتابة الرواية ؟

● فكرة الرواية كانت تنضج في ذهني ، كنت أعايشها بأشكال متعددة ، أعايش الشخوص والأحداث، بالرغم من أنني لم أكن أتصور امكانية تجسيدها ، الى أن شعرت مرة أنني هادئة جدا أكثر هدوءاً من عادتي ، بدأت أول صفحتين ، ثم توقفت مدة شهر تقريباً ، لم أكن مقتنعة ، ثم واصلت ، كتبت أربع صفحــات ، ثم توقفت فترة طويلة أيضاً ، وببطء أحسست أن الرواية لم تعد مجرد تنفيس عن ضغط، أو تعبير مختلف عن قصة لم أتمكن من التعبير عنها • لقد تولدت لدي قناعة ما بأنني أكتب رواية • وانني بناء على ذلك أحتاج الى الكثــير • في فترة التوقف هذه كنت أعيش فترة موازنة ومراجعــة وتخطيط للشخوص ومحاولة تجميع خيوط الفكرة التي أريد طرحها ، انه قلق المسائل المتعلقة بالروايــة مــن مضمون الى حدث الى شخوص الى بنائية •



ثم واصلت الكتابة ، لقد استغرقت في كتابتها سنة متقطعة ، فكلما شعرت أنني قادرة على امتلاك لغـة التعبير عما أريد دون أن أكون في حالة ضغط نفسي ، انما صرت أجيء الى الكتابة بشكل واع ، وكان نمو الأفكار والأشخاص يحيطني بمتعة خاصة ٠

ان العمل الروائي مزج بين الوعي والتلقائية، كنت قد رسمت ذهنياً لوجود بعض الشخوص ولكنها الغيت أثناء العمل ، لم تجد لهـا مكاناً في الحدث ، وتولدت شخصيات أخرى لم أكن قد رسمت وجودها، صار الحدث والصراع يخلق شخوصه ويتحدث على لسانهم ٠ حتى الأسلوب كنت قد تصورته بشكل مختلف، لكن الرواية جاءت بسيطـة معتمدة على نفسيـــة أشخاصها وسلوكهم بحيث انني فوجئت بعملي ،حيث لم أتوقع أن أكتب بهـذا الأسلوب ٠ أحياناً أبـدأ الفصل بشكل مكثف لغوياً وفنياً فاكتشف أنه لايسير وفق خط الشخصيات ، لقد صارت الشخوص ترسم نفسهـا وتتحدث بلسانهـا هي وليست كما قررت تحميلها ٠

أثناء العمل كنت أشعر بصعوبة الخلق ، في الوقت نفسه كنت أشعر بمتعة الكشف ، وكلما أرى شخصية قد نمت وأخذت مدى معيناً فيما تريد قوله وعبرت عن نفسهـا ، كلما يملؤني احساس بأنني صديقة لها أريد أن أساعدها وأوصلها الى الغايـة التي اختارتها هي ، وهي أيضاً تكشف لي ما أريد أن أقوله عنها ٠

انها متعة وقلق وتوتر ، ماذا سيقول الشخص الفلاني مثلا ، وكيف سيقوله ، ربما أغضبه هـذا التصرف المرسوم له أو القول الموضوع على لسانه ، وكيف سيعبر عن غضبه ؟ لذا أشعر انني لست مسيطرة تماماً ومدركة لما ينبغي أن يقال ٠ كانت أشخاص الرواية تعايشني أينما ذهبت في العمل، مع الاصدقاء، انها تتحدث الي وأحاورها وهي حاضرة باستمرار ،فالكاتب هنا موجود في الرواية والرواية موجودة فيه ٠

☐ خاتمة الرواية هل رسمتهـا قبل الشروع في الكتابة أم بعد أن شعرت انه ليس لديك ما تقولينه بعـــد ؟

● بشكل غامض ومبهم كانت النهاية في ذهني ولكنها لم تكـن مؤكدة ، كانت العلاقات والشخوص وتتابع الأحداث والأزمنة ترسم نهايتها ، الاقتراب من نهاية الفصول كانت الخاتمة كما تصورتهـا في ذهني ، انها في الوعي والذهن شبه مخططة ومحتومة، الا أن اتساع العمل الفني وتدرجه هو ما جاء مـن التلقائية ٠ العنوان أيضاً كان شبـه اقتراح حـين شرعت في الكتابة ،بعد ذلك صار يتأكد ، صار العمل كله يصب فيه ٠

☐ الرواية في البحرين ما زالت في طور التجريب فما رأيك في الروايات التي صدرت حتى الآن ؟

● رغم أن عمر الحركة الأدبية قصير بوجه عام وبكل أشكالها الأدبية حيث بدأت في الستينات الا أن طرح الرواية جاء سريعاً ٠ وهذا نتاج حركة التطور الاجتماعي والاقتصادي التي حصلت وبشكل سريع في السنوات الأخيرة ، ذلك أن الوضع الاقتصادي عكس نتائجه على الوضع الاجتماعي والثقافي وارتبط بحركة التطور في شموليتها ٠ هذه المتغيرات أدت الى البحث عن نوع فني أكثر اتساعاً يشير ويؤرخ لهذه المتغيرات، والروايـة في محصلتهـا هي فـن رصـد حركـة الواقع واعادة صياغته ٠

ومع ذلك فان الروايات التي ظهرت في البحرين والتي نشر منها الى الآن ، لم تحقق نضجها الروائي بعد ، فهناك نواقص كثيرة سواء في بنائية الرواية أم في لغتها ،فهناك انفلات في تطور الحدث وتتابعه ،



بالاضافة الى حصار الشكل . فالاهتمام بفنية اللغة وفق مفهوم الحداثـة حاصر تطور الشخصيـات وتطور الحدث ، فكثيراً ما نرى أن فنية اللغة يشد الخناق على الحركة الداخلية للرواية .

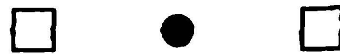
ففي رواية أمين صالح (أغنية أ. ص . الأولى) نرى اللغة وشاعريتها تلغي الفكرة والحدث وبنائية الرواية ، بحيث أن بعض الذين قرأوا جزءا منهـا في (الأقلام) لم ينتبهوا الى أن للرواية بقية .

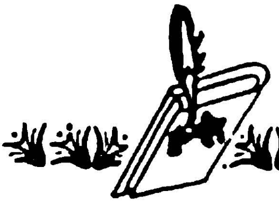
رواية محمد عبد الملك (الجذوة) حملت نفس القصة القصيرة وكثافتها وهذا لا يخدم فكرة الرواية . عبدالله خليفة في روايتيه (اللآلىء) و (الهيرات) لا نجد توظيفاً للغة بشكل روائي ، ورواية الهيرات تصلح لأن تكون قصة طويلة وليست رواية ، فينبغي على عبدالله خليفة أن يعطي الشخوص حركة أوسع ولا يحددها ضمن نطاق فكرة ما ولا يجعلها حبيسة هذه الفكرة .

☐ **هل بدأت تخططين لرواية أخرى ؟**

● بالتأكيد . بعد تجربتي الأولى ولو أنها لم تصل بعد الى يد القارىء والناقد ، شعرت برغبة مستمرة في كتابة رواية ثانية . لقـد غيرت تجربتي الأولى مسار نظرتي للكتابة . صرت أرصد وأتأمل الناس وحركة الحياة ونبضهـا اليومـي وتعبيرات اللغـة والوجوه والشفاه ، والحوار بين الناس وبين الحياة ذاتها ، أرصد كل هذا ، كما لو أنهم شخوص وأحداث في رواية أكتبهـا في اللحظة ، لقد اتسعت وتفتحت مداركي للحركة اليومية والتجدد المستمر في الكون والبشر . صرت أراقب حركة الحياة بشكل مقصود أكثر ، أراقب تعابير الناس وانفعالاتهم ومشاعرهم وحركتهم ، طريقة تعبيرهم عـن الغضب والفـرح والأماني ، ان هذا كله يخلق حصيلة وثروة ترفدني في العمل الفني . انني أريد أن أدخل في الحياة بكل اتساعها وكأن الرواية هي احتواء للكون كله .

ولكن هذا لا يعني انني سأترك القصة القصيرة .





الأدب في البحرين

«ملاحظة شخصية»

بقلم : محمد حيدر

والدافع الى هذه الملاحظة يعود الى عام ١٩٧٣، وكنت آنذاك مدرساً في الكويت : وفي حديث مع أحد الزملاء الكويتيين عن ثقافة الخليج ، قال كلاماً ممتازاً عن الثقافة في البحرين ، وخص الأدباء بجانب كبير من الفضل والتقدير ـ وجذبني كلامه وترك في نفسي احتراماً صادقاً لأدباء البحرين . ولكن العزيمة قعدت بي ، وكذلك شئون العمل والحياة ... فلم أحاول مزيداً من **المعرفة المنظمة** عن أدب البحرين . حتى اذا وقعت أخيراً على شيء من هذه المعرفة ، وجدتها مناسبة طيبة لأتابع ما فاتني من قبل ... ولأقول عن هذا الأدب بعض الكلام .

* * *

ومعرفتي هذه تبدأ بمقالين :

الأول ـ للأديبة منى غزال . وهو بعنوان : **الأدب في البحرين ما بين المد والجزر** .

الثاني ـ لمجموعة من الأدباء باشراف أحمد المناعي ، وهو بعنوان : **انطباعات عن الحركة الأدبية في البحرين** .

ولأن المقالين يعالجان موضوعاً واحداً ، فمن الطبيعي أن يوجد بينهما بعض التشابه والتباين . ولكنهما ، على حد سواء : يقدمان للقارىء ايجازاً مفيداً عن الأدب في البحرين ـ أما مقال السيدة غزال ، فهو أكثر تنوعاً واتساعاً ... خاصة وأنه قدم موجزاً عن واحداً من أعلام الأدب هو ابراهيم العريض . في حين أنه مقال السيد مناعي كان أكثر انحيازاً الى جانب الشعر .

والنقطة الجديرة بالاهتمام ، أن المقالين يؤكدان طابعاً مشتركاً تتسم به الحياة الثقافية في البحرين وهـو :

١ ـ **الاتجاه الاجتماعي** ـ تصوير الواقع والتجاوب معه / الالتزام بالدعوة الى الاصلاح الاجتماعي/ العودة الى التراث الشعبي // ابراز الشخصية المحلية . (هذا الاتجاه يدعو الى التفاؤل ويفرح القلب) .

٢ ـ الدور الفعال للصحافة البحرانية في تنشيط الحركة الأدبية .

٣ ـ الاتصال بالمؤثرات الحضارية والثقافية ، العربية والأجنبية .

* * *



تقول السيدة غزال بان **النادي الأدبي** في البحرين تأسس عام ١٩٢٢ ، أما **أسرة الأدباء والكتّاب**، فقد تأسست عام ١٩٦٩ ـ وهذه الجذور القديمة تدل على أصالة النزوع الثقافي لدى الشعب البحريني : فالنادي ، ليس أكثر من تجمع منظم لفعاليات ثقافية أسبق منه بكثير ٠ وكنت أتمنى لو أن المقال تحدث ولو بشيء يسير عن النادي الأدبي وأسرة الأدباء ونشاطهما ـ على كل حال ، فان اغفال هذه النقطة ليس تقصيراً من الأديبة الفاضلة، لأنها كانت محكومة باعتبارات زمنية أثناء كتابة المقال ، وحتى انها اضطرت للاقتصار على المصادر الجاهزة كما تقول ٠ (وكان حظي قليلا فلم أتمكن من الحصول على مصدر من المصادر المذكورة في نهاية المقال) ٠

غرض هذه الاشارة : أنني قرأت العدد الثاني والثالث من « **كلمات** » ٠٠ وهي نشرة داخلية تصدرها أسرة الأدباء والكتّاب في البحرين، وتاريخ العددين عام ١٩٨١ و ١٩٨٢ ـ وقد شعرت برغبة حارة لمعرفة شيء عن نشاط الأسرة منذ تأسيسها في عام ١٩٦٩ ـ والعددان المذكوران ، لا يقدمان معلومات ٠٠٠ وانما بعض الاشارات ـ



وافتتاحية العدد الثاني كانت بعنوان : **لا تطفئوا قنديلا أشعلناه** ٠

واختصر ما جاء : « كثيراً ما كنا نسمع عن اعداد القبور لحركتنا الأدبية الجديدة ، وكثيراً ما سمعنا عن شلل /احتضار/ موت هذه الحركة ،وأن القائمين عليها ما هم الا شرذمة من الصعاليك العراة يحاولون ارتداء ثياب الأدب الزاهية ٠ ولكثرة ماسمعنا من اتهامات ، ولكثرة ما تكلمنا ودافعنا عن انفسنا ، بحّت أصواتنا ٠٠٠ فآثرنا الصمت والصبر ٠ وحاولنا درء الخطر ، فماذا رأينا : العاجزين عن اكتشاف مداد جديد لأقلامهم التي أصابها الجفاف منذ زمن » ٠

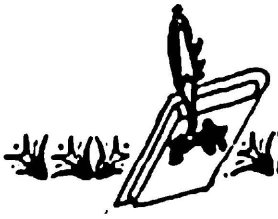
أما افتتاحية العدد الثالث فهي بعنوان : **الخيار لا الاستحالة !**

وهذا بعض ما ورد فيها : « منذ أن بدأت الأسرة والتقت أصوات شبابها في حوارات مضيئة بدأ خيارها ٠ وحين طمحنا الى مجلة أدبية كنا نعبر عن طموح مشروع ـ ولكن الآن وقد تواضعت محاولة النشر في بوتقة خاصة بكيان الحركة الأدبية لمجرد اصدار « كلمات » فانه الخيار الأكثر تواضعاً والأكثر صعوبة ! فلقد تعثرت كلمات بعد اصدارها الأول، وبجهد بالغ صدر العدد (٢) وكاد البحث أن يضيع للحصول على وهج يضيء صفحاتها في هذا العدد الجديد ٠ وبتكرار السؤال على مادة أو أخرى ٠٠ سقط التواضع في بركة الصمت القاسي الذي تعانيه نشاطات حركتنا منذ فترة طويلة ـ « كلمات » هي كلمتنا ، لذلك فان الدفاع عنها والاصرار في اصدارها هو دفاع عن كلمتنا أولا وأخيراً ، ودفاع عن المبدأ وعن الخيار : ولا للاستحالة » ٠

المعاني في الافتتاحيتين واضحة ـ واذا كانت الأولى تشير الى وجود نزاع بين الأدباء واتهامات ٠٠٠ فان الثانية تعلن بمرارة عجز الأسرة عن اصدار العددين الثاني والثالث من « كلمات » ـ وأسرة الأدباء لا تقول أكثر من ذلك : **فالنشرة داخلية** ،وأدباء البحرين يعرفون مدلول الكلام/ **الهدايا** ترى تغيرت في العدد الثالث أسرة التحرير ؟ أم هناك من الأسباب ما لا يقال ؟

أحد الخلفاء أوصى قاضياً بما يلي : اذا جاءك خصم وقد قلعت عينه ، فلا تقض له حتى ترى خصمه ٠٠ فربما قلعت عيناه ـ ولأنني لا أعرف الطرف الآخر ولم أسمع كلامه ، فاني أتوقف عند القول : ان خلافاً قاسياً يعصف بادباء البحرين ـ أهو مجرد نزاع بين تيارات أدبية ٠٠ بين القديم والحديث ٠٠٠ بين مبدعين وعاجزين عن الابداع؟ ولكن المقدمات توحي باكثر من هذا الاستنتاج ـ وأخشى أن أزل- فأقول : أهو نزاع في الصدارة ٠٠ نزاع في المغانم والأسلاب ؟

واذا كنت أنشد النزاهة ، فان هذا لا يمنعني من القول :



١ ـ ظاهرة الاقتتال والتهديم ، ظاهرة شائعة في حياتنا الأدبية العربية ، وهي ناجمة عن انحراف الطبع · (فرسانها يستحقون الشفقة) ·

٢ ـ العاجزون (في الأدب وفي غيره من الميادين) يحاولون حجب العبقريات والمواهب · أو كما يقول صدرالدين الماغوط في جريدة الثورة : يشكلون مافيا ثقافية ـ حيث تتحكم في الحياة الأدبية عوامل شتى ·· ليست الموهبة من بينها على الاطلاق ·

٣ ـ بعض الأدباء (وهذا الانحراف ينتشر في ميادين شتى) لا يريدون امبراطورية أدبية عربية مزدهرة ، وانما حركة أدبية يكونون فيها الأباطرة ـ فاذا لم يحدث ·· فليكن الطوفان : ورحم الله أبا فراس والمعري ··· وما أوسع المدى بين الاثنين ـ

الأول ـ اذا مت ظمآن فلا نزل القطر ·

والثاني ـ لما أحببت في الخلد انفرادا ·

أخيراً ـ على الرغم من كونها بداية كئيبة ومحدودة لمعرفة ·· فانها خطوة الى معرفة أكثر شمولا · والعزاء في بعض الانتاج الأدبي الذي وقعت عليه ·

★ ★ ★

ويبدأ العدد الثاني من « كلمات » بنشر استجابات أعضاء أسرة الأدباء « حول قضية التراث العربي والاسلامي من حيث رؤيته التي تشكل مدخلا لفهمه والتعامل معه والكيفية التي تم بها توظيف مثل هذه الرؤية وهذا الفهم في تجاربهم الأدبية »

والاستجابة الأولى من القاص محمد عبدالملك ، وهي بعنوان : **التراث ـ ظاهرة وسلوك وفعل** ·

ويبدأ بتحديد ماهية التراث ، لأن تحديداً كهذا يساعد كثيراً في الكشف عن طبيعته وشخصيته « وبالتالي أسلوب توظيفه في الأدب » · ولكن لماذا يكتسب موضوع التراث أهمية خاصة في المرحلة الحاضرة ؟ الأسباب متعددة ، منها أن الأمة العربية « تمر بفترة تواصل حضاري ، استمرارية في النهوض ـ فقد شهدت الثلاثينات مثل هذه الدعوة للتراث والتحرر من آفات وآثار وغبار الحضارة الغربية والنهوض بالقيم العربية والاسلامية » ·

والتراث في رأي الكاتب « مجموع أفكار وقيم وسلوك المجتمع : مع الخصوصية المتفردة لهذه الأفكار والسلوك في جانب ، ومع التواصل والشمول لهذه القيم والأفكار من جانب آخر ، مع التراث البشري كله » ·

ومن آراء الكاتب ما يلي :

ـ الأجيال التي تعيش القرن العشرين تصنع تراثها أيضاً · وهذا التراث ما هو الا امتداد وتجديد لتراث الماضي ـ والمجتمع الذي يلفظ ماضيه ، يلفظ حاضره في نفس الوقت ·

ـ المجتمع الذي يصر على أن تظل الأفكار والقيم والسلوك كما هي ، وكما كانت منذ مئات السنين ، يحكم على نفسه بالفناء والتخلف ·

ـ التراث يحتوي على الصالح والطالح ، لذا وجب تنقيته وأخذ ما هو ايجابي ·

ـ ما دمنا نتحدث عن التراث العربي ، فان مسألة بارزة تحضرني الآن · مسألة لعبت دوراً كبيراً في التكوين النفسي لجيل كامل وربما أجيال ، ذلك هو تقديم التراث بشكل مشوه · أرادوا لنا أن نكون كثيران الساقية نكرر ونجتر · لقد نشأنا بحكم هذه الظروف مع مزيج من عقدة التفاخر الأجوف وشعور النقص الكبير ·



(هذه النقطة المتعلقة بتكوين الجيل ، ذكيـة جداً) ٠

ــ التعامل الواعي مع التراث ، يستدعي توظيف الجوانب الايجابية في الأدب ٠

ملاحظة شخصية :

١ ــ المقال وحدة متماسكة ، وآمل ألا يكون الاختصار قد أخل بذلك ٠

٢ ــ المفاهيم واضحة تماماً في ذهـن الكاتب ، والتعبير في المستوى نفسه ٠ (عندمـا تكون الأفكـار واضحة في ذهن صاحبها ، فانه يعبر عنهـا بوضوح)

٣ ــ قال الكاتب : « الذي يلفظ ماضيه ، يلفظ حاضره في نفس الوقت » ٠

أولا ــ هذا الربط الشرطي غير متناسق منطقياً : فالنتيجة لا تلزم عن المقدمة بالضرورة ٠

ثانياً ــ وغير صحيح واقعياً ، كمثال : **الدفاع عن الوطن واجب ــ** أيجب علي أن أقرأ التراث لأحكم بذلك ؟ ما هي وظيفة العقل اذن ؟

٤ ــ يرى الكاتب الفاضل أن نختار الصالح مـن التراث ، ونطرح الطالح ــ والسؤال : ما هو معيار الصالح والطالح؟ ومن الذي يقوم بهذه العملية ؟ من المحتمل أنه توجد دراسات قامت بهذه المهمة ٠٠ ولكنني لم أقع حتى الآن (في حدود مطالعاتي) على دراسة قامت بمثل هذا التحديد ، ومن هنا فان كل ما كتب حول التراث ، ظل في حدود الرياضة الكلامية ــ ومن هنا أيضاً تنبع قيمة الجواب الذي قال به قاسم حداد ٠٠٠ وذلك من جهة تحكيم العقل ــ

★ ★ ★

والجواب الثاني للشاعر قاسم حداد ، بعنوان: **التراث بلا سطوة القداسة** ٠

قال السيد حداد : « أجيء الى التراث الآن خالياً من الأحكام المسبقة ٠ أطالعه كفعالية انسانية أنجزت ٠ خرجت من سطوة الفاعل القديم ،ودخلت في سطوة الفاعل الجديد ٠ التراث ، مـا دام متصلا بالبشر ، فانه لا بد أن يظل قابلا للرفض والقبول معاً ٠ لكن لماذا الرفض والقبول ؟ ليس هناك دافع للاعتقاد بضرورة الاختيار ٠ ليس الانسان الحديث معنياً بأن يحدد موقفاً بين اثنين تجاه التراث ٠

ان مجرد افتراض هذا الموقف يشير الى عملية قسرية لا يقبلها العقل ٠ التراث هو حياة قديمة ٠ حياة صارت في التاريخ في الكتب ٠ ليست ــ علـى الصعيد الواقعي ــ قابلة للفعل الحي مـن جديد ٠ انها حياة سابقة فحسب ٠ وهي بالتالي تشبه الحياة الحاضرة ٠ ليست موضوع خيار أمام الانسان ٠

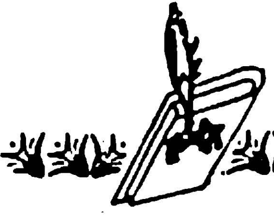
الانسان أمام حياته إما أن يعيشها أو لا شيء اطلاقاً ٠

التراث اذن حياة تمت صيرورتها ٠ انها مطروحة للنظر والاكتشاف ، وليس لجهة البت في مطالبتنا بأن نعيد صيرورتها ٠ ليس لأن ذلك غير ممكن اطلاقاً ، ولكن لأن هذا يتنافى مع حرية العقل ٠

المسألة اذن هي حرية العقل في مواجهة التراث٠

أجيء الى التراث خالياً من احتمالات القبول ٠ ان الانسان حين يقرأ التاريخ مثلا ، لا يفعل ذلك لأنه يريد اعادته للحياة ومعايشته ٠ هذا غير ممكن٠ انه فقط يكتشف ذلك ويقرأ عما فعلت الطاقة البشرية في السابق ٠

ودراسة التاريخ لاكتساب المعرفة من خلاله ،لايعني بالضرورة رفضه أو قبوله ــ أجيء الى التراث أحترمه ليس باعتباره سلطة مقدسة تستوجب الرضوخ والطاعة ، ولكن باعتباره خبرة بشرية تركهـا لنا القدماء ــ أجيء الى التراث خالعاً عنه سلطـة الحاكم ، معتبراً بسلطة العقل ــ ان الفعالية التـي



أنتجها الانسان قبل الاف السنين تظل صالحة فقط لانسان ذلك الوقت ، وليس لها أن تطال طريقة الحياة الحديثة ٠

أعتقد بأن الحلقة الحاسمة التي تعاني منها الثقافة العربية في مواجهة قضية التراث ، هي الخلط الفاجع بين التراث كفعالية بشرية ، وبين الدين كنشاط غيبي ينطوي على التقديس ـ والمطلوب الآن ، هو أن تكشف بشجاعة تليق بالانسان ،الحدود بين الدين وبين التراث ٠ فاذا كان الدين جزءاً من التراث ، فان التراث ليس ديناً » ٠

لا أستطيع أن أضيف شيئاً ٠٠ أو أقول شيئاً في هذا المقال الممتاز جداً ، لأني مؤمن بما جاء فيه ـ دقة في تشخيص جوهر العلاقة بين الانسان والتراث/ أدلة منطقية / صلابة في تكوين الجملة / والأهم من ذلك كله : **التوكيد على نبالة العقل** ٠

ملاحظتي الوحيدة : أن السيد حداد يعبر أحيانا عن الفكرة ذاتها بأسلوبين ـ هذا ليس تكراراً ، وانما اضاءة جديدة للفكرة من جانب آخر ٠

★ ★ ★

والمقال الثالث للاديب نعيم عاشور ، بعنوان : **مسألة بالغة الحساسية والتعقيد** ٠

في هذا العنوان بعض الغرابة ، وبداية المقال فيها أيضاً شيء من الغرابة ـ

يقول السيد عاشور : « هذا سؤال رهيب بالنسبة لي ، أنا على الأقل ٠ ففي حين أجد الرغبة كبيرة في الحديث عن هذا التراث المشكلة ، أكتشف في كل لحظة أن الخبرة والمعرفة به لا تشفع لي مجرد التمني ! كل ما أعدفه عن التراث قرأته من نتف صغيرة ، وصفحات من كتب أغلبها ذات توجه سياسي وهذا ليس عيباً في حد ذاته ، الا أنه من الخطأ الدخول الى التراث عبر هذا الباب »

لا أعرف لماذا الرهبة التي يحسها السيد عاشور ! وأين هي الحساسية البالغة والتعقيد ؟ ومن حسن الحظ أنه قام بتخفيف الدهشة التي تعتري القارىء ، وذلك عندما يستدرك فيقول : « بالنسبة لي أنا على الأقل » ٠

وفي رأيه أن مشكلة التراث ، ما كان لها أن تطرح أصلا ،، لولا وجود فجوات واسعة وانقطاعات طويلة في تاريخنا العربي الاسلامي ـ وهذه الفجوات (وقد ساهم الاستعمار في خلقها) أدت الى «تشكيل **قديم** محرم ومخيف ، وفي مقابله **جديد** مبتذل وغير أصيل ٠ ثم تحول هذا القديم الغامض بحرمانه ، والمبهم بمخاوفه ، الى تكية لكافة المشارب والمصالح والأهواء ، وتلبس بالتالي بالطقوس وهالات القداسة ـ لقد أضحى باختصار ، بشكلة بالغة التعقيد والحساسية » ٠

ملاحظة :

لا يمكن تجاهل صفة « القداسة والتحريم » اللاصقة بالتراث ٠٠ كذلك لا يمكن تجاهل تحول التراث الى « تكية » كما يقول ٠ (وهي اشارة ممتازة الى واقعة استغلال التراث) ولكن هذا لايسوغ موقف الكاتب بالذات ـ والتفسير الذي قدمه في الفقرة الأخيرة ، وعلى الرغم من تماسكه الظاهري ، فانه لا يستطيع أن يعطي القارىء قناعة حقيقية ٠ اللهم الا اذا كانت هذه الحساسية والرهبة ناجمتين عن الرغبة في تحاشي المواجهة ٠

★ ★ ★

وفي العدد الثالث يتابع القاص عبدالله خليفة الموضوع نفسه ، وذلك بعنوان : **ملاحظات حول توظيف التراث :**



والتراث المقصود ، هو التراث العربي ـ الاسلامي • » وقد بدأت عملية استرجاع التراث منذ الغزو الاستعماري الأوربي للبلاد العربية •وجرت كعملية استقلال فكري عن الغرب الاستعماري وكتكوين للشخصية القومية العربية ـ والموقف في الأدب لا ينفصل عن الموقف في الحياة • ولكن مسألة تجسيد الموقف الأدبي ، مسألة تجربة ووعي •ففي البداية يقع المرء في المفاهيم الخاطئة والمبسطة عن التراث ، فتتم عملية شحن الأثر الأدبي بالبضاعة القديمة دو نادراك الفوارق الجوهرية بين القديم والجديد • لا بد من وضع الشخصيات القديمة في سياقها التاريخي بدلا من نقلها الى عصرنا الذي لم تعشه • ان الكثيرين قد جعلوا من أبي ذر الغفاري شخصية ثورية والرجل ليس كذلك، ولكن ساهم في أقواله وأفعاله بالتحضير للثورة بعد موته بقليل ـ ان العديد من الكتاب يرجعون الى الماضي كما لو كان هو نفسه الحاضر ، فيعجزون عن ادراك التطورات التي جرت • من المستحيل اعادة الشخصيات القديمة والباسها ثياباً معاصرة ، لأن ذلك يشكل تحطيماً للشخصية الحقيقية ، فلن تكون الشخصية في هذا التشكيل سوى دمية تنطق بشعار أو تكوّن مفارقة » •

ويختم السيد خليفة مقاله بقوله : « حين يحدث أن يجلب أحد المؤلفين طارق بن زياد أو خالد بن الوليد الى عصرنا ، فمن المؤكد أنه لا يخلق شخصية فنية ، بل هو يردد شعارات فكرية تمجد الماضي الزاهر ، وتنتقد بحدة الحاضر المتعفن • وهذا جزء هام من معركة التنوير العربية ، ولكنه ليس خلقاً للشخصية الحقيقية » •

كلمة أخيرة :

المثل الشعبي في سورية يقول : عندما يفلس التاجر ، فانه يعود الى دفاتره الدقيمة ـ ومن هنا أقول : بمعزل عن التراث •• وبمعزل عن آراء الآخرين في هذا التراث •• وسواء كان الصالح فيه أكثر من الطالح، أو العكس • وسواء وصلنا بشكل سليم أو مغلوط ••• فان طرح موضوع التراث بحد ذاته ، لاستخدامه في الأدب أو السياسة ، أو ••• انما يدل على الافلاس في الموهبة الأدبية ، وعلى ضعف الشخصية •• يدل على خمود شعلة الابداع •



في العددين المذكورين من « كلمات » ، ثماني قصائد وثماني قصص ـ وهي ذات مستوى جيد ، ولكنني لم أجد فيها من سمات الابداع ما يلزمني بأن أفرد لها كلاماً خاصاً •

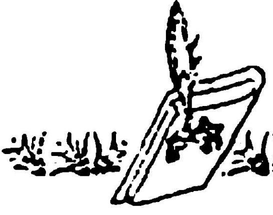
في العدد الثالث ، حوار قامت به الشاعرة حمده خميس مع الروائية فوزية رشيد بعنوان : **شهادات لزمن الرواية** ـ ويكتسب هذا الحوار أهمية خاصة ، وذلك من جهة كون التجربة الروائية في البحرين حديثة العهد •

والروائية رشيد ، تكتب القصة القصيرة منذ ١٩٧٦ ثم تحولت الى الرواية نتيجة شعورها بأن القصة القصيرة وعاء ضيق بالنسبة لاتساع الفكرة وعدد الشخوص الذين يلحون على وجدانها •

تقول الروائية رشيد : « كنت قد رسمت ذهنياً لوجود بعض الشخوص ، ولكنها ألغيت أثناء العمل ، وتولدت شخصيات أخرى لم أكن قد رسمت وجودها » •

هذا الكلام ، يساهم في تثبيت الحقيقة التالية : اذا كان الانجاز الفني (كتابة الأثر) خاضعاً لسلطان العقل ، فان « الخلق الفني » نفسه ، عملية لا ارادية ••• وكثيراً ما يفلت بعض أبطال الرواية من سلطة الكاتب • ومن هنا فقد أعجبني جداً ، واستلطفت ، قول الروائية : « صارت الشخوص ترسم نفسها وتتحدث بلسانها هي وليست كما قررت تحميلها » •

وتطرح الشاعرة خميس السؤال التالي : « خاتمة الرواية ، هل رسمتها قبل الشروع في الكتابة أم بعد أن شعرت أنه ليس لديك ما تقولينه بعد؟ »



هذا السؤال ، وعلى وجه اليقين ، ليس سؤالا تقليدياً بقصد استكمال أو ملء الحوار : انه يدل على فهم عميق لتجربة الخلق الفني ـ كثيراً ما يفكر الروائي في مصير شخصياته قبل اعطائها لمسة الحياة ٠٠ أو أثناء عملية الخلق بالذات (أعني أثناء الكتابة) ٠ وأحياناً يشعر الروائي بالعجز ٠٠ أو الضيق ٠٠ أو الرغبة الكاملة في التخلص من احدى الشخصيات ، فيعمد الى بتر الشخصية أو الرواية ـ أعني ، اللجوء الى خاتمة تعسفية ٠

ملاحظة شخصية :

الروائي ، لا يكتب الرواية حسب انبثاقها الابداعي في الذهن ـ يكتبها كما يجب أن تقرأ ، وحسب قواعد التفكير ٠ ومن هنا ، فان **الرواية الواقعية** ليست تلك التي تلتزم الواقع الخارجي ، وانما تلك التي تلتزم واقع العملية الابداعية ـ أعني : حسب انبثاقها في الذهن ٠

وتقول الروائية رشيد ، في جوابها عن الرواية في البحرين : « الا أن طرح الرواية جاء سريعاً ، وهذا نتاج حركة التطور الاجتماعي والاقتصادي »

هذا الكلام : عام ٠٠ مطاط وأجوف ـ ان تفسير **المعلول** ، يجب أن يكون **بالعلة** الجوهرية الضرورية ، وليس بالعلة الثانوية والبعيدة ٠

وتقول أيضاً : « رواية محمد عبدالملك (**الجذوة**) ، حملت نفس القصة القصيرة وكثافتها »

وفي الرد على هذا الكلام ، كنت أنوي الاستعانة بما كتبه المفكر يوسف عبدالله يتيم ٠ لذلك رأيت من الأفضل أن أتحدث عن المقال نفسه ، ضمن ملاحظاتي على ملف أدب البحرين ، والمنشور في هذا العدد من « الكاتب العربي » ٠



« دراسة **تطبيقية** لرواية الجذوة على ضوء المنهج الواقعي » ـ

يقول السيد يتيم بأن الانتقال من كتابة القصة القصيرة الى الرواية ، مرهون بعدة عوامل أهمها : « الموهبة الفنية في الكتابة القصصية والروائية » ٠ والى جانب الموهبة ، هناك الثقافة الأدبية والخبرة بالتكنيك الفني ـ ولأن الدراسة منشورة ، فاني أكتفي بهذا المقطع القصير ، وأترك للقارىء الكريم الحكم على الدراسة نفسها وعلى رواية « الجذوة » ٠

من جهتي أقول : تبرهن هذه الدراسة على الثقافة الواسعة والعميقة التي يملكها السيد يتيم بالفن الروائي / ذكاء حاد وقدرة ممتازة على الاستنتاج / الملاحظة الدقيقة / والأهم من هذا كله : الجدية والنزاهة ـ الدراسات التي من هذا النوع ، نادرة جداً ٠

أما حديثه عن أسلوب الرواية (وبالاضافة الى الفهم الدقيق) فانه يكشف عن مدى الانتباه الذي بذله السيد يتيم ـ ولكن قدرته الخارقة تتجلى أكثر ما يكون في حديثه عن « تجليات بؤرة السرد الروائي » ٠

لقد خلقت هذه الدراسة في نفسي شوقاً حاراً لقراءة رواية الجذوة ٠



الدراسة الثانية للقاص عبدالله خليفة ، وهي بعنوان : « **ملاحظات حول مجموعة « الفراشات »** لأمين صالح » ٠

وأنقل من هذه الدراسة مقطعين فقط :

الأول ــ « ان اطلاق النعوت الفضفاضـة والتعبيرات الشعرية والمصطلحات الغريبة غير المفهومة، لن تؤدي الا الى عزلة أكثر لهـذا الأدب ، وتفاقم اكبر لموقفـه الصعب ــ ان الحديث عـن الشهـداء والاحتفال لا يكفي ليشكل قصة ، فما بالك بقصة ثورية ؟ » ٠

ملاحظة : اذا كان هذا الكلام الرائع ينطبق على كثير من القصص التي تنشر في عالمنا العربي ، فانه أكثر انطباقا على **الشعر الحديث** ٠٠ حيث لا نفهم شيئا من القصيدة ، وحتى صاحبها لا يفهـم ما يقول ٠

الثاني ــ « علينـا أن نتحـاور كأصدقاء ، لنكتشف مواقع ضعفنا ونساعد بعضنا البعض في غيبة النقد العلمي ٠ وهذا النقد ليس منافسة وصراعا لتدمير الوحدة الأدبية ، بل هو لتعميقها » ٠

وقد التزم السيد خليفة هذا المبدأ :فالدراسة ، وعلى الرغم من نقدها الشديد للمجموعة ، فانها تتسم بالنزاهة المطلقة والبعد عن التجريح ٠ ولم أستطع العثور على عبارة واحدة يمكن أن يؤاخذ الكاتب عليها ــ وهي بعد هذا كله ، تدل علـى ثقافة رفيعة بفن القصة القصيرة ٠

* * *

الصفعة ــ قصة قصيرة ــ فريد رمضان :

والقصة غنية جدا بالمشاعر والانفعالات الانسانية ــ فيها تصوير دقيق للجوانب العميقة من الشخصية ــ البناء القصصي متماسك جدا ــ تترك في النفس شعورا بالتعاطف والمرارة ــ مزاوجـة رائعة بين المشاعر الداخلية والعالم الخارجي ٠

* * *

الديكة ــ قصة قصيرة ــ محمد عبدالملك :

القصة قومية ، عن حرب حزيران ــ الكاتب ذو قدرة جلية على التحكم بفنه ــ الأسلوب رشيق جدا وخال من الترهل ، وعلى الرغم من بساطة الجملة كلغة ، فانها تعبر بعمق عن المقصود ــ فيها عدة ملامح من الابداع : شخصية منصور الياس ، ثم الحوار بينه وبـين المدير ــ فالمدير ينطلـق في حواره مع الياس من الأعراف والقوانين الجاهزة٠ والمتعلقـة بالعمل ، ومنصور ينطلق من الروايـة القومية والانسانية لموقف العرب ٠ واذن : علـى الرغم من تباين المنطلقين ، فانه لا يوجد تقطع أو فراغ في المعنى بين الحوارين ــ وهذه قدرة ممتازة من الكاتب ٠

تلك هي ملاحظتي على أدب البحرين ، وأمل أن تتاح لي معرفة أوسع بهذا الأدب ٠





نماذج من القصة والرواية العربية في البحرين

عبدالله أبوهيف

- ١ -

لفت الأدب في البحرين انظار الأدباء والنقاد العرب منذ مطلع السبعينات اذ حمل في نصوصه التجريبية نبضا جديدا ودماء جديدة تعبيرا عن حساسية سياسية واجتماعية وثقافية متناهية متنامية ، ولعل القاص أمين صالح في مجموعته الأولى « هنا الوردة .. هنا نرقص » (١٩٧٣) كان الأبرز بين أبناء جيله ، واليوم بعد قرابة عهد من الزمن تظهر أسماء أخرى رافدة لتلك الحركة الادبية الناهضة في البحرين .

وسنكرس هذه المقالة لأديبين هما أمين صالح وعبدالله خليفة من خلال أعمالهما الصادرة حديثا(١) وقد سبق لي أن كتبت عن كتابين لهما في مكان آخر (٢) .

- ٢ -

يلتقي الأديبان في النزوع الى التجريب المندغم باحساس التعالي على الواقع عبر تعبير لا يزال قيد الكتابة عن وطأة الواقع على الروح الانساني مما يجعل النص مدار اختلاط النظر الى الواقع بالرغبة في تجديد أدوات الكتابة ، الا أن غلبة التجريب أدت الى تداخل واضح لا سبيل الى تمييزه بين تجربة الكتابة والتجربة الانسانية . ربما كنا نسمي ذلك « التغافل » عن الموضوع لصالح المحيط اللغوي والتعبيري الى حد الانشاء اللفظي بالدرجة الأولى . فأي تجربة وأي موضوع في كتابة هذين الأديبين ؟

- ٣ -

عندما قرأت قصة أمين صالح الأولى في مجموعته « الصيد الملكي » واسمها « مواكب لساكنات التلال » ، وكان نشرها للمرة الأولى في مجلة « مواقف » قبل عامين ، فرحت كثيرا بموهبة هذا القاص الذي يرتفع صوته من غمار الخليج العربي الينا دافئا يختلج بالحنان ونبرة الوثوقية الانسانية عن كائنات ما تلبث أن ترمي أقنعتها وتفتح قلوبها لاضاءة الموقف الناصع من الحياة ثم يمتزج الشعر بفيض الأحاسيس الوجيعة أمام تكاليف العمر وكأنه بعض قصيدة عن الغناء الكبير لنسوة مثقلات تتحطم أحلامهن ولا يرضخن . هكذا يبدأ أمين صالح :

« قوارب عديدة تغزو رقعة صغيرة من الصحراء وتعسكر ، أو بالأحرى تخضع للنوم . هي صيدة نفسها . لا ربان ولا أمواج .

أخيرا وصلوا .



بهية هذه التلال بهياكلها الشامخة وأرديتها المشمة ، رفعوا أنظارهم هناك .. هناك الأرامل المجللات بالسواد . رؤوفات ، حنونات ، غادرهن الحزن منذ زمن بعيد ، وما ملابس الحداد الا جذوة تهدي التائه والمنبوذ والمنفي . أناملهن كالحرير . تهيج الأهداب المثقلة بالغبار أثناء التلامس . عذب هديلها . يعرف هذا من تنفس معهن الهواء نفسه . أليفات ، جميلات ، يتضوعن حباً » .

وفي هذا السياق من اللغة المدهشة ببساطة ورقة ينظّم صالح سرده ، وينتقل في التجربة ، انه شاهد طويل ، ولكن لنا أن نعرف بعض خصائص هذا الاسلوب الشيق الذي يرتمي على مراح النص ، وكانه تجويد للنظر الملهوف الى الأشياء العادية :

« هناك .. هناك الأرامل . على قمة تلة تجلس أرملة . ساكنة ، صامتة ، كأنها تصلي ، كأنها تعشق » .

وعن هذه الصلاة وهذا العشق ، يسرد صالح حكايا النساء يتحركن باعتزاز الى الدفاع عن حياتهن . وفي خاتمة الحكايات نشاهد مع المؤلف في ذلك الطريق الذي يفضي الى التلال الفضية :

١ امرأة تنتضي سكيناً حادة يتقطر من نصلها دماء حارس ليلي هم باغتصابها ذات ليلة .

ـ امرأة تمشي مرفوعة الرأس ، تجر خلفها ثلاثة توابيت .

ـ امرأة تحمل القنابل وتفجر المناطق الموبوءة .

ـ امرأة تسقي بحليب ثدييها من تصادفه من التائهين والمنبوذين والمنفيين .

على أن موضوع الحكايات هو أرض التجربة التي أنجبتها . ثمة مشكلات حقيقية تقف وراء وضعيات النساء تقودهن الى المأساة . فالمرأة الأولى تواجه الاغتصاب بينما تنتظر أوبة زوجها العامل في الاعتصام ، والثانية تواجه العدوان على شرفها بينما زوجها المناضل في المعتقل .

والثالثة حالة أليفة تنتفض على غدر أسيادها القناصين فتحرق البيت الكبير وينفتح أمامها درب طويل غير مأهول ، تمشي فيه دون تعثر .

والرابعة حالة أخرى تهب جسدها وروحها للباحثين عن النجاة بينما تنحدر الدموع دون توقف ، ورويداً تبدأ في النشيج القاتل . خلف وضعية المرأة تضاء تجربة ، فيشير النص الى مشكلات البشر بفعل التباين الطبقي وانتهاك الحرية .

وفي قصة « بابانويل لا يحب الدمى » يقترب أمين صالح أكثر من أرض الشعر والتجربة لتنهض القصة الى مصاف المقدرة على الرؤيا . انها قصة مثل النداء الواجف لحيرة مستبدة وقلق مستكين :

« يا نجم ،

أرفق بهـذا السائر ليلا ..

بدون صديق

بدون مظلة

وبدون حب » .

يمكننا أن نعيد ترتيب التفاصيل على النحو التالي :

الأب يطلق الزوجة ، الطفل يحس أن أباه يكرهه ، هشام صديق الطفل ، أخته تتلقى هدية بابانويل وتدعوه للعب ، « شريفة » الخادمة تلاعب الطفل وتحاوره عن أمه التي يحبها ، وأثناء ذلك ، يحلم الطفل بديك يجثم على صدر أبيه وينقر عينيه على مهل .

أما أمه التي رحلت وأصبحت ميتة ، بالنسبة للعائلة ، فقد وأرثت الطفل قسوة أبيه . وفجأة ، يرى الطفل أباه فوق شريفة : غراب يحفر بمنقاره قبراً ، وأبوه المتهم في العراء ، يركض في صحراء وصخور وجبال وكأنها أمه تستقبله . ولكن الطفل لا يحصد الا الخذلان :

يقتل الطفل نفسه ، وما عاد الوحيد وحيداً .

هنا ، تميل القصة الى غيبوبة نفسية تخفي في ثناياها جروحاً طفلية تأبى أن تبارح . وعلى الرغم من ذلك فليست القصة برهاناً على القيعان النفسية ونظرياتها . انها تزجية الوصف على الوصف بحثاً عن وجدان يشتعل بذنوبه وخطاياه مما جر الطفل الى الموت . لا تستقيم خاتمة القصة من رونق القصص الأخرى الفصيحة أو المتلعثمة بكلماتها ، وتراكيبها ، وسردها .



- ٤ -

وفي قصة « للشهادة أيضاً مدارات » ، يعيد المؤلف صياغة الأسطورة القديمة عن يونس في بطن الحوت · الزوج يقتل ، والمرأة تنادي الرجل في أعماقها : « تعال الي » وعندما يكتمل الصدى ، يفتح يونس عينيه وينظر اليها مثل طفل وديع ويهمس « خذيني » ·

انها قصة عن تلك الاستجابة لحرارة اللقاء الانساني بين الرجل والمرأة ، وقد تمازج الفعل اليومي بالطبيعة وحرقة الواقع · يعاد السؤال الأليف في صياغة محببة ، ولكنها مغمورة في ركام الانشاء واللفظ المفيد وغير المفيد ·

وفي قصة « كل شيء ليس على ما يرام » يستأجر أحدهم غرفة ، ويفصل عن عمله ، وهواجس عن مرارة الحياة · وخلل التقطيع ،ينثر المؤلف عناصر لا تختلف عن الانطباعات العجولة أو الاشارات المترددة ، فتبدو الاستجابة حائرة بين الاغتراف من الواقع أو الانطلاق اليه ·

يكتفي المؤلف بقلقه ، ولا يهتم كثيراً بالسياق القصصي · انه يختار أسلوب الرمز والغموض والغرابة والتغريب داخل اللقطة الواقعية مراهناً على تجربة القارىء والا كيف يستقيم ادخال عنصر الفتاة الصغيرة المقتولة الى مشهد واقعي يحمل عناء الكدح اليومي :

« وخزني بنصل الحربة في صدري ، فأيقنت بأن مشارف الغيبوبة قريبة مني · غبت · أخرست كل التوقعات وغبت · سمعت صوتاً ·

« هذا يكفي ، لقد نال ما يستحقه » ·

أفقت ، كان فمي محشوا بالرمل والدم وبدأت أسير قاصداً غرفتي وحين فتحت الباب رأيت فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها ، مشنوقة بحبل غليظ يتدلى من السقف » ·

لاشك ، انه النزوع التجريبي الى حد المبالغة، مما يجعل القصة تحتاج الى عناية أشد بالسرد· وهنا لا تنطبق التجربة على الموضوع باستمرار أثناء السياق ، فالموضوع باهت شاحب أمام بهاء اللغة ورونق الاسلوب المعتنى به أحياناً ، ويعكس هذا الانجذاب والتنافر بين التجربة والموضوع حرص الكاتب على التعبير عن واقع الحال بصراعاته القاهرة ، بينما تتحكم بنظرته أحاسيس التعالي على الواقع ·

ليس التجريب كله نافعاً ، وليس التجديد كله مناسباً ، ولا بد للقاص أن يحتضن شواغل جماعته الانسانية داخل عملية السرد مما يوفر لابداعه صيرورة شاملة واعية للوضع الاجتماعي والسياسي بعد ذلك ، وهو ما تجاهله أمين صالح أثناء تجربة الكتابة ·

- ٥ -

أما كتابة عبدالله خليفة فهي مبالغة التجريب الى حد الشطط · في قصصه « الرمل والياسمين» ثمة ثمة صعوبة في التعرف على فكر ما أو موضوع ما لتندغم القصة وتتلاشى في الهواجس والأوهام والأحلام المتكسرة على أرض الواقع دون ملموسية أو نبض واقعي قابل للاستقبال ·

في قصته « شجرة الياسمين » تمتص الأرض الكتيمة أحلام القلب اذ تداهمه الشجون عن فتاته الهاجرة وأخته المذبوحة في التقاليد ، فلا تبقى الا أصداء مراودة الذكرى الدفاقة بالحنين :

« وأنتبه لنفسي واذا بي رجل كبير ذو لحية كثة ولوحة ناقصة ، واذا بشجرة الياسمين رجل عجوز يتمدد في كل جسد المنزل كالعروق ، واذا السماء من فوقي كالشيطان جالس بعباءته السوداء والصمت يغمر كل شيء ، فلا بكاء أو عويل ، ولا أناس وأكفان ، ولا أزهار » ·

تبدو قصص عبدالله خليفة فتات لوعة الفنان أمام ضغوط الواقع الصلب · في « الفتاة والأمير » فتاة يتيمة الأم ، فقيرة ومظلومة ومضطهدة من زوجة أبيها ، وتحلم بالغنى والرفاه والاقتران بالأمير · ثم يدور حوار داخلي بينها وبين سمكة البحار ، وتطلب من الأخيرة أن تنقلها الى قصر الأمير أو المالك ، فتحذرها وتنصحها أن تلتفت الى الصياد الذي يحبها ، بينما تصر الفتاة على التشبث بهامش التطلع الى الجانب الآخر الأكثر شغفاً واثارة · وفي ليلة زفاف الأمير ، تنادي السمكة لتنقلها الى القصر فتفعل ، ويدهش الحاضرون لجمالها وأناقتها ، ويتخذها خليلة وسط الصخب والعنف الذي يقترب·

انهم الصيادون والفقراء الجائعون يتقدمون الى القصر ·

تستفيد القصة من حكاية « سندريلا » المشهورة ، ولكن ثمة تأكيداً على مسألة الفوارق الطبقية والانسلاخ عن البيئة دون وضوح ·

ويبلغ التخييل مداه في مفارقة الواقع استجابة لما يؤرق الذات عندما يلملم الكاتب أجزاء الصورة المنشودة ولا يفلح · لا يبتعد الكاتب في قصة « علي بابا واللصوص » عن الأجواء الكتيمة عندما يتلامح في ظلالها حارس ليلي لقصر الخليفة يتلظى حرقة ليعرف ما يدور في الداخل · يحلم الحارس بالثراء والذهب ، ويرى نفسه قد سار في صحراء وعثر على كنز · ولدى عودته ، يجد عصابة لصوص تسرق هذا الكنز فيعود خائباً الى المدينة ويصادف سيارة فارهة يتعرف فيها على زعيم العصابة السارقة ، ثم يقولون له : إنه الأمير · وفي أرض الأحلام يزحف الفقراء الى القصر :

« فمتى ينتهي هذا الليل الطويل ؟ متى يبزغ هذا الفجر الرائع ؟ انه بعيد ·· بعيد · وعليّ أن اظل هنا متنبها يقظا، فقد ياتي جيش مرعب حقيقي· قد يطلع سكان واحة الأزهار هنا كالدمار ، عليّ أن أراقب مجيئهم المخيف ، وامسك بندقيتي جيداً· اتطلع الى القصر ، الى القبة المذهبة ، الغرف ، الردهات ، القاعات ، الغابة ، أتطلع اليها ورعشة غريبة تسري في بدني كله وشفتاي تتمتمان : متى ينتهي هذا الليل الطويل ؟ »

- ٦ -

يتمتع عبدالله خليفة بخيال خصيب ، ولكنه لا يصنع من هذا إلا كتابة قصصية هي أقرب الى فن القصة · ان كتابته نثر قصصي مغرق في الابهام والمشاعر الشاردة ، فلا يستطيع المرء أن يقع على مفاتيح العمل الفني · ثمة رجل دائماً محاط بالقلق والخوف حيناً ، والالتحام بما يؤرقه حيناً آخر · وهناك امرأة أو وجه امرأة ، أو ذكراها التي تذهب في تلافيف الحياة اليومية التي نحسها – على الرغم من ذلك كله – باهتة أو شائهة ·

في قصة « العوسج » يتردد رجل بين رغبة البقاء وتشوف الرحيل ، بينما تتملكه علاقته بفتاته والأصدقاء والمكان · فرد غامض وجماعة غامضة لا تورث الا فردانية تلتفع كلاماً أو لغة لا تنسرب في الكلام :

« وحدي في الطريق · انني فارغ اليدين ، أمتلك رملا وأحجاراً وأعشاباً · ها قد وصلت الى الجذع ، وها قد استقرت الأرض تحتي ، بلاسلاح، بلا أفراح ، والسماء انحنت فوقي ، كالجراح ، والتدفق الأحمر نضب ·

لو كان الرمل رماناً ·· ! الأغصان لعنات محدقة ، والأشواك كالحراب ·· آه ، كيف جئت الى هنا ؟ »

ونلحظ هذا في قصة « الوجه » مع رسام وذكرى عزيزة وبائسة لوجه امرأة يختلط بالأشياء، واصرار على مجاوزة محنة يسربلها الكلام في ثناياه الموحية ، واللغة في غناها التعبيري :

« كانت روحها تسري اليه ، كانت معه في الأزقة ، في الزحام ، تحت الشرفات ، وراحت تضحك وتروي له قصة طفولتها ، واستمعا الى أغنية حب قديمة انبعثت من مقهى ·· وفجأة اختفت وتذكر أنه لا يعرف عنوانها ولا اسمها ولا عملها ، وذهل كيف ضيع الوقت عبثاً · وبقي وحيداً في الشارع ، وكانت الاسطوانة تدور وتحفر قلبه » ·

بين مفارقة الهواجس والأوهام وما يداخلها من حطام الاحلام من جهة ، والواقع المهيض من جهة أخرى ، تبدو كتابة عبدالله خليفة القصصية مثخنة بهموم الفنان الوحيد المسكون بطبقية « لفظية » و « تعبيرية » ، وبأشواق مكظومة للحرية ·

- ٧ -

تشترك كتابة عبدالله خليفة مع قصص أمين صالح بسمات تجريبية مضاعفة لا تتيح للمتلقي فرص التواصل أو التأثير في أجزاء كثيرة من العمل الأدبي ، وهو شأنه في روايته «القرصان والمدينة »· يلاحظ المرء انغماس الرواية بالنقل عن واقع غير واضح استعانة بخيال غير منضبط مما يؤدي الى تعمية الواقع داخل نص مشغول بامتلاك أدواته الفنية · هنا أيضاً يجري اغفال الموضوع وابهام الشخوص لصالح انشاء لفظي لا يحيط دائماً بأطراف التجربة الانسانية · من الواضح أن المؤلف لم يحسم اختياره الفني وأنه لا يزال قيد التجربة لأن التنازع جلي بين الحرص على التعبير المركب



وشمول الموضوع الانساني اذ غالباً ما يبث هؤلاء القصاصون ملامح المعيشة اليومية أو تطلعات العمل الاجتماعي والسياسي في البحرين في ثنايا كتاباتهم٠

- ٨ -

رواية « القرصان والمدينة » عن حطام الرجال والنساء في لجة العمل السياسي في مرحلة التغيير الاجتماعي ٠ اننا نفهم شيئاً من هذا في كلمات أو اشارات أو وصف مر عمداً أو عن غير عمد في سياق النص المغرق في تجريبية تعبيرية تشوه الواقع ولا تمضي الى تركيب مقترح بعد ذلك ٠

بعد غياب ، يلتقي الصديقان ويتذكران ، الأول متزوج وصاحب أسرة ، والثاني غاب في الأيام ومعترك السياسة والنضالات الملحة ٠ ثم تكشفت أثناء السرد خيانة الثاني لقضية العمال عندما يدبج المقالات ضد اضرابهم ٠

ثمة تبادل أدوار أو مواقع للشخوص يصعب على المرء أن يتابعه بارتياح ٠ تتوزع فصول الرواية على نحو يأخذ فيه الراوي دور البطل والضحية ، انه يقدم الرجل الثاني لزوجته بعد منتصف الليل وقد عادا من حفلة السكر والخمرة ، ويحس في الوقت نفسه أن الرجل غريب عنه ٠ تنفر زوجته من ضيفه فيدعوها للاعتذار من ضيفه وتدور أسئلة عن العلاقة والمستقبل والصداقة والكتابة ، ويؤكد الرجل أنه يحب زوجته ، وفي الفصول اللاحقة تتعرض الزوجة لمحاولة اغتصاب سكير أثناء « السيران » فينقذها كامل ، وتختلط العلاقات بين كامل الذي ينقل لنا المؤلف فصولا من رواية يكتبها ٠ أما الرجل فيتبعه الدوران حول امرأة تقول له :

« صديقك اختفى وهاجس في روحه يؤكد له أنها لن تنسى » ٠

ويعتقد الرجل أن الرباط الذي يجمعه مع زوجته هو ابنتهما ندى ٠ وعلى العموم لا جدوى من تلخيص الرواية لأن بناءها أساساً يلغي الحدث ويعتم على الشخصيات معتمدا على فضول القول وشجاعة القارىء في التاويل أو التفسير لمبنى يراد له أن يكون رمزياً موحياً دون لوازم الرمز أو الايحاء٠

ينبغي على الكاتب أن يحدد سلفاً اختياره الفني في بناء روايته وأن تحمل في هذا الاختيار مفاتيحها كلها ، وفي هذه الرواية تبدو التجربة غير ناضجة على صعيد الكتابة والموضوع ، فلا يقدم لنا الكاتب عالماً يتراءى لنا ويمور بصراعات الحياة ٠ ليس في النص سوى هشيم العبارات والألفاظ عن تفاصيل مشتتة ٠ على أننا سننتظر هذا الهشيم بوصفه مثالا لكتابة سائدة على أقلام طلائع القصة العربية سهولة أو « فذلكة » أو « تجريباً » خالصاً يحتاج الى بيانات نقدية تعريفية أو شارحة ٠

- ٩ -

تتراوح الرواية بين هموم مختلفة ، ولكن الخاص لا يدخل في العام الا بالمزيد من التعسف ٠ يقدم الرجل نفسه بطلا وضحية مهموماً بمصائر طبقته العمالية الكادحة ومشغولا بخيانة زوجته مع الآخر ٠ انه يرفض تدجين الحياة اليومية للرجاء والطموح فيواجه خصمه ويعلن انه قادر على التغيير ٠

ومن جهة أخرى يأمل لو أنه وجدها معه والآخر يطلب منها أن تنفصل عن زوجها الأبله الذي ينتظر في الشارع حيث يهيىء العمال لاضراب ، فتختلط العبارات والألفاظ حول لزوجة طين الخيانة :

الزوجة تنام « تخون » مع رجل ، والسيد يدبج « يخون » المقالات ضد الاضراب ٠ وكأن الرواية استعارة لفعل الخيانة المدان أمام نصاعة الموقف النضالي للعمال عندما تنتهي الرواية باعتقالات جديدة وطلب من الراوي أن يحتفظ بالاوراق وصية الاستمرار في الكفاح من أجل التغيير ٠

- ١٠ -

يتساءل المرء كذلك عن المنظورات الفكرية التي تنطلق منها الرواية ، ولكنه عبثاً يفتش عن صوت لفكرة أو تاريخ تجتمع الشخوص عليه ٠ ثمة تلميحات قد تناسب القصة الصغيرة أما الرواية فلا تتنفس الا في تاريخها الخاص الذي يختزل التجربة البشرية ٠ وعند عبدالله خليفة سرد غير منظم أو منقى لتفاصيل واشارات لا تندغم في التاريخ الخاص للرواية ولا تستوي على بنية متواكبة مع قوانين

الحدث أو شروط واقع المعيشة فهل نفهم من ذلك أن الرواية تفتقر الى أسباب جنسها الأدبي أو تعاني من اكتمال الوحدة الفنية التي تحقق الأثر بعد ذلك ؟ لا شك أن الرواية تعاني من هـذا كله وتجاهد في الوقت نفسه لتكون عملاً تجريبياً مجدداً وهـذا ما يجعلها موضع النقد ٠

الواقع فقير في الرواية وربما عوض عنـه استطراد التعبيرية الذي يقلل مـن براعة التكوين الناجز للعلاقات داخل السياق ٠ ان الرواية لا تحافظ على أنساقها الرمزية أو التعبيرية، بل تكتفي بمنثور القول حول هذه العلاقة أو تلك ٠ لنتأمل مثل هذا الحوار بين زوج وعشيق زوجته :

ـ لن أخرس ، سأتكلم ، سأتكلم ، هل تريد أن تخنق كلماتي أيضاً ؟

ـ تكلم اذاً فرغها في الهواء ٠٠

ـ بل سأفرغهـا داخلك ٠ سأحفرهـا في صدرك ٠ زوجتي قدتها الى مستنقعك ٠ حطمتهـا ٠ فلم تر حباً بل شهوة فارغة ٠٠

ـ هذا نتاج فشلك أنت ٠ لم تعطهـا حباً ٠ جعلت حياتها مجدبة كأحلامك ٠ انني أصهرها أخلقها ملكنا الوقت تذوب فيّ ٠ أدهش كيف لم أعثر عليهـا من قبل ؟ هذه المرأة تسكنني كل لحظة كل خلية الخ٠

يقال هذا الحوار ضمن نسق تعبيري أي أنـه يطمح للتعبير عـن الواقع مع الحفاظ على روح الموقف الانساني ، وقد نجح المؤلف في كتابة مواقع كثيرة من الرواية ، وعلى الرغم من ذلك فهي تحتاج الى تنقية تفاصيلها واشاراتها لكي تندغم تجربـة الكتابة في الصيرورة التاريخية ٠

ـ ١١ ـ

تشير رواية « القرصان والمدينة » الى معضلة أخرى تبدو جلية في الكتابة التجريبية ، وأعني بها قلة الاعتناء بمستويات اللغة داخل النص الأدبي :

١ ـ قواعد اللغة العربية مـن حيث الاستخدام السليم للمفردات والتراكيب ٠

٢ ـ دلالية اللغة مـن حيث الاعتناء بالمستويات المجازية للغة ٠

٣ ـ تعبيرية اللغة ، مـن حيث اضفـاء عنصر الاستخدام الشخصي لمدار النص ولغة الجنس الأدبي ٠ ان عبدالله خليفة لا يطوع اللغة لمقتضيات فنه وهناك خلل نستطيع أن نشير اليه بالشواهد في المستويات جميعها كأن يصف أحدهم بالقروي دون تمهيد ودون عودة للوصف أو استخدامه ، أو أن يصف شيئـاً « باللهب » دون أن يعني بايضاح المقصود ، أو أن نسمع ونقرأ عبارة « أخذت أنتظر وأحتضر » ولا مناسبة لها على سبيل الحقيقة أو المجاز ، أو أن ترد جملة كاملة مليئة بالأخطـاء مثل : « يمتلك لغـة نابضة ، ولكن ثمة طيور تحوم دائماً في سماء المدينة، في رؤاه ترفرف حول أغانيه طيور كأنها نذر ، أو بشر متجهين الى جنازة » أو أن يتحدث عن الأم بما لا يناسبها دون تعليل أو تسويغ :

« أيتذكر وجهها المرعب ، عينيها الغاضبتين، شعرها المتهدل القذر » هكذا !

رواية « القرصان والمدينة » نموذج غالب على الكتابة التجريبية العربية ، ويخشى المرء أن تكون دليلاً على استسهال الكتابة لدى أصحابها أو استهلاك الابداع لدى جمهوره ٠ وأرجو أن تفلح هذه المقالة في الكشف عن طريقة لهذه الوجوه الجديدة الطالعة بقوة ونزق وتجريبية زائدة من البحرين العربية ٠

□ ■ □

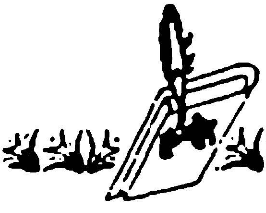
هوامش :

١ ـ الصيد الملكي ـ تاليف امين صالح ـ دار الفارابي ـ بيروت ـ ١٩٨٢ ٠

ـ الرمل والياسمين ـ تاليف عبدالله خليفة ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٢ ٠

ـ القرصان والمدينة ـ تاليف عبدالله خليفة ـ دار الفارابي ـ بيروت ـ ١٩٨٢ ٠

٢ ـ « البعث » ١٠ و ١٧ /٦/ ١٩٨٢ دمشق ٠



وثائق

- اللقاء الدولي الرابع للكتّاب في صوفيا
- نداء الى الكتّاب والأدباء والمثقفين في العالم

أصدرت الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ، نداء الى الكتاب والمثقفين في العالم ، يدين الغزو الاسرائيلي للبنان والمذابح التي ارتكبها الصهاينة وأعوانهم في مخيمي صبرا وشاتيلا ـ وقد جرى تعميم هذا النداء على السفارات المعتمدة في سورية ، وعلى اتحادات الأدباء والكتاب ·

وقد تبنى اللقاء الدولي الرابع للكتاب هذا النداء ، كما تبناه المجلس التنفيذي لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا خلال انعقاده في فيتنام ما بين ٢٠ ـ ٢٣ تشرين أول عام ١٩٨٢ ·

اللقاء الدولي الرابع للكتّاب في صوفيا

عقد في صوفيا من ٢٩ ايلول الى ١ تشرين أول ١٩٨٢ اللقاء الدولي الرابع للكتّاب تحت شعار (السلام أمل الكرة الأرضية) وقد شارك فيه كتاب ينتمون الى أكثر من ستين بلدا في القارات الخمس ومن اتجاهات فكرية وسياسية مختلفة وقد صدر عن اللقاء نداء عام موجه الى شعوب العالم ومثقفيه والمسؤولين فيه يدعو الى توطيد دعائم السلام العالمي على أسس مستقرة وعادلة ودائمة والى نزع السلاح النووي والتخلص منه ، ويدين مشعلي الحروب والنزعات العدوانية والفاشية والعنصرية في العالم ويحملها مسؤولية تهديد السلام العالمي بالخطر ·

كما تبنى اللقاء نداء خاصاً تقدم به الأمين العام للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب يدين الصهيونية والغزو الاسرائيلي للبنان والمذابح التي ارتكبها الصهاينة وأعوانهم ضد الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا وقد وقع عليه أكثر من ستين كاتباً ومثقفاً من أنحاء العالم ·

وبالاضافة الى الجلسات العامة التي عقدها المشاركون في اللقاء كانت هناك ثلاث لجان توزع عليها المشاركون في اليوم الثاني حسب الموضوعات التالية :

١ ـ **وحدة حركة الكتاب في العالم من أجل السلام خبرة تاريخية اكتسبت من خلال المعاناة ، وضمان للنجاح ·**

٢ ـ **أدب أمل ، أم أدب يأس ؟**

٣ ـ **ترجمة الأدب ـ صلة وصل بين الثقافات الوطنية وقضية سلام شامل ·**

٤ ـ **مائدة مستديرة للناشرين والكتاب ·**

وفيما يلي نص الكلمة التي القاها الأستاذ علي عقلة عرسان الأمين العام للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب ، ورئيس الاتحاد العام للكتاب العرب في سورية ، ونص النداء الذي وجهه الى المثقفين والأدباء والمفكرين في العالم والذي تبناه المؤتمر كوثيقة من وثائقه ، مع صورة عن تواقيع الكتاب والادباء التي مهر بها هذا النداء ·



أيهـا الزملاء الكتّـاب :

اسمحوا لي في بداية أن أشكر اتحاد الكتاب البلغار ورئيسه الرفيق ليفتشيف على الجهود المبذولة من أجل عقد هذا اللقاء الهام ، وعلى اتاحة هذه الفرصة لي للمشاركة فيه ·

وانه ليشرفني أن أوجه التحية من هنا باسم الكتاب العرب عامة والسوريين منهم خاصة ، لكم وللكتاب البلغار وشعب جمهورية بلغاريا الصديق والى مناضليه وقياداته السياسية مؤكدا أن الصداقة القائمة والمتنامية بين الشعبين العربي والبلغاري سوف تتعمق وتستمر وان الطريق النضالية التي نسير فيها معاً ضد عدونا المشترك والعنصرية والصهيونية والرجعية ، سوف تقودنا الى النصر ·

أيهـا الزملاء الكتّـاب :

اننا نلتقي هنا في مؤتمر أهم أهدافه العمل من أجل السلام ·

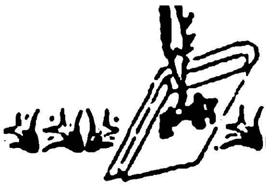
وأنا آت اليكم من أرض تدمر الحرب أشكال الحياة عليها · آت اليكم · وبي رائحة الموت ، وفي عيوني ترتسم صور الدمار ، وأجساد الأطفال الممزقة ، والشيوخ الذين تناثرت عكازاتهم وأشياؤهم الصغيرة في دمائهم ، ويلاحقني عويل النساء في مخيمي صبرا وشاتيلا ، في بيروت وجنوب لبنان ، يندبن الانسانية والمستقبل والحضارة · يندبن الكلمة التي نحملها سلاحاً ، بينما يسحقهن الرعب من السلاح الأمريكي الذي يصوبه عليهن ليلا نهارا جيش الحرب الاسرائيلي · لقد سمعتم ورأيتم وعشتم دون شك ، المأساة الدامية التي عاشها أبناء الشعبين الفلسطيني واللبناني ، وتابعتم أخبار حصار بيروت ومئات الأطنان من القنابل التي ألقيت عليها ووصلت اليكم أخبار الميادين التي فتحت لتجريب السلاح الأمريكي الجديد والقنابل المحرمة دوليا في لبنان ضد القوات المشتركة (الفلسطينية ـ اللبنانية) وضد القوات السورية والمدنيين · ولا أريد أن أعيد عليكم سرد أخبار فظاعات ومجازر النازيين الجدد في آخر غزو في الحرب الأمريكية الاسرائيلية القذرة التي تشن ضد الشعب العربي ولكنني اريد ان أذكر أمامكم أننا نعاني من ويلات هذه الحرب ومن أشكال اجتياح على نمط اجتياحات هتلر منذ خمس وثلاثين سنة ، وقبل ذلك مباشرة كنا تحت نير الاستعمار الفرنسي والبريطاني نخوض حرباً من أجل الاستقلال ، وأستطيع القول أننا منذ الحرب العالمية الأولى التي اكتوت البشرية بنارها ما زلنا نعيش ظروف الحرب وتفرض علينا أشكال متطورة منها · وقد منعنا ذلك من تطوير مجتمعنا ومن بناء قواعد التقدم التقني والاجتماعي والحضاري التي نريد بناءها ، وأبقى شعبنا في حالة استنزاف مستمر لخيراته وطاقاته وتطلع أجياله المشروع للامن والمعرفة والتقدم والعدالة ·

وفي كل ثماني سنوات تقريباً تشن علينا اسرائيل وأمريكا حرباً مدمرة ، هذا عدا الاعتداءات المستمرة والاجتياحات المحدودة النطاق ، وهكذا تضطرنا الأمبريالية والصهيونية العنصرية الى أن نعيش ظروف الحرب باستمرار لتفرض علينا التخلف وأشكال النفوذ والاستغلال الأمريكي ، تنفذه بالتدريج وحسب خطة استيعاب مدروسة ·

أيهـا الزملاء الكتّـاب :

ان ما يهدد البشرية وحضارة الانسان على الأرض هو السلاح النووي والذري بأنواعه ، والسباق المجنون في مجالات تطوير ذلك السلاح · ولكن ما يهدد السلام وينذر بتفجير حرب نووية لا تبقي ولا تذر هو تلك الحروب المستمرة ضد شعوب العالم الثالث وفي منطقة الشرق الأوسط خاصة · وهذه الحروب تدمرنا نحن الفقراء بالتدريج ، ويبقى العالم صامتاً عنها أو راض بها خوفاً من الحرب الأشمل والأخطر ، خوفاً من الحرب النووية · ان الأمبريالية تحقق أهدافها في ظل هذا الخوف ، وتقضي على حركة التقدم وعلى مناوئيها في ظل ذلك التهديد الرهيب ، وتكون النتيجة دوماً أن الفقراء يدفعون الثمن ، ونحن في منطقتنا نموت ونفقد الأرض والحقوق والأمن ، وتضيع قدراتنا بالتدريج تحت سمع العالم وبصره · والموت هو الموت في جميع الأحوال مهما تعددت أساليبه ·

ليس معنى هذا اننا نريد للبشرية أن تاخذ نصيبها من الموت والدمار مثلنا ، بل نريد أن ناخذ نصيبنا من السلام والاطمئنان ، نريد السلام لنا مثل ما هو لسائر أبناء الأرض ، ونرفض أن تسود ظروف وشروط التهديد بالحرب الشاملة وبالاسلحة النووية والنيترونية لتجعل الفقر يموت كل يوم ، ويحرم طعم الأمن والمعرفة والحرية في الحياة ·



نرفض أن يعيش العالم كله في فوهة بركان يخشى أن ينفجر في أية لحظة • ان عالمنا قد تحول الى مصيدة رعب في ظل انتشار الاسلحة النووية والتسابق على تطويرها •

أعرف أيها الزملاء الكتاب أن سلاح السلام هو الكلمة ، وأعرف أن المعرفة والمحبة والانسانية والتقدم ، العلم والقيم ، كل ذلك تصنعه الكلمة • وان السلاح لم يقدم للانسان سوى القتل وللحضارة سوى الدمار •

انها اللعبة القذرة التي يريد أن يفرضها الأمبرياليون والصهاينة والعنصريون والرجعيون على البشرية ، والتي ينفعل الجميع بها ويجدون أنفسهم في دوامتها ، يلعبون ويخسرون دون أن يكون لهم خيار ، فالفقراء دائماً كانوا هم وقود نيران الحرب تحت شعارات شتى وفي ازمنة شتى • وهم دائماً يدفعون حياتهم وحريتهم وسعادتهم ثمناً لظروف وشروط وأشكال الحرب •

ولكن ألا يمكن أن نفعل شيئاً من أجل الفقراء والبسطاء والمظلومين من أجل البشر والحضارة ؟• أهي ضعيفة وبائسة ومهزومة كلمتنا الى هذا الحد ؟ أهي بسلاح مغلول أم سلاح لا يستخدم الاستخدام المجدي ؟ أم ليست سلاحاً على الاطلاق ؟ أين نحن وأين دورنا مما يجري في عالمنا المجنون هذا؟

علينا نحن الكتاب ان نطرح على أنفسنا هذه التساؤلات ، ونبحث عن الاجابات الصحيحة والصريحة ؟ ! لأن فاعليتنا في مجتمعاتنا وفي عصرنا ليست بالمستوى المطلوب ولا تحول دون انتشار الرعب وسيطرة التهديد بالحرب ، وقيام المذابح البشعة ، وانتشار جنون التسابق النووي ، وفقدان الانسان لأبسط حقوقه وأسماها : الأمن والحرية •

وأستطيع أن أقول من جانبي : ان العيب فينا على نحو ما وفي استخدامنا للكلمة •

ربما لأننا لا نحسن استخدام سلاحنا ،الكلمة من أجل التقدم والسلام ، استخداماً فعالا في معركة منسقة ، وربما لأن سلاحنا يدخل بطريقة ما ، في خدمة حملة سلاح القتل ولا يشكل جبهة انسانية شريفة واحدة مضادة للحرب ومضادة للقتل بشكل مطلق ، تقف في وجه الظلم والعدوان والطغيان والاستغلال من أي نوع كان ومن أية جهة أتى! ربما لأن حملة سلاح الكلمة لايحددون الهدف بدقة والوسيلة بوضوح فيجدون أنفسهم مشتتين ضعفاء ، ويجدون سلاحهم يرتد على أنفسهم أو يقع في خدمة أغراض أخرى •

أيها الزملاء الكتّاب :

يا ضمير العالم وحماة القيم الانسانية ،وصوت الشعوب ، اننا مسؤولون عن عالمنا ومسؤولون فيه ، مسؤولون عن عصرنا وعما يجري فيه ،ومسؤولون عن نقل تجربة الانسانية وخبرة أجيالها وعن الاستفادة من معاناتها الطويلة في سبيل بناء الحضارة، ومسؤولون عن نقاء تلك الحضارة وتطويرها • ونحن نتحمل مسؤولية تاريخية في عصرنا عما يدخل في المدى الزمني لمسؤولية الكلمة في عصرنا • وينبغي أن نبحث عن الوسائل التي تجعل صوتنا مسموعاً وتأثيرنا فعالا وكلمتنا منقذة • وأزعم بقوة وصدق أنني مخلص للانسانية والسلام ، للحرية والعدالة، ولا أستطيع أن أرى الظلم والرعب والمجازر البشعة تنتشر في أرجاء الأرض وأبقى متفرجاً ولا مبالياً • انني أعيش في عصر الرعب هذا وأنتمي الى البشر البائسين الذين يعيشون فيه ، وعلي أن أفعل شيئاً• وأنا أنتمي الى الكلمة وأهدافها الشريفة والى والى المناضلين في جبهتها • وأريد أن أقول بوضوح: ان مصداقية الكلمة تأثرت كثيرا في عالم اليوم ، ولا بد أن نعيد لها مصداقيتها وتأثيرها ، ومن أجل ذلك أدعو الكتاب في كل أنحاء العالم الى تشكيل جبهة عالمية قوية تستعمل سلاح الكلمة من أجل انقاذ البشرية ضمن نطاق ميثاق شرف يتم الالتزام التام به يأخذ النقاط التالية في الاعتبار :

- **الدعوة الى مقاومة سباق التسلح النووي بجميع الوسائل والعمل على ايقاف تطوير هذا السلاح، والضغط من أجل نزعه واتلاف المخزون منه ، وفضح من يتمسكون ببقاء تهديده وزيادة ذلك التهديد والخطر •**

- **العمل من أجل سلام عادل ودائم في أرجاء الأرض، وادانة الحروب العدوانية وكشف مخاطرها على السلام ، والوقوف الى جانب أصحاب الحقوق المستلبة من أجل استرداد حقوقهم ، ومنع قيام بؤر التوتر ، لأنها تشكل خطراً على السلام العالمي وعلى تقدم البشرية •**



- العمل من أجل الحفاظ على حقوق الانسان وحرياته ، ومقاومة صور وأشكال استعمار واستغلال الأفراد والشعوب •

ان الأدب انساني ، وهو ضد الحرب وليس مروجاً لها، واذا صورهافليشير الى ويلاتهاومآسيها، وليقدم الدروس والعبر للاجيال • والكلمة تفضح العدوان والظلم وليست ستارا يغطي مرتكبي الجرائم بحق الانسانية •

ولن تنتمي الكلمة الالتاريخها النضالي الشريف عبر العصور ، حيث كانت من أجل التقدم والرقي ، من أجل العدل والحرية، من أجل السلام والازدهار• وهي لن تخون رسالتها في عصر الرعب هذا ، ولن تزيف جوهرها تحت أي تهديد ، فهي عند اشتداد الظلام نور الانسانية الهادي ، ودليلها المنقذ •

ولهذه الأسباب يجب ألا تسجل الكلمة تراجعا في التأثير على مجريات الأحداث ، ويجب أن تملك من القوة والقدرة ما يشل أيدي المجرمين ومشيري الحروب ، ومرتكبي المجازر ضد البشرية ، واولئك الذين يديرون امبراطوريات الاستغلال والارهاب بقوة الأسلحة النووية وتحت شعارات براقة • وهم أعداء الشعوب وأعداء السلام والتقدم والحرية •

انني أدعو مؤتمركم هذا الى ادانة الغزو الاسرائيلي ولادانة المجازر البشرية التي ارتكبها مجرمو الحرب الاسرائيليين في مخيمي صبرا وشاتيلا ضد الأطفال والنساء والشيوخ من أبناء الشعب الفلسطيني •

والى تبني مبدأ محاكمة قادة اسرائيل المسؤولين عن تلك المجازر وفي مقدمتهم بيغن وشارون كمجرمي حرب ومرتكبي مجازر ابادة بحق الجنس البشري •

وأدعوكم الى اعلان تأكيد دعمكم لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة في وطنه بقيادة ممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية •

والى انسحاب اسرائيل من لبنان والأراضي العربية المحتلة •

ان هذا الاعلان من قبل مؤتمركم سيكون له تأثير ايجابي على المناضلين من أجل السلام والعدالة في منطقتنا وفي العالم ، وسوف يواسي بعض الجراح التي خلفتها الهمجية الأمريكية الاسرائيلية في لبنان• كما يشكل خطوة على طريق فتح جبهة قوية لرجال الكلمة الشريفة في العالم •

أحييكم بحرارة ، وأتمنى لهذا اللقاء النجاح التام •

واشكر اتحاد الكتاب البلغاريين مرة أخرى وأعتذر عن الاطالة •

رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية

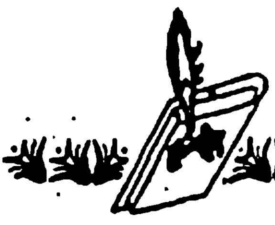
علي عقلة عرسان



نداء الى الكتاب والأدباء والمثقفين في العالم

أيها الكتاب يا ضمير الشعوب وحماة القيم الانسانية :

مساء السبت ١٧ ايلول وصباح الأحد ١٨ منه ارتكبت اسرائيل أبشع مذبحة جماعية مدبرة ومنظمة ضد الشعب الفلسطيني حيث قتلت أكثر من ألف وخمسمائة طفل وامرأة وشيخ في مخيمي صبرا وشاتيلا غرب بيروت وهدمت فوقهم الأكواخ والبيوت الطينية وحاولت اخفاءهم في مقابر جماعية بالجرافات • والى جانب ذلك ما زالت تمشط أحياء بيروت الغربية بيتاً بيتاً وتقتل الوطنيين اللبنانيين ومن تعثر عليه من الفلسطينيين المدنيين أينما وجدوا ، وقد حولت الملعب الرياضي في بيروت الى معسكر اعتقال وتحقيق حيث تحتجز هناك أكثر من الفي شخص ، هذا سوى مئات القتلى والجرحى في صفوف اللبنانيين المسلمين الذين اجتاحت مدينتهم بعد أن دبرت مصرع بشير الجميل لتفتعل سبباً للاجتياح وابادة أكبر قدر ممكن من الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين ، ولتحتل بيروت الغربية، التي صمدت للحصار ببطولة رائعة ، بعد ترحيل رجال المقاومة الفلسطينية والقوات السورية عنها • ان



هذا الارهاب البشع والنازية الرهيبة التي تعلن عن نفسها في ارتكاب مجازر جماعية تثقل الضمائر وتهز المشاعر الانسانية ، تدعوكم الى أكثر من اعلان الاحتجاج والغضب والسخط والاشمئزاز من هذه الفظائع المروعة ضد الأطفال الرضع وأمهاتهم ، ضد الشيوخ والعجزة والمرضى في أكواخ بائسة بعد ترحيلهم عن وطنهم فلسطين وتشريدهم لأكثر من خمسة وثلاثين سنة وملاحقتهم بالرعب في كل مكان يلجأون اليه ٠

فهل هذا عدل انساني ؟ وهل يبقى لضمائرنا حياة ولكلماتنا بل لوجودنا معنى اذا لم نفعل كل شيء من أجل ايقاف الظلم ومعاقبة المجرمين واحقاق العدل والسلام وحماية الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ ٠

ان الفلسطيني الذي يروع ويطارد ويقتل أمام سمع العالم وبصره ، وأمام تواطؤ الامبريالية وفي ظل الصمت الدولي المريب ، والضعف العربي المخجل هو انسان وصاحب حق ، وله أن يعيش بكرامة كسائر بني البشر يتمتع بالحرية والسلام في وطن مستقل وله أن يربي أطفاله ويأمن في بيت على أرض البشر بعد أن دفع ضريبة مرة ليعلن عن أهليته في الحياة وحقه كشعب في البقاء والاستقلال٠

ان النازية والفاشية والعنصرية المقيتة التي تمثلها اسرائيل في أبشع صورها في الثمانينات من قرننا ، وقادة هذه النازية العنصرية ورموزها يجب أن يحاكموا على جرائمهم المروعة وفي مقدمتها جريمة الابادة الجماعية المنظمة والمستمرة للشعب الفلسطيني بوصفها جريمة ابادة للجنس البشري تعاقب عليها القوانين الدولية ٠ تلك الجريمة التي يشرف على تنفيذها قادة اسرائيل بيغن وشارون وشامير ، لا بد أن يحاكم أولئك الأشخاص علناً كمجرمي حرب من قبل المثقفين والكتاب والأدباء ورجال الفكر في العالم وتدان أعمالهم وفق نهج محاكمات نورمبرغ ويجرّموا مع سائر المنظمين والمسؤولين والمنفذين للغزو الهمجي للبنان ٠

ان اسرائيل قد دمرت بلداً مستقلا عضواً في الأمم المتحدة هو لبنان وقتلت ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ألفاً وأزالت مدناً وقرى ومخيمات يسكنها بشر لهم عقول وقلوب ، لهم آمال وأحلام ومشاعر وحريات مثل أبناء البشر جميعاً ، ونكثت عهوداً ومواثيق قطعتها على نفسها أمام العالم وانتهكت بوقاحة القوانين والأعراف والمواثيق الدولية ،ولم تحترم أياً من قرارات مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للامم المتحدة ، وما زالت مستمرة في عدوانها البغيض وممارساتها البشعة ضد العرب وهي تلقى دعماً مادياً وعسكريا ومعنويا لا حدود له من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتحظى بحماية من أي شكل من أشكال الشجب أو الادانة لأعمالها في مجلس الأمن وكذلك من أية عقوبات ، مما يشجعها على الاستمرار في الغطرسة وارتكاب المجازر وقيادة الارهاب المنظم ضد شعوب المنطقة وقواها الوطنية والتحررية ذلك الارهاب الذي تنفذه على شكل تهديد وغزو واجتياح على نمط غزوها الأخير للبنان ٠

ان شرف الكلمة ، وشرف المعايشة الانسانية لأبناء العصر ولقضاياه يتطلبان من الكتاب والأدباء والمفكرين موقفاً انسانياً وأخلاقيا وحضاريا يليق بمكانة الكلمة وشرفها ودورها في تاريخ الانسانية، وبمكانة صاحب الفكر والقلم والموقف الشريف ، وبانتسابه للحضارة ومسؤوليته عن حمايتها بوصفها منقذا وهاديا للانسان ، وعاملا من عوامل تقدمه وتطوره وبقائه على الوجه الأفضل ٠

فليسمع العالم صوتكم أيها الشرفاء يا ضمير الانسانية ونبض الحق ٠

فلنشجب العدوان والاجرام والمذابح الجماعية التي ترتكبها اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني عامة وفي لبنان خاصة ٠

ولنعلن وقوفنا الى جانب حق هذا الشعب الصابر المكافح في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة فوق تراب وطنه المحرر بقيادة ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية ٠

ولنعلن حكمنا بحق مجرمي الحرب النازيين الجدد الذين يلاحقون الأطفال الفلسطينيين الرضع في مخيماتهم أينما وجدوا ليطمسوا الحق العربي في فلسطين بالقضاء على أصحابه ٠

دمشق في ١٩/٩/١٩٨٢

الأمين العام

للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب

□ وفيما يلي تواقيـع المشاركـين :

Ozdemir Ince (Turquie)

U.O.R.

Elizabeth V. Marcell(Frey)
U.S.A

BRD

Arturo Azuela (Mexico)

Dr. Asadullah Habib
Afghanistan

Maxime NDEBEKA (CONGO)

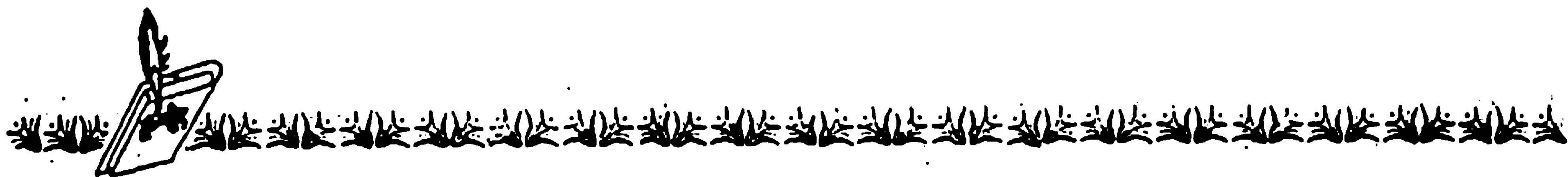
Nguyên Dinh Thi
Viet Nam

BRD

André Stil
France

CHELANVIEN VIETNAM

DDR



[illegible] Newsom

[illegible] - Boulgarie

[illegible] - France

小田実 ~ Japan

[illegible]

[illegible] (CHILE)

Hédi Bouraoui (CANADA)

[illegible] France

[illegible] Yemen

H.S. Duggal India

[illegible] (Yoshie Hotta) Japon

[illegible] - Bulgaria

Дамаск, 19 сентября 1982 г.

АЛИ ОРСАН

Генеральный секретарь Общеарабского союза писателей

Urbano Tavares Rodrigues

(Portugal)

ANGEL AUGIER

SRI LANKA.

Alfredo Varela Argentina

Michel Souleiman Liban

TAHAR OUETTAR ALGERIA

Finland

Mozambique

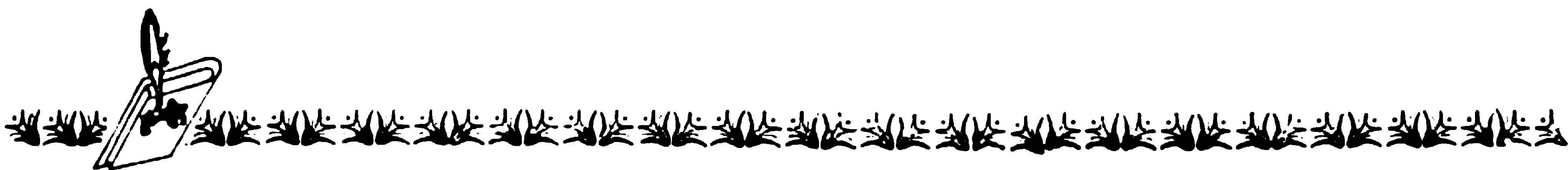
GDR

El Salvador

BRD

Martin Nag. Norvegija

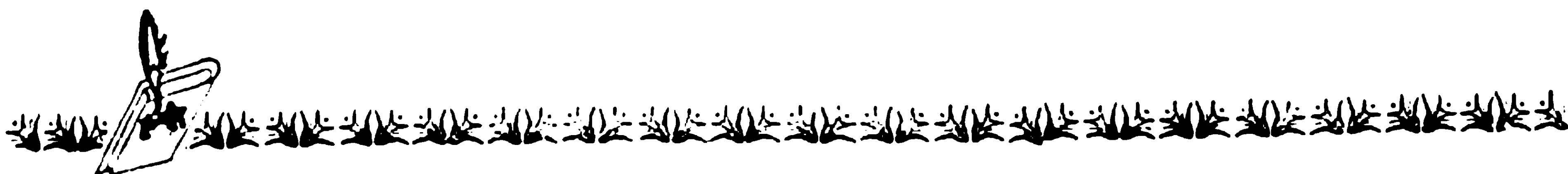
India



[illegible]	الجمهورية التونسية	[illegible] الفارسي
Mamadou Traoré Diop	Secrétaire Général du Comité Sénégalais des écrivains afro asiatiques Senegal	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	الجزائر	أزراج عمر
Faiz Ahmed Faiz	PAKISTAN	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
		[illegible]
YUKIO KURIHARA	JAPAN	Y. Kurihara
Gunasena Withana	SRI LANKA	Gunasena Withana



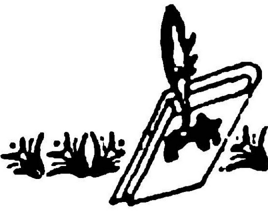
AZIZ CALISLAR	Turkey	
Gunasena Withana	Sri Lanka	
Moses [illegible] Kwali	Zambia	
[illegible]	GER	
Chaka Diarassouba	MALI	
TESFAYE GESSESE	ETHIOPIA	
KOLOSA INNA KARGBO	SERRA LEONE	
SUBHAS MUKHERJI	INDIA	
Clarence H. RATSIFANDRIHAMANANA	MADAGASIKARA	



[illegible] La Guma	SOUTH AFRICA	[illegible]
ASSEFA GMT	ETHIOPIA	[illegible] 21/10/82
ATUKWEI OKAI	GHANA	[illegible] 21/10/82
Souvanthone. Bouphanouvong	Laos	[illegible]
ABU GROOK/ABDA ul[illegible]	SUDAN السودان	[illegible]
[illegible]		[illegible]
NIRMALENDU GOON	BANGLADESH	[illegible]
WASEFBAKHTARY	AFGANAISTAN	[illegible]
Moses John Kwali	Zambia	[illegible]
ROGER GOTO ZOMOU	Guinée-Conakry	[illegible]



Aziz Nesin from Turkey	From Turkey	
Nguyen [illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	
HAMDI [illegible]	[illegible]	
BH[illegible]		
[illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	
ATUKWEI OKAI	Ghana	
[illegible] KHAKIMOV	USSR	



البيان الصادر عن ندوة منتدى الفكر

والحوار عن « التراث والعمل السياسي »

التي عقدت بالرباط أيام ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ تشرين الثاني ١٩٨٢ م

برزت في الندوة مجموعة من الآراء المتباينة حول قضية التراث العربي والعمل السياسي ، كما قدمت أوراق أخرى تعالج أوجها أخرى من المسالة التراثية في سياقها السياسي العربي ·

فبالنسبة الى المحور الأول ، ظهر اتجاهان كبيران اندرجت تحتهما جملة من الدراسات والمداخلات التي قدمها بعض المنتدين · الاتجاه الأول يرى في قضية التراث العربي أمرا زائفاً ، ويمثل من ثم قضية مصطنعة · ظهر هذا الاتجاه بصيغ ثلاث ، الأولى تقوم على اعتبار تلك القضية ذات طبيعة ايديولوجية ، لا تتصل بمعنى ما ببعد نظري معرفي أو علمي منهجي · وقد وضع أصحاب هذا الاتجاه قضية التراث المعنية مقابل قضية « العلم » الذي يمثل ، هنا ، نسقاً آخر من حيث بناؤه المنطقي الداخلي وأدواته المعرفية واتجاهاته وآفاقه · أما الصيغة الثانية فقد ظهرت بصورة السلب والنقض ، بمعنى وضعها بين قوسين تعبيراً عن عدم وجودها أصلا · وعلى ذلك فالحديث لا يخرج ، هنا ، عن دائرة من المقولات الوهمية فاقدة الدلالة · أخيرا الصيغة الثالثة · قد برزت هذه على لسان البعض من موقع النظر الى التراث العربي منهجاً وتطبيقاً على أنه ليس الا مسالة خاصة بالمنطقة العربية والمناطق الأخرى المماثلة ، بمعنى آخر ، القضية تلك بهيمنتها في الوضعية العربية الثقافية ، تمثل خصيصة متفردة بالنسبة الى هذه الوضعية · ومن ثم فليس لها في وضعيات أخرى (الأوربية مثلا) وجود حقيقي ·

وقد جرى التاكيد على أن التراث عامة هو من صنع الانسان ، كما أن الانسان يمثل بمعنى ما ، نتاجاً تراثياً ، لذلك نراه ذا حضور فاعل سلباً أو ايجابا في وجدان الأمة ، يسهم في مدها بتصوراتها وقيمها وسلوكها ·

على صعيد آخر، برز اهتمام حركة الاستشراق الأولى بالتراث العربي عامة والعربي الاسلامي على نحو خاص من أجل التعرف على هويات شعوب المنطقة التي مثلت أهدافاً لمطامع الكولونيالية والاستعمار والأمبريالية · وهذا ما ولد احتمالات نشوء مواقف عربية من التراث العربي أخذت منحى المناهضة العدمية له ، اعتقادا بأن هذا الذي قدمه ممثلو هذه الحركة اليهم لا يمثل الا حقيقة زائفة ·

ضمن هذه الدائرة ، ألقيت أبحاث ومداخلات تتبع الصلة بين التراث والعمل السياسي منذ فجر النهضة العربية البورجوازية الحديثة ، متمثلا في حركة الاصلاح الديني منذ الأفغاني حتى رشيد رضا وغيره ، مشارا في سياق ذلك الى تضخيم هدف الاستنهاض السياسي على حساب العمل الثقافي التراثي بصورة عامة · وقد تبلورت في اطار ذلك خصومة وتعارض بين العمل السياسي والآخر النظري التراثي ، مما أسهم استثارة اتجاهين متقابلين متعارضين ، هما النزعة السلفية والأخرى العلمانية العدمية ·

كان ذلك الاتجاه الأول في نطاق القضية التراثية · بالمقابل وبالتعارض معه برز الاتجاه الآخر من خلال مجموعة من الأبحاث والمداخلات ، التي انصبت باتجاه ثلاث مسائل · الأولى تركزت في نطاق البحث في القومية العربية والتراث العربي ، والمسالة الثانية تبلورت في دائرة اليهودية والمسيحية والاسلام من طرف والتراث العربي من طرف آخر · أما المسالة الثالثة فقد تحددت بالعلاقة بين



اليسار العربي الحديث والمعاصر والتراث العربي منهجاً وتطبيقاً •

فعلى صعيد المسألة الأولى جرى التركيز باتجاه استقصاء العلاقة النظرية المعرفية والايديولوجية بين القومية العربية وبين التراث العربي ، ومن ثم باتجاه تحديد عناصر هذا التراث • وفي السياق نفسه ، أخذ الحديث عن اليهودية والمسيحية والاسلام حيزاً لم يكتسب تعميقاً وتوسيعاً ضروريين • أخيراً المسألة الثالثة • قد جرى حولها نقاش بصورة حادة وببعض التعمق • فجرى التأكيد على أن اليسار العربي ، الذي يتوافر بين اليسار الاسلامي والماركسية ، مر بأزمة عميقة في مواقفه من القضية التراثية المعنية • كما بحث في أمر القطيعة التي حدثت بفعل موضوعي وذاتي بين أجنحة ذلك اليسار والجماهير العربية المؤمنة •

وقد أشير الى أن اليسار العربي مر بعدة مراحل ، التقى فيها بنقاط هامة مركزية واختلف فيها بنقاط بسيطة هامشية على الصعيد الايديولوجي السياسي • الا أنه مثل قاسماً مشتركاً موحدا على صعيد الموقع النظري المعرفي من قضية التراث العربي ، هذا القاسم الذي تجسد في سذاجة المستوى الذي جرى التصدي من خلاله للقضية هذه •

وجرى حوار حول انبعاث مرحلة جديدة في تاريخ اليسار العربي بالنسبة الى القضية التراثية ، تلك المرحلة التي أعلنت بعض ارهاصاتها عن نفسها بصيغة مجموعة من الجهود البحثة الجديدة ، والتي لعلها تنطوي على تحول نظري معرفي نوعي يحقق اسهاماً « جديا » في حل تلك القضية والاجابة عن آفاق اشكالاتها ولقد أشار جمع من المناقشين أنه في نطاق تلك المرحلة الجديدة أخذت القضية المشار اليها تبرز بمزيد من الوضوح على أنها قضية اجتماعية عينية تتمثل بالمواقع التراثية التي تأخذها الطبقات والفئات الاجتماعية في فهمها وتفسيرها وتأويلها لمعطيات تراثها وتاريخها • ومن ثم ، فان الباحث يواجه وظيفتين لهذه العملية ، واحدة تكمن في التراث أداة قمع وتسلط وقهر وظلم ، وأخرى تقوم على التمكين لتحرير وتثوير وتنوير العمل من أجل مصالح الأغلبية المنتجة من المجتمع • اضافة الى ذلك أشير الى أن التراث العربي يمثل وجهاً من أوجه التراث العالمي فعلا وتفاعلا وتعميقاً •

ولما كنا نعيش في وضعية اجتماعية مماثلة ، فان من واجب القوى الوطنية الديمقراطية والقومية التقدمية ابراز الوظيفة الثانية لتراثها عبر بحث علمي سيفضي الى ما يمكن أن يستلهم أو أن يتبنى أو أن يعزل من عناصره ، والكشف عن الوظيفة الثانية بصورة علمية نافذة ، دون الوقوع في مزالق التهميش أو التزوير •

عدا ذلك المحور الأول ، الذي ظهر في الندوة ، برز محور آخر تمثل في دراسات ومداخلات قدمها باحثون ومناقشون • تلك الأخيرة يمكن تنهج النظر اليها من موقعين ، الأول فقد تناول العلاقة بين الديمقراطية والعروبة والعلمانية في العالم العربي عموماً بصفتها مسألة ذات أبعاد تراثية وتاريخية • أما الموقع الثاني فقد جرى التعبير عنه من زاوية استقصاء الجسور التي قامت بين الفكر العربي واللبناني المهجري من جهة والفكر اللبناني منذ عصر النهضة من جهة أخرى • وفيما يتصل بالموقع الأول ،جرى التأكيد على أن الحفاظ على عروبة لبنان في المرحلة الراهنة يكمن بصورة خاصة في التأكيد على أن المدخل الى ذلك هو الديمقراطية العلمانية • وكذا الأمر فيما يتصل بالموقع الثاني فقد اعتبرت قيمتا الحرية والديمقراطية من المسائل الجوهرية الحيوية ، التي برزت في عملية تأثير الفكر اللبناني المهجري في الوصفية الفكرية اللبنانية الداخلية •

على ذلك النحو ، كانت أعمال الندوة تاكيدا على مسالتين مركزتين ، برزتا في حوارات متعددة بين المنتدين ، الأولى منهما تكمن في انه على صعيد القضية التراثية ، كما على صعيد المسائل الثقافية الأخرى ، يقوم تناقض عميق بين رؤيتين لهذه القضية بصفتها موقفاً منهجيا وتطبيقيا • أما المسألة الثانية فقد تبلورت في التاكيد على أن الوصول الى تحديد أعمق وأكثر شمولا ووضوحاً • لهذين الموقفين المتناقضين • يقتضي مزيدا من



الحوار وهذا الأخير اذ يتم ، فانه يستهدف الوصول الى اقامة جسور أولية بين الطرفين الأساسيين تسمح بكشف الاشكالية العربية الثقافية عامة والعربية الاسلامية بصورة خاصة • أما الطريق الى ذلك فقد نظر على أنه يكمن في الديمقراطية • وفي هذا السياق كان اجماع في الندوة على المطالبة بتحقيق أجواء فعلية للديمقراطية في المجتمع العربي يستطيع من خلالها الفكر العربي أن يحاور نفسه ويحاور الآخرين بصورة معمقة •

لقد خرج المنتدون على وجود التناقض النظري الأيديولوجي الذي برز بينهم ، بنتيجة أساسية اعتبروها عنصراً مرجعاً وموحداً لهم في أعمالهم • تلك هي أن قضية التراث العربي منهجاً وتطبيقاً ينبغي أن تمتلك حيزا أكبر من البحث العلمي الدقيق ، ومن ثم من العمل على توظيفها في سياق سياسي فاعل، يكون من شأنه تحقيق الوحدة الوطنية في المجتمع العربي وتوحيد عملية الكفاح من أجل الحفاظ على عروبة الأرض العربية المهددة • ذلك لأن هذا سيسهم بصورة فاعلة في تدعيم الافاق المتقدمة للصراع العربي ضد الأمبريالية والاستعمار والصهيونية ، وامتداداتها في العالم العربي •

وقد أجمع المنتدون أنه ينبغي على جميع القوى الوطنية الديمقراطية والتقدمية بمختلف مذاهبها السياسية وأطرها النظرية وانتماءاتها الحزبية ، الدخول في معركة التراث والعمل السياسي بأدوات علمية متعددة ونافذة في اطار من الوحدة الوطنية الديمقراطية • وذلك بناء على تحقيق حد أدنى من الاتفاق على برنامج عمل نظري وسياسي وطني ديمقراطي يمثل أهداف الأمة العربية وتطلعاتها في مرحلة لم يعد فيها مكان لأحادية الطرف وللعمل الجزئي ، غير الموحد وغير المشترك •

فلنعمل جميعاً من أجل وحدة وطنية وديمقراطية تحافظ على وحدة الأرض والهوية •

الرباط في ١٩٨٢/١١/٢٨

* * *